

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمْ هِيَ عَصَ ١ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ٦ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَزَكِّرُنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

٣٠٥

١٠٠ من مقاصد السورة:

إبطال عقيدة نسبة الولد لله من المشركين والنصارى، وبيان سعة رحمة الله بعباده.

التفسير:

١ كَمْ هِيَ عَصَ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذا ذكر رحمة ربك بعبده زكريا ، نقضه عليك للاعتبار به.

٣ إِذْ دعا ربه سبحانه دعاء خفياً ليكون أقرب إلى الإجابة.

٤ قال: يا رب، إني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائفاً في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبتني.

٥ وإني خفت قرابتي ألا يقوموا بعد موتي بحق الدين لانشغالهم بالدنيا، وكانت امرأتي عقيمًا لا تلد، فأعطني من عندك ولداً معيناً.

٦ يرث النبوة عني، ويرثها من آل يعقوب ، وصييره - يا رب - مرضياً في دينه وخلقه وعلمه.

٧ فاستجاب الله دعاءه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرك بما يسرك، فقد أجبتنا دعاءك، وأعطيناك غلاماً اسمه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسم.

٨ قال زكريا متعجباً من قدرة الله: كيف يولد لي ولد وامرأتي عقيم لا تلد، وقد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام؟

٩ قال الملك: الأمر كما قلت من أن امرأتك لا تلد، وأنت قد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام، لكن

ربك قال: خلق ربك ليحيى من أم عاقر ومن أب بلغ نهاية العمر سهلاً، وقد خلقتك - يا زكريا - من قبل ذلك ولم تكن شيئاً يذكرك لأنك كنت عدماً.

١٠ قال زكريا : يا رب، اجعل لي علامة أطمئن بها تدل على حصول ما بشرتني به الملائكة، قال: علامتك على حصول ما بشرت به ألا تستطيع كلام الناس ثلاث ليالٍ من غير علة، بل أنت صحيح معافى.

١١ فخرج زكريا على قومه من مصلاه، فأشار إليهم من غير كلام: أن سبّحوا الله سبحانه أول النهار وآخره.

من فوائد الآيات:

- الضعف والعجز من أحب وسائل التوسل إلى الله: لأنه يدل على التبرؤ من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.
- يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع.
- الحرص على مصلحة الدين وتقديمها على بقية المصالح.
- تستحب الأسماء ذات المعاني الطيبة.

(١٢) فولد له يحيى، فلما بلغ سنًا يخاطب فيها قلنا له: يا يحيى، خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناها الفهم والعلم والجد والعزم وهو في سن الصبا.

(١٣) ورحمناه رحمة من عندنا، وطهرناه من الذنوب، وكان تقياً يأتمر بأوامر الله، ويجتنب نواهيه.

(١٤) وكان براً بوالديه، لطيفاً بهما، محسناً إليهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه ولا طاعتهما، ولا عاصياً لربه أو لوالديه.

(١٥) وسلام عليه من الله وأمان له منه يوم ولد، ويوم يموت ويخرج من هذه الحياة، ويوم يبعث حياً يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثة هي أوحش ما يمر به الإنسان، فإذا أمان فيها فلا خوف عليه فيما عداها.

(١٦) واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر مريم عليها السلام إذ تَخَتَّ عن أهلها، وانفردت بمكان على جهة الشرق منهم.

(١٧) فاتخذت لنفسها من دون قومها سائراً يسترها حتى لا يروها حال عبادتها لربها، فبعثنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها في صورة إنسان سوي الخلقة، فخافت أنه يريد بها سوء.

(١٨) فلما رآته في صورة إنسان سوي الخلق يتجه إليها قالت: إني أستجير بالرحمن منك أن ينالني منك سوء - يا هذا - إن كنت تقياً تخاف الله.

(١٩) قال جبريل عليه السلام: أنا لست بشراً، إنما أنا رسول من ربك أرسلني إليك لأهب لك ولداً طيباً طاهراً.

(٢٠) قالت مريم متعجبة: كيف يكون لي ولد ولم يقربني زوج ولا غيره، ولست زانية حتى يكون لي ولد؟

(٢١) قال لها جبريل: الأمر كما ذكرت من أنك لم يمسسك زوج ولا غيره ولم تكوني زانية، لكن ربك سبحانه قال: خلّقت ولد من غير أب سهل عليّ، وليكون الولد الموهوب لك علامة للناس على قدرة الله، ورحمة منا لك ولمن آمن به، وكان خلّقت ولدك هذا قضاء من الله مقدراً، مكتوباً في اللوح المحفوظ.

(٢٢) فحملت به بعد نفخ الملك، فتخَتَّ به إلى مكان بعيد عن الناس. فضربها المخاض، وألجأها إلى ساق نخلة، قالت مريم عليها السلام: يا ليتني متّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُذكر حتى لا يُظن بي السوء.

(٢٣) فتادها عيسى من تحت قدميها: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جدول ماءٍ تشربين منه. وأمسكي بجذع النخلة وهزيه تساقط عليك رطباً طرياً جني من ساعته.

من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- الصبر على القيام بالتكاليف الشرعية مطلوب.
- علو منزلة بر الوالدين ومكانتها عند الله، فالله قرنه بشكره.
- مع كمال قدرة الله في آياته الباهرة التي أظهرها لمريم، إلا أنه جعلها تعمل بالأسباب ليصلها ثمرة النخلة.

يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا ۝
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝
وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝
وَإِذْ كُفِيَ الْكِتَابُ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِّنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيقًا ۝
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝
قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝
قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝
فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَصِيًّا ۝
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ۝
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝
وَهَزَىٰ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۝

فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦ فَآتَتْ
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ وَقَالُوا لِمَ مَرِمَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧
يَا أَخْتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَابْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٣٨

٣٠٧

٢٦ فكلِّي من الرطب، واشربي من الماء، وطيبني نفسًا بمولودك ولا تحزني، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن خبر المولود فقولي له: إني أوجبت على نفسي لربي صمًا عن الكلام، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس.

٢٧ فجاءت مريم بابنها إلى قومها تحمله، قال لها قومها مستنكرين: يا مريم، لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى، حيث جئت بولد من غير أب.

٢٨ يا شبيهة هارون في العبادة (وهو رجل صالح) ما كان أبوك زانيًا، ولا كانت أمك زانية، فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح، فكيف تأتين بولد من غير أب؟

٢٩ فأشارت إلى ابنها عيسى وهو في المهد، فقال لها قومها متعجبين: كيف نكلّم صبيًا وهو في المهد؟

٣٠ قال عيسى: إني عبد الله، أعطاني الإنجيل، وجعلني نبيًا من أنبيائه.

٣١ وجعلني كثير النفع للعباد أينما كنت، وأمرني بأداء الصلاة وإعطاء الزكاة طيلة حياتي.

٣٢ وجعلني برًا بأمي، ولم يجعلني متكبرًا عن طاعة ربي، ولا عاصيًا له.

٣٣ والأمان من الشيطان وأعوانه عليّ يوم ميلادي ويوم موتي ويوم بعثي حيًا يوم القيامة، فلم يتخططني الشيطان في هذه المواقف الثلاثة الموحشة.

٣٤ ذلك الموصوف بتلك الصفات هو عيسى بن مريم، وهذا الكلام هو قول الحق فيه، لا ما يقوله الضالون الذين يشكون في أمره ويختلفون.

٣٥ ما ينبغي لله أن يتخذ من ولد، تقدّس عن ذلك وتنزه، إذا أراد أمرًا، فإنما يكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُنْزَّهٌ عن الولد.

٣٦ وإن الله سبحانه هو ربي وهو ربكم جميعًا، فأخلصوا له العبادة وحده، هذا الذي ذكرت لكم هو الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة الله.

٣٧ فاختلف المختلفون في شأن عيسى: فصاروا أحزابًا متفرقين من بين قومه، فآمن به بعضهم وقالوا: هو رسول، وكفر به آخرون كاليهود، كما غلا فيه طوائف فقال بعضهم: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك، فويل للمختلفين في شأنه من شهود يوم القيامة العظيم بما فيه من مشاهد وحساب وعقاب.

٣٨ ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر، لكن الظالمون في الحياة الدنيا في ضلال واضح عن الصراط المستقيم، فلا يستعدون للأخرة حتى تأتيتهم بغتة وهم على ظلمهم.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في أمر مريم بالسكوت عن الكلام دليل على فضيلة الصمت في بعض المواطن.
- نذر الصمت كان جائزًا في شرع من قبلنا، أما في شرعنا فقد دلت السنة على منعه.
- أن ما أخبر به القرآن عن كيفية خلق عيسى هو الحق القاطع الذي لا شك فيه، وكل ما عداه من تقولات باطل لا يليق بالرسول.
- في الدنيا يكون الكافر أصم وأعمى عن الحق، ولكنه سيبصر ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولن ينفعه ذلك.

يوم الندامة حين يندم المسيء على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الطاعة، إذ طويت صحف العباد، وفرغ من حسابهم، وصار كل إلى ما قدم، وهم في حياتهم الدنيا مُعْتَرُونَ بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يؤمنون بيوم القيامة.

﴿٣٨﴾ إنا نحن الباقون بعد فناء الخلائق، نرث الأرض، ونرث من عليها لفنائهم وبقائنا بعدهم، وملكتنا لهم، وتصرّفنا فيهم بما نشاء، وإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٣٩﴾ وأذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إبراهيم عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات الله، ونبيًا من عند الله.

﴿٤٠﴾ إذ قال لأبيه أزر: يا أبت، لم تعبد من دون الله صنمًا لا يسمع دعاءك إن دعوته، ولا يبصر عبادتك إن عبادته، ولا يكشف عنك ضرًا، ولا يجلب لك نفعًا؟

﴿٤١﴾ يا أبت، إني قد جاءني من العلم عن طريق الوحي ما لم يأتك، فأتبعني أرشدك إلى طريق مستقيم.

﴿٤٢﴾ يا أبت، لا تعبد الشيطان بطاعتك له، إن الشيطان كان للرحمن عاصيًا، حيث أمره بالسجود لآدم فلم يسجد.

﴿٤٣﴾ يا أبت، إني أخاف أن يصيبك عذاب من الرحمن إن مت على كفرك، فتكون قريبًا للشيطان في العذاب لمواتك له.

﴿٤٤﴾ قال أزر لابنه إبراهيم عليه السلام: أمعروض أنت عن أصنامي التي أعبدتها يا إبراهيم؟ لئن لم تكف عن سب

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَاسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٦﴾ وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٩﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾

أصنامي لأزمتك بالحجارة، وفارقني زمانًا طويلًا فلا تكلمني، ولا تجتمع معي.

﴿٣٨﴾ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: سلام عليك مني، لا ينالك ما تكره مني، سأطلب لك المغفرة من ربي والهداية، إنه سبحانه كان كثير اللطف بي.

﴿٣٩﴾ وأفارقكم وأفارق معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعوا ربي وحده لا أشرك به شيئًا، عسى ألا يمتنعني إذا دعوته، فأكون بدعائه شقيًا.

﴿٤٠﴾ فلما تركهم وترك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، عوضناه عن فقد أهله فوهبنا له ابنه إسحاق، ووهبنا له حفيده يعقوب، وكل واحد منهما جعلناه نبيًا.

﴿٤١﴾ وأعطيناهم من رحمتنا مع النبوة خيرًا كثيرًا، وجعلنا لهم ثناء حسنًا مستمرًا على السنة العباد.

﴿٤٢﴾ وأذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر موسى عليه السلام، إنه كان مختارًا مصطفًى، وكان رسولًا نبيًا.

﴿٤٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لما كان اعتزال إبراهيم لقومه مشتركًا فيه مع سارة، ناسب أن يذكر هبتهما المشتركة وحفيدهما، ثم جاء ذكر إسماعيل مستقلًا مع أن الله وهبه إياه قبل إسحاق.
- التأدب واللطف والرفق في محاوراة الوالدين واختيار أفضل الأسماء في مناداتهم.
- المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته.
- وعد الله كل محسن أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وإبراهيم عليه السلام وذريته من أئمة المحسنين.

وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝٥٥ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ وَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذْ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ هَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ جَنَّاتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ وَمَا يَنْبَغِي أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤

٥١ وناديناه من جانب الجبل الأيمن بالنسبة لموقع موسى عليه السلام، وقربناه مناجيًا، حيث أسمع الله كلامه.

٥٢ وأعطيناه - من رحمتنا وإنعامنا عليه - أخاه هارون عليه السلام نبيًا؛ استجابة لدعائه حين سأل ربه ذلك.

٥٣ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادق الوعد، لا يُعَدُّ وعدًا إلا وفى به، وكان رسولًا نبيًا.

٥٤ وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، ويأعطى الزكاة، وكان عند ربه مرضيًا.

٥٥ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إدريس عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات ربه، وكان نبيًا من أنبياء الله.

٥٦ ورفعنا ذكره بما أعطيناه من النبوة، فكان عالي المنزلة.

٥٧ أولئك المذكورون في هذه السورة ابتداءً بذكرى وختامًا بإدريس عليه السلام، هم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من أبناء آدم عليه السلام، ومن أبناء نوح عليه السلام، ومن أبناء إبراهيم وأبناء يعقوب عليه السلام، ومن وفقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياء، كانوا إذا سمعوا آيات الله تقرأ سجوداً لله باكين من خشيته.

٥٨ فجاء من بعد هؤلاء الأنبياء المصطفين أتباع سوء وضلال، ضيعوا الصلاة، فلم يأتوا بها على الوجه المطلوب، وارتكبوا ما تشبهه أنفسهم من المعاصي كالزنى، فسوف يلقون شرًا في جهنم وخيبة.

٥٩ إلا من تاب من تقصيره وتقريره، وآمن بالله وعمل عملاً صالحاً فأولئك الموصوفون بهذه الصفات يدخلون الجنة، ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئاً ولو قل.

٦٠ جنات إقامة واستقرار التي وعد الرحمن عباد الصالحين بالغيب أن يدخلهم فيها، وهم لم يروها فأمنوا بها، فوعد الله بالجنة - وإن كان غيباً - آت لا محالة.

٦١ لا يسمعون فيها فضولاً، ولا كلام فحشٍ، بل يسمعون سلام بعضهم على بعض، وسلام الملائكة عليهم، ويأتيهم ما يشتهون من الطعام فيها صباحاً ومساءً.

٦٢ هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات هي التي نورثها من عبادنا من كان ممتثلًا للأوامر، مجتنبًا للنواهي.

ولما ذكر سبحانه ثواب المتقين ذكر أن التقوى هي الوقوف مع أمره، فقال:

٦٣ وهل - يا جبريل - لمحمد عليه السلام: إن الملائكة لا تنزل من تلقاء أنفسها، وإنما تنزل بأمر الله، لله ما نستقبله من أمر الآخرة، وما خلفناه من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، وما كان ربك - أيها الرسول - ناسيًا شيئاً.

٦٤ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● حاجة الداعية دوماً إلى أنصار يساعده في دعوته. ● إثبات صفة الكلام لله تعالى. ● صدق الوعد محمود، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخلف مذموم. ● إن الملائكة رسل الله بالوحي لا تنزل على أحد من الأنبياء والرسل من البشر إلا بأمر الله.

﴿٦٥﴾ خالق السماوات وخالق الأرض، ومالكهما ومدير أمرهما، وخالق ما بينهما ومالكة ومدبره، فاعبده وحده، فهو المستحق للعبادة، واثبت على عبادته، فليس له مثل ولا نظير يشاركه في العبادة.

﴿٦٦﴾ ويقول الكافر المنكر للبعث: استهزاء: إذا مت فإني سوف أخرج من قبري حيًّا حياة ثانية؟ إن هذا لبعيد.

﴿٦٧﴾ أولاً يتذكر هذا المنكر للبعث أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً؟ فيستدلّ بالخلق الأول على الخلق الثاني، مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر.

﴿٦٨﴾ فوربك - أيها الرسول - لنخرجهم من قبورهم إلى المحشر مصحوبين بشياطينهم الذين أضلوهم، ثم لنسوقهم إلى أبواب جهنم أذلاء، باركين على ركبتهم.

﴿٦٩﴾ ثم لنجذب بشدة وعنف من كل طائفة من طوائف الضلال أشدهم عصيًّا، وهم قادتهم.

﴿٧٠﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بدخول النار ومقاساة حرّها ومعاناته.

﴿٧١﴾ وما منكم - أيها الناس - أحد إلا سيعبر فوق الصراط المضروب على متن جهنم، كان هذا العبور قضاءً مُبرِّمًا قضاء الله، فلا رادّ لقضائه.

﴿٧٢﴾ ثم بعد هذا العبور على الصراط نسلّم الذين اتقوا ربهم بامثال أوامرهم واجتناب نواهيهم، ونترك الظالمين باركين على ركبتهم، لا يستطيعون الفرار منها.

﴿٧٣﴾ وإذا تُقرأ على الناس آياتنا المنزلّة على رسولنا واضحات قال

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَخْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

الكفار للمؤمنين: أي فريقنا خير إقامة ومسكنًا، وأحسن مجلسًا ومجتمعًا: فريقنا أم فريقكم؟

﴿٧٤﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها قبل هؤلاء الكفار المفتخرين بما هم فيه من تفوّق مادي، هي أحسن منهم أموالًا، وأحسن منظرًا لنفاسة ثيابهم، وتنعّم أبدانهم.

﴿٧٥﴾ قل - أيها الرسول -: من كان يتخطّط في ضلاله فسيمهله الرحمن حتى يزداد ضلالًا، حتى إذا عاينوا ما كانوا يوعدون به من العذاب الممّجل في الدنيا، أو المؤجل يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من هو شر منزلًا وأقل ناصرًا، أهو فريقهم أم فريق المؤمنين؟

﴿٧٦﴾ ومقابل الإمهال لأولئك حتى يزدادوا ضلالًا، يزيد الله الذين اهتدوا إيمانًا وطاعة، والأعمال الصالحات المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عند ربك - أيها الرسول - جزاء، وخير عاقبة.

من قَوْلِهِ الْآيَاتُ:

- على المؤمنين الاشتغال بما أمروا به والاستمرار عليه في حدود المستطاع.
- وُزُود جميع الخلائق على النار - أي: المرور على الصراط، لا الدخول في النار - أمر واقع لا محالة.
- أن معايير الدين ومفاهيمه الصحيحة تختلف عن تصورات الجهلة والعوام.
- من كان غارقًا في الضلالة متأصلًا في الكفر يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه.
- يتّبت الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم توفيقًا ونصرة، وينزل من الآيات ما يكون سببًا لزيادة اليقين مجازاةً لهم.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
 ٧٧ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٧٨
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ٧٩ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ٨٠ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ٨٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوْرِهِمْ أَزًّا ٨٣ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا ٨٤
 يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ٨٦ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ
 وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥

٧٧ أفرأيت - أيها الرسول - الذي كفر بحججنا، وأنكر وعيدنا، وقال: إن مت، وبعثت لأعطين مالا كثيرا وأولادا. ٧٨ أعلم الغيب فقال ما قال عن بينة؟ أم جعل عند ربه عهدا ليدخله الجنة، ويعطيته مالا وأولادا؟

٧٩ ليس الأمر كما زعم، سنكتب ما يقوله وما يعمل، ونزيد عذابا فوق عذابه لما يدعيه من الباطل. ٨٠ ونرث ما تركه من مال وولد بعد إهلاكنا له، ويجيئنا يوم القيامة فردا قد سلب منه ما كان يتمتع به من مال ومن جاه.

٨١ واتخذ المشركون لهم معبودين من دون الله؛ ليكونوا لهم ظهيرا ومعينا ينتصرون بهم.

٨٢ ليس الأمر كما زعموا، فهذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله ستجحد عبادة المشركين لها يوم القيامة، وتبترأ منهم، وتكون لهم أعداء.

٨٣ ألم تر - أيها الرسول - أنا بعثنا الشياطين، وسلطناهم على الكفار تهيجهم إلى فعل المعاصي والصد عن دين الله تهييجًا؟

٨٤ فلا تعجل - أيها الرسول - بطلب الله أن يعجل هلاكهم، إنما نحصى أعمارهم إحصاء، حتى إذا انتهت وقت إهلاكهم عاقبناهم بما يستحقون.

٨٥ اذكر - أيها الرسول - يوم نجعل المتقين ربهم - بامثال أوامره واجتناب نواهيه - إلى ربهم وفداً مكرمين مكرزين.

٨٦ ونسوق الكفار إلى جهنم عطاشاً. ٨٧ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لبعضهم إلا من اتخذ عند الله في الدنيا عهداً بالإيمان به وبرسوله.

٨٨ وقال اليهود والنصارى وبعض المشركين: اتخذ الرحمن ولداً.

٨٩ لقد جئتم - أيها القائلون بهذا - شيئاً عظيماً.

٩٠ تكاد السماوات تتشقق من هذا القول المنكر، وتكاد الأرض تتصدع، وتكاد الجبال تسقط منهزمة.

٩١ كل ذلك من أجل أن نسبوا للرحمن ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٩٢ وما يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً لتزهره عن ذلك.

٩٣ ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن إلا يأتي ربه يوم القيامة خاضعاً.

٩٤ لقد أحاط بهم علماً، وعدهم عداً، فلا يخفى عليه منهم شيء.

٩٥ وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً لا ناصر له ولا مال.

من قوالب الآيات:

- تدل الآيات على سخف الكافر وسداجة تفكيره، وتُمَيِّيه الأمانى المعسولة، وهو سيجد نقيضها تماماً في عالم الآخرة.
- سلط الله الشياطين على الكافرين بالإغواء والإغراء بالشهر، والإخراج من الطاعة إلى المعصية.
- أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَنَسْجَعَنَّ لَهُمُ
اللَّهُ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ مَحَبَّةَ
إِيَّاهُمْ، وَنُحِبُّهُمْ إِلَى عِبَادِهِ.

﴿٩٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِأَنزَالِهِ
بِلِسَانِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ أَجْلِ
أَنْ تَبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ
أَوْامِرِي، وَيُجْتَنِبُونَ نَوَاهِي، وَتَخَوْفُ بِهِ
قَوْمًا أَشَدَّاءَ فِي الْخُصُومَةِ وَالْمُكَابَرَةِ
فِي الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.

﴿٩٨﴾ وَمَا أَكْثَرَ الْأُمَمَ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا
مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ، فَهَلْ تَشْعُرُ الْيَوْمَ بِأَحَدٍ
مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ؟ وَهَلْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا
خَفِيًّا؟ فَمَا أَصَابَهُمْ قَدْ يَصِيبُ غَيْرَهُمْ
حِينَ يَأْذُنُ اللَّهُ.

سُورَةُ طه

مَكِّيَّةٌ

﴿٩٩﴾ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

السَّعَادَةُ بِاتِّبَاعِ هَدْيِ الْقُرْآنِ وَحَمَلِ
رِسَالَتِهِ، وَالشَّقَاءُ بِمُخَالَفَتِهِ.

التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ طه - تقدم الكلام على
نظائرها في بداية سورة البقرة،
﴿٢﴾ ما أنزلنا عليك - أَيُّهَا الرَّسُولُ -
الْقُرْآنَ لِيَكُونَ سَبَبًا فِي إِرْهَاقِ نَفْسِكَ
أَسْفًا عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِكَ عَنِ الْإِيمَانِ
بِكَ.

﴿٣﴾ ما أنزلناه إلا ليكون تذكيرًا لِمَنْ
وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ لَخَشِيَّتِهِ.

﴿٤﴾ نَزَّلَهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ،
وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْمُرْتَفَعَةَ، فَهُوَ قُرْآنٌ
عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ عَظِيمٍ.

﴿٥﴾ الرَّحْمَنُ عَلَا وَارْتَقَعَ عَلَى
الْعَرْشِ عُلُوًّا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ ﷻ.

﴿٦﴾ لَهُ سُبْحَانُهُ وَحْدَهُ مَا فِي

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ
مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

آيَاتُهَا
١٣٥

وَقِيَّتُهَا
٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي
أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٣١٢

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ التُّرَابِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا.

﴿١﴾ وَإِنْ تَعْلَن - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْقَوْلَ، أَوْ تَخْفَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ مِثْلَ خَوَاطِرِ
النَّفْسِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٨﴾ اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، لَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْبَالِغَةُ الْكَمَالِ فِي الْحَسَنِ.

ولما كان النبي ﷺ يعاني من قومه الإعراض، جاءت تسليته بقصة موسى ﷺ، فقال سبحانه:

﴿٩﴾ ولقد جاءك - أَيُّهَا الرَّسُولُ - خبر موسى بن عمران ﷺ.

﴿١٠﴾ حين عاين في سفره نَارًا، فقال لأهله: أَقِيمُوا فِي مَكَانِكُمْ هَذَا، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ بِشِعْلَةٍ، أَوْ أَجِدُ مِنْ
يَهْدِينِي إِلَى الطَّرِيقِ.

﴿١١﴾ فلما جاء النار ناداه الله سبحانه بقوله: يَا مُوسَى.

﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْزِعْ نَعْلَيْكَ اسْتِعْدَادًا لِمَنَاجَاتِي، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُطَهَّرِ (طُوًى).

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ليس إنزال القرآن العظيم لإتعاَب النفس في العبادة، وإذاقتها المشقة الفادحة، وإنما هو كتاب تذكرة ينتفع به الذين يخشون ربهم.
- قَرَّنَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فَكَمَا أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْحِكْمَةِ؛ فَكَذَلِكَ لَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا بِمَا هُوَ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ.
- على الزوج واجب الإنفاق على الأهل (المرأة) من غذاء وكساء ومسكن ووسائل تدفئة وقت البرد.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَا يَعْرفُونَ عِلَامَاتِهَا إِلَّا الْخَبَرُ النَّبِيُّ لَهُمْ؛ لَكِي تَجَازَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. ﴿١٥﴾ فَلَا يَصْرِفُكَ عَنِ التَّصَدِيقِ بِهَا وَالِاسْتِعْدَادِ لَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَاتَّبِعْ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ، فَتَهْلِكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ. ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ الَّتِي بِيَدِكَ الِيْمْنَى يَا مُوسَى؟ ﴿١٧﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ: هِيَ عَصَايَ؛ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْمَشْيِ، وَأَخْبِطُ بِهَا الشَّجَرَ لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا لَغْنَمِي، وَلِي فِيهَا مَنَافِعُ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ. ﴿١٨﴾ قَالَ اللَّهُ: أَتَقَاهَا يَا مُوسَى. ﴿١٩﴾ فَأَقَاهَا مُوسَى، فَانْقَلَبَتْ حَيَّةً تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخَفَّةٍ. ﴿٢٠﴾ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى ﷺ: خُذِ الْعَصَا، وَلَا تَخَفْ مِنْ انْقِلَابِهَا حَيَّةً، سَنُعِيدُهَا إِذَا أَخَذْتَهَا إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى. ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ ءَايَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰزُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدَّ دَيْهًا أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

٣١٣

﴿١٣﴾ وَأَنَا اصْطَفَيْتُكَ - يَا مُوسَى - لِتَبْلِغَ رِسَالَتِي، فَاسْتَمِعْ لِمَا أُوْحِيهِ إِلَيْكَ. ﴿١٤﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِي، فَاعْبُدْنِي وَاحِدِي، وَأَذِ الصَّلَاةَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ لَتَذْكُرْنِي فِيهَا. ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ وَوَاقِعَةٌ، أَكَادُ أُخْفِيهَا فَلَا يَعْلَمُ وَقْتُهَا مَخْلُوقٌ، وَلَكِنْ يَعْرِفُونَ عِلَامَاتِهَا بِإِخْبَارِ النَّبِيِّ لَهُمْ؛ لَكِي تَجَازَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. ﴿١٦﴾ فَلَا يَصْرِفُكَ عَنِ التَّصَدِيقِ بِهَا وَالِاسْتِعْدَادِ لَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَاتَّبِعْ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ، فَتَهْلِكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ. ﴿١٧﴾ وَمَا تِلْكَ الَّتِي بِيَدِكَ الِيْمْنَى يَا مُوسَى؟ ﴿١٨﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ: هِيَ عَصَايَ؛ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْمَشْيِ، وَأَخْبِطُ بِهَا الشَّجَرَ لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا لَغْنَمِي، وَلِي فِيهَا مَنَافِعُ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ. ﴿١٩﴾ قَالَ اللَّهُ: أَتَقَاهَا يَا مُوسَى. ﴿٢٠﴾ فَأَقَاهَا مُوسَى، فَانْقَلَبَتْ حَيَّةً تَمْشِي بِسُرْعَةٍ وَخَفَّةٍ. ﴿٢١﴾ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى ﷺ: خُذِ الْعَصَا، وَلَا تَخَفْ مِنْ انْقِلَابِهَا حَيَّةً، سَنُعِيدُهَا إِذَا أَخَذْتَهَا إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى. ﴿٢٢﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ؛ عَلَامَةً ثَانِيَةً لَكَ. ﴿٢٣﴾ أَرَيْنَاكَ هَاتَيْنِ الْعِلَامَتَيْنِ لِنُرِيكَ - يَا مُوسَى - مِنْ آيَاتِنَا الْعِظْمَى الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا، وَعَلَى أَنَّكَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ﴿٢٤﴾ سِرٌّ - يَا مُوسَى - إِلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ. ﴿٢٥﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ: رَبِّ، وَسَّعَ لِي صَدْرِي لِأَتَحْمَلَ الْأَذَى. ﴿٢٦﴾ وَسَهَّلَ لِي أَمْرِي. ﴿٢٧﴾ وَأَقْدَرْنِي عَلَى النُّطْقِ بِالْفَصِيحِ مِنَ الْكَلَامِ. ﴿٢٨﴾ لِيَفْهَمُوا كَلَامِي إِذَا بَلَّغْتَهُمْ رِسَالَتَكَ. ﴿٢٩﴾ وَاجْعَلْ لِي مَعِينًا مِنْ أَهْلِي يَعِينَنِي فِي أُمُورِي. ﴿٣٠﴾ هَارُونَ بْنُ عِمْرَانَ أَخِي. ﴿٣١﴾ قُوَّةً بِهِ ظَهْرِي. ﴿٣٢﴾ وَاجْعَلْهُ شَرِيكًا لِي فِي الرِّسَالَةِ. ﴿٣٣﴾ لَكِي نُسَبِّحَكَ تَسْبِيحًا كَثِيرًا. ﴿٣٤﴾ وَنَذْكُرَكَ ذِكْرًا كَثِيرًا. ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. ﴿٣٦﴾ قَالَ اللَّهُ: قَدْ أَعْطَيْنَاكَ مَا طَلَبْتَ يَا مُوسَى. ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. ﴿٣٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِكْبَاتِ:

● وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. ● اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ● التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبيًا ليعاونه في أداء الرسالة. ● أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإفهام للمدعوين.

● وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. ● اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ● التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبيًا ليعاونه في أداء الرسالة. ● أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإفهام للمدعوين.

حفظك الله به من مكر فرعون.
 ٣٩ فقد أمرناها حين ألهمناها:
 أن ارميه بعد ولادته في الصندوق،
 واطرحي الصندوق في البحر،
 فسيطرحه البحر بالشاطئ بأمر منا،
 فيأخذه عدو لي وله، وهو فرعون،
 ووضعت عليك محبة مني، فأحبك
 الناس، ولتتربى على عيني وفي حضني
 ورعايتي.

٤٠ إذ خرجت أختك تسير كلما سار
 التابوت تتابعه، فقالت لمن أخذوه:
 هل أُرشدكم إلى من يحفظه ويرضعه
 ويربيه؟ فمنا عليك يارجاعك إلى
 أمك لتسرّ برجوعك إليها، ولا تحزن
 من أهلك، وقتلت القططي الذي
 وكّزته، فمنا عليك بإنجائك من
 العقوبة، وخلصناك مرة بعد مرة
 من كل امتحان تعرضت له، فخرجت
 ومكثت أعواماً في أهل مدين، ثم أتيت
 في الوقت الذي قدر لك أن تأتي فيه
 لتكلمك يا موسى.

٤١ واخترتك لتكون رسولاً عني
 تبلغ الناس ما أوحيت به إليك.
 ٤٢ اذهب أنت - يا موسى - وأخوك
 هارون، بآياتنا الدالة على قدرة الله
 ووحدانيته، ولا تضعفا عن الدعوة إليّ،
 وعن ذكري.

٤٣ اذهبا إلى فرعون، فإنه تجاوز
 الحد في الكفر والتمرد على الله.
 ٤٤ فقولوا له قولاً لطيفاً لا عنف فيه:
 رجاء أن يتذكر، ويخاف الله فيتوب.

٤٥ قال موسى وهارون: ﴿إنا
 نخاف أن يعجل بالعقوبة قبل إتمام
 دعوته، أو أن يتجاوز الحد في ظلمنا
 بالقتل أو غيره.

٤٦ قال الله لهما: لا تخافا؛ إني

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۖ ٣٨ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
 فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوُّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ۖ ٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّعَيْنَهَا
 وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا
 فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ۖ ٤٠
 وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۖ ٤١ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا
 تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۖ ٤٢ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ ٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
 لَّيْسَ لَعَلَّهُ وَيَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۖ ٤٤ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ
 عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۖ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
 ٤٦ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَلَا تَعْذِِبْهُمْ ۚ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَىٰ ۖ ٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ
 وَتَوَلَّىٰ ۖ ٤٨ قَالَ مَنِ رَبُّكُمَا يَمْوَسَّىٰ ۖ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ ٥١

معكما بالنصر والتأييد، أسمع وأرى ما يحدث بينكما وبينه.

٥٢ فأتياه، فقولوا له: إنا رسولنا ربك - يا فرعون - فابعث معنا بني إسرائيل، ولا تعذبهم بقتل آبائناهم، واستحياء نسائهم، قد
 آتيناك ببرهان من ربك على صدقتنا، والأمان من عذاب الله لمن آمن، واتبع هدى الله.
 ٥٣ إنا قد أوحى الله إلينا أن العذاب في الدنيا والآخرة على من كذب بآيات الله، وأعرض عما جاءت به الرسل.
 ٥٤ قال فرعون منكراً لما جاء به: فمن ربكما الذي زعمتما أنه أرسلكما إليّ يا موسى؟
 ٥٥ قال موسى: ربنا هو الذي أعطى كل شيء صورته وشكله المناسب له، ثم هدى المخلوقات لما خلقها له.
 ٥٦ قال فرعون: فما شأن الأمم السابقة التي كانت على الكفر؟

من قواريذ الآيات،

- كمال اعتناء الله بكليمه موسى ﷺ والأنبياء والرسل، ولورثتهم نصيب من هذا الاعتناء على حسب أحوالهم مع الله.
- من الهداية العامة للمخلوقات أن تجد كل مخلوق يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عن نفسه.
- بيان فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضُمَّتْ له العصمة.
- الله هو المختص بعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل.

٥٢ قال موسى ﴿لفرعون: علم ما كانت عليه تلك الأمم عند ربي، مثبت في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علمها، ولا ينسى ما علمه منها.

٥٣ عند ربي الذي صير لكم الأرض مَهْدَةً للعيش عليها، وجعل لكم فيها طرقًا صالحة للسير عليها، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء أصنافًا من النباتات مختلفة.

٥٤ كلوا - أيها الناس - مما أخرجنا لكم من الطيبات، وارعوا أنعامكم، إن في ذلك المذكور من النعم لدلائل على قدرة الله ووحدايته لأصحاب العقول.

٥٥ من تراب الأرض خلقنا أبائكم آدم ؑ، وفيها نرجعكم بالدفن إذا مُتُّم، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث يوم القيامة.

٥٦ ولقد أظهرنا لفرعون آياتنا التسع كلها، وشاهدها فكذب بها، وامتنع أن يستجيب إلى الإيمان بالله.

٥٧ قال فرعون: أجتئنا لتخرجنا من مصر بما جئت به من السحر - يا موسى - ليبقي لك ملكها؟

٥٨ فلنأتينك - يا موسى - بسحر مثل سحرِكَ، فاجعل بيننا وبينك موعدًا في زمان معلوم ومكان محدد، لا نتخلف نحن ولا تتخلف أنت عنه، وليكن المكان وسطًا بين الفريقين معتدلاً.

٥٩ قال موسى ﴿لفرعون: الموعد بيننا وبينكم يوم العيد حيث يجتمع الناس محتقلين بعبدهم ضحى.

٦٠ فأدبر فرعون منصرفًا، فجمع مكره وجيله، ثم جاء في الزمان والمكان المحددين للمُعَالِبة.

٦١ قال موسى يعظ سحرة فرعون: احذروا، لا تختلقوا على الله كذبًا بما

تخدعون به الناس من السحر فيستأصلكم بعذاب من عنده، وقد خسر من اختلق على الله الكذب.

٦٢ فتناظر السحرة لما سمعوا كلام موسى ؑ، وتناجوا بينهم سرًا.

٦٣ قال بعض السحرة لبعضهم سرًا: إن موسى وهارون ساحران، يريدان أن يخرجاك من مصر بسحرهما الذي جاء به، ويذهبا بسننكم العليا في الحياة، ومذهبيكم الأرقى.

٦٤ فأحكموا أمركم، ولا تختلقوا فيه، ثم تقدموا مُصْطَفَيْن، وارموا ما عندكم دفعة واحدة، وقد ظفر بالمطلوب اليوم من غلب خصمه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• إخراج أصناف من النبات المختلفة الأنواع والألوان من الأرض دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجود الصانع.

• ذكرت الآيات دليلين عظيمين واضحين على الإعادة: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها وإيجادهم.

• كسر فرعون كفر عناد: لأنه رأى الآيات عيانًا لا خبرًا، واقتنع بها في أعماق نفسه.

• اختار موسى يوم العيد؛ لتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويكبت الكفر، أمام الناس قاطبة في المجمع العام ليُشيع الخبر.

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ٥٢ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُوا
وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَتٍ لِلأُولَى النُّهَى ٥٤ * مِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥ وَلَقَدْ
أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا بِسِحْرٍ
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ
فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى
٥٩ فَمُتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠ قَالَ لَهُمُ
مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْترَى ٦١ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا
النَّجْوَى ٦٢ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ٦٣
فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثَمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَالَ ٦٤

٦٥ قال السحرة لموسى: يا موسى، اختر أحد أمرين: أن تكون البادئ بإلقاء ما لديك من سحر، أو تكون نحن البادئين بذلك.

٦٦ قال موسى: بل اطرحوا أنتم ما لديكم أولاً، فطرحوا ما عندهم، فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها يُخَيَّلُ إلى موسى من سحرهم أنها ثعابين تتحرك بسرعة.

٦٧ فَأَسْرَ موسى في نفسه الخوف مما صنعوا.

٦٨ قال الله لموسى: مطمئنًا إياه: لا تخف مما خَيَّلَ إليك، إنك - يا موسى - أنت المُسْتَغْلَى عليهم بالغلبة والنصر.

٦٩ واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تبتلع ما صنعه من السحر، فما صنعه ليس إلا كَيْدًا سحريًا، ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان.

٧٠ فطرح موسى عصاه فانقلبت حية، وابتلعت ما صنعه السحرة، فسجد السحرة لله لما علموا أن ما عند موسى ليس سحرًا، إنما هو من عند الله، قالوا: آمنا برب موسى وهارون، رب جميع المخلوقات.

٧١ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم ومتوعدًا: هل أمنتُم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك؟! إن موسى لهورئيسكم - أيها السحرة - الذي علمكم السحر، فلا قطع من كل واحد منكم رجلاً ويذاً مخالفاً بين جهتيهما، ولأصلين أبدانكم على جذوع النخل حتى تموتوا، وتكونوا عبرة لغيركم، ولتعلمن عند ذلك أننا أقوى عذاباً، وأدوم: أنا أو رب موسى؟

٧٢ قال السحرة لفرعون: لن نفصل أتباعك - يا فرعون - على

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٦٩ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبُجًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ٧٠ قَالَ آمَنُتُمْ لَهُ وَقَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا يُقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَابْقَى ٧١ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَحْطِلَنَّ مَا أَرْهَبَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ وَجْهًا لَئِيمًا لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ٧٦

٣١٦

أتباع ما جاءنا من الآيات الواضحات، ولن نفضلك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع بنا، ما لك سلطان علينا إلا في هذه الحياة الفانية، وسيزول سلطانك.

٧٣ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا رَجَاءً أَنْ يَمْحُو عَنَّْا مَعَاصِينَا السَّالِفَةَ مِنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ، وَيَمْحُو عَنَّْا ذَنْبَ السِّحْرِ الَّذِي أَجْبَرْتَنَا عَلَى تَعَلُّمِهِ وَمُمَارَسَتِهِ وَمَغَالِبَةِ مُوسَى بِهِ، وَاللَّهُ خَيْرُ جَزَاءٍ مِمَّا وَعَدْتَنَا بِهِ، وَأَدْوَمُ عَذَابًا مِمَّا تَوَعَّدْتَنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

٧٤ إِنْ الشَّأْنُ وَالْحَاصِلُ أَنْ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَافِرًا بِهِ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَدْخُلُهَا مَآكِنًا فِيهَا أَبَدًا، لَا يَمُوتُ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً.

٧٥ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُؤْمِنًا بِهِ قَدْ عَمِلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ الْمُوصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ لَهُمُ الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ، وَالدرجات العُلَى.

٧٦ تِلْكَ الدَّرَجَاتُ هِيَ جَنَّاتُ إِقَامَةِ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا مَآكِنًا فِيهَا أَبَدًا، وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الْمَذْكُورُ جَزَاءَ كُلِّ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- لَا يَفُوزُ وَلَا يَنْجُو السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى مِنَ الْأَرْضِ أَوْ حَيْثُ احْتَالَ، وَلَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُ بِالسِّحْرِ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.
- الْإِيمَانُ يَصْنَعُ الْمُعْجَزَاتِ؛ فَقَدْ كَانَ إِيْمَانُ السَّحَرَةِ أَرْسَخَ مِنَ الْجِبَالِ، فَهَانَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَبَالُوا بِتَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ.
- دَابُّ الطَّغَاةِ التَّهْدِيدُ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ فِي ذَلِكَ لِلْإِذْلَالِ وَالْإِهَانَةِ.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ٧٧ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَاهَدَى ٧٩ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْتَ كُرْمَ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ٨٠ كُلُّوْا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ وَمَا أَعْبَاكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ٨٣ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَعِجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
 يَقَوْمِ آلِهَتُكُمْ رُبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
 مَّوْعِدِي ٨٦ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧

٣١٧

٧٧) ولقد أوحينا إلى موسى: أن سر ببداي ليلاً من مصر حتى لا يشعر بهم أحد، واجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بعد ضرب البحر بالعصا، أمناً لا تخاف أن يلحق بك فرعون وملؤه، ولا تخشى من الغرق في البحر.

٧٨) فاتبعهم فرعون مصحوباً بجنوده، فغمره جنوده من البحر ما غمرهم مما لا يعلم حقيقته إلا الله، فغرقوا جميعاً وهلكوا، ونجا موسى ومن معه.

٧٩) وأضل فرعون قومه بما حسنه لهم من الكفر، وخدعهم به من الباطل، ولم يرشدهم إلى طريق الهداية.

٨٠) وقلنا لبني إسرائيل بعد أن أنقذناهم من فرعون وجنوده: يا بني إسرائيل، قد أنقذناكم من عدوكم، ووعدناكم أن نكلّم موسى بالجهة اليمنى من الوادي الواقع بجانب جبل الطور، ونزلنا عليكم في الثّيه من نعمنا شراباً حلواً مثل العسل وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السّماني. ٨١) كلوا من المستلذات ممّا رزقناكم من الأطعمة الحلال، ولا تتجاوزوا ما أبناه لكم إلى ما حرّمناه عليكم، فينزل عليكم غضبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وشقي في الدنيا والآخرة.

٨٢) وإني لكثير المغفرة والعفو لمن تاب إليّ وآمن، وعمل عملاً صالحاً، ثم استقام على الحق. ٨٣) وما الذي جعلك تعجل عن قومك - يا موسى - فتقدمهم تاركاً إياهم خلفك؟ ٨٤) قال موسى: ها هم ورأيي وسيلحقونني، وسبقت قومي إليك لترضى عني بمسارعتي إليك.

٨٥) قال الله: فإننا قد ابتلينا قومك الذين خلفتهم وراءك بعبادة العجل، فقد دعاهم إلى عبادته السامري، فأضلّهم بذلك.

٨٦) فعاد موسى إلى قومه غضبان لعبادتهم العجل، حزناً عليهم، قال موسى: يا قوم، أما وعدكم الله وعداً حسناً أن ينزل عليكم التوراة، ويدخلكم الجنة، أطفال عليكم الزمان فنسيتم؟ أم أردتم بفعلكم هذا أن ينزل عليكم غضب من ربكم، ويقع عليكم عذابه، فلذلك أخلفتم مواعيدي بالثبات على الطاعة حتى أرجع إليكم؟

٨٧) قال قوم موسى: ما أخلفنا مواعيدك - يا موسى - باختيار ممّا، بل باضطراب، فقد حملنا أحمالاً وأثقالاً من حُلِيِّ قوم فرعون، فرميناها في حفرة للتخلص منها، فكما رميناها في الحفرة رمى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل.

٨٨) من قوايد الآيات، من سنة الله انتقامه من المجرمين بما يشفي صدور المؤمنين، ويقر أعينهم، ويذهب غيظ قلوبهم.

٨٩) الطاغية شؤم على نفسه وعلى قومه: لأنه يضلهم عن الرشيد، وما يهديهم إلى خير ولا إلى نجاة.

٩٠) النعم تقتضي الحفظ والشكر المقرون بالمزيد، وجحودها يوجب حلول غضب الله ونزوله.

٩١) الله غفور على الدوام لمن تاب من الشرك والكفر والمعصية، وآمن به وعمل الصالحات، ثم ثبت على ذلك حتى مات عليه.

٩٢) أن العجلة وإن كانت في الجملة مذمومة فهي ممدوحة في الدين.

﴿٨٨﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾

﴿٨٨﴾ أفلا يرى هؤلاء الذين فُتِنُوا بالعجل عبودوه أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم، ولا يقدر على دفع ضرر عنهم ولا عن غيرهم، ولا جلب نفع له، أو لغيره؟

﴿٩٠﴾ ولقد قال لهم هارون قبل رجوع موسى إليهم: ما في صياغة العجل من الذهب وخواره إلا اختبار لكم ليظهر المؤمن من الكافر، وإن ربكم - يا قوم - هو من يملك الرحمة لا من لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا فضلًا عن أن يرحمكم، فاتبعوني في عبادته وحده، وأطيعوا أمري بترك عبادة غيره.

﴿٩١﴾ قال المفتونون بعبادة العجل: لن نزال مقيمين على عبادته حتى يعود إلينا موسى.

﴿٩٢﴾ قال موسى لأخيه هارون: ما الذي منعك حين رأيتهم ضلُّوا بعبادة العجل من دون الله.

﴿٩٣﴾ أن تتركهم وتلحق بي؟ أفعميت أمري لك حين استخلفتك عليهم؟

﴿٩٤﴾ ولما أخذ موسى بلحية أخيه ورأسه يسحبه إليه مستكبرًا عليه صنيعة قال له هارون مستعطفًا إياه: لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، فإن لي عذرًا في بقائي معهم، فقد خفت إن تركتهم وحدهم أن يتفرقوا، فتقول: إنني فرقت بينهم، وإنني لم أحفظ وصيتك فيهم.

﴿٩٥﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فما

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ قَالَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾

﴿٣١٨﴾

شأنك أنت يا سامري؟ وما الذي دفعك إلى ما صنعت؟

﴿٩٦﴾ قال السامري لموسى ﷺ: رأيت ما لم يروه، فقد رأيت جبريل على فرس، فأخذت قبضة من تراب من أثر فرسه، فطرحتها على الحلي المذاب المسبوك على صورة عجل، فنشأ عن ذلك جسد عجل له خور، وكذلك حسنت لي نفسي ما صنعت.

﴿٩٧﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فاذهب أنت فإن لك أن تقول ما دمت حيًّا: لا أمس ولا أمس، فتعيش منبوءًا، وإن لك موعدًا يوم القيامة تُحاسب فيه وتُعاقب، لن يخلقك الله هذا الموعد، وانظر إلى عجلك الذي اتخذته معبودك، وأقامت على عبادته من دون الله، لنشعل عليه نارًا حتى ينصهر، ثم لنذريته في البحر حتى لا يبقى له أثر.

﴿٩٨﴾ إنما معبودكم بحق - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق غيره، أحاط بكل شيء علمًا، فلا يفوته سبحانه علم شيء.

﴿٩٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خداع الناس بتزوير الحقائق مسلك أهل الضلال.

• الغضب المحمود هو الذي يكون عند انتهاك محارم الله.

• في الآيات أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم، والأيحاطوا.

• في الآيات وجوب التفكير في معرفة الله تعالى من خلال مفعولاته في الكون.

﴿٩٨﴾ مثل ما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون، وخبر قومهما نقص عليك أخبار من سبقوك من الأنبياء والأمم لتكون تسلياً لك، وقد أعطيناك من عندنا قرآناً يتذكر به من تذكر.

﴿٩٩﴾ من أعرض عن هذا القرآن المنزل عليك فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه؛ فإنه يأتي يوم القيامة حاملاً أثماً عظيماً، ومستحقاً عقاباً اليماً.

﴿١٠٠﴾ ماكتين في ذلك العذاب دائماً، وبئس الحمل الذي يحملونه يوم القيامة.

﴿١٠١﴾ يوم ينفخ المَلَك في الصور النفخة الثانية للبعث، ونحشر الكفار في ذلك اليوم زُرْقاً لتغير ألوانهم وعبودتهم من شدة ما لاقوه من أهوال الآخرة.

﴿١٠٢﴾ يتهايمون بقولهم: ما لبثتم في البرزخ بعد الموت إلا عشر ليالٍ.

﴿١٠٣﴾ نحن أعلم بما يتساورون به، لا يفوتنا منه شيء، إذ يقول أوفرهم عقلاً: ما لبثتم في البرزخ إلا يوماً واحداً لا أكثر.

﴿١٠٤﴾ ويسألونك - أيها الرسول - عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: الجبال يقطعها ربي من أصولها ويذريها، فتكون هباءً.

﴿١٠٥﴾ فيترك الأرض التي كانت تحملها مستوية لا بناء عليها ولا نبات.

﴿١٠٦﴾ لا ترى - أيها الناظر إليها - في الأرض من تمام استوائها ميلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

﴿١٠٧﴾ في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر، لا معدل لهم عن اتباعه، وسكتت الأصوات

للرحمن رهبة، فلا تسمع في ذلك اليوم إلا صوتاً خفياً.

﴿١٠٨﴾ في ذلك اليوم العظيم لا تنفع الشفاعة من أي شافع إلا شافعاً أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

﴿١٠٩﴾ يعلم الله سبحانه ما يستقبله الناس من أمر الساعة، ويعلم ما استدبروه في دنياهم، ولا يحيط جميع العباد بذات الله وصفاته علماً.

﴿١١٠﴾ وذلت وجوه العباد، واستكانت للحي الذي لا يموت، القائم بأمر عبادته بتدبيرها وتصريفها، وقد خسر من حمل الإثم بإيراده نفسه موارد الهلاك. ﴿١١١﴾ ومن يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله ورسله فسينال جزاءه وافياً، ولا يخاف ظملاً بأن يعذب بذنب لم يفعله، ولا نقصاً لثواب عمله الصالح. ﴿١١٢﴾ ومثل ما أنزلنا من قصص السابقين أنزلنا هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبيناً فيه أنواع الوعيد من تهديد وتخويف؛ رجاء أن يخافوا الله، أو ينشئ لهم القرآن موعظة واعتباراً.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● القرآن العظيم كله تذكير ومواعظ للأمم والشعوب والأفراد، وشرف وفخر للإنسانية. ● لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعة من أذن له الرحمن، ورضي قوله في الشفاعة. ● القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها. ● من آداب التعامل مع القرآن تلقيه بالقبول والتسليم والتعظيم، والاهتداء بنوره إلى الصراط المستقيم، والإقبال عليه بالتعلم والتعليم. ● ندم المجرمين يوم القيامة حيث ضيعوا الأوقات الكثيرة، وقطعوا ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم.

﴿١١٣﴾ فتعالى الله وتقديس وجل، الملك الذي له ملك كل شيء، الذي هو حق وقوله حق، تعالى عما يصفه به المشركون، ولا تسرع - أيها الرسول - بقراءة القرآن مع جبريل قبل أن ينهي إليك إبلاغه، وقل: رب زدني علماً إلى ما علمتني.

ولما ذكر الله قصة موسى وما اشتملت عليه من إعراض فرعون وغفلة بني إسرائيل، ذكر قصة آدم حثاً على رجوع من نسي إلى طاعة الله فقال:

﴿١١٤﴾ ولقد وصينا آدم من قبل بعدم الأكل من الشجرة، ونهيناه عن ذلك، وبيننا له عاقبته، فتسي الوصية وأكل من الشجرة، ولم يصبر عنها، ولم نر له قوة عزم على حفظ ما وصيناه به. واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس - الذي كان معهم ولم يكن منهم - امتنع من السجود تكبراً.

﴿١١٥﴾ فقلنا: يا آدم، إن إبليس عدو لك وعدو لزوجك، فلا يخرجك أنت وزوجك من الجنة بطاعته فيما يوسوس به، فتحمّل أنت المشاق والمكاره.

﴿١١٦﴾ إن لك على الله أن يطعمك في الجنة فلا تجوع، ويكسوك فلا تعري، وأن يسقيك فلا تعطش، ويظلك فلا يصيبك حر الشمس.

﴿١١٧﴾ فوسوس الشيطان إلى آدم، وقال له: هل أرشدك إلى شجرة من أكل منها لا يموت أبداً، بل يبقى حياً مخلداً، ويملك ملكاً مستمراً لا ينقطع ولا ينتهي؟

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَ لَهُ رَبُّهُ وَفَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

﴿٣٢٠﴾

﴿١٢١﴾ فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، فظهرت لهما عوراتهما بعد أن كانت مستورة، وشرعا ينزعان من أوراق شجر الجنة، ويستران بها عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه إذ لم يمثل أمره باجتناب الأكل من الشجرة، فتعدى إلى ما لا يجوز له.

﴿١٢٢﴾ ثم اختاره الله وقبل توبته، ووقفه إلى الرشاد.

﴿١٢٣﴾ قال الله لآدم وحواء: انزلا من الجنة أنتما وإبليس، فهو عدو لكما وأنتما عدوان له، فإن جاءكم مني بيان لسبيلي: فمن اتبع منكم بيان سبيلي وعمل به ولم ينحرف عنه: فلا يضل عن الحق، ولا يشقى في الآخرة بالعذاب، بل يدخله الله الجنة.

﴿١٢٤﴾ ومن تولى عن ذكرى ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البرزخ، ونسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقد البصر والحجة.

﴿١٢٥﴾ يقول هذا المعرض عن الذكر: يا رب، لم حشرتني اليوم أعمى، وقد كنت في الدنيا بصيراً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المُمَلِّي والمعلم من كلامه المتصل ببعضه ببعض.
- نسي آدم فتسيت ذريته، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة فغفر الله له، ومن يشابه أباه فما ظلم.
- فضيلة التوبة: لأن آدم ﷺ كان بعد التوبة أحسن منه قبلها.
- المعيشة الضنك في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لأهل الكفر والضلال.

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى ﴿١٦٦﴾
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُوْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٦٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
 يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٦٨﴾
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَا وَاجِلٌ مُسَمًّى ﴿١٦٩﴾
 فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
 وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
 تَرْضَى ﴿١٧٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحَ عَلَيْهَا لَتَسْلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ
 لِلتَّقْوَى ﴿١٧٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ
 بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٧٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
 مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
 آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٧٤﴾ قُلْ كُلُّ مَتْرِصٍّ فَتَرَبَّصُوا
 فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٧٥﴾

٣٢١

﴿١٦٦﴾ قال الله تعالى ردًا عليه: مثل ذلك فعلته في الدنيا، فقد جاءتك آياتنا فأعرضت عنها وتركتها، وكذلك فإنك تترك اليوم في العذاب.

﴿١٦٧﴾ ومثل هذا الجزاء نجزي من انهمك في الشهوات المحرمة، وأعرض عن الإيمان بالدلائل الواضحة من ربه. ولعذاب الله في الآخرة أظفح وأقوى من المعيشة الضئيلة في الدنيا والبرزخ وأدوم.

﴿١٦٨﴾ أفلم يتبين للمشركين كثرة الأمم التي أهلكناها من قبلهم، يمشون في مساكن تلك الأمم المهلكة، ويعاينون آثار ما أصابهم؟ إن فيما أصاب تلك الأمم الكثيرة من الهلاك والدمار لعبارة لأصحاب العقول.

﴿١٦٩﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك - أيها الرسول - أنه لا يعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، ولولا أجل مُقَدَّرٌ عنده لهم لعاجلهم العذاب؛ لاستحقاقهم إياه.

﴿١٧٠﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف باطلة، وسبح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة المغرب والعشاء من ساعات الليل، وفي صلاة الظهر عند الزوال بعد نهاية الطرف الأول من النهار وفي صلاة المغرب بعد نهاية الطرف الثاني منه؛ رجاء أن تتال عند الله من الثواب ما ترضى به.

﴿١٧١﴾ ولا تنظر إلى ما جعلناه لأصناف هؤلاء المكذبين متعة يتمتعون بها من زهرة الحياة الدنيا لنختبرهم، فإن ما جعلناه لهم من ذلك زائل، وثواب ربك الذي وعدك به حتى ترضى خير مما متعهم به في الدنيا من متع زائلة وأدوم؛ لأنه لا ينقطع.

﴿١٧٢﴾ وأمر - أيها الرسول - أهلك بأداء الصلاة، واصطبر أنت على أدائها، لا تطلب منك رزقًا لنفسك ولا لغيرك، نحن نتكفل برزقك، والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأصحاب التقوى الذين يخافون الله، فيمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿١٧٣﴾ وقال هؤلاء الكفار المكذبون بالنبي ﷺ: هلاً يأتينا محمد بعلمة من ربه تدل على صدقه وأنه رسول، أولم يأت هؤلاء المكذبين القرآن الذي هو تصديق للكتب السماوية من قبله؟

﴿١٧٤﴾ ولو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ: يأنزال عذاب عليهم لكفرهم وعنادهم قبل أن نرسل إليهم رسولاً، وننزل عليهم كتاباً لقالوا يوم القيامة معذرتين عن كفرهم: هلاً أرسلت - ربنا - إلينا رسولاً في الدنيا، فتؤمن به ونتبع ما جاء به من آيات من قبل أن يحل بنا الهوان والخزي بسبب عذابك؟ ﴿١٧٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: كل واحد منكم منتظر ما يُجْرِيه الله، فانتظروا أنتم، فستعلمون - لا محالة - من أصحاب الطريق المستقيم، ومن المهتدون: نحن أم أنتم؟

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• من الأسباب المعينة على تحمل إيذاء المعرضين استثمار الأوقات الفاضلة في التسبيح بحمد الله. • ينبغي على العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يوازن بين زينتها الزائلة ونعيم الآخرة الدائم. • على العبد أن يقيم الصلاة حق الإقامة، وإذا حَزَبَهُ أمر صلي وأمر أهله بالصلاة، وصبر عليهم تأسياً بالرسول ﷺ. • العاقبة الجميلة المحمودة هي الجنة لأهل التقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١
مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ٢ لَا هِيَ أَقْلُوهُمْ هُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَهْلَ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَاهْلَكْنَاهُمُ الْمُسْرِفِينَ ٩
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠

٣٢٢

قرية افترحو نزول الآيات فأعطوها كما افترحوها، بل كذبوا بها فأهلكناهم، أفؤمن هؤلاء؟

وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر نوحى إليهم، ولم نبعثهم ملائكة، فاسألوا أهل الكتاب من قبلكم إن كنتم لا تعلمون ذلك.

وما جعلنا الرسل الذين نرسلهم ذوي جسد لا يأكلون الطعام، بل يأكلون كما يأكل غيرهم، وما كانوا باقين في الدنيا لا يموتون. ثم حققنا لرسلنا ما وعدناهم به حيث أنقذناهم وأنقذنا من نشاء من المؤمنين من الهلاك، وأهلكنا المتجاوزين للحد بكفرهم بالله، وارتكابهم المعاصي.

لقد أنزلنا إليكم القرآن فيه شرفكم وفخركم إن صدقتم به، وعلمتم بما فيه، أفلا تعقلون ذلك، فتسارعوا إلى الإيمان به، والعمل بما تضمنه؟

مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● قُرْبُ الْقِيَامَةِ مما يستوجب الاستعداد لها. ● انشغال القلوب باللهو بصرفها عن الحق. ● إحاطة علم الله بما يصدر من عباده من قول أو فعل. ● اختلاف المشركين في الموقف من النبي ﷺ يدل على تخبطهم واضطرابهم. ● أن الله مع رسله والمؤمنين بالتأييد والعمون على الأعداء. ● القرآن شرف وعز لمن آمن به وعمل به.

مِن مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إثبات الرسالة وبيان وحدة غاية الأنبياء وعناية الله بهم.

التفسير:

١ قُرْبُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ على أعمالهم يوم القيامة، وهم في غفلة معرضون عن الآخرة؛ لانشغالهم بالدنيا عنها.

٢ ما يأتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ حديث النزول إلا استمعوه سماعاً غير نافع، بل سماع لعب غير مباليين بما فيه.

٣ استمعوه وقلوبهم غافلة عنه، وأخفى الظالمون بالكفر الحديث الذي يتجادون به قائلين: هل هذا الذي يدعي أنه رسول إلا بشر مثلكم، لا ميزة له عنكم؟ وما جاء به سحر، افنتبعونه وأنتم تدركون أنه بشر مثلكم، وأن ما جاء به سحر؟

٤ قال الرسول ﷺ: ربي يعلم ما أخفيتم من الحديث، فهو يعلم كل قول صادر من قائله في السماوات وفي الأرض، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

٥ بل ترددوا بشأن ما جاء به محمد ﷺ، فتارة قالوا: أحلام مختلطة لا تأويل لها، وقالوا تارة: لا، بل اختلقه من غير أن يكون له أصل، وقالوا تارة: هو شاعر، وإن كان صادقاً في دعواه فليجئنا بمعجزة مثل الأولين من الرسل، فقد جاءوا بالمعجزات، مثل عصا موسى، وناقة صالح.

٦ ما آمنت قبل هؤلاء المقترحين

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَائِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَدَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَتُوبَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زِلْتَ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبَ ﴿١٦﴾ لَوِ ارْدَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
 لَهُوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ أَیْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ وَذِكْرُ
 مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

٣٢٣

﴿١١﴾ وما أكثر القرى التي أهلكناها بسبب ظلمها بالكفر، وخلفنا بعدها قومًا آخرين؛

﴿١٢﴾ فلما شاهد المهلكون عذابنا المستأصل، إذا هم من قريتهم يسرعون هربًا من الهلاك.

﴿١٣﴾ فينادون على وجه السخريّة: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعم بملذاتكم، وإلى مساكنكم؛ لعلكم تسألون من دنياكم شيئًا.

﴿١٤﴾ قال هؤلاء الظالمون معترفين بذنبهم: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين لكفرنا بالله.

﴿١٥﴾ فما زال اعترافهم بذنبهم ودعائهم على أنفسهم بالهلاك دعوتهم التي يكررونها حتى صيرناها مثل الزرع المحسود، ميتين لا حراك بهن.

﴿١٦﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لعبًا وعبثًا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا.

﴿١٧﴾ لو أردنا اتخاذ صاحبة أو ولد لاتخذناه مما عندنا، وما كنا فاعلين ذلك لتزهدنا عنه.

﴿١٨﴾ بل نرمي بالحق الذي نوحى به إلى رسولنا على باطل أهل الكفر فيدحضه، فإذا باطلهم ذاهب زائل، ولكم - أيها القائلون باتخاذها صاحبة وولداً - الهلاك لو صفكم له بما لا يليق به.

ولما كان اتخاذ صاحبة والولد منبئًا عن الافتقار؛ بين ﴿٢٠﴾ أنه مالك هذا الكون، فقال:

﴿٢١﴾ وله سبحانه وحده ملك السماوات وملك الأرض، ومن عنده الملائكة لا يتكبرون عن عبادته، ولا يعبون منها.

﴿٢٢﴾ يواظبون على تسبيح الله دائمًا، لا يملون منه.

﴿٢٣﴾ بل اتخذ المشركون آلهة من دون الله، لا يحيون الموتى، فكيف يعبدون عاجزًا عن ذلك؟

﴿٢٤﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة سوى الله لفسدتا بتنازع المعبودات في الملْك، والواقع خلاف ذلك، فتزهد الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

﴿٢٥﴾ والله هو المتترد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.

﴿٢٦﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حجتكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٢٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.
- ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه مُنْزَّهٌ عن العبث.
- غلبة الحق، ودحر الباطل سُنَّةُ إلهية.
- إبطال عقيدة الشرك بدليل الثَّمَانِج.

﴿٢٨﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة سوى الله لفسدتا بتنازع المعبودات في الملْك، والواقع خلاف ذلك، فتزهد الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

﴿٢٩﴾ والله هو المتترد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.

﴿٣٠﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حجتكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٣١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَاقِينَ ۖ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢٤

﴿٢٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا أنا فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بنات، تَزَوَّجَ سبحانه وتقدس عما يقولونه من الكذب، بل الملائكة عباد لله، مكرمون منه، مقربون إليه. ﴿٢٧﴾ لا يتقدمون ربهم بقول، فلا ينطقون به حتى يأمرهم، وهم بأمره يعملون، فلا يخالفون له أمراً.

﴿٢٨﴾ يعلم سابق أعمالهم ولاحقها، ولا يسألون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى الشفاعة له، وهم من خوفه سبحانه حذرون، فلا يخالفونه في أمر ولا نهي.

﴿٢٩﴾ ومن يقل من الملائكة من باب الافتراض: إني معبود من دون الله، فإننا نجزيه على قوله بعداب جهنم يوم القيامة خالداً فيها، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين بالكفر والشرك بالله.

﴿٣٠﴾ أولم يعلم الذين كفروا بالله أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزل منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك، ويؤمنون بالله وحده؟

﴿٣١﴾ وخلقنا في الأرض جبالاً ثابتة حتى لا تضطرب بمن عليها، وجعلنا فيها مسالك وطرقاً واسعة لعلمهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم. ﴿٣٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً من السقوط من غير عَمَد، ومحموفاً من استتراق السمع، والمشركون

عما في السماء من الآيات - كالشمس والقمر - معرضون لا يعتبرون.

﴿٣٣﴾ والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا ينحرف عنه ولا يميل.

﴿٣٤﴾ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها الرسول - البقاء في هذه الحياة؟ أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة ومِتَّ فهو لا باقون بعدك؟ كلا.

﴿٣٥﴾ كل نفس مؤمنة أو كافرة ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم - أيها الناس - في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم إلينا لا إلى غيرنا ترجعون، فنجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٦﴾ من قوايد الآيات:

- تنزيه الله عن الولد.
- منزلة الملائكة عند الله أنهم عباد خلقهم لمطاعته، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، بل عباد مكرمون.
- خلقت السماوات والأرض وفق سُنَّة التدرج، فقد خُلِقَتَا مَلْتَزِقَتَيْنِ، ثم فُصِّلَ بينهما.
- الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير.

وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا
 الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ
 كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
 لَا يَكْفُوتُ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ طُحُورِهِمْ وَلَا
 هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
 يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ
 بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
 أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّايَصِحُّونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
 الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٢٥

﴿٣٦﴾ وإذا رأى هؤلاء - أيها الرسول - هؤلاء المشركون لا يتخذونك إلا سخرية منفرتين أتباعهم بقولهم: أهذا هو الذي يسب آلهتهم التي تعبدونها؟ وهم مع السخرية بك جاحدون بما أنزل الله عليهم من القرآن وبما أعطاهم من النعم كافرين؛ فهم أولى بالعبث لجمعهم كل سوء.

﴿٣٧﴾ طبع الإنسان على العجلة، فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، ومن ذلك استعجال المشركين للعذاب، سأريكم - أيها المستعجلون لعذابي - ما استعجلتموه منه، فلا تطلبوا تعجيله.

﴿٣٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث على وجه الاستعجال: متى يكون ما نعدوننا به - أيها المسلمون - من البعث إن كنتم صادقين فيما تدعونه من وقوعه؟

﴿٣٩﴾ لو يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث حين لا يردون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، وأن لا ناصر ينصرهم بدفع العذاب عنهم، لو يثقوا ذلك لما استعجلوا العذاب. ﴿٤٠﴾ لا تأتيهم هذه النار التي يُعدُّون بها عن علم منهم، بل تأتيهم فجأة، فلا يقدرون على ردها عنهم، ولا هم يُؤخِّرون حتى يتوبوا فتتألم الرحمة. ولما عانى رسول الله ﷺ من استهزاء قومه به وتكذيبهم له، سلاه الله بقوله:

﴿٤١﴾ ولئن سخر بك قومك فلست بدعاً في ذلك، فقد استهزئ برسُل من قبلك - أيها الرسول - فأحاط بالكفار الذين كانوا يسخرون منهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا عندما تخوَّفهم رسلهم به.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم بالليل والنهار مما يريد بكم الرحمن من إنزال العذاب والهلاك بكم؟ بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه معرضون، لا يتدبرون شيئاً منها جهلاً وسفهاً.

﴿٤٣﴾ أم هل لهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم بدفع ضرر عنها، ولا يجلب نفع لها، ومن لا ينصر نفسه فكيف ينصر غيره؟ ولا هم يُجَارون من عذابنا.

﴿٤٤﴾ بل متَّعنا هؤلاء الكفار، ومتَّعنا آباءهم بما بسطنا عليهم من نعمنا؛ استدراجاً لهم، حتى تتأول بهم الزمن فاغتروا بذلك، وأقاموا على كفرهم، أفلا يرى هؤلاء المغترون بنعمنا المستعجلون بعذابنا أننا نأتي الأرض لنقصها من جوانبها بقهرنا لأهلها، وغلبتنا لهم، فاعتبروا بذلك حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم؟ فليس هؤلاء غالبين، بل هم مغلوبون.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• بيان كفر من يستهزئ بالرسول، سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة.

• من طبع الإنسان الاستعجال، والأناة خلق فاضل.

• لا يحفظ من عذاب الله إلا الله.

• مآل الباطل الزوال، ومآل الحق البقاء.

﴿٤٥﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أخوفكم - أيها الناس - من عذاب الله بالوحي الذي يوحيه إليّ ربي، ولا يسمع الصم عن الحق ما يدعون إليه سماع قبول إذا خُوفوا من عذاب الله. ﴿٤٦﴾ ولئن مسّ هؤلاء المستعجلين بالعذاب نصيب من عذاب ربك - أيها الرسول - ليقولنّ عندئذ: يا هلاكنا وخسرانا، إنا كنا ظالمين بالشرك بالله والتكذيب بما جاء به محمد ﷺ. ﴿٤٧﴾ ونُصب الموازين العادلة لأهل القيامة لتوزن بها أعمالهم، فلا تُظلم في ذلك اليوم نفس بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، وإن كان الموزون قليلاً مثل ما تزنه حبة خردل جثّاً به، وكفى بنا مُحْصِينَ نحصى أعمال عبادنا. ﴿٤٨﴾ ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة فارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام، وهداية لمن آمنوا بها، وتذكيراً للمتقين لربهم. ﴿٤٩﴾ الذين يخافون عقاب ربهم الذي يؤمنون به مع أنهم لم يشاهدوه، وهم من الساعة خائفون. ﴿٥٠﴾ وهذا ذكركم مُبارك أنزلناه أفانتم له و مُنكرون. ﴿٥١﴾ ولقد آتينا إبراهيم رشدهُ ومن قبل وكنا به عليمين. ﴿٥٢﴾ إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. ﴿٥٣﴾ قالوا وجدنا آباءنا على عهدٍ. ﴿٥٤﴾ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مبين. ﴿٥٥﴾ قالوا أحيثنا بالحق أم أنت من اللّعين. ﴿٥٦﴾ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشّاهدين. ﴿٥٧﴾ وتالله لأكيّدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

الجزء السابع عشر

يعبدونها، فعبدناها تأسيّاً بهم.

﴿٤٥﴾ قال لهم إبراهيم: لقد كنتم - أيها التابعون - أنتم وآباؤكم المتبوعون في ضلال واضح عن طريق الحق.

﴿٤٦﴾ قال له قومه: أحيثنا بالجد حين قلت ما قلت، أم أنت من الهازلين؟

﴿٤٧﴾ قال إبراهيم: بل جئكم بالجد لا بالهزل، فربكم هو رب السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق، وأنا على أنه ربكم ورب السماوات والأرض من الشاهدين، وليس لأصنامكم حظ من ذلك.

﴿٤٨﴾ وقال إبراهيم: بحيث لا يسمعه قومه: والله لأدبرنّ لأصنامكم ما تكرهون بعد أن تذهبوا عنها إلى عبيدكم.

﴿٤٩﴾ من قواي الأكيّد:

• نفع الإقرار بالذنب مشروط بمصاحبة التوبة قبل فوات أوانها.

• إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه.

• أهمية قوة الحجّة في الدعوة إلى الله.

• ضرر التقليد الأعمى.

• التدرج في تغيير المنكر، والبدء بالأسهل فالأسهل، فقد بدأ إبراهيم بتغيير منكر قومه بالقول والصدع بالحجة، ثم انتقل إلى التغيير بالفعل.

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا إِنَّهُ وَلِمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آعِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ

فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِيرُهُمْ

هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى

أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا

عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ

وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿٣٢٧﴾

﴿٥٨﴾ فحطّم إبراهيم أصنامهم حتى صارت قطعًا صغيرة، وأبقى كبيرها رجاء أن يرجعوا إليه ليسألوه عمن حطّمها.

﴿٥٩﴾ فلما رجعوا ووجدوا أصنامهم قد حطّمت سأل بعضهم بعضًا: من حطّم معبوداتنا؟ إن من حطّمها لمن الظالمين، حيث حقّر ما يستحق التعظيم والتقدّيس.

﴿٦٠﴾ قال بعضهم: سمعنا فتى يذكرهم بسوء ويعيهم يُدعى إبراهيم، لعله هو الذي حطّمهم.

﴿٦١﴾ قال ساداتهم: جيئوا بإبراهيم على مشهد من الناس ومراى؛ لعلهم يشهدون على إقراره بما صنع، فيكون إقراره حجة لكم عليه.

﴿٦٢﴾ فجاؤوا بإبراهيم ﴿٦٣﴾ فسالوه: أنت فعلت هذا الفعل الشنيع بأصنامنا يا إبراهيم؟

﴿٦٤﴾ قال إبراهيم - مُتهكّمًا بهم، مظهرًا عجز أصنامهم على مرأى من الناس -: ما فعلت ذلك، بل فعله كبير الأصنام، فاسألوا أصنامكم إن كانوا يتكلمون.

﴿٦٥﴾ فرجعوا إلى أنفسهم بالتفكير والتأمل، فتبيّن لهم أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر، فهم ظالمون حين عبدوها من دون الله.

﴿٦٦﴾ ثم عادوا للعناد والجحود، فقالوا: لقد أيقنت - يا إبراهيم - أن هذه الأصنام لا تنطق، فكيف تأمرنا أن نسالها؟ أرادوا ذلك حجة لهم، فكان حجة عليهم.

﴿٦٧﴾ قال إبراهيم - منكّرًا عليهم -: أفتعبدون من دون الله أصنامًا لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم، فهي

عاجزة عن دفع الضر عن نفسها، أو جلب النفع لها.

﴿٦٨﴾ فبيّحاً لكم، وقبيحاً لما تعبدونه من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، أفلا تعقلون ذلك، وتتركون عبادتها؟ ﴿٦٩﴾ فلما عجزوا عن مواجهته بالحجة لجؤوا إلى القوة، فقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار؛ انتصاراً لأصنامكم التي هدمها وكسرها إن كنتم فاعلين به عقاباً رادعاً.

﴿٧٠﴾ فأوقدوا ناراً ورموه فيها، فقلنا: يا نار، كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فلم يُصَب بأذى.

﴿٧١﴾ وأراد قوم إبراهيم ﴿٧٢﴾ به كيداً بأن يحرقوه، فأبطلنا كيدهم، وجعلناهم هم الهالكين المغلوبين.

﴿٧٣﴾ وأنقذناه وأنقذنا لوطًا، وأخرجناهما إلى أرض الشام التي باركنا فيها؛ بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بثناه فيها للمخلوقات من الخيرات.

﴿٧٤﴾ ووهبنا له إسحاق حين دعا ربه أن يرزقه ولدًا، ووهبنا له يعقوب زيادة، وكلّ من إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب صيّرناهم صالحين مطيعين لله.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• جواز استخدام الحيلة لإظهار الحق وإبطال الباطل. • تعلق أهل الباطل بحجج يحسبونها لهم، وهي عليهم. • التعنيف في القول وسيلة من وسائل التغيير للمنكر إن لم يترتب عليه ضرر أكبر. • اللجوء لاستخدام القوة برهان على العجز عن المواجهة بالحجة. • نُصِرَ الله لعباده المؤمنين، وإنقاذهم لهم من المحن من حيث لا يحتسبون.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَرْيَمُ أَنْوَحِينَآ إِلَيْهِمْ فَعَلَّ
الْخَيْرَاتِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَاةَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا
عَلِيدِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَلَسِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٤﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٧﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاءَ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٩﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨٠﴾

٣٢٨

مع داود الجبال تسبح بتسبيحه، وطوعنا له الطير، وكنا فاعلين لذلك التفهيم وإعطاء الحكم والعلم والتسخير.

﴿٨٠﴾ وعلمنا داود دون سليمان صناعة الدروع لتحميكم من فتك السلاح بأجسامكم، فهل أنتم - أيها الناس - شاكرون لهذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم؟

﴿٨١﴾ وطوعنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تجري بأمره إذا أمرها إلى أرض الشام التي باركنا فيها بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بسط فيها من الخيرات، وكنا بكل شيء عالمين، لا يخفى علينا منه شيء.

من قوائد الآيات:

- فعل الخير والصلاة والزكاة، مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.
- ارتكاب الفواحش سبب في وقوع العذاب المستأصل.
- الصلاح سبب في الدخول في رحمة الله.
- الدعاء سبب في النجاة من الكروب.

﴿٧٢﴾ وصيّرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، واثبتوا بالصلاة على أكمل وجه، وأدوا الزكاة، وكانوا لنا مقلّدين.

﴿٧٣﴾ ولوطاً أعطيناه فصل القضاء بين الخصوم، وأعطيناه علماً بأمر دينه، وسلمناه من العذاب الذي أنزلناه على قريته (سُدُوم) التي كان أهلها يأتون الفاحشة، إنهم كانوا قوم فساد خارجين عن طاعة ربهم.

﴿٧٤﴾ وأدخلناه في رحمتنا إذ أنجيناه من العذاب الذي أصاب قومه، إنه من الصالحين الذين يأترون بأمرنا، وينتهون بنهيها.

﴿٧٥﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة نوح: إذ نادى الله من قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له بإعطائه ما طلب، فأنقذناه وأنقذنا أهله المؤمنين من الغم العظيم.

﴿٧٦﴾ ونجيناه من مكر القوم الذين كذبوا بما أيّدناه به من الآيات الدالة على صدقه، إنهم كانوا قوم فساد وشر، فأهلكناهم أجمعين بالفرق.

﴿٧٧﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة داود وابنه سليمان ؑ إذ يحكما في قضية رُفِعت إليهما بشأن خصمين؛ لأحدهما غنم انتشرت ليلاً في حرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود وسليمان شاهدين، لم يغيب عنا من حكمهما شيء.

﴿٧٨﴾ ففهمنا القضية سليمان دون أبيه داود، وكلاً من داود وسليمان أعطيناه النبوة والعلم بأحكام الشرع، لم نخص به سليمان وحده، وطوعنا

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُ وَأَنَّىٰ مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَرَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا
لَهُ وَزَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٣٢٩

﴿٨٢﴾ وسخرنا من الشياطين من يفوسون له في البحار يستخرجون اللآلئ وغيرها، ويعملون غير ذلك من الأعمال كالبناء، وكنا لأعدائهم وأعمالهم حافظين، لا يفوتنا شيء من ذلك.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة أيوب ﴿٨٣﴾، إذ دعا ربه سبحانه حين أصابه البلاء قائلاً: يا رب، إنني أصبت بالمرض وفقد الأهل، وأنت أرحم الراحمين جميعاً، فاصرف عني ما أصابني من ذلك.

﴿٨٤﴾ فأجبنا دعوته، وصرفنا عنه ما أصابه من ضرر، وأعطيناه ما فقد من أهله وأولاده، وأعطيناه مثلهم معهم، كل ذلك فعلناه رحمة من عندنا، وتذكيراً لكل متفاد لله بالعبادة؛ ليصبر كما صبر أيوب.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إسماعيل وإدريس وذا الكفل ﴿٨٥﴾، كل واحد منهم من الصابرين على البلاء، وعلى القيام بما كلفهم الله به.

﴿٨٦﴾ وأدخلناهم في رحمتنا، فجعلناهم أنبياء، وأدخلناهم الجنة، إنهم من عباد الله الصالحين الذين عملوا بطاعة ربهم، وصلحت سرائرهم وعلاياهم.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت يونس ﴿٨٧﴾، إذ ذهب دون إذن من ربه مغاضباً قومه لتماديهم في العصيان، فظن أننا لن نصيِّق عليه؛ ببقائه على ذهابه، فابتلي بشدة الضيق والجس حين التقمه الحوت، فدعا في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل؛ مُقَرِّراً بذنبه تائباً إلى الله منه، فقال: لا معبود بحق غيرك،

تنزهت وتقدس، إنني كنت من الظالمين.

﴿٨٨﴾ فأجبنا دعوته، ونجَّيناه من كرب الشدة بإخراجه من الظلمات، ومن بطن الحوت، ومثل إنجاء يونس من كربته هذا تنجي المؤمنين إذا وقعوا في كرب ودعوا الله.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة زكريا ﴿٨٩﴾، إذ دعا ربه سبحانه قائلاً: رب، لا تتركني منفرداً لا ولد لي، وأنت خير الباقين، فارزقني ولداً يبقى بعدي.

﴿٩٠﴾ فأجبنا له دعوته، وأعطيناه يحيى ولداً، وأصلحنا زوجه، فصارت ولوداً بعد أن كانت لا تلد، إن زكريا وزوجه وابنه كانوا يسارعون إلى فعل الخير، وكانوا يدعوننا راغبين فيما عندنا من الثواب، خائفين مما عندنا من العقاب، وكانوا لنا مُتَضَرِّعين.

﴿٩٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الصلاح سبب للرحمة.

● الالتجاء إلى الله وسيلة لكشف الكرب.

● فضل طلب الولد الصالح ليبقى بعد الإنسان إذا مات.

● الإقرار بالذنب، والشعور بالاضطرار لله وشكوى الحال له، وطاعة الله في الرخاء من أسباب إجابة الدعاء وكشف الضر.

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة مريم التي صانت فرجها من الزنى، فأرسل الله إليها جبريل ، فنفخ فيها فحملت بعبسى ، وكانت هي وابنها عيسى علامة للناس على قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء حيث خلقه من غير أب.

﴿٩٢﴾ إن هذه ملئكم - أيها الناس - ملة واحدة، وهي التوحيد الذي هو دين الإسلام، وأنا ربكم، فأخلصوا العبادة لي وحدي.

﴿٩٣﴾ وتفرق الناس، فصار منهم الموحّد والمشرّك والكافر والمؤمن، وكل هؤلاء المتفرّقين إلينا وحدنا راجعون يوم القيامة، فتجازيهم على أعمالهم.

﴿٩٤﴾ فمن عمل منهم الأعمال الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فلا جحود لعمله الصالح، بل يشكر الله له ثوابه فيضاعفه له، ويجده في كتاب عمله يوم يبعث، فيسرّ به.

﴿٩٥﴾ ومستحيل على أهل قرية أهلكتها بسبب كفرها أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليتوبوا وتقبل توبتهم.

﴿٩٦﴾ لا يرجعون أبدًا حتى إذا قُتِح سدّ يأجوج ومأجوج، وهم يومئذ من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

﴿٩٧﴾ واقتربت القيامة بخروجهم، وظهرت أهوالها وشدايدها، فإذا أبصار الكفار مفتوحة من شدة هولها يقولون: يا هلاكنّا، قد كنا في الدنيا في لهو وانشغال عن الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بل كنا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٩٨﴾ إنكم - أيها المشركون - وما

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنْ هَذِهِ إِلَّا أَنْتُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَقَاتَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَلِّمُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَٰهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿٣٣٠﴾

تعبدونه من دون الله من الأصنام، وممن يرضى بعبادتكم له من الإنس والجن - وقود جهنم، أنتم ومعبوداتكم لها داخلون. ﴿٩٩﴾ لو كانت هذه المعبودات آلهة تُعْبَد بحق ما دخلوا النار مع من عبدوهم، وكل من العابدين والمعبودين في النار، ما كُتِبَ فيها أبدًا لا يخرجون منها.

﴿١٠٠﴾ لهم فيها - من شدة ما يلاقونه من الآلام - تنفس شديد، وهم في النار لا يسمعون الأصوات من شدة الهول المُفْزِع الذي أصابهم.

﴿١٠١﴾ ولما قال المشركون: (إنّ عيسى والملائكة الذين عُبدوا سيدخلون النار) قال الله: إن الذين سبق في علم الله أنهم من أهل السعادة مثل عيسى مبعدون عن النار.

﴿١٠٢﴾ من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- التنويه بالعفاف وبيان فضله.
- اتفاق الرسالات السماوية في التوحيد وأسس العبادات.
- قُتِحَ سدّ يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.
- الغفلة عن الاستعداد ليوم القيامة سبب لمعاناة أهوالها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ بِلَهُنَّةٍ قَائِلِينَ: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا
 أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ
 كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
 عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
 عَلِيدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
 ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
 وَإِنِ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ
 الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنِ أَدْرِي
 لَعَلَّهُ وَفْتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الحج

آياتها ٧٨

وقيتها ٢٢

٣٣١

﴿١٠٢﴾ لا يصل إلى سمعهم صوت جهنم، وهم فيما اشتتهت أنفسهم من النعيم والملذات ماكثون، لا ينقطع نعيمهم أبدًا.

﴿١٠٣﴾ لا يخيفهم الهول العظيم حين تطبق النار على أهلها، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة قائلين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون به في الدنيا، وتبشرون بما تلاقون فيه من النعيم.

﴿١٠٤﴾ يوم نطوي السماء مثل طي الصحيفة على ما فيها، ونحشر الخلق على هيئتهم التي خلقوا بها أول مرة، وعدنا بذلك وعدًا لا خلف فيه، إنا كنا منجزين ما نعد به.

﴿١٠٥﴾ ولقد كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الرسل من بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون العاملون بطاعته، وهم أمة محمد ﷺ.

﴿١٠٦﴾ إن فيما أنزلناه من الوعد لمنفعة وكفاية لقوم عابدين ربهم بما شرعه لهم، فهم الذين ينتفعون به.

﴿١٠٧﴾ وما بعثناك - يا محمد - رسولًا إلا رحمة لجميع الخلق؛ لما تتصف به من الحرص على هداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله.

﴿١٠٨﴾ قل - أيها الرسول -: إنما يوحى إلي من ربي أنما معبودكم بحق معبود واحد، لا شريك له وهو الله، فانتقادوا للإيمان به، والعمل بطاعته.

﴿١٠٩﴾ فإن أعرض هؤلاء عما جئتهم به، فقل - أيها الرسول - لهم: أعلمتكم أنني وإياكم على أمر مستو بيني وبينكم من المفاصلة، ولست أعلم متى ينزل بكم ما وعد الله به من عذابه.

﴿١١٠﴾ إن الله يعلم ما أعلنتم من القول، ويعلم ما تكتُمونه منه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجزىكم عليه. ولست أدري لعل إمهالككم بالعذاب اختبار لكم، واستدراج، وتمتع لكم إلى أمد مقدّر في علم الله؛ لتتبادوا في كفركم وضلالكم.

﴿١١١﴾ قال رسول الله ﷺ داعيًا ربه: رب، افصل بيننا وبين قومنا الذين أصروا على الكفر بالقضاء الحق، وبربنا الرحمن نستعين على ما نقولون من الكفر والتكذيب.

﴿١١٢﴾ من قواید الآيات:

- الصلاح سبب للتمكين في الأرض.
- بعثة النبي ﷺ وشرعه وسنته رحمة للعالمين.
- الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.
- علم الله بما يصدر من عباده من قول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
 ١ يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
 كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
 بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
 يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّيْدٍ ٣
 كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَمَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
 إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
 مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
 ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ
 لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
 نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى
 وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ أَهْزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ بَهِيجٌ ٥

٣٣٢

١ من مقاصد السورة:

تعظيم الله ﷻ وشعائره والتسليم
 لأمره.

٢ التفسير:

١ يا أيها الناس، اتقوا
 ربكم بامتنال ما أمركم به، والكف
 عما نهاكم عنه، إن ما يصاحب
 القيامة من زلزلة الأرض وغيرها من
 الأحوال أمر عظيم، يجب الاستعداد له
 بالعمل بما يرضي الله.

٢ يوم تشهدونها تفصل كل
 مرضعة عن رضيعها، وتُسقط كل
 صاحبة حمل حملها من شدة
 الخوف، وترى الناس سكارى من شدة هول
 عقولهم مثل السكارى من شدة هول
 الموقف، وليسوا سكارى من شرب
 الخمر، ولكن عذاب الله شديد، فقد
 أفقدهم عقولهم.

ولما ذكر الله ما يصاحب قيام
 الساعة من أهوال رد على الذين
 ينكرون القيامة والبعث، فقال:

٣ ومن الناس من يخاصم في
 قدرة الله على بعث الأموات دون علم
 يستند إليه، ويتبع في اعتقاده وقوله
 كل متمرد على ربه من الشياطين،
 ومن أئمة الضلال.

٤ كتب على ذلك المتمرد من
 شياطين الإنس والجن أن من اتبعه
 وصدق به فإنه يضلّه عن طريق الحق،
 ويسوقه إلى عذاب النار بما يقوده إليه
 من الكفر والمعاصي.

٥ يا أيها الناس، إن كان لديكم
 شك في قدرتنا على بعثكم بعد الموت،

فتملوا في خلقكم؛ فقد خلقنا أبائكم آدم من تراب، ثم خلقنا ذريته من مني يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتحول المني دماً
 جامداً، ثم يتحول الدم الجامد إلى قطعة لحم تشبه قطعة اللحم الممضوغة، ثم تتحول قطعة اللحم إما إلى خلق سوي يبقى في الرحم
 حتى يخرج مولوداً حياً، وإما إلى خلق غير سوي يسقطه الرحم؛ لنبين لكم قدرتنا بخلقكم أطواراً، ونثبت في الأرحام ما نشاء من
 الأجنة حتى يولد في أجل محدد وهو تسعة أشهر، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتصلوا إلى كمال القوة والعقل، ومنكم
 من يموت قبل ذلك، ومنكم من يعيش حتى يبلغ سن الهرم حيث تضعف القوة ويضعف العقل، حتى يصير أسوأ حالاً من الصبي، لا
 يعلم شيئاً مما كان يعلمه، وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تفتحت عن النبات، وارتفعت بسبب نمو نباته،
 وأخرجت من كل صنف من النباتات جميل المنظر.

٦ من قوايد الآيات:

- وجوب الاستعداد ليوم القيامة بزيادة التقوى.
- شدة أهوال القيامة حيث تنسى المرضعة طفلها وتسقط الحامل حملها وتذهب عقول الناس.
- التدرج في الخلق سنة إلهية.
- دلالة الخلق الأول على إمكان البعث.
- ظاهرة المطر وما يتبعها من إنبات الأرض دليل ملموس على بعث الأموات.

ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٧ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٨ ثَانِي عَظْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ٩ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ١٠ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعَةَ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٢ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ١٣ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَمُوتَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ١٥

٦ ذلك الذي ذكرنا لكم - من بدء خلقكم وأطواره وأحوال من يولد منكم - لأجل أن تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم هو الحق الذي لا شك فيه، بخلاف ما تعبدون من أصنامكم، ولتؤمنوا بأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٧ ولتؤمنوا بأن الساعة آتية لا شك في إتيانها، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم.

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال:

٨ ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، بغير علم منهم يصلون به إلى الحق، ولا اتباع هادٍ يدلهم عليه، ولا كتاب مضيء منزل من عند الله يهديهم إليه.

٩ لا ويا عنقه تكبيرا ليصرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وصفه ذل في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

١٠ ويقال له: ذلك العذاب الذي ذقته بسبب ما اكتسبته من الكفر والمعاصي، والله لا يعذب أحدا من خلقه إلا بذنب.

١١ ومن الناس مضطرب يعبد الله على شك، فإن أصابه خير من صحة وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقر تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر ديناه، فلن يزيده كفره حظا من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

١٢ يعبد من دون الله أصناما لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لئساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرا لمن يستنصره، وصاحبا لمن يصحبه.

١٣ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

١٤ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى الأرض، ثم لينظر هل يذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، قاله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبى.

من قوايد الآيات:

- أسباب الهداية إما علم يوصل به إلى الحق، أو هادٍ يدلهم إليه، أو كتاب يوثق به يهديهم إليه.
- الكبر خلق يمنع من التوفيق للحق.
- من عدل الله أنه لا يعاقب إلا على ذنب.
- الله ناصر نبيه ودينه ولو كره الكافرون.

﴿١٦﴾ وكما بينا لكم الحج الواضحة على البعث أنزلنا على محمد ﷺ القرآن آيات واضحة، وأن الله يوفق بفضلته من يشاء لسبيل الهداية والرشاد.

﴿١٧﴾ إن الذين آمنوا بالله من هذه الأمة، واليهود، والصابئين (طائفة من أتباع بعض الأنبياء)، والنصارى، وعبد النار، وعبد الأوثان - إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل غيرهم النار، إن الله على كل شيء من أقوال عباده وأعمالهم شهيد، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٨﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسجد له سجد طاعة من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من مؤمني الإنس والجن، وتسجد له الشمس، ويسجد له القمر، وتسجد له النجوم في السماء، والجبال والشجر والدواب في الأرض؛ سجد انقياد، ويسجد له كثير من الناس سجد طاعة، وكثير يمتنع عن السجود له طاعة، فحق عليهم عذاب الله لكفرهم، ومن يقض الله عليه بالذلة والمهانة لكفره فليس له أحد يكرمه، إن الله يفعل ما يشاء، فلا مكره له سبحانه.

ولما بين الله ﷻ من يسجد له طاعة ومن يمتنع، عقب ذلك بمصير كل منهما فقال:

﴿١٩﴾ هذان فريقان متخاصمان في ربهم أيهم الحق: فريق الإيمان، وفريق الكفر: فريق الكفر تحيط بهم النار مثل إحاطة الثياب بلاسها، ويضرب من فوق رؤوسهم الماء

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن
مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ
اخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَّقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

المتناهي في الحرارة.

﴿٢٠﴾ يُدَابُّ به ما في بطونهم من الأحشاء من شدة حره، ويصل إلى جلودهم فيذيبها.

﴿٢١﴾ ولهم في النار مطارق من حديد تضرب الملائكة بها رؤوسهم.

﴿٢٢﴾ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة ما يلاقونه فيها من الكرب رُدُّوا إليها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

﴿٢٣﴾ وفريق الإيمان وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، يدخلهم الله في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يزينهم الله بتجليتهم بأسورة من الذهب، ويزينهم بالتجليه باللؤلؤ، ويكون لباسهم فيها الحرير.

من قوائد الآيات:

- الهداية بيد الله يمنحها من يشاء من عباده.
- رقابة الله على كل شيء من أعمال عباده وأحوالهم.
- خضوع جميع المخلوقات لله قدراً، وخضوع المؤمنين له طاعة.
- العذاب نازل بأهل الكفر والعصيان، والرحمة ثابتة لأهل الإيمان والطاعة.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَافِ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
 (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَعِنْدَ
 رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

﴿ ٣٣٥ ﴾

(٢٤) وأرشدهم الله في الحياة الدنيا إلى طيب الأقوال كشهادة أن لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد، وأرشدهم إلى طريق الإسلام المحمود.

(٢٥) إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية فسوف نذيقهم العذاب الأليم، ذلك المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكاً من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكي المقيم فيه، والطائر فيه من غير أهل مكة، ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بالوقوع بشيء من المعاصي عامداً نذقه من عذاب مؤلم.

(٢٦) واذكر - أيها الرسول - إذ بيّنا لإبراهيم ﷺ مكان البيت وحدوده بعد أن كان مجهولاً، وأوحينا إليه ألا تشرك بعبادتي شيئاً، بل اعبدني وحدي، وطهر بيتي من الأنجاس الحسية والمعنوية للطائفتين به، والمصلين فيه.

(٢٧) وناد في الناس داعياً إياهم إلى حج هذا البيت الذي أمرناك ببنائه؛ يأتوك مشاةً أو ركباناً على كل بعير مهزول مما عانى من السير، تأتي بهم الإبل تحملهم من كل طريق بعيد.

(٢٨) ليحضروا ما يعود لهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك، وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكراً لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من هذه الهدايا، وأطعموا منها من كان شديد الفقر.

(٢٩) ثم ليقضوا ما بقي عليهم من مناسك حجهم، ويتحللوا بحلق رؤوسهم وقص أظفارهم وإزالة الوسخ المتراكم عليهم بسبب الإحرام، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت الذي اعتقه الله من تسلط الجبابرة عليه.

(٣٠) ذلك الذي أمرتم به - من التحلل بحلق الرأس وقص الأظفار وإزالة الأوساخ، والوفاء بالنذر والطواف بالبيت - هو ما أوجبه الله عليكم، فعظموا ما أوجبه الله عليكم، ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه؛ تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمانه أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عند ربه سبحانه، وأبيحت لكم - أيها الناس - الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فلم يحرم عليكم منها حامياً ولا بغيره ولا وصيلة، فلم يحرم منها إلا ما تجدونه في القرآن من حرمة الميتة والدم وغيرهما، فابتعدوا عن القدر الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن كل قول باطل كذب على الله أو على خلقه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- حرمة البيت الحرام تقتضي الاحتياط من المعاصي فيه أكثر من غيره.
- بيت الله الحرام مهوى أفئدة المؤمنين في كل زمان ومكان.
- منافع الحج عائدة إلى الناس سواء الدنيوية أو الآخروية.
- شكر النعم يقتضي العطف على الضعفاء.

دين سوى دينه المُرْتَضَى عنده، غير مشركين به في العبادة أحدًا، ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فإما أن تخطف الطير لحمه وعظامه، أو تقذفه الريح في مكان بعيد.

ذلك ما أمر الله به من توبيخه والإخلاص له، واجتناب الأوثان وقول الزور. ومن يعظم معالم الدين - ومنها الهدى ومناسك الحج - فإن تعظيمها من تقوى القلوب لربها.

لكم في الهدايا التي تحرونها بالبيت منافع، مثل الركوب والصوف والنسل واللبن، إلى أجل محدد بوقت ذبحها عند القرب من بيت الله الذي أعنته من تسلط الجبابرة.

ولكل أمة ماضية جعلنا منسكًا لإراقة الدماء قربانًا لله؛ رجاء أن يذكروا اسم الله على ما يذبحونه من تلك القرابين عند الذبح؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فمعبودكم بحق - أيها الناس - معبود واحد لا شريك له، فله وحده انقادوا بالإذعان والطاعة، وأخير - أيها الرسول - الخاشعين المخلصين بما يسرهم.

الذين إذا ذُكر الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، ويصبرون إن أصابهم بلاء، ويؤدون الصلاة تامة، وينفقون في وجوه البر مما رزقهم الله.

والإبل والبقر التي تُهْدَى إلى البيت جعلناها لكم من شعائر الدين وأعلامه، لكم فيها منافع دينية ودنيوية، فقولوا: (باسم الله) عند نحرها بعد أن تصف قوائمها وهي قائمة قد ربطت إحدى يديها حتى لا تشرد، فإذا سقطت بعد النحر على جنبها، فكلوا - أيها المهدون - منها، وأعطوا منها الفقير الذي يتعفف عن السؤال، والفقير الذي يتعرض ليعطى منها، كما ذلناها لكم لتحملوا عليها وتركبوها ذلناها لكم فانقادت إلى حيث تحرونها؛ تقريبًا لله لعلكم تشكرون الله على نعمة تذليلها لكم.

لن يصل إلى الله لحوم ما تقدمونه من هدايا ولا دماؤها، ولن ترفع إليه، لكن يرفع إليه اتقاؤكم الله فيها؛ بأن تخلصوا له في امتثالكم للتقرب بها إليه، كذلك ذلها الله لكم لتكبروا الله شاكرين إياه على ما وفقكم له من الحق، وأخير - أيها الرسول - المحسنين في عبادتهم لربهم وفي تعاملهم مع خلقه، بما يسرهم.

إن الله يدفع عن الذين آمنوا بالله شر أعدائهم، إن الله لا يحب كل خوان لأمانته، كفور لنعم الله، فلا يشكر الله عليها، بل يبغيه.

• من قوايد الأيات:

- ضرب المثل لتقريب الصور المعنوية بجعلها في ثوب حسي، مقصد تربوي عظيم.
- فضل التواضع.
- الإحسان سبب للسعادة.
- الإيمان سبب لدفاع الله عن العبد ورعايته له.

حَفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ أَلَّا يَنفَكُوا وَلَهُمْ فِيهَا حَقٌّ فَلَهُ وَرَاسِلُهُمْ وَأَبَشِرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَنَاعَ وَالْمَعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾

ولما بين الله ﷻ أنه يدافع عن المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم أذن لهم في قتال الكفار، فقال:

﴿٣٨﴾ أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بالقتال؛ لما وقع عليهم من ظلم أعدائهم لهم، وإن الله على نصر المؤمنين على عدوهم دون قتال لقدير، لكن حكمته اقتضت أن يختبر المؤمنين بقتال الكافرين.

﴿٣٩﴾ الذين أخرجهم الكفار من ديارهم ظلماً، لا لجُرم ارتكبهوا إلا أنهم قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، ولولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين من قتال أعدائهم لاعتدوا على مواطن العبادة، فهدموا صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المَعُدَّة للصلاة، فيها يذكر المسلمون الله ذكراً كثيراً، ولينصرون الله من ينصر دينه ونبينه، إن الله لقوي على نصر من ينصر دينه، عزيز لا يغالبه أحد.

﴿٤٠﴾ هؤلاء الموصدون بالنصر هم الذين إن مكَّاهم في الأرض بالنصر على أعدائهم أدَّوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالهم، وأمروا بما أمر به الشرع، ونهوا عما نهى عنه، ولله وحده مرجع الأمور في الثواب عليها والعقاب.

﴿٤١﴾ وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه قومه من الرسل، فقد كذب قبل قومك قوم نوحاً، وكذبت عادٌ هوداً، وثمود صالحاً.

﴿٤٢﴾ وكذب قوم إبراهيم إبراهيم، وكذب قوم لوط لوطاً.

﴿٤٣﴾ وكذب أصحاب مدين شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخَّرت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٤﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مُستأصل، فديارها مهدمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من وُرَادها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٤٥﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض: ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المَهْلِك المُرْدِي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاظ.

﴿٤٦﴾ من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- إثبات مشروعية الجهاد: للحفاظ على مواطن العبادة.
- إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.
- عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٨﴾
 الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٩﴾
 الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٠﴾
 وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ ﴿٤٣﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٥﴾

﴿٤٦﴾ وكذب قوم لوط لوطاً، وكذب أصحاب مدين شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخَّرت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٧﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مُستأصل، فديارها مهدمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من وُرَادها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٤٨﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض: ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المَهْلِك المُرْدِي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاظ.

﴿٤٩﴾ من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- إثبات مشروعية الجهاد: للحفاظ على مواطن العبادة.
- إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.
- عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

الكفار من قومك بالعذاب المُعَجَّل في الدنيا وبالْعَذَابِ المُؤَجَّل في الآخرة لما أُنذروا بهما، ولن يخلفهم الله ما وعدهم به منه، ومن المُعَجَّل ما حل بهم يوم بدر، وإن يؤمًا من العذاب في الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من سني الدنيا بسبب ما فيه من العذاب.

٤٨ وما أكثر القرى التي أمهلتها بالعذاب وهي ظالمة لكفرها، ولم أعجلها به استدراجًا لها، ثم أخذتها بعذاب مُسْتَأْصِل، والتي وحدي مرجعهم يوم القيامة، فأجازيهم على كفرهم بالعذاب الدائم.

٤٩ قل يا أيها الناس، إنما أنا لكم منذر أبلغكم ما أرسلت به، واضح في إنذار.

٥٠ فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة لهم من ربهم مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة لا ينقطع أبدًا.

٥١ والذين سعوا في التكذيب بآياتنا مُقَدَّرِينَ أَنَّهُمْ سَيُعْزَوْنَ اللَّهُ ويفوتونه فلا يعذبهم، أولئك أصحاب الجحيم يلازمونه كما يلازم صاحب صاحبه.

٥٢ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته ما يليس به على الناس أنه من الوحي، فيبطل الله ما يلقى الشيطان من إلقائه، ويثبت آياته، والله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، حكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.

٥٣ يُلْقِي الشيطان في قراءة النبي لِيُصِيرَ اللَّهُ ما يلقى امتحانًا للمنافقين، وللذين قست قلوبهم من المشركين، وإن الظالمين من المنافقين والمشركين لفي عداوة لله ورسوله وبعده عن الحق والرشاد.

٥٤ وليتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو الحق الذي أوحى به الله إليك - أيها الرسول - فيزدادوا إيمانًا به، فتخضع له قلوبهم وتخضع، وإن الله لهادي الذين آمنوا به إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ جزاء لهم على خضوعهم له.

٥٥ ولا يزال الذين كفروا بالله وكذبوا برسوله في شك مما أنزل الله عليك من القرآن، مستمرين حتى تأتيهم الساعة فجأة وهم على ذلك، أو يأتيهم عذاب يوم لا رحمة لهم فيه ولا خير، وهو يوم القيامة بالنسبة لهم.

٥٦ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- استدراج الظالم حتى يتمادى في ظلمه سئة إلهية.
- حفظ الله لكتابه من التبديل والتحريف وصرف مكاييد أعوان الشيطان عنه.
- التفاق وقسوة القلوب مرضان قاتلان.
- الإيمان ثمرة للعلم، والخشوع والخضوع لأوامر الله ثمرة للإيمان.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ۝٤٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٤٩ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝٥١ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَتُخِفَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فُولِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَتَّ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿٥٦﴾ الملك يوم القيامة - يوم يأتي هؤلاء ما كانوا يوعدون به من العذاب - لله وحده، لا منازع له فيه، هو سبحانه يحكم بين المؤمنين والكافرين، فيحكم لكل منهم بما يستحقه، فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب عظيم هو جنات النعيم المقيم الذي لا ينقطع.

﴿٥٧﴾ والذين كفروا بالله وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، لهم عذاب مذل يذلهم الله به في جهنم. ﴿٥٨﴾ والذين تركوا ديارهم وأوطانهم طلباً لمرضاة الله وإعزازاً لدينه، ثم قُتلوا في الجهاد في سبيله، أو ماتوا - ليرزقهم الله في الجنة رزقاً حسناً دائماً لا ينقطع، وإن الله سبحانه لهو خير الرازقين.

﴿٥٩﴾ ليدخلهم الله موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله لعليم بأفعالهم ونياتهم، حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة على ما فرطوا فيه.

﴿٦٠﴾ ذلك المذكور؛ من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتدائه فإن الله ينصر الْمُتَعَدِّي عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم.

﴿٦١﴾ ذلك النصر للمُتَعَدِّي عليه لأن الله قادر على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل؛ بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٢﴾ ذلك المذكور من إدخال الله الليل

في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق، فدينه حق، ووعدته حق، ونصره للمؤمنين حق، وأن ما يعبد المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتاً وقُدراً وقهراً، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

﴿٦٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطراً، فتصبح الأرض بعد نزول المطر عليها خَضراء بما أنبتته من نبات، إن الله لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنبت لهم الأرض، خبير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿٦٤﴾ له وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، وإن الله لهو الغني الذي لا يقتصر إلى أي مخلوق من مخلوقاته، المحمود في كل حال.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مكانة الهجرة في الإسلام وبيان فضلها.

• جواز العقاب بالمثل.

• نصر الله للمُتَعَدِّي عليه يكون في الدنيا أو الآخرة.

• إثبات الصفات العُلا لله بما يليق بجلاله؛ كالعلم والسمع والبصر والعلو.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْتَنَّا
بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ مِمَّنْ

٣٤٠

﴿٦٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله دُلِّل لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات لمنافعكم وحاجاتكم، ودُلِّل لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخيرها من بلد إلى بلد، ويمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث سخر لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم. ﴿٦٦﴾ والله هو الذي أحياكم حيث أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجعد لنعم الله - مع أنها ظاهرة - بعبادته معه غيره. ﴿٦٧﴾ لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا يُنازعُك - أيها الرسول - المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم؛ لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلی طريق مستقيم، لا اعوجاج فيه. ﴿٦٨﴾ وإن امتنعوا إلا أن يجادلوك بعد ظهور الحجة ففوض أمرهم إلى الله قائلًا على سبيل الوعيد: الله أعلم بما تعملون من عمل، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٦٩﴾ الله يحكم بين عباده: مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من أمر الدين. ﴿٧٠﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما،

إن علم ذلك مُسَجَّل في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك كله على الله سهل.

﴿٧١﴾ ويعبد المشركون من دون الله أصنامًا لم ينزل الله حجة على عبادتها في كتبه، وليس لهم عليها دليل من علم، وإنما مستندهم التقليد الأعمى لأبائهم، وليس للظالمين من نصير يمنعهم مما يحل بهم من عذاب الله. ﴿٧٢﴾ وإذا تقرأ عليهم آياتنا في القرآن واضحات تعرف في وجوه الذين كفروا بالله إنكارها من عبوسهم عند سماعهم لها، يكادون من شدة الغضب يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آياتنا، قل لهم - أيها الرسول -: أفأخبركم بما هو شر من غيظكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها، وساء المصير الذي يصيرون إليه.

من قوايد الآيات:

- من نعم الله على الناس تسخير ما في السماوات وما في الأرض لهم.
- إثبات صفتي الرأفة والرحمة لله تعالى.
- إحاطة علم الله بما في السماوات والأرض وما بينهما.
- التقليد الأعمى هو سبب تمسك المشركين بشركهم بالله.

﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، صُزِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَاعْتَبِرُوا بِهِ، إِنْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَغَيْرِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا عَلَى صُغْرِهِ لَعِزَّهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا مَا خَلَقُوا، وَإِذَا أَخَذَ الذُّبَابُ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ طَيِّبٍ وَمَا أَشْبَهَهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى انْتِزَاعِهِ مِنْهُ، وَبِعِزِّهِمْ عَنْ خَلْقِ الذُّبَابِ، وَإِنْفَادِ أَشْيَائِهِمْ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ عِزُّهُمْ عَمَّا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهَا - مَعَ عِزِّهَا - مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ضَعُفَ هَذَا الطَّالِبُ وَهُوَ الصَّنَمُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ انْتِزَاعَ مَا اسْتَلَبَهُ الذُّبَابُ مِنْهُ، وَضَعُفَ هَذَا الْمَطْلُوبُ الَّذِي هُوَ الذُّبَابُ.

﴿٧٤﴾ مَا عَظَمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ، إِنْ اللَّهَ لَقَوِيٍّ، وَمِنْ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِمَا، عَزِيزٌ لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، بِخِلَافِ أَصْنَامِ الْمُشْرِكِينَ فَهِيَ ضَعِيفَةٌ ذَلِيلَةٌ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا.

﴿٧٥﴾ اللَّهُ ﷻ يَخْتَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَيَخْتَارُ مِنَ النَّاسِ رُسُلًا كَذَلِكَ، فَيُرْسِلُ بَعْضَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ جِبْرِيلَ أَرْسَلَهُ إِلَى الرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ، وَيُرْسِلُ الرُّسُلَ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى النَّاسِ، إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ لَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي رُسُلِهِ، بِصِيرٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِرِسَالَتِهِ.

﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا عَلَيْهِ رُسُلُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ قَبْلَ خَلْقِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَبْعَثُ عِبَادَهُ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ.

﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا فِي صَلَاتِكُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَافْعَلُوا الْخَيْرَ مِنْ

صَدَقَةٍ وَصَلَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ رَجَاءُ أَنْ تَفُوزُوا بِالْمَطْلُوبِ، وَتَنْجُوا مِنَ الْمَرْهُوبِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُزِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمِنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

آيَاتُهَا ١١٨

ذُرِّيَّتُهَا ١٢

٣٤١

﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِهَادًا خَالصًا لُوجْهِهِ، هُوَ اخْتَارَكُمْ وَجَعَلَ دِينَكُمْ سَمْعًا لَا ضَيْقَ فِيهِ وَلَا شِدَّةَ، هَذِهِ الْمِلَّةُ السَّهِيحَةُ هِيَ مِلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَقَدْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَفِي الْقُرْآنِ؛ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ أَنَّهُ بَلَّغَكُمْ مَا أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ، وَلِتَكُونُوا أَنْتُمْ شُهَدَاءَ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ أَنَّ رُسُلَهَا بَلَّغَتْهَا، فَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْإِتْيَانِ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَالْجُودَ إِلَى اللَّهِ، وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ نِعْمَ الْمَوْلَى لِمَنْ تَوَلَّاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ لِمَنْ اسْتَنْصَرَهُ مِنْهُمْ، فَتَوَلَّوْهُ بِتَوَلُّوكم، وَاسْتَنْصَرُوهُ بِنَصْرِكُمْ.

﴿٧٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعاني، وهي طريقة تربوية جلييلة.
- عجز الأصنام عن خلق الأدنى دليل على عجزها عن خلق غيره.
- الإشراف بالله سببه عدم تعظيم الله.
- إثبات صفتي القوة والعزة لله، وأهمية أن يستحضر المؤمن معاني هذه الصفات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ٢
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ۝ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ ٥ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ٦ فَمَنْ
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ۝ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ١٣
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ١٤ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ
لَمِّيَّتُونَ ۝ ١٥ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَبْعَتُونَ ۝ ١٦ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝ ١٧

٣٤٢

١٨ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
بيان فلاح المؤمنين وخسران الكافرين.
٢ التفسير:
٣ قد فاز المؤمنون بالله العاملون بشرعه بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما يرهبون.
٤ الذين هم في صلاتهم مُتَذَلِّلُونَ، قد سكنت فيها جوارحهم، وفرغت قلوبهم من الشواغل.
٥ والذين هم عن الباطل واللهو وما فيه معصية من الأقوال والأفعال معرضون.
٦ والذين هم لتطهير أنفسهم من الرذائل، وتطهير أموالهم بإخراج زكاتها فاعلون.
٧ والذين هم لفروجهم بإبعاها عن الزنى واللواط والتفواحش حافظون، فهم أعفاء طاهرون.
٨ إلا على أزواجهم أو ما يملكون من الإماء، فإنهم لا يلامون في الاستمتاع بهنَّ بالطَّوَءِ وغيره.
٩ فمن طلب الاستمتاع بما عدا الزوجات أو إماءه اللاتي يملكن فهو متجاوز لحدود الله بتجاوز ما أحله من التمتع إلى ما حرمه منه.
١٠ والذين هم لما أثنى عليهم الله عليه، أو أثنى عليهم عباده، ولعهودهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.
١١ والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أداؤها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحبَّاتها.
١٢ أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.
١٣ الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ملائكة أبا، لا ينقطع نعيمهم فيها.
١٤ ولقد خلقنا آيا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.
١٥ ثم خلقنا ذريته متناسلين من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.
١٦ فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم عَلَقَةً حمراء، ثم جعلنا تلك العَلَقَةَ الحمراء قطعة لحم ممضوغة، فخلقنا قطعة اللحم تلك عظاماً مُتَّصِلَةً، فألبسنا تلك العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه إلى الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.
١٧ ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مررتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.
١٨ ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.
١٩ ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياها.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها.
- التدرج في الخلق والشرع سُنَّةُ الهية.
- إحاطة علم الله بمخلوقاته.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَاسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِيَّةِ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَصَّوهُ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ آثِنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

٣٤٣

﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِكَثِيرٍ فَيَسُدُّ وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي، فَجَعَلْنَاهُ يَسْتَقِرُّ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ وَالِدَوَابُّ، وَإِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَذْهَبَ بِهِ فَلَا تَنْتَفِعُونَ.

﴿١٩﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِذَلِكَ الْمَاءِ بَسَاتِينَ مِنَ النَّحِيلِ وَالْأَعْنَابِ، لَكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ مُتَعَدَّةُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَالثِّينِ وَالرَّمَانِ وَالتَّفَاحِ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. ﴿٢٠﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَخْرُجُ فِي مَنَاطِقِ جَبَلِ سَيْنَاءَ، تُنْبِتُ الدُّهْنَ الَّذِي يَسْتَخْرَجُ مِنْ ثَمَرِهَا يَدْهَنُ بِهِ وَيُؤْتَمُّ.

﴿٢١﴾ وَإِنَّ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْأَنْعَامِ (الْإِبِلِ، الْبَقَرِ، الْغَنَمِ) لَعِبْرَةً وَدَلَالَةً تَسْتَدَلُّونَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَلَطْفِهِ بِكُمْ، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ لِبُئَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ تَنْتَفِعُونَ بِهَا مِنْهَا: كَالرَّكُوبِ وَالصَّوْفِ وَالْوَبَرِ وَالشَّعْرِ، وَتَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِهَا. ﴿٢٢﴾ وَعَلَى الْإِبِلِ مِنَ الْأَنْعَامِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ تُحْمَلُونَ.

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نُوحًا ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ بِحَقِّ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؟

﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ لَاتَّبَاعَهُمْ وَعَامَتُهُمْ: مَا هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَرِيدُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْسِلَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَأَرْسَلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَرْسِلْهُ مِنَ الْبَشَرِ، مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَا ادَّعَاهُ عِنْدَ أَسْلَافِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا.

﴿٢٥﴾ مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنُونَ، لَا يَمُرُّ بِهِ حَتَّى يَتَضَعُ أَمْرَهُ لِلنَّاسِ.

﴿٢٦﴾ قَالَ نُوحٌ ﴿٢٦﴾: رَبِّ انصُرْنِي عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَنْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ.

﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ السَّفِينَةَ بِمُرَآئِيْنَا وَتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ كَيْفَ تَصْنَعُهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ، وَنَبَحِ الْمَاءِ بِقُوَّةٍ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يُخْبِزُ فِيهِ، فَادْخُلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْآخِيَاءِ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ لِيَسْتَمِرَّ النَّسْلُ، وَادْخُلْ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ بِالْإِهْلَاكِ مِثْلَ زَوْجِكَ وَأَبْنِكَ، وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكَفْرِ بِطَلَبِ نَجَاتِهِمْ وَتَرَكُوا إِهْلَاكَهُمْ، إِنَّهُمْ مُهْلَكُونَ - لَا مَحَالَةَ - بِالْفَرْقِ فِي مَاءِ الطُّوفَانِ.

﴿٢٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● لَطْفُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ ظَاهِرٌ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ وَتَيْسِيرِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ.

● التَّنْوِيهِ بِمَنْزِلَةِ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ.

● اعْتِقَادُ الْمُشْرِكِينَ أُلُوهِيَةَ الْحَجَرِ، وَتَكْذِيبُهُمْ بِنُبُوَّةِ الْبَشَرِ، دَلِيلٌ عَلَى سُخْفِ عَقُولِهِمْ.

● نَصْرُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ثَابِتٌ عِنْدَمَا تَكْذِبُهُمْ أُمَمُهُمْ.

﴿٢٨﴾ فإذا علوت على السفينة أنت ومن معك من المؤمنين الناجين، فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم الكافرين فأهلكهم.

﴿٢٩﴾ وقل: رب أنزلني من الأرض إنزالاً مباركاً، وأنت خير المنزّلين.

﴿٣٠﴾ إن في ذلك المذكور من إنجاء نوح والمؤمنين معه، وإهلاك الكافرين؛ لدلالات جليلة على قدرتنا على نصر رسلنا وإهلاك المكذّبين بهم، وإن كنا لمختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ليتضح المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي.

﴿٣١﴾ ثم أنشأنا من بعد إهلاك قوم نوح أمة أخرى.

﴿٣٢﴾ فبعثنا فيهم رسولاً منهم يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ما لكم من معبود يحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله باجتنب نواهيهِ، وامتنال أوامره؟

﴿٣٣﴾ وقال الأشراف والسادة من قومه الذين كفروا بالله، وكذبوا بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأطافهم ما وسّعنا لهم من النعم في الحياة الدنيا، قالوا لأتباعهم وعامتهم: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون، فليس له مزية عليكم حتى يُبعث رسولاً إليكم.

﴿٣٤﴾ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته لترتكبوا آلهتهم، واتباع من لا فضيلة له عليكم.

﴿٣٥﴾ أيعدكم هذا الذي يزعم أنه رسول أنكم إذا متم وصرتم تراثاً وعظاماً بالية أنكم تخرجون من

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْآخِرَةُ وَاتَّرَفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَ هَاتِ هَيَّاهُتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَآخَذْنَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٤﴾ ٣٤٤

قبوركم أحياء؟ أيعقل هذا؟

﴿٣٦﴾ بعيد جداً ما توعدون به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، ومصيركم تراثاً وعظاماً بالية.

﴿٣٧﴾ ليست الحياة إلا الحياة الدنيا، لا الحياة الآخرة، تموت الأحياء منا ولا تحيا، ويولد آخرون فيحيون، ولسنا بمُخْرَجِينَ بعد موتنا للحساب يوم القيامة.

﴿٣٨﴾ ما هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم إلا رجل اختلق على الله كذباً بادعائه هذا، ولسنا له بمؤمنين.

﴿٣٩﴾ قال الرسول: رب أنصُرني عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٤٠﴾ فأجابه الله قائلاً: بعد زمن قليل سيصبح هؤلاء المكذّبون بما جئت به نادمين على ما وقع منهم من التكذيب.

﴿٤١﴾ فأخذهم صوت شديد مهلك باستحقاقهم العذاب لتعتهم، فصيرتهم هلكى مثل غشاء السيل، فهلاكاً للقوم الظالمين.

﴿٤٢﴾ ثم بعد إهلاكهم أنشأنا أقواماً وأممًا آخرين مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس.

﴿٤٣﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب حمد الله على النعم.

• الترف في الدنيا من أسباب الغفلة أو الاستكبار عن الحق.

• عاقبة الكافر الندامة والخسران.

• الظلم سبب في البعد عن رحمة الله.

﴿٤٣﴾ لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لمجيء هلاكها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها من الوسائل.

﴿٤٤﴾ ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم رسولها المبعوث إليها كذبوه، فأتبعنا بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلاكاً لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم من عند ربهم.

﴿٤٥﴾ ثم بعثنا موسى وأخاه هارون بأياتنا التسع: (العصا، اليد، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، نقص الثمرات)، وبجحة واضحة.

﴿٤٦﴾ بعثناهما إلى فرعون والأشرف من قومه فاستكبروا، فلم ينقادوا للإيمان لهما، وكانوا قوماً مستعجلين على الناس بالتقهر والظلم.

﴿٤٧﴾ فقالوا: أنؤمن لبشرين مثنا، لا مزية لهما علينا، وقومهما (بنو إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟! ﴿٤٨﴾ فكذبوهما فيما جاء به من عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالفرق.

﴿٤٩﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء أن يهدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا بها.

﴿٥٠﴾ وصبرنا عيسى بن مريم وأمه مريم علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به من غير أب، وأويناها إلى مكان مرتفع من الأرض، مستو صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.

﴿٥١﴾ يا أيها الرسل، كلوا مما أحللت لكم مما يستطاب أكله، واعملوا عملاً

صالحاً موافقاً للشرع، إني بما تعملون من عمل عليم، لا يخفى علي من أعمالكم شيء.

﴿٥٢﴾ وإن ملتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ريكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامتثال أوامري، واجتنب نواهي. ﴿٥٣﴾ فتفرق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزاباً وشيعاً، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٤﴾ فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٥﴾ أياظن هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطيههم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟! ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطيههم ذلك إملاءً واستدراجاً لهم، لكنهم لا يحسبون بذلك.

﴿٥٦﴾ إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم وجلون من ربهم.

﴿٥٧﴾ والذين هم بآيات كتابه يؤمنون.

﴿٥٨﴾ والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئاً.

﴿٥٩﴾ من قوايد الآيات:

- الاستكبار مانع من التوفيق للحق.
- إطابة المأكّل له أثر في صلاح القلب وصلاح العمل.
- التوحيد ملة جميع الأنبياء ودعوتهم.
- الإنعام على الفاجر ليس إكراماً له، وإنما هو استدراج.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَلِيقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ
 هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
 يَجْعُرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
 آيَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرَاتٍ مَّتَّجِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ
 جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
 فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ
 وَكَثُرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
 عَنِ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَالَ رَبُّكَ خَيْرٌ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾

﴿٦٠﴾ والذين يجتهدون في أعمال البر، ويتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة وهم خائفون ألا يتقبل الله منهم إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا إليه يوم القيامة.

﴿٦١﴾ أولئك الموصوفون بهذه الصفات العظيمة يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن أجلها سبقوا غيرهم.

﴿٦٢﴾ ولا نكلف نفساً إلا قدر ما تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق الذي لا مزية فيه، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

﴿٦٣﴾ بل قلوب الكفار في غفلة من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى دون ما هم عليه من الكفر هم لها عاملون.

﴿٦٤﴾ حتى إذا عاقبنا منصفهم في الدنيا بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون أصواتهم مستغيثين.

﴿٦٥﴾ فيقال لهم تبيساً لهم من رحمة الله: لا تصرخوا ولا تستغيثوا في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم يمنعكم من عذاب الله.

﴿٦٦﴾ قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم ترجمون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

﴿٦٧﴾ تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرم ولستم أهله؛ لأن أهله هم المبتقون، وتتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

﴿٦٨﴾ أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما

أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

﴿٦٩﴾ أم إنهم لم يعرفوا محمدًا ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته.

﴿٧٠﴾ بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا مزية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون للحق، مبغضون له حسداً من عند أنفسهم، وتعصباً لباطلهم.

﴿٧١﴾ ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السماوات والأرض، وفسد من فيهن لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والناسد من التدبير، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

﴿٧٢﴾ هل طلبت - أيها الرسول - أجراً من هؤلاء على ما جئتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

﴿٧٣﴾ وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

﴿٧٤﴾ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لماثلون إلى غيرها من الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

• مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. • سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. • الترف مانع من موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. • قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح.

﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَلَّا سَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتُهُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٣٤٧﴾

﴿٧٥﴾ ولو رحمناهم ورفعنا عنهم ما بهم من قحط وجوع لتمادوا في ضلالهم عن الحق يترددون ويتخبطون.

﴿٧٦﴾ ولقد اخترناهم بأنواع المصائب، فما تدللوا لرَبِّهم ولا خضعوا له، وما دعوه خاشعين ليرفع عنهم المصائب عند نزولها.

﴿٧٧﴾ حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد إذا هم فيه آيسون من كل فرج وخير.

ولما كان إنكار البعث لا يقع ممن ينتفع بسمعه وبصره وعقله ذكرهم الله بما أنعم عليهم به منها، فقال: ﴿٧٨﴾ والله سبحانه هو الذي خلق لكم - أيها المكذبون بالبعث - السمع لتسموا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتفقهوا بها، ومع ذلك لا تشكرونه على هذه النعم إلا قليلاً.

﴿٧٩﴾ وهو الذي خلقكم - أيها الناس - في الأرض، وإليه وحده يوم القيامة تحشرون للحساب والجزاء.

﴿٨٠﴾ وهو وحده سبحانه الذي يحيي فلا محيي غيره، وهو وحده الذي يميت فلا مميت سواه، وإليه وحده تقدير اختلاف الليل والنهار ظلمة وإنارة وطولاً وقصرًا، أفلا تعقلون قدرته، وتفرد بالخلق والتدبير؟

﴿٨١﴾ بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٢﴾ قالوا على وجه الاستبعاد والإنكار: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية أنا لمبعوثون أحياء للحساب؟

﴿٨٣﴾ لقد وعدنا هذا الوعد - وهو البعث بعد الموت - ووعد أسلافنا من قبل بذلك، ولم نر ذلك الوعد تحقق، ما هذا إلا أباطيل الأقدمين وأكاذيبهم.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث: لمن هذه الأرض، ومن عليها إن كان لكم علم؟

﴿٨٥﴾ سيقولون: الأرض ومن عليها لله، فقل لهم: ألا تتذكرون أن من له الأرض ومن عليها قادر على إحيائكم بعد موتكم؟

﴿٨٦﴾ قل لهم: من رب السماوات السبع؟ ومن رب العرش العظيم الذي لا يوجد مخلوق أعظم منه؟

﴿٨٧﴾ سيقولون: السماوات السبع والعرش العظيم ملك لله، فقل لهم: أفلا تتقون الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه لتسلموا من عذابه؟

﴿٨٨﴾ قل لهم: من الذي بيده ملك كل شيء، لا يشذ عن ملكه شيء، وهو يغيث من شاء من عباده، ولا أحد يمتنع ممن أراه هو يسوء، فيدفع عنه العذاب، إن كان لكم علم؟

﴿٨٩﴾ سيقولون: ملك كل شيء بيده سبحانه، فقل لهم: فكيف تذهب عقولكم، وتعبدون غيره مع إقراركم بذلك؟

﴿٩٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرهم.

● كفران النعم صفة من صفات الكفار.

● التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق.

● الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالالوهية لا ينجي صاحبه.

٩٠ ليس الأمر كما يدعون، بل جثاهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعون له من الشريك والولد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٩١ ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود بنصيبه من الخلق الذي خلقه، ولتألب بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل على أن المعبود بحق واحد وهو الله وحده، تنزهه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

٩٢ عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه أن يكون له شريك.

٩٣ قل - يا أيها الرسول -: رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

٩٤ رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني ما أصابهم من العذاب.

٩٥ وأنا على أن تجعلك تشاهد وترى ما نعدهم به من العذاب لقادرون، لا نعجز عن ذلك ولا عن غيره.

٩٦ ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن؛ بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

٩٧ وقل: رب أمتصم بك من

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٩٠ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٩٢ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٩٤ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ٩٥ أَدْفَعْ بِأَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ٩٨ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ١٠١ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ١٠٤

٩٩ حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعابن ما ينزل به قال ندماً على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله؛ رب ارجعني إلى الحياة الدنيا. ١٠٠ لعلني أعمل عملاً صالحاً إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلب، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلورُد إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوفون في حاجر بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه. ١٠١ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية المؤذنة بالقيامة، فلا أنساب بينهم يتماخرون بها لانشغالهم بأهوال الآخرة، ولا يسأل بعضهم بعضاً لانشغالهم بما يهتمهم. ١٠٢ فمن ثقلت موازينه برجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما ينالونه من مطلوبهم، وما يجتنبون من مرهوبهم. ١٠٣ ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ما كانوا، لا يخرجون منها. ١٠٤ تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون.

● الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. ● إحاطة علم الله بكل شيء. ● معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. ● ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته.

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تِلْكَ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْقَىٰ أَسْوَأَ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا الْيَوْمَ نَأْتِيكُمْ بِسَحَابٍ مِّنْ ثَمَرٍ مُّطَهَّرٍ ﴿٢٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٣٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٧٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٠﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩١﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٢﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٤﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٥﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٦﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لِّشَرِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٠٠﴾

سورة المؤمنون

آياتها ٦٤

نزلت بها

٣٤٩

﴿١٥﴾ ويقال لهم تقريبا لهم: ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

﴿١٦﴾ قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك من شقاوتنا، وكنا قوما ضالين عن الحق.

﴿١٧﴾ ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.

﴿١٨﴾ قال الله: اسكنوا أدلاء مهانين في النار، ولا تكلموني.

﴿١٩﴾ إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي يقولون: ربنا آمنا بك فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.

﴿٢٠﴾ فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم محلاً للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهزئون بهم حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله، وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

﴿٢١﴾ إني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة يوم القيامة؛ لصبرهم على طاعة الله وعلى ما كانوا يتلقونه منكم من الأذى.

ولما سألوا الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ذكرهم بما عمروا فيها مما يمكنهم من التوبة لو أرادوا ذلك.

﴿٢٢﴾ قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟ وكم أضعتم فيها من وقت؟

﴿٢٣﴾ فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يُعْتَوْنَ بحساب الأيام والشهور.

﴿٢٤﴾ قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كنتم تعلمون مقدار مكثكم.

﴿٢٥﴾ أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لمباً دون حكمة، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء؟

﴿٢٦﴾ فتزهر الله الملك المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.

﴿٢٧﴾ ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ عند ربه سبحانه، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يقوز الكافرون بنيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يرهبون.

﴿٢٨﴾ وقل - أيها الرسول -: رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكافر حقير مهان عند الله.

• الاستهزاء بالصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب.

• تضییع العمر لازم من لوازم الكفر.

• الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء.

• لما افتتح الله سبحانه السورة بذكر صفات فلاح المؤمنين ناسب أن تختتم السورة بذكر خسارة الكافرين وعدم فلاحهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ

عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ

شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلَمِنَ

الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلَمِنَ

الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ

٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠

٣٥٠

وشهادتهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

١ والرجال الذين يرمون زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم يشهدون على صحة ما رموهن به؛ يشهد الواحد منهم أربع شهادات بالله: إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنى.

٢ ثم في شهادته الخامسة يزيد الدعاء على نفسه باستحقاق اللعنة إن كان كاذباً فيما رماها به.

٣ فتستحق هي بذلك أن تُحدّد الزنى، ويدفع عنها هذا الحد أن تشهد هي أربع شهادات بالله: إنه لكاذب فيما رماها به.

٤ ثم في شهادتها الخامسة تزيد الدعاء على نفسها بغضب الله عليها إن كان صادقاً فيما رماها به.

٥ ولولا تفضل الله عليكم - أيها الناس - ورحمته بكم، وأنه تواب على من تاب من عباده، حكيم في تدبيره وشرعه لعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم، ولنفضحك بها.

٦ من قَوَائِدِ الْكَلِمَاتِ

• التمهيد للحديث عن الأمور العظام بما يؤذن بعظمتها.

• الزاني يفقد الاحترام والرحمة في المجتمع المسلم.

• الحصار الاجتماعي على الزناة وسيلة لتحصين المجتمع منهم، ووسيلة لردعهم عن الزنى.

• تنويع عقوبة القاذف إلى عقوبة مادية (الحد)، ومعنوية (رد شهادته، والحكم عليه بالفسق) دليل على خطورة هذا الفعل.

• لا يثبت الزنى إلا ببينة، وادعائه دونها قذف.

• من مقاصد السورة:

الدعوة إلى العفاف وحماية الأعراض.

• التفسير:

• هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا

العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات

بينات؛ رجاء أن تذكروا ما فيها من

الأحكام فتعملوا به.

• الزانية والزاني البكران فاجلدوا

كل واحد منهما مئة جلد، ولا تأخذكم

بهما رقة ورحمة بحيث لا تقيمون

عليهما الحد أو تخففونه عنهما، إن

كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر،

وليحضر إقامة الحد عليهما جمع من

المؤمنين إمعاناً في التشهير بهما،

وردعاً لهما ولغيرهما.

• لتطبيع الزنى ذكر الله أن الذي

اعتاده لا يرغب في الزواج إلا من زانية

مثله أو مشركة لا تتوقى الزنى مع عدم

جواز نكاحها، والتي اعتادت الزنى لا

ترغب في الزواج إلا من زان مثلها أو

مشرك لا يتوقاه مع حرمة زواجها منه،

وحُرْم نكاح الزانية وإنكاح الزاني على

المؤمنين.

• والذين يرمون بالفاحشة

العفاف من النساء، (والأعفاء من

الرجال مثلهن)، ثم لم يأتوا بأربعة

شهود على ما رموهن به من الفاحشة

فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين

جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً،

وأولئك الذين يرمون العفاف هم

الخارجون عن طاعة الله.

• إلا الذين تابوا إلى الله بعد

الذي أقدموا عليه من ذلك، وأصلحوا

أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢ وَلَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٩ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢٠ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢١

٣٥١

١١) إن الذين جاؤوا بالبُهتان (وهو رمي أم المؤمنين عائشة ؓ بالفاحشة) جماعة تنسب إليكم -أيها المؤمنون- لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الثواب والتمحيص للمؤمنين، ولما يصحبه من تبرئة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي تحمّل معظم ذلك ببدئه به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

١٢) هلاً إذ سمع المؤمنون والمؤمنات هذا الإفك العظيم ظنوا سلامة من افترى عليه ذلك من إخوانهم المؤمنين، وقالوا: هذا كذب واضح.

١٣) هلاً أتى المفترون على أم المؤمنين عائشة ؓ على فريتهم العظيمة بأربعة شهود يشهدون على صحة ما نسبوا إليها، فإن لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك -ولن يأتوا بهم أبداً- فهم كاذبون في حكم الله. ولولا تفصل الله عليكم -أيها المؤمنون- ورحمته بكم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وتاب على من تاب منكم؛ لأصابكم عذاب عظيم بسبب ما خضتم فيه من الكذب والافتراء على أم المؤمنين.

١٤) إذ يرويه بعضكم عن بعض، وتتألقونه بأفواهكم مع بطلانه؛ فما لكم به علم، وتظنون أن ذلك سهل هين، وهو عند الله عظيم؛ لما فيه من الكذب ورمي بريء.

١٥) وهلاً إذ سمعتم هذا الإفك قلتم: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا الأمر الشنيع، تنزيهاً لك ربنا، هذا الذي رموا به أم المؤمنين كذب عظيم.

١٦) يذكركم الله وينصحكم أن تعودوا لمثل هذا الإفك فترموا بريئاً بالفاحشة إن كنتم مؤمنين بالله، ويوضح الله لكم الآيات المشتملة على أحكامه ومواعظه، والله عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها، حكيم في تدبيره وشرعه.

١٧) إن الذين يحبون أن تشيع المنكرات -ومنها القذف بالزنى- في المؤمنين، لهم عذاب موعج في الدنيا بإقامة حد القذف عليهم، ولهم في الآخرة عذاب النار، والله يعلم كذبهم، وما يؤول إليه أمر عباده، ويعلم مصالحهم، وأنتم لا تعلمون ذلك.

١٨) ولولا تفصل الله عليكم -أيها الواقعون في الإفك- ورحمته بكم، ولولا أن الله رؤوف رحيم بكم، لعاجلكم بالعقوبة.

من قوايد الآيات:

- تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة.
- المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم.
- تكريم أم المؤمنين عائشة ؓ بتبرئتها من فوق سبع سماوات.
- ضرورة التثبت تجاه الشائعات.

﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
بشعره، لا تتبعوا طرق الشيطان في
تزيينه للباطل، ومن يتبع طريقه فإنه
يأمر بالقبیح من الأفعال والأقوال،
وبما ينكره الشرع، ولولا فضل الله
عليكم - أيها المؤمنون - ما ظهر
منكم من أحد أبداً بالتوبة إن تاب،
ولكن الله يظهر من يشاء بقبول توبته،
والله سميع لأقوالكم، عليم بأعمالكم،
لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم
عليها.

﴿١٢﴾ ولا يحلف أهل الفضل في الدين
وأصحاب السعة في المال على ترك
إعطاء أقرابائهم المحتاجين - لما
هم عليه من الفقر، من المهاجرين
في سبيل الله - لذنوب ارتكبوها، وليعفو
عنهم، وليصفحوا عنهم، ألا تحبون أن
يغفر الله لكم ذنوبكم إذا عفوت عنهم
وصفحتهم؟ والله غفور لمن تاب من
عباده، رحيم بهم، فليتأس به عباده.
نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق
ﷺ لما حلف على ترك الإنفاق على
مسطح لمشاركتة في الإفك.

﴿١٣﴾ إن الذين يرمون العفاف
الغافلات عن الفاحشة التي لا يفتن
لها المؤمنات، طردوا من رحمة الله
في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم
في الآخرة.

﴿١٤﴾ يحصل لهم ذلك العذاب يوم
القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما
نطقوا به من الباطل، وتشهد عليهم
أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿١٥﴾ في ذلك اليوم يوقَّعهم الله
جزاءهم بعدل، ويعلمون أن الله
سبحانه هو الحق، فكل ما يصدر عنه
من خبر أو وعد أو وعيد حق واضح لا

﴿١٦﴾ يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَّىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ
اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ
مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُتُوتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ
لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَّيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

٣٥٢

مرية فيه.

﴿٢٤﴾ كل خبيث من الرجال والنساء والأفعال والأقوال مناسب وموافق لما هو خبيث، وكل طيب من ذلك مناسب وموافق لما هو طيب،
أولئك الطيبون والطيبات مبرَّءون مما يقوله عنهم الخبيثون والخبيثات، لهم مغفرة من الله يغفر بها ذنوبهم، ولهم رزق كريم وهو
الجنة.

ولما كان الاطلاع على العورات سبباً لإثارة الشهوة المؤدية إلى ارتكاب الزنى المذكور في بداية السورة، أمر الله بالاستئذان على
البيوت، حماية للنظر من الاطلاع على العورات، فقال:

﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا ساكنيها في الدخول عليهم، وتسلموا عليهم
بأن تقولوا في السلام والاستئذان: السلام عليكم أدخل؟ ذلك الاستئذان الذي أمرتم به خير لكم من الدخول فجأة، لعلكم تتذكرون
ما أمرتم به فتمتثلوه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

• إغراءات الشيطان وسواسه داعية إلى ارتكاب المعاصي، فليحذر المؤمن. • التوفيق للتوبة والعمل الصالح من الله لا من
العبد. • العفو والصفح عن المسيء سبب لغفران الذنوب. • هذف العفائف من كباثر الذنوب. • مشروعية الاستئذان لحماية
النظر، والحفاظ على حرمة البيوت.

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ فإن لم تجدوا في تلك البيوت أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن، وإن قال لكم أربابها: (ارجعوا) فارجعوا ولا تدخلوها، فإنه أظهر لكم عند الله، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها. ﴿٢٩﴾ ليس عليكم حرج أن تدخلوا دون استئذان بيوتاً عامة لا تختص بأحد، أعدت للانتفاع العام؛ كالمكتبات والحوادث في الأسواق، والله يعلم ما تظهرون من أعمالكم وأحوالكم وما تخفون، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليه.

ولما كان النظر بريذاً إلى الزنى، أمر الله بغض البصر للوقاية منه، فقال:

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين يكفوا من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم من الوقوع في المحرم، ومن كشفها، ذلك الكف عن النظر إلى ما حرمه الله وحفظ الفروج أظهر لهم عند الله، إن الله خبير بما يصنعون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيهم عليه.

﴿٣١﴾ وقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَكْفِنَنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَوْرَاتِ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بِالْبَعْدِ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَبِالْسِتْرِ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالثِّيَابِ، وَلْيَضْرِبْنَ بِأَغْطِيَتِهِنَّ عَلَى فَتَحَاتِ أَعْلَى ثِيَابِهِنَّ لِيَسْتَرْنَ شَعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ مِنْ الْعَبِيدِ ذَكَوْرًا أَوْ إِنَاثًا، أَوْ التَّابِعِينَ الَّذِينَ لَا غَرَضَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ، أَوْ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لِصَغَرِهِمْ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ قَصْدَ أَنْ يُعْلَمَ مَا يَسْتَرْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ مِثْلَ الْخُلْخَالِ وَمَا شَابَهَهُ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا - أيها المؤمنون - مما يحصل لكم من النظر وغيره؛ رجاء أن تقوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٣٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- جواز دخول المباني العامة دون استئذان.
- وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحل لهم.
- وجوب الحجاب على المرأة.
- منع استخدام وسائل الإثارة.

ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنى، أمر الله بإعانة الأيامي على النكاح، فقال:

(٢١) وزوجوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وزوجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إماءكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليم بأحوال عباده.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأيامي، أمر الأيّم أن يستعف إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

(٢٢) وليطلب العفة عن الزنى الذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكاتبة أسيادهم من العبيد على دفع مال ليحترروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحطوا عنهم جزءاً مما كاتبوهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنى بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبي أُميّة حين طلبنا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تسبه بفرجها، ومن يجبرهن منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهن غفور لذنبهن، رحيم بهن؛ لأنهن مكرهات، والإثم على مكرههن.

(٢٣) ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة مفصلات الحق من الباطل، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٣﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٥﴾

موعظة يتعظ بها الذين يتقون ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢٥) الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيها، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة في حائط غير نافذة، فيها مصباح المصباح في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفائهما يضيء، ولو لم تمسسه نار، فكيف إذا مسته نار؟ نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشباهاها بضربه للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

(٢٦) يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن يعلو قدرها وينادوها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصَلِّي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

٢٧ من قَوْلِهَا لَأَنبَاتٍ،

● الله يَضِيقُ أسباب الرق (بالحرب) ووسع أسباب العتق وحض عليه .

● التخلص من الرِّق عن طريق المكاتبة وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستَرَدَّلة تمتنع الفاحشة .

● قلب المؤمن نُورٌ بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية .

● المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها لعبده فيها، فيجب إعادها عن الأقذار الحسية والمعنوية .

● من أسماء الله الحسنَى (النور) وهو يتضمن صفة النور له سبحانه .

رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا بَصِيرَ ۝٣٧
لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا أَوْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَتْهُ حِسَابَهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٣٩
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ۖ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ
يَرَهَا ۖ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۝٤٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ
قَدَرٍ ۖ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝٤٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ ۖ وَعن مَن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ ۚ يَذْهَبُ بِأَلْبَصَرٍ ۝٤٣

٣٥٥

٣٧ رجال لا يلهيهم شراء ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف منه، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

٣٨ عملوا ذلك ليشبههم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطيهم أضعاف ما عملوا.

٣٩ والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه العطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاء ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وبعث لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوقه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

٤٠ أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحب يستمر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكم بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكاد يبصرها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر، فقد تراكت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلماً بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستتير به.

٤١ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبح له الطيور قد صفت أجنتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلي منها كالإنسان، وتسبح من يسبح منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء.

٤٢ ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

٤٣ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحاباً، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكماً يركب بعضه بعضاً، فتري المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من السحاب المتكاثمة فيها التي تشبه الجبال في عظمتها قطعاً متجمدة من الماء كالحصى، فيصيب بذلك الترد من يشاء من عباده، ويصرفه عن يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالابصار.

من قوايد الآيات:

- موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخروية أمر لازم.
- بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان.
- أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسيحة المطيعة.
- جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره.

٤٤ يُعَاقِبُ اللَّهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طُولًا وَقَصْرًا، وَمَجِيئًا وَذَهَابًا،
 إن في ذلك المذكور من الآيات من دلائل الربوبية عظة لأصحاب البصائر على قدرة الله ووحدانيته.
 ٤٥ والله خلق كل ما يدب على وجه الأرض من الحيوان من نطفة، فمنهم من يمشي على بطنه زحفا كالحيات، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام، يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٤٦ لقد أنزلنا على محمد ﷺ آيات واضحات دالات على طريق الحق، والله يوفق من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، فيوصله ذلك الطريق إلى الجنة.

٤٧ ويقول المنافقون: آمنا بالله، وامنّا بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله، ثم تتولى طائفة منهم، فلا يطيعون الله ورسوله في الأمر بالجهاد في سبيل الله وغيره بعد ما زعموه من الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، وما أولئك المتولون عن طاعة الله ورسوله بالمؤمنين وإن ادعوا أنهم مؤمنون.

٤٨ وإذا دعي هؤلاء المناققون إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم فيهم فيما يختصمون فيه، إذا هم معرضون عن حكمه لنفاقهم.

٤٩ وإن علموا أن الحق لهم، وأنه سيحكم لصالحهم يأبوا إليه منقادين خاضعين.

٥٠ أفي قلوب هؤلاء مرض لازم لها، أم شكوا في أنه رسول الله، أم

يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله في الحكم؟ ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لئلا في أنفسهم بسبب إعراضهم عن حكمه وعنادهم له.

ولما ذكر موقف المنافقين الراض لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضي به، فقال:

٥١ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله، وأطعنا أمره، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

٥٢ ومن يطع الله ويطع رسوله، ويستسلم لحكمهما، ويخف ما تجرّه المعاصي، ويتق عذاب الله بامتنال أمره، واجتناب نهيه، فأولئك وحدهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

٥٣ وحلف المنافقون بالله أقسى أيماهم المغلظة التي يستطيعون الحلف بها: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن، قل لهم - أيها الرسول -: لا تحلفوا، فكذبكم معروف، وطاعتكم المزعومة معروفة، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتوها.

٥٤ من قوايدا الآيات،

• تنوع المخلوقات دليل على قدرة الله. • من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب والشك، وسوء الظن بالله. • طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين. • الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين.

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ٤٤
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ٤٥
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٥ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ٤٦
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤٦ وَيَقُولُونَ ٤٦
 ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ٤٦
 ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ٤٧
 لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ ٤٨
 يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ ٤٩
 أَن يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَوْ يَبَلَغُ الْأُمُورَ ٥٠ إِنَّمَا ٥٠
 كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَن ٥١
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١ وَمَن ٥١
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٥٢
 ٥٢ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِّرَتِ الْيَهُودُ لَيَخْرُجُنَّ قُل ٥٣
 لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ ٥٣

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَدْرِكُكُمْ الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٨﴾

٣٥٧

﴿٥٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، في الظاهر والباطن، فإن تتولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كُلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كُلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٥﴾ وعد الله الذين آمنوا منكم بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم - وهو دين الإسلام - مكيناً عزيزاً، ووعدهم أن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٦﴾ وآتوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تتأولوا رحمة الله.

﴿٥٧﴾ لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتونني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، وماوهم يوم القيامة جهنم، وأساء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين، ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال:

﴿٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماؤكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم للقبولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة وليس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف عليكم، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان ببيان الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

من قوايد الآيات:

- اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء.
- على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والنتائج بيد الله.
- الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن.
- تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس.

﴿٥٩﴾ وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام فليطلبوا الإذن عند الدخول على البيوت في كل الأوقات مثل ما ذكر بشأن الكبار سابقاً، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان يبين الله لكم آياته، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم.

﴿٦٠﴾ والعجائز اللاتي فقدن عن العيض والحمل لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في النكاح فليس عليهن إثم أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والقناع، غير مظهرات للزينة الخفية التي أمرن بسترها، وأن يتركن وضع تلك الثياب خير لهن من وضعها إمعاناً في الستر والتعفف، والله سميع لأقوالكم، عليهم بأفعالكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليها.

﴿٦١﴾ ليس على الأعمى الذي فقد بصره إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم؛ إن تركوا ما لا يستطيعون القيام به من التكاليف كالجهاد في سبيل الله، وليس عليكم - أيها المؤمنون - إثم في الأكل من بيوتكم، ومنها بيوت آبائكم، ولا في الأكل من بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو أعمامكم أو عماتكم، أو أخوالكم أو خالاتكم، أو ما وكلتم على حفظه من البيوت مثل حارس البستان، ولا حرج في الأكل من بيوت صديقيكم لطيب نفسه عادة بذلك، ليس عليكم إثم أن تأكلوا مجتمعين أو فرادى، فإذا دخلتم بيوتاً مثل البيوت المذكورة وغيرها فسلموا على من فيها بأن تقولوا: السلام عليكم، فإن لم يكن فيها أحد فسلموا على أنفسكم بأن تقولوا: السلام علينا

وإذا بلغ الأطقل منكم الحلم فليستذنوا كما استذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته، والله عليم حكيم ﴿٥٩﴾ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴿٦٠﴾ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملككم مفاتحه أو صديقيكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿٦١﴾

وعلى عباد الله الصالحين، تحية من عند الله شرعها لكم مباركة؛ لما تنشره من المودة والألفة بينكم، طيبة تطيب بها نفس سامعها، يمثل هذا التبيين المتقدم في السورة يبين الله الآيات رجاء أن تعقلوها، وتعملوا بما فيها.

﴿٦٢﴾ من قوايد الآيات،

- جواز وضع العجائز بعض ثيابهن لانتهاء الريبة من ذلك.
- الاحتياط في الدين شأن المتقين.
- الأعدار سبب في تخفيف التكليف.
- المجتمع المسلم مجتمع التكافل والتأزر والتأخي.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ وَلَوْ أَفْلَحَ حَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

ولما ذكر الله الاستئذان عند الانصراف، فقال:
﴿٦٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي
إِيمَانِهِمْ هُمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَءَامَنُوا
برَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي
أَمْرٍ يَجْمَعُهُمْ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ
يَنْصَرِفُوا حَتَّىٰ يَطْلُبُوا مِنْهُ الْإِذْنَ فِي
الانصراف، إِنْ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْكَ
- أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْإِذْنَ عِنْدَ الانصراف
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ
برَسُولِهِ حَقًّا، فَإِذَا طَلَبُوا مِنْكَ الْإِذْنَ
لِبَعْضِ أَمْرِ يَجْمَعُهُمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ أَنْ
تَأْذِنَ لَهُ مِنْهُمْ، وَاطْلُبْ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ
لِذُنُوبِهِمْ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لِّذُنُوبٍ مِنْ تَابَ
مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿٦٣﴾ شَرِّفُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -
رَسُولَ اللَّهِ، فَإِذَا نَادَيْتُمُوهُ فَلَا تَدَاوِدُوهُ
بِاسْمِهِ مِثْلَ: يَا مُحَمَّد، أَوْ بِاسْمِ أَبِيهِ
مِثْلَ: يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُكُمْ
مَعَ بَعْضٍ، وَلَكِنْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِذَا دَعَاكُمْ لِأَمْرٍ عَامٍ فَلَا
تَجْعَلُوا دَعْوَتَهُ كَدَعْوَةِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فِي
الْأُمُورِ التَّافِهَةِ عَادَةً، بَلْ سَارِعُوا إِلَى
الاسْتِجَابَةِ لَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الَّذِينَ
يَنْصَرِفُونَ مِنْكُمْ خَفِيَةً دُونَ إِذْنٍ،
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِمِحْنَةٍ وَّيَلَاءٍ، أَوْ
يُصِيبَهُمْ بِعَذَابٍ مُوجِعٍ لَا صَبْرَ لَهُمْ
عَلَيْهِ.

﴿٦٤﴾ أَلَا إِنْ لِلَّهِ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا،
يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَيْهِ مِنَ
الْأَحْوَالِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ،
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ - حِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ
بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ - يَخْبِرُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا مِنْ أَعْمَالٍ فِي الدُّنْيَا، وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

آيَاتُهَا ٧٧

رَبِّهَا ٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ وَشْرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٣٥٩

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

— مَكِّيَّةٌ —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الانتصار للرسول ﷺ وللقُرآن ودفع شبهة المشركين.

• التَّحْسِينُ:

﴿١﴾ تعظيم وَكَثْرُ خَيْرِ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ فَارْقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيَكُونَ رَسُولًا إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ، مَخُوفًا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ﴿٢﴾ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَمُلْكُ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَخَلَقَ
جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَقَدَرَهَا وَفَقْدَرَهُ مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ وَحُكْمَتُهُ تَقْدِيرًا، كُلٌّ بِمَا يَنْسِبُ بِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ النِّظَامِ وَالْأَدَابِ، وَفِي الْإِلْتِزَامِ بِالْأَدَابِ بَرَكَةٌ وَخَيْرٌ. • مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقْتَضِي تَوْقِيرَهُ وَاحْتِرَامَهُ أَكْثَرَ مِنْ
غَيْرِهِ. • شَوْمُ مَخَالَفَةِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ. • إِحَاطَةُ مُلْكِ اللَّهِ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿٣﴾ وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ، فَقَدْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ عَدَمٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ ضَرٍّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ لَهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِمَاتَةَ حَيٍّ، وَلَا إِحْيَاءَ مَيِّتٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ بَعثَ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ.

ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم من كتابه ومن رسوله، فقال: ﴿٤﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتاناً إلى الله، وأعانه على اختلاقه أناس آخرون، فقد افترى هؤلاء الكافرون قولاً باطلاً، فالقرآن كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن بمثله.

﴿٥﴾ وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن: القرآن أحاديث الأولين وما يسطرونه من الأباطيل، استسخها محمد، فهي تُقرأ عليه أول النهار وآخره.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أنزل القرآن الله الذي يعلم كل شيء في السماوات والأرض، وليس مُخْتَلَقًا كما زعمتم، ثم قال مرغبا لهم بالتوبة: إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٧﴾ وقال المشركون المكذبون بالنبي ﷺ: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول من عند الله يأكل الطعام كما يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثاً عن المعاش، هلاً أنزل الله معه ملكاً يكون رفيقه يصدقه ويساعده.

﴿٨﴾ أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها،

فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولاً، وإنما تتبعون رجلاً مغلوياً على عقله بسبب السحر.

﴿٩﴾ انظر - أيها الرسول - لتتجنب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا: مجنون، فضلاً بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق للهداية، ولا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في صدقك وأمانتك.

﴿١٠﴾ تبارك الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا حداثق تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصوراً تسكن فيها مُنْعَمًا.

﴿١١﴾ ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلباً للحق وبحثاً عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة، وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة نازاً عظيمة شديدة الاشتعال.

﴿١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإماتة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك.
- إقباط صفتي المغفرة والرحمة لله.
- الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول.
- تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَنَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ وَجَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۚ
وَإِذَا أَلْقَا مِنَهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْهَا هُنَالِكَ ثُبُورًا
۝١٣ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝١٤ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خُلْدٌ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۝١٥ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٦ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝١٧
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝١٨
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝١٩

﴿ ٣٦١ ﴾

﴿١٣﴾ إذا عاينت النار الكفار وهم يساقون إليها من مكان بعيد سمعوا لها غليظًا شديدًا، وصوتًا مزعجًا من شدة غضبها عليهم.

﴿١٤﴾ وإذا رمي هؤلاء الكفار في جهنم في مكان ضيق منها مقرونة أبيدهم إلى أعناقهم بالسلاسل دعوا على أنفسهم بالهلاك؛ رجاء الخلاص منها.

﴿١٥﴾ لا تدعوا - أيها الكفار - اليوم هلاكًا واحدًا، وادعوا هلاكًا كثيرًا، لكن لن تجابوا إلى ما تطلبون، بل ستبقون في العذاب الأليم خالدين.

﴿١٦﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أذلك المذكور من العذاب الذي وُصف لكم خير أم جنة الخلد التي يدوم نعيمها، ولا ينقطع أبدًا؟ وهي التي وعد الله المتقين من عباده المؤمنين أن تكون لهم ثوابًا، ومرجعًا يرجعون إليه يوم القيامة.

﴿١٧﴾ لهم في هذه الجنة ما يشاؤون من النعيم، كان ذلك على الله وعدًا، يسأله إياه عباده المتقون، ووعد الله متحقق، فهو لا يخلف الميعاد.

﴿١٨﴾ ويوم يحشر الله المشركين المكذبين، ويحشر ما يعبدونه من دون الله، فيقول للمعبودين تقريرًا لعباديتهم: أنتم أضللتم عبادي بأمركم لهم أن يعبدوكم، أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم؟

﴿١٩﴾ قال المعبدون: تزهت ربنا أن يكون لك شريك، ما يليق بنا أن نتخذ من دونك أولياء نتولاهم، فكيف ندعو عبادك أن يعبدونا من دونك؟ ولكن تمت هؤلاء المشركين بملذات الدنيا، وامتعت أباءهم من قبلهم استدرأجا لهم حتى نسوا ذكرك، فعبدوا معك غيرك، وكانوا قومًا هلكي بسبب شقاوتهم.

﴿٢٠﴾ فقد كذبكم - أيها المشركون - من عبدتموهم من دون الله فيما تدعونهم عليهم، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصرها لعجزكم، ومن يظلم منكم - أيها المؤمنون - بالشرك بالله نذقه عذابًا عظيمًا مثل ما أذقناه من ذكر.

ولما استنكر المشركون أن الرسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿٢١﴾ وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - من المرسلين إلا بشرًا كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، فليست بذيًا من الرسل في ذلك، وجعلنا بعضكم لبعض اختبارًا في الفنى والفقر والصحة والمرض بسبب هذا الاختلاف، أتصبرون على ما ابتليتم به فيثيبكم الله على صبركم؟ وكان ربك بصيرًا بمن يصبر ومن لا يصبر، وبمن يطيعه ومن يعصيه.

﴿٢٢﴾ من قوايد الآيات:

- الجمع بين الترهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه.
- متع الدنيا مُنسية لذكر الله.
- بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم.
- تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكََةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكََةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حَجَرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلِيكََةُ
تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَكَلِّفَتْنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يُوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ
إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

٣٦٢

﴿٢١﴾ وقال الكافرون الذين لا يؤمنون
لِقَاءَنَا، ولا يخشون عذابنا: هَلَّا أُنْزِلَ
الله علينا الملائكة، فتخبرنا عن
صدق محمد، أو نشاهد ربنا عيانًا،
فيخبرنا بذلك؟ لقد عظم الكبر في
نفوس هؤلاء حتى منعهم من الإيمان،
وتجاوزوا بقولهم هذا الحد في الكفر
والطغيان.

﴿٢٢﴾ يوم يعاين الكافرون الملائكة
عند موتهم، وفي البرزخ، وعند
بعثهم، وحين يُساقون للحساب، وحين
يدخلون في النار - لا بشارة لهم في
تلك المواقف، بخلاف المؤمنين،
وتقول لهم الملائكة: حرامًا محرّمًا
عليكم البشرى من الله.

﴿٢٣﴾ وعمدنا إلى ما عمله الكفار في
الدنيا من عمل البر والخير فصيرناه
في بطلانه وعدم نفعه بسبب كفرهم
مثل الغبار المفرق يراه الناظر في
شعاع الشمس الداخل من النافذة.

﴿٢٤﴾ المؤمنون أصحاب الجنة في
ذلك اليوم أفضل مقامًا، وأحسن مكان
راحة وقت فائلتهم في الدنيا من هؤلاء
الكفار؛ ذلك لإيمانهم بالله وعملهم
الصالح.

﴿٢٥﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم تتشقق
السماء عن سحب بيضاء رقيقة، ونُزِلَ
الملائكة إلى أرض المحشر تنزيلاً
كثيرًا لكثرتهم.

﴿٢٦﴾ المُلْك الذي هو المُلْك الحق
الثابت يوم القيامة للرحمن سبحانه،
وكان ذلك اليوم على الكفار صعبًا
بخلاف المؤمنين فإنه سهل عليهم.

﴿٢٧﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم
يَعْضُ الظالم بسبب ترك اتباع الرسول
﴿٢٨﴾ على يديه من شدة الندم قائلاً: يا

ليتني اتبعت الرسول فيما جاء به من عند ربه، واتخذت معه طريقًا إلى النجاة.

﴿٢٩﴾ ويقول من شدة الأسف داعيًا على نفسه بالويل: يا ويلي ليتني لم أتخذ الكافر فلانًا صديقًا.

﴿٣٠﴾ لقد أضلّني هذا الصديق الكافر عن القرآن بعد أن بلغني عن طريق الرسول، وكان الشيطان للإنسان كثير الخذلان، إذا نزل
به كرب تبرز منه.

﴿٣١﴾ وقال الرسول في ذلك اليوم شاكيًا حال قومه: يا رب، إن قومي الذين بعثتني إليهم تركوا هذا القرآن وأعرضوا عنه.

﴿٣٢﴾ ومثل ما لاقيت - أيها الرسول - من قومك من الإيذاء والصد عن سبيلك جعلنا لكل نبي من الأنبياء من قبلك عدوًّا من
مجرمي قومه، وكفى بِرَبِّكَ هَادِيًا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وكفى به نصيرًا ينصرك على عدوك.

﴿٣٣﴾ وقال الذين كفروا بالله: هَلَّا نُزِّلَ عَلَى الرَّسُولِ هَذَا الْقُرْآنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ مَفْرَقًا، نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ كَذَلِكَ مَفْرَقًا
لِنُثَبِّتَ قَلْبَكَ - أيها الرسول - بنزوله مرة بعد مرة، وأنزلناه شيئًا بعد شيء لتسهيل فهمه وحفظه.

﴿٣٤﴾ مِنْ قَوْلَائِدِ الْكِتَابِ،

• الكفر مانع من قبول الأعمال الصالحة.

• خطر قرناء السوء.

• ضرر هجر القرآن.

• من حَكَمَ تنزيل القرآن مُفَرَّقًا طمأنة النبي ﷺ وتيسير فهمه وحفظه والعمل به.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
 ٣٣ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ
 شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَآخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا
 إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَالًا
 ٣٧ وَآيَةً ٣٨ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٩ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٤٠ وَكُلًّا
 ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْيِيرًا ٤١ وَلَقَدْ اتَّوَعَّا عَلَى
 الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ شُورًا ٤٢ وَإِذْ أَرَأَوْكَ أَنَّ يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ٤٣ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤ أَرَأَيْتَ
 مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٤٥

٣٦٣

٣٣ ولا يأتيك - أيها الرسول - المشركون بمثل مما يقترحونه إلا جئناك بالجواب الحق الثابت عليه، وجئناك بما هو أحسن بيانًا.
 ٣٤ الذين يُساقون يوم القيامة مسجونين على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانًا؛ لأن مكانهم جهنم، وأبعد طريقًا عن الحق؛ لأن طريقهم طريق الكفر والضلال.
 ٣٥ ولقد أعطينا موسى التوراة، وصيّرنا معه أخاه هارون رسولًا ليكون له معيّنًا.
 ٣٦ فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا. فامثلا أمرنا، وذهبا إليهم فدعواهم إلى توحيد الله، فكذبوهما فأهلكناهم إهلاكًا شديدًا.
 ٣٧ وقوم نوح لما كذبوا الرسل بتكذيبهم نوحًا ^{عليه السلام} أهلكناهم بالغرق في البحر، وصيّرنا إهلاكهم دلالة على قدرتنا على استئصال الظالمين، وأعدنا للظالمين يوم القيامة عذابًا موجعًا.
 ٣٨ وأهلكنا عادًا قوم هود، وثمود قوم صالح، وأهلكنا أصحاب البئر، وأهلكنا أممًا كثيرة بين هؤلاء الثلاث، وكل من هؤلاء المهلكين وصفنا له إهلاك الأمم السابقة وأسبابه ليتعظوا، وكلًا أهلكناه إهلاكًا شديدًا لكفرهم وعنادهم.
 ٣٩ ولقد أتى المكذبون من قومك - في ذهابهم إلى الشام - إلى قرية قوم لوط التي أطمطرت بالحجارة؛ عقابًا لها على فعل الفاحشة ليعتبروا، أفعموا عن هذه القرية فلم يكونوا يشاهدونها؟ لا، بل كانوا لا يتوقعون بعثًا يحاسبون بعده،
 ٤٠ وإذا قابلك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون سخروا منك قائلين على سبيل الاستهزاء والإنكار: أهذا الذي بعث الله رسولًا إيناه؟
 ٤١ لقد أوشك أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، لولا أن صبرنا على عبادتها لصرفنا عنها بحججه وبراهينه، وسوف يعلمون حين يعاينون العذاب في قبورهم ويوم القيامة من أضل طريقًا أم هو؟ وسيعلمون أيهم الأضل.
 ٤٢ أرايت - أيها الرسول - من جعل من هواها آلهًا فأطاعه، أفأنت تكون عليه خفيضًا تردده إلى الإيمان، وتمنعه من الكفر؟
 ٤٣ من قوايد الآيات:

- الكفر بالله والتكذيب بآياته سبب إهلاك الأمم.
- غياب الإيمان بالبعث سبب عدم الاعتاض.
- السخرية بأهل الحق شأن الكافرين.
- خطر اتباع الهوى.

٤٤ وإذا قابلك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون سخروا منك قائلين على سبيل الاستهزاء والإنكار: أهذا الذي بعث الله رسولًا إيناه؟
 ٤٥ لقد أوشك أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، لولا أن صبرنا على عبادتها لصرفنا عنها بحججه وبراهينه، وسوف يعلمون حين يعاينون العذاب في قبورهم ويوم القيامة من أضل طريقًا أم هو؟ وسيعلمون أيهم الأضل.
 ٤٦ أرايت - أيها الرسول - من جعل من هواها آلهًا فأطاعه، أفأنت تكون عليه خفيضًا تردده إلى الإيمان، وتمنعه من الكفر؟

﴿٤٤﴾ بل أتَحْسَبُ - أيها الرسول - أن أكثر الذين تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته يسمعون سماع قبول أو يعقلون الحجج والبراهين؟ ليسوا إلا مثل الأنعام في السماع والتعقل والفهم، بل هم أضل طريقاً من الأنعام.

﴿٤٥﴾ أثم تر - أيها الرسول - إلى آثار خلق الله حين بسط الظل على وجه الأرض، ولو شاء أن يجعله ساكناً لا يتحرك لجعله كذلك، ثم صيرنا الشمس دلالة عليه، يطول بها ويقصر.

﴿٤٦﴾ ثم قبضنا الظل بالنقص بتدرج شيئاً فشيئاً قبضاً قليلاً حسب ارتفاع الشمس.

﴿٤٧﴾ والله هو الذي صيّر لكم الليل بمنزلة لباس يستركم، ويستر الأشياء، وهو الذي صيّر لكم النوم راحة تستريحون به من أشغالكم، وهو الذي صيّر لكم النهار وقتاً تطلقون فيه إلى أعمالكم.

﴿٤٨﴾ وهو الذي بعث الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو من رحمته بعباده، وأنزلنا من السماء ماء المطر طاهراً يطهرون به.

﴿٤٩﴾ لنحيي بذلك الماء النازل أرضاً قاحلة لا نبات فيها بإنباتها بأنواع النباتات وبث الخضرة فيها، ولنسقي بذلك الماء مما خلقنا أنعاماً وبشراً كثيراً.

﴿٥٠﴾ ولقد بينا ونوعنا في القرآن الحجج والبراهين ليعتبروا بها، فأبى معظم الناس إلا كفوراً بالحق وتكراً له.

﴿٥١﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية رسولاً ينذرهم ويخوفهم من عقاب الله، لكننا لم نشأ ذلك، وإنما بعثنا

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ وَسَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لَنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

الجزء ٣٧

٣٦٤

محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الناس.

﴿٥٦﴾ فلا تطع الكفار فيما يطالبونك به من مدهانتهم، وفيما يقدمونه من اقتراحات، وجاهدهم بهذا القرآن المُنَزَّل عليك جهاداً عظيماً بالصبر على أذاهم وتحمل المشاق في دعوتهم إلى الله.

﴿٥٧﴾ والله سبحانه هو الذي خلط ماء البحرين، خلط العذب منهما بالمالح، وصيّر بينهما حاجزاً وستراً ساتراً يمنعهما من التمازج. وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة بشراً، ومن خلق البشر أنشأ علاقة القرابة وعلاقة المصاهرة، وكان ربك - أيها الرسول - قديراً لا يعجزه شيء، ومن قدرته خلق الإنسان من مني الذكر والمرأة.

﴿٥٨﴾ ويبعد الكفار من دون الله أصناماً لا تنفعهم إن أطاعوها، ولا تضرهم إن عصوها، وكان الكافر تابِعاً للشيطان على ما يسخط الله سبحانه.

﴿٥٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• انحطاط الكافر إلى مستوى دون مستوى الحيوان بسبب كفره بالله.

• ظاهرة الظل آية من آيات الله الدالة على قدرته.

• تنويع الحجج والبراهين أسلوب تربوي ناجح.

• الدعوة بالقرآن من صور الجهاد في سبيل الله.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

٣٦٥

﴿٥٦﴾ وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً من أطاع الله بالإيمان والعمل الصالح، ومنذراً من عصاه بالكفر والعصيان.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول -: لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إلا من شاء منكم أن يتخذ طريقاً إلى مرضاة الله بالإنفاق فليفع.

﴿٥٨﴾ وتوكل - أيها الرسول - في جميع أمورك على الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ونزّهه مثبّثاً عليه سبحانه، وكفى به بذنوب عباده خبيراً لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ الذي خلق السماوات وخلق الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، وهو الرحمن، فاسأل - أيها الرسول - به خبيراً، وهو الله الذي يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء. ﴿٦٠﴾ وإذا قيل للكفار: اسجدوا للرحمن، قالوا: لا نسجد للرحمن، وما الرحمن؟ لا نعرفه ولا نقرّ به، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟ وزادهم أمره لهم بالسجود له بُعداً عن الإيمان بالله.

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء منازل للكواكب والتجوم السيارة، وجعل في السماء شمساً تشعّ النور، وجعل فيها قمرًا ينير الأرض بما يعكسه من ضوء الشمس.

﴿٦٢﴾ والله هو الذي صيّر الليل والنهار متعاقبين يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، لمن أراد أن يعتبر بآيات الله فيهدّي، أو أراد شكر الله على نعمه.

ولما ذكر الله في هذه السورة الكفار المعرضين عن الإيمان بالله

وطاعته، ذكر صفات عباده الصالحين المقبلين على طاعته فقال:

﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن المؤمنون الذين يمشون على الأرض بوقار متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهل لم يابلوهم بالمثل، بل يقولون لهم معروفاً لا يجهلون فيه عليهم.

﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً على جباههم، وقِيَامًا على أقدامهم يصلُّون لله.

﴿٦٥﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أبعد عنا عذاب جهنم، إن عذاب جهنم كان دائماً ملازماً لمن مات كافراً.

﴿٦٦﴾ إنها ساءت مكان استقرار لمن استقرّ فيها، وساءت مقاماً لمن يقيم فيها.

﴿٦٧﴾ والذين إذا بذلوا أموالهم لم يصلُّوا في بذلهم لها إلى حد التبذير، ولم يضيّقوا في بذلها على من تجب عليهم نفقته من أنفسهم أو غيرها، وكان إنفاقهم بين التبذير والتقتير عدلاً وسطاً.

• من قَوَامٍ الْإِيَّاتِ •

• الداعي إلى الله لا يطلب الجزاء من الناس. • ثبوت صفة الاستواء لله بما يليق به ﷻ. • أن الرحمن اسم من أسماء الله لا يشاركه فيه أحد قط، دال على صفة من صفاته وهي الرحمة. • إعانة العبد بتعاقب الليل والنهار على تدارك ما فاتّه من الطاعة في أحدهما. • من صفات عباد الرحمن التواضع والحلم، وطاعة الله عند غفلة الناس، والخوف من الله، والتزام التوسط في الإنفاق وفي غيره من الأمور.

٦٨) والذين لا يدعون مع الله سبحانه معبوداً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما أذن الله به من قتل القاتل أو المرتد أو الزاني المحسن، ولا يزنون، ومن يفعل هذه الكبائر يَلْقَ يوم القيامة عقوبة ما ارتكبه من الإثم.

٦٩) يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد في العذاب ذليلاً حقيراً.

٧٠) لكن من تاب إلى الله وآمن، وعمل عملاً صالحاً بدل على صدق توبته، فأولئك يبدل الله ما عملوه من السيئات حسنات، وكان الله غفوراً رحيمًا لذنوب من تاب من عباده، رحيمًا بهم.

٧١) ومن تاب إلى الله، وبَرَّهَنَ على صدق توبته بفعل الطاعات وترك المعاصي فإن توبته توبة مقبولة.

٧٢) والذين لا يحضرون الباطل؛ كمواطني المعاصي والملاهي المحرمة، وإذا مَرُّوا باللغو من ساقط الأقوال والأفعال مَرُّوا مروراً عابراً، مُكْرَمِينَ أنفسهم بتزويجها عن مخالطته.

٧٣) والذين إذا ذُكِّروا بآيات الله المسموعة والشهود لم يصموا أذنانهم عن الآيات المسموعة، ولم يعموا عن الآيات المشهودة.

٧٤) والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من أزواجنا، ومن أولادنا من يكون قرة عين لنا لتقواه واستقامته على الحق، وصَبَرْنَا للمُتَّقِينَ أئمة في الحق يُقْتَدَى بنا.

٧٥) أولئك المتصفون بتلك الصفات يجزون الغرفات العالية في الفردوس الأعلى من الجنة بسبب صبرهم على طاعة الله، وَيُلْقَوْنَ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ قُلْ مَا يَعْبُؤُنِي كُفْرُكُمْ وَلَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

آيَاتُهَا ٢٢٧

رَتَبَاتُهَا ٢٦

٣٦٦

بالتحية والسلام، وَيَسَلِّمُونَ فِيهَا مِنَ الْأَفَاتِ.

٧٦) ما كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا، حَسُنَتْ مَكَانَ اسْتِقْرَارِ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَمَكَانَ مَقَامِ يَقِيمُونَ فِيهِ.

٧٧) قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِلْكَافِرِ الْمُصْرِئِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ: مَا يَبَالِي بِكُمْ رَبِّي لِنُفْعِ يَعُودِ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِكُمْ، لَوْلَا أَنَّ لَهُ عِبَادًا يَدْعُونَهُ دُعَاءَ عِبَادَةِ وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ لَمَا بَالَى بِكُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ الرُّسُولَ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ، فَسَوْفَ يَكُونُ جَزَاءُ التَّكْذِيبِ مَلَازِمًا لَكُمْ.

٧٨) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● من صفات عباد الرحمن: البعد عن الشرك، وتَجَنُّبُ قَتْلِ الْأَنْفُسِ بغير حق، والبعد عن الزنى، والبعد عن الباطل، والاعتبار بآيات الله، والدعاء.

● التوبة النصوح تقتضي ترك المعصية وفعل الطاعة.

● الصبر سبب في دخول الفردوس الأعلى من الجنة.

● غنى الله عن إيمان الكفار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان آيات الله في تأييد المرسلين وإهلاك المكذبين.

● التفسير:

● ﴿طَرَفٌ﴾ تقديم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

● تلك آيات القرآن المبين للحق من الباطل.

● لعلك - أيها الرسول - لحرصك على هدايتهم قاتل نفسك حزناً وحرصاً على هدايتهم.

● إِنْ نَشَأْ إِنْزَالُ آيَةٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهِمْ، فتظل أعناقهم خاضعة لها ذليلة، لكننا لم نشأ ذلك ابتلاء لهم: هل يؤمنون بالغيب؟

● وما يجيء هؤلاء المشركين من تذكير مُحَدَّثْ إِنْزَالِهِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِحُجَّةِ الدَّالَةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَصَدَقَ نَبِيهِ إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْ سَمَاعِهِ وَالتَّصَدِيقَ بِهِ.

● فقد كذبوا بما جاءهم به رسولهم، فسيأتيهم تحقيق أنباء ما كانوا به يسخرون، ويحل عليهم العذاب.

● أبقني هؤلاء مُصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ حَسَنَ الْمَنْظَرِ كَثِيرَ الْمَنَافِعِ؟

● إن في إنبات الأرض بأنواع مختلفة من النبات لدلالة واضحة على قدرة من أنبتها على إحياء الموتى، وما كان معظمهم مؤمنين.

● وإن ربك - أيها الرسول - لهُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الرَّحِيمُ بعباده.

● واذكر - أيها الرسول - حين نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

● وهم قوم فرعون، فبأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامتثال أوامره واجتباب نواهيهِ.

● قال موسى ﷺ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك.

● ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، وينحس لسانِي عَنِ الْكَلَامِ، فأرسل جبريل ﷺ إلى أخي هارون ليكون معيئاً لي.

● ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

● قال الله لموسى ﷺ: كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكما، فإننا معكما بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.

● فأتيا فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.

● أن ابعت معنا بني إسرائيل.

● قال فرعون لموسى ﷺ: ألم نربك لدينا صغيراً، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟

● وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ● إثبات صفة العزة والرحمة لله. ● أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية. ● دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ● احتج فرعون على رسالة موسى بوقوع القتل منه ﷺ فأقر موسى بالفعل، مما يشعر بأنها ليست حجة لفرعون بالكذب.

طَسَمَ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَذْهَبَا يَتَيَّنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ١٥ فَأَتِيََا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩

﴿٣٦٧﴾

● واذكر - أيها الرسول - حين نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

● وهم قوم فرعون، فبأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامتثال أوامره واجتباب نواهيهِ.

● قال موسى ﷺ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك.

● ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، وينحس لسانِي عَنِ الْكَلَامِ، فأرسل جبريل ﷺ إلى أخي هارون ليكون معيئاً لي.

● ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

● قال الله لموسى ﷺ: كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكما، فإننا معكما بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.

● فأتيا فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.

● أن ابعت معنا بني إسرائيل.

● قال فرعون لموسى ﷺ: ألم نربك لدينا صغيراً، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟

● وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ● إثبات صفة العزة والرحمة لله. ● أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية. ● دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ● احتج فرعون على رسالة موسى بوقوع القتل منه ﷺ فأقر موسى بالفعل، مما يشعر بأنها ليست حجة لفرعون بالكذب.

٢٠ قال موسى ﷺ لفرعون معترفاً: قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني الوحي.

٢١ فهربت منكم بعد قتله إلى قرية مَدْيَنَ لما خفت من قتلكم إياي به، فأعطاني ربي علماً، وصيرني من رسله الذين يرسلهم إلى الناس.

٢٢ وتربيتك إياي من غير أن تستعبدني مع استعبادك بني إسرائيل نعمة تمنّ بها علي بحق، لكن ذلك لا يمنعني من دعوتك.

٢٣ قال فرعون لموسى ﷺ: وما رب المخلوقات الذي زعمت أنك رسوله؟

٢٤ قال موسى مجيباً فرعون: رب المخلوقات هو رب السماوات ورب الأرض، ورب ما بينهما إن كنتم موقنين أنه ربهم فاعبدوه وحده.

٢٥ قال فرعون لمن حوله من سادة قومه: ألا تستمعون إلى جواب موسى، وما فيه من زعم كاذب؟

٢٦ قال لهم موسى: الله ربكم ورب آبائكم السابقين.

٢٧ قال فرعون: إن الذي يزعم أنه رسول إليكم لمجنون لا يعي كيف يجب، ويقول ما لا يعقل.

٢٨ قال موسى: الله الذي أدعوكم إليه هو رب المشرق، ورب المغرب، ورب ما بينهما إن كانت لكم عقول تعقلون بها.

٢٩ قال فرعون لموسى بعد عجزه عن مُجَاجَته: لئن عيّدت معيوداً غيري لأصيرنك من المسجونين.

٣٠ قال موسى ﷺ لفرعون: أتصيرني من المسجونين حتى لو جئت بك بما بين صدقي فيما جئت بك به من عند الله؟

٣١ قال: فأنت بما ذكرت أنه يدل

قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ٢٠ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٢٩ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بُشَىٰ مُمِينٍ ٣٠ قَالَ فَأَتَيْتُ بِهِ إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ٣٣ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ ٣٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٥ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٣٦ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ٣٧ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ٣٩

على صدقك إن كنت من الصادقين فيما تدّعيه.

٢٠ فرمى موسى عصاه فجاء ثعباناً واضحاً للعيان.

٢١ وأدخل يده في جيبه غير بيضاء، فأخرجها بيضاء نورا نياً لا يبيض بَرَص، يشاهده الناظرون كذلك.

٢٢ قال فرعون لسادة قومه من حوله: إن هذا الرجل لساحر عليم بالسحر.

٢٣ يريد بسحره أن يخرجكم من أرضكم، فما رأيكم فيما نتخذ فيه؟

٢٤ قالوا له: أخّره وأخّر أخاه، ولا تبادر بعقوبتهما، وأرسل في مدائن مصر من يجمعون السحرة.

٢٥ يأتوك بكل سحّار عليم بالسحر.

٢٦ فجمع فرعون سحرته لمباراة موسى في مكان وزمان محددين.

٢٧ وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتروا الغالب أهو موسى أم السحرة؟

٢٨ من قَوَائِدِ الْكَلَامِ:

- أخطاء الداعية السابقة والنعم التي عليه لا تعني عدم دعوته لمن أخطأ بحقه أو أنعم عليه. ● اتخاذ الأسباب للحماية من العدو لا ينال في الإيمان والتوكل على الله. ● دلالة مخلوقات الله على ربوبيته ووحدانيته. ● ضعف الحجة سبب من أسباب ممارسة العنف. ● إشارة العامة ضد أهل الدين أسلوب الطغاة.

٤٠ رجاء أن نتبع السحرة في دينهم
إن كانت الغلبة لهم على موسى.
٤١ فلما جاء السحرة إلى فرعون
ليغالبوا موسى قالوا له: هل لنا جزاء
مادي أو معنوي إن كانت الغلبة لنا على
موسى؟

٤٢ قال لهم فرعون: نعم لكم
جزاء، وإتكم في حال فوزكم عليه من
المقربين عندي بإعطائكم المناصب
الرفيعة.

٤٣ قال لهم موسى واثقاً بنصر الله
ومبيئاً أن ما عنده ليس سحراً: ألقوا ما
أنتم مُلقوه من حبالكم وعصيكم.

٤٤ فألقوا حبالهم وعصيهم،
وقالوا عند إلقائها: بعلمة فرعون إنا
لنحن الغالبون، وموسى هو المغلوب.
٤٥ فألقى موسى عصاه فانقلبت
حية، فإذا هي تبتلع ما يُؤْهون به على
الناس من السحر.

٤٦ فلما أبصر السحرة عصا موسى
تبتلع ما ألقوه من سحرهم سقطوا
ساجدين.

٤٧ قالوا: آمنا برب المخلوقات
كلها.

٤٨ رب موسى ورب هارون.

٤٩ قال فرعون منكراً على السحرة
إيمانهم: أنتم بموسى قبل أن أذن
لكم بذلك؟ إن موسى لهو كبيركم
الذي علمكم السحر، وقد تأمرتم
جميعاً على إخراج أهل مصر منها،
فلسوف تعلمون ما أوقعه بكم من
عقاب، فلا قطعن رجل كل واحد ويده
مخالفاً بينهما بقطع الرجل اليمنى
مع اليد اليسرى أو العكس، ولا صلبنكم
أجمعين على جذوع النخل، لا أستقي
منكم أحداً.

٥٠ قال السحرة لفرعون: لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا، فعذابك يزول، ونحن إلى ربنا منقلبون، وسيدخلنا
في رحمته الدائمة.

٥١ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبتها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصديق به.

٥٢ وأوحينا إلى موسى آمرين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم.

٥٣ فبعث فرعون بعض جنوده في الدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر.

٥٤ قال فرعون مقللاً من شأن بني إسرائيل: إن هؤلاء لطائفة قليلة.

٥٥ وإنهم لنفاعلون ما يغيظنا عليهم.

٥٦ وإنا لمستعدون لهم متيقظون.

٥٧ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحداث الغناء، والعيون الجارية بالماء.

٥٨ وذات خزائن المال، والمساكن الحسنة.

٥٩ وكما أخرجنا فرعون وقومه من هذه النعم صيرنا جنس هذه النعم من بعدهم لبني
إسرائيل في بلاد الشام.

٦٠ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّا كُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
٤٣ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ٤٤ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
٤٥ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ٤٦ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٧
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ٤٨ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ وَقَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَ تَكُمُ أَجْمَعِينَ ٤٩ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا
إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَنَا أَنْ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٥١ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
مُتَّبِعُونَ ٥٢ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٨
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٥٩ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ٦٠

٥٠ قال السحرة لفرعون: لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا، فعذابك يزول، ونحن إلى ربنا منقلبون، وسيدخلنا
في رحمته الدائمة.

٥١ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبتها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصديق به.

٥٢ وأوحينا إلى موسى آمرين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم.

٥٣ فبعث فرعون بعض جنوده في الدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر.

٥٤ قال فرعون مقللاً من شأن بني إسرائيل: إن هؤلاء لطائفة قليلة.

٥٥ وإنهم لنفاعلون ما يغيظنا عليهم.

٥٦ وإنا لمستعدون لهم متيقظون.

٥٧ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحداث الغناء، والعيون الجارية بالماء.

٥٨ وذات خزائن المال، والمساكن الحسنة.

٥٩ وكما أخرجنا فرعون وقومه من هذه النعم صيرنا جنس هذه النعم من بعدهم لبني
إسرائيل في بلاد الشام.

٦٠ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• العلاقة بين أهل الباطل هي المصالح المادية. • ثقة موسى بالنصر على السحرة تصديقاً لوعده ربه. • إيمان السحرة برهان
على أن الله هو مُصَرِّفُ القلوب يصرفها كيف يشاء. • الطغيان والظلم من أسباب زوال الملك.

﴿٦١﴾ فلما تقابل فرعون وقومه مع موسى وقومه بحيث صار يرى كل فريق الفريق الآخر، قال أصحاب موسى: إن فرعون وقومه سيلحقوننا، ولا قبل لنا بهم.

﴿٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما تصورتم، فإن معي ربي بالتأييد والنصر، سيرشدني ويدلني إلى طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ فأوحينا إلى موسى أمرين إياه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه بها، فانشق البحر وتحول إلى اثني عشر مسلكاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة منشقة من البحر مثل الجبل العظيم في العظم والثبات بحيث لا يسيل منها ماء.

﴿٦٤﴾ وقرينا فرعون وقومه حتى دخلوا البحر ظانين أن الطريق سالك. ﴿٦٥﴾ وأنقذنا موسى ومن معه من بني إسرائيل، فلم يهلك منهم أحد. ﴿٦٦﴾ ثم أهلكنا فرعون وقومه بالغرق في البحر.

﴿٦٧﴾ إن في انفلاق البحر لموسى ونجاته وهلاك فرعون وقومه آية دالة على صدق موسى، وما كان أكثر من مع فرعون بمؤمنين.

﴿٦٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿٦٩﴾ وأتل عليهم - أيها الرسول - قصة إبراهيم.

﴿٧٠﴾ حين قال لأبيه أزر وقومه: ما الذي تعبدونه من دون الله؟

﴿٧١﴾ قال له قومه: نعبد أصناماً فنظل مقيمين على عبادتها ملازمين لها.

فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَرْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٦﴾ قال لهم إبراهيم: هل تسمع الأصنام دعاءكم حين تدعونهم؟
﴿٧٧﴾ أو ينفعونكم إن أطعتموهم، أو يضرّونكم إن عصيتموهم؟
﴿٧٨﴾ قالوا: لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا إن أطعناهم، ولا يضرّوننا إن عصيناهم، بل الحاصل أننا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، فنحن نقلدهم.

﴿٧٩﴾ قال إبراهيم: أنا ملتم فرأيتم ما كنتم تعبدون من الأصنام من دون الله.
﴿٨٠﴾ وما كان يعبد آباؤكم الأولون.
﴿٨١﴾ فإنهم كلهم أعداء لي؛ لأنهم باطل إلا الله رب المخلوقات كلها.
﴿٨٢﴾ الذي خلقني، فهو يرشدني إلى خيري الدنيا والآخرة.

﴿٨٣﴾ والذي هو وحده يطعمني إذا جعت، ويسقيني إذا عطشت. ﴿٨٤﴾ وإذا مرضت فهو وحيده الذي يشفي من المرض لا شافي لي غيره. ﴿٨٥﴾ والذي هو وحده يتوفاني إذا انتضى أجلي، ويحييني بعد موتي. ﴿٨٦﴾ والذي أرجوه وحده أن يغفر لي خطيئتي يوم الجزاء.
﴿٨٧﴾ قال إبراهيم داعياً ربه: رب أعطني فقهاً في الدين، والحقني بالصالحين من الأنبياء قبلي بأن تدخلني الجنة معهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• الله مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والإنجاء من الشدائد. • ثبوت صفتي العزة والرحمة لله تعالى. • خطر التقليد الأعمى. • أمل المؤمن في ربه عظيم.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئَةٍ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُجِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُوكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

٣٧١

﴿٨٤﴾ وإجعل لي ذكراً جميلاً وثناً حسناً فيمن يجيء من القرون بعدي. ﴿٨٥﴾ واجعلني ممن يرث منازل الجنة التي يتنعم فيها عبادك المؤمنون، وأسكنني فيها. ﴿٨٦﴾ واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين عن الحق بسبب الشرك، دعا إبراهيم لأبيه قبل أن يتبين له أنه من أصحاب الجحيم، فلما تبين له ذلك تبرأ منه ولم يدع له. ﴿٨٧﴾ ولا تقضحني بالعذاب يوم يبعث الناس للحساب. ﴿٨٨﴾ يوم لا ينفع فيه مال قد جمعه الإنسان في دنياه، ولا بنون كان ينتصر بهم. ﴿٨٩﴾ إلا من جاء الله بقلب سليم؛ لا شرك فيه ولا نفاق ولا رياء ولا عجب، فإنه ينتفع بهالة الذي أنفقه في سبيل الله، وبأبنائه الذين يدعون له. ﴿٩٠﴾ وقربت الجنة للمتقين لربهم بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه. ﴿٩١﴾ وأظهرت النار في المحشر للضالين الذين ضلوا عن دين الحق. ﴿٩٢﴾ وقيل لهم تقريراً لهم: آين ما كنتم تعبدونه من الأصنام؟ ﴿٩٣﴾ تعبدونهم من دون الله؟ هل ينصرونكم بمنعكم من عذاب الله، أو ينتصرون هم لأنفسهم؟ ﴿٩٤﴾ فرمى بعضهم في الجحيم فوق بعضهم ومن أضلوههم. ﴿٩٥﴾ وأعوان إبليس من الشياطين كلهم، لا يستثنى منهم أحد. ﴿٩٦﴾ قال المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله، ويتخذونهم شركاء من دونه، وهم يتخاصمون مع من كانوا يعبدونهم من دونه:

﴿٩٧﴾ تالله لقد كنا في ضلال واضح عن الحق. ﴿٩٨﴾ إذ جعلكم مثل رب المخلوقات كلها، فتعبدكم كما نعبد. ﴿٩٩﴾ وما أضلنا عن طريق الحق إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادتهم من دون الله. ﴿١٠٠﴾ فليس لنا شافعون يشفعون لنا عند الله لينجينا من عذابه. ﴿١٠١﴾ وليس لنا صديق خالص المودة يدافع عنا ويشفع لنا. ﴿١٠٢﴾ فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا فنكون من المؤمنين بالله. ﴿١٠٣﴾ إن في ذلك المذكور من قصة إبراهيم، ومصير المكذبين لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين. ﴿١٠٤﴾ وإِنَّ رَبَّكَ - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم. ﴿١٠٥﴾ كذبت قوم نوح المرسلين حين كذبوا نوحاً. ﴿١٠٦﴾ إذ قال لهم أخوهم في النسب نوح: أَلَا تَتَّقُونَ الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟ ﴿١٠٧﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، آمين لا أزيد على ما أوحاه الله إلي ولا أنقص. ﴿١٠٨﴾ فاتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه. ﴿١٠٩﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات لا على غيره. ﴿١١٠﴾ فاتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه. ﴿١١١﴾ قال له قومه: أنؤمن بك - يا نوح - ونتبع ما جئت به ونعمل والحال أن أتباعك إنما هم السفلة من الناس، فلا يوجد فيهم السادة والأشراف؟

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• أهمية سلامة القلب من الأمراض كالحسد والرياء والعجب. • تعليق المسؤولية عن الضلال على المضلين لا تتفع الضالين. • التكذيب برسول الله تكذيب بجميع الرسل. • تحسن التخلص في قصة إبراهيم من الاستطراد في ذكر القيامة ثم الرجوع إلى خاتمة القصة.

﴿١١٢﴾ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ ۖ وَمَا عَلِمِي بِمَا
 كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ يَعْمَلُونَ؟ فَلَسْتُ
 وَكَيْلًا عَلَيْهِمْ أَحْصِي أَعْمَالَهُمْ.
 ﴿١١٣﴾ مَا حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ الَّذِي
 يَعْلَمُ سِرَاتِهِمْ وَعِلَانِيَاتِهِمْ وَلَيْسَ إِلَيَّ
 لَوْ تَشْعُرُونَ لَمَّا قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ.
 ﴿١١٤﴾ وَلَسْتُ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ
 مَجْلِسِي اسْتِجَابَةٍ لَطَلِبِكُمْ كَيْ تُؤْمِنُوا.
 ﴿١١٥﴾ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَاضِحُ النَّذَارَةِ
 أَحْذَرِكُمْ عَذَابَ اللَّهِ.
 ﴿١١٦﴾ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَنْ لَمْ تَكُفَّ عَمَّا
 تَدْعُونَا إِلَيْهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْتَهْزَأِينَ
 وَالْمُقْتُولِينَ بِالرَّمْيِ بِالْحِجَارَةِ.
 ﴿١١٧﴾ قَالَ نُوحٌ دَاعِيًا رَبِّهِ: رَبِّ إِنِّي قَوْمِي
 كَذَّبُونِي، وَلَمْ يَصْدُقُونِي فِيمَا جِئْتُ بِهِ
 مِنْ عِنْدِكَ.
 ﴿١١٨﴾ فَاحْكُم بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حُكْمًا
 يَهْلِكُ مِنْهُ لِئْرَانُهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ،
 وَأَنْقُذْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا
 تَهْلِكُ بِهِ الْكَافِرُ مِنْ قَوْمِي.
 ﴿١١٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، وَأَنْجَيْنَاهُ
 وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْسَفِينَةِ
 الْمَمْلُوءَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ.
 ﴿١٢٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَهُمُ الْبَاقِينَ،
 وَهُمْ قَوْمٌ نَوحٌ.
 ﴿١٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمَذْكَورًا مِنْ قِصَّةِ
 نُوحٍ وَقَوْمِهِ، وَنَجَاةِ نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ، وَهَلَاكِ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ
 لَعِبْرَةً لِّلْمُتَعَبِّرِينَ، وَمَا كَانَ مِنْهُمْ
 مُؤْمِنِينَ.
 ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -
 هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ،
 الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ.
 ﴿١٢٣﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ حِينَ
 كَذَبُوا رَسُولَهُمْ هُودًا ۖ
 ﴿١٢٤﴾ أَذْكَرَ حِينَ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالَ لَوْلَا لَيْتَنِي لَمْ تَنْتَه يَسْنُوحٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾

النسب هود: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بِتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ خَوْفًا مِنْهُ؟

﴿١٢٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ، آمِينَ لَا أَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ وَلَا أَنْقُصُهُ.

﴿١٢٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ: بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

﴿١٢٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ مِنْكُمْ ثَوَابًا عَلَى مَا أَبْلَغْتُكُمْ مِنْ رَبِّي، لَيْسَ ثَوَابِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا عَلَى غَيْرِهِ.

﴿١٢٥﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَشْرُوفٍ مَرْتَعٍ بَنِيَانًا غُلًّا عَبَثًا دُونَ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَيْكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ أَوْ آخِرَتِكُمْ؟

﴿١٢٦﴾ وَتَتَّخِذُونَ حِصُونًا وَقُصُورًا كَأَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا تَشْتَغِلُونَ عَنْهَا؟

﴿١٢٧﴾ وَإِذَا سَطَوْتُمْ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ سَطَوْتُمْ جَبَارِينَ مِنْ غَيْرِ رَأْفَةٍ وَلَا رَحْمَةٍ.

﴿١٢٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَفِيمَا أَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

﴿١٢٩﴾ وَخَافُوا مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ مَا تَعْلَمُونَ. ﴿١٣٠﴾ أَعْطَاكُمْ أَنْعَامًا، وَأَعْطَاكُمْ أَوْلَادًا. ﴿١٣١﴾ أَعْطَاكُمْ بَسَاتِينَ

وَعُيُونًا جَارِيَةً. ﴿١٣٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ - يَا قَوْمِي - عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ﴿١٣٣﴾ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: يَسْتَوِي عِنْدَنَا تَذَكِيرُكَ لَنَا

وَعَدَمُ تَذَكِيرِكَ، فَلَنْ نُؤْمِنَ بِكَ، وَلَنْ نَرْجِعَ عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ.

﴿١٣٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أَفْضَلِيَّةُ أَهْلِ السَّبْقِ لِلْإِيمَانِ حَتَّى لَوْ كَانُوا أَفْقَرَاءَ أَوْ ضَعْفَاءَ. • إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ سُنَّةُ إِلَهِيَّةِ. • خَطَرُ الرُّكُوبِ

إِلَى الدُّنْيَا. • تَعَنُّتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، وَإِصْرَارُهُمْ عَلَيْهِ.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ نَاءُ آمِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتَافِرُ هَيْدٍ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿١٣٧﴾ ليس هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم.

﴿١٣٨﴾ ولسنا بمُعَذِّبِينَ.

﴿١٣٩﴾ فاستمروا على تكذيب نبيهم هود عليه السلام، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بالريح العقيم، إن في ذلك الإهلاك عبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٤٠﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

﴿١٤١﴾ كذبت ثمود الرسل بتكذيبهم نبيهم صالحاً عليه السلام.

﴿١٤٢﴾ إذ قال لهم أخوهم في النسب صالح: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟

﴿١٤٣﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين فيما أبلغه عنه لا أزيد عليه ولا أنقص منه.

﴿١٤٤﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، ونهيتهكم عنه.

﴿١٤٥﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٤٦﴾ أطمعون أن تُتركوا فيما أنتم فيه من الخيرات والنعم آمين لا تخافون؟

﴿١٤٧﴾ في بساتين وعيون جارية.

﴿١٤٨﴾ وزروع ونخل ثمرها لين نصيب.

﴿١٤٩﴾ وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتاً تسكنونها وأنتم ما هرون بنحتها.

﴿١٥٠﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

﴿١٥١﴾ ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصي.

﴿١٥٢﴾ الذين يفسدون في الأرض بما ينشرونه من المعاصي، ولا يصلحون أنفسهم بالترام طاعة الله.

﴿١٥٣﴾ قال له قومه: إنما أنت ممن سُجِّروا مراراً حتى غلب السجر على عقولهم فأذهبها.

﴿١٥٤﴾ لست إلا بشراً مثلاً فلما مزية لك علينا حتى تكون رسولاً، فأت بعلمة تدل على أنك رسول إن كنت صادقاً فيما تدعيه من أنك رسول.

﴿١٥٥﴾ قال لهم صالح - وقد أعطاه الله علامة، وهي ناقة أخرجها الله من الصخرة -: هذه ناقة تُرى وتلمس، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب معلوم، لا تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تشربون أنتم في اليوم الذي هو نصيبها.

﴿١٥٦﴾ ولا تمسوها بما يسوؤها من عُقَرٍ أو ضرب، فَيَنَّاكُمْ بسبب ذلك عذاب من الله يهلككم به في يوم عظيم لما فيه من البلاء النازل عليكم.

﴿١٥٧﴾ فاتقوا على عُقَرِها، فَعَقَرُها أشقاهم، فأصبحوا نادمين على ما أقدموا عليه لما علموا أن العذاب نازل بهم لا محالة، لكن الندم عند معاناة العذاب لا ينفع.

﴿١٥٨﴾ فأخذهم العذاب الذي أوعدوا به وهو الزلزلة والصيحة، إن في ذلك المذكور من قصة صالح وقومه عبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٥٩﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• توالي النعم مع الكفر استدراج للهلاك. • التذكير بالنعم يُرتجى منه الإيمان والعودة إلى الله من العبد. • المعاصي هي سبب الفساد في الأرض.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ وَلِتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ وَلَفِي زُبرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿٣٧٥﴾

﴿١٨٤﴾ واتقوا الذي خلقكم، وخلق الأمم السابقة بالخوف منه أن ينزل بكم عقابه.

﴿١٨٥﴾ قال قوم شعيب لشعيب: إنما أنت من الذين أصابهم السحر مراراً حتى غلب السحر على عقلك، فقتّبه. ولسيت إلا بشراً مثلنا فلا مزية لك علينا، فكيف تكون رسولاً؟ ولا نظنك إلا كاذباً فيما تدّعيه من أنك رسول.

﴿١٨٦﴾ فأسقط علينا قطعاً من السماء إن كنت صادقاً فيما تدّعيه.

﴿١٨٧﴾ قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿١٨٨﴾ فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم عذاب عظيم حيث أظلمتهم سحابة بعد يوم شديد الحر، فأمطرت عليهم نازراً فأحرقتهم، إن يوم إهلاكهم كان يوماً عظيم الهول.

﴿١٨٩﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك قوم شعيب لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٩٠﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عياده.

﴿١٩١﴾ وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ منزل من رب المخلوقات.

﴿١٩٢﴾ نزل به جبريل الأمين ﷺ. ﴿١٩٣﴾ نزل به على قلبك - أيها الرسول - لتكون من الرسل الذين ينذرون الناس، ويخوفونهم من عذاب الله.

﴿١٩٤﴾ نزل به بلسان عربي واضح.

﴿١٩٥﴾ وإن هذا القرآن لمذكور في كتب الأولين، فقد بشرت به الكتب السماوية السابقة.

﴿١٩٦﴾ أولم يكن لهؤلاء المكذبين بك علامة على صدقك أن يعلم حقيقة ما نزل عليك علماء بني إسرائيل، مثل عبد الله بن سلام. ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يتكلمون باللسان العربي.

﴿١٩٧﴾ فقرأ عليهم ما صاروا به مؤمنين؛ لأنهم سيقولون: لا نفهمه، فليحمدوا الله أن نزل بلغتهم. كذلك أدخلنا التكذيب والكفر في قلوب المجرمين.

﴿١٩٨﴾ لا يتغيرون عما هم عليه من الكفر ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الموعود.

﴿١٩٩﴾ فيأتيهم هذا العذاب فجأة، وهم لا يعلمون بجيئته حتى يباغتهم.

﴿٢٠٠﴾ فيقولوا حين ينزل بهم العذاب بغتة من شدة الحسرة: هل نحن مُمهلون فتتوب إلى الله؟

﴿٢٠١﴾ أفيعذابنا يستعجل هؤلاء الكفار قائلين: لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً؟

﴿٢٠٢﴾ فأخبرني - أيها الرسول - إن متعنا هؤلاء الكافرين المعرضين عن الإيمان بما جئت به، بالنعيم زمناً ممتداً.

﴿٢٠٣﴾ ثم جاءهم بعد ذلك الزمن الذي نالوا فيه تلك النعم ما كانوا يوعدون به من العذاب.

﴿٢٠٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• كلما تعمّق المسلم في اللغة العربية، كان أقدر على فهم القرآن. • الاحتجاج على المشركين بما عند الْمُتَصِفِينَ من أهل الكتاب من الإقرار بأن القرآن من عند الله. • ما يناله الكفار من نعم الدنيا استدراج لا كرامة.

﴿٢٣٦﴾ ماذا ينفعهم ما كانوا عليه من نعم في الدنيا؟ فقد انقطعت تلك النعم، ولم تجد شيئاً.

﴿٢٣٧﴾ وما أهلكنا من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٢٣٨﴾ عظة وتذكيراً لهم، وما كنا ظالمين بتعذيبهم بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٢٣٩﴾ وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على قلب الرسول ﷺ.

﴿٢٤٠﴾ وما يصح أن يتزلوا به على قلبه، وما يستطيعون ذلك.

﴿٢٤١﴾ ما يستطيعونه لأنهم معزولون عن مكانه من السماء، فكيف يصلون إليه، ويتزلون به؟

﴿٢٤٢﴾ فلا تعبد مع الله معبوداً آخر تشركه معه، فتكون بسبب ذلك من المعذبين.

﴿٢٤٣﴾ وأنذر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك حتى لا يصيبهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

﴿٢٤٤﴾ وألن جانبك فعلاً وقولاً لمن اتبعك من المؤمنين رحمة بهم ورفقاً.

﴿٢٤٥﴾ فإن عصوك، ولم يستجيبوا لما أمرتهم به من توحيد الله وطاعته، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٢٤٦﴾ واعتمد في أمورك كلها على العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن أناب منهم إليه.

﴿٢٤٧﴾ الذي يراك سبحانه حين تقوم إلى الصلاة.

﴿٢٤٨﴾ ويرى سبحانه قلبك من حال إلى حال في المصلين، لا يخفى عليه شيء مما تقوم به، ولا مما تقوم به

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٣٦﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٣٧﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَمَا نُنَزِّلُ بِهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴿٢٣٩﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٤٠﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢٤١﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٤٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٤٣﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنْ بَرِئْتُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٤٦﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٤٧﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢٤٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤٩﴾ هَلْ أَنْتُمْ عَلَى نَزْلِ الشَّيْطَانِ ﴿٢٥٠﴾ تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ آفَاكٍ أَثِيرٍ ﴿٢٥١﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُ هُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٥٢﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٥٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٥٤﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أَوْ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٥٦﴾

سورة الشعراء

آياتها ٢٥٦

رقعتها ٢٧

غيرك.

﴿٢٣٦﴾ إنه هو السميع لما تلووه من قرآن وذكر في صلاتك، العليم بنيةك.

﴿٢٣٧﴾ ولما زعموا أن الشياطين تنزل بالقرآن، وأن محمداً ﷺ شاعر رد الله عليهم زعمهم فقال:

﴿٢٣٨﴾ هل أخبركم على من تنزل الشياطين الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن؟ ﴿٢٣٩﴾ تنزل الشياطين على كل كذاب كثير الإثم والمعصية من الكهان. ﴿٢٤٠﴾ يسترق الشياطين السمع من الملأ الأعلى، فيلقونه إلى أوليائهم من الكهان، وأكثر الكهان كاذبون، إن صدقوا في كلمة كذبوا معها مئة كذبة. ﴿٢٤١﴾ والشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم يتبعهم المنحرفون عن طريق الهدى والاستقامة، فيروون ما يقولونه من شعر. ﴿٢٤٢﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن من مظاهر غوايتهم أنهم تائهون في كل وادٍ يمشون في المدح تارة، وفي الذم تارة، وفي غيرهما تارات. ﴿٢٤٣﴾ وأنهم يكذبون، فيقولون: فعلنا كذا، ولم يفعلوه. ﴿٢٤٤﴾ إلا الذين آمنوا من الشعراء وعملوا الأعمال الصالحات، وذكروا الله ذكراً كثيراً، وانتصروا من أعداء الله بعدما ظلموهم مثل حسان بن ثابت ؓ، وسيعلم الذين ظلموا بالشرك بالله والاعتداء على عباده أي مرجع يرجعون إليه، فسيرجعون إلى موقف عظيم، وحساب دقيق.

• من قَوَائِدِ الْكَلَامِ،

• إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. • تنزيه القرآن عن قرب الشياطين منه. • أهمية اللين والرفق للدعاة إلى الله. • الشعير حسنة حسن، وبقبحه قبيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الامتنان على النبي ﷺ بنعمة القرآن وشكرها والصبر على تبليغه.

• التفسير:

﴿طس﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات المنزل عليك هي آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه، مَنْ تدبره عَلمَ أنه من عند الله.

﴿٢﴾ هذه الآيات هادية إلى الحق مرشدة إليه، ومبشرة للمؤمنين بالله ورسله.

﴿٣﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم بصرفها إلى مصارفها، وهم موقنون بما في الآخرة من ثواب وعقاب.

﴿٤﴾ إن الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، حسناً لهم أعمالهم السيئة، فاستمروا على فعلها، فهم متحيرون لا يهتدون إلى صواب ولا رشد.

﴿٥﴾ أولئك الموصوفون بما ذُكر هم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والأسر، وهم في الآخرة أكثر الناس خسراناً، حيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بتخليد هم في النار.

﴿٦﴾ وإنك - أيها الرسول - لتلقى هذا القرآن المنزل عليك من عند حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، عليم لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده.

﴿٧﴾ اذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لأهله: إني أبصرت ناراً،

الجزء ٢٨

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴿١﴾ هدى وبشرى للمؤمنين ﴿٢﴾ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴿٣﴾ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناً لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴿٤﴾ أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون ﴿٥﴾ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴿٦﴾ إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتذكرونها بخبر أو آتاكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴿٧﴾ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين ﴿٨﴾ يموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ﴿٩﴾ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يموسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون ﴿١٠﴾ إلا من ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء فإني عفور رحيم ﴿١١﴾ وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قاسقين ﴿١٢﴾ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴿١٣﴾

٣٧٧

سأتذكرونها بخبر من موقدها يرشدنا إلى الطريق، أو آتاكم بشعلة نار مأخوذة منها رجاء أن تستدفئوا بها من البرد. فلما وصل إلى مكان النار التي أبصرها ناداه الله: أن قدس من في النار، ومن حولها من الملائكة، وتعظيماً لرب العالمين وتزيهاً له عما لا يليق به من الصفات التي يصفه بها الضالون.

﴿٩﴾ قال له الله: يا موسى، إنه أنا الله العزيز الذي لا يغالبني أحد، الحكيم في خلقي وتقديري وشرعي. وألق عصاك، فامتثل موسى، فلما رآها موسى تضطرب وتتحرك كأنها حية ولى مدبراً عنها ولم يرجع، فقال له الله: لا تخف منها، فإني لا يخاف عندي المرسلون من حية ولا من سواها.

﴿١١﴾ لكن من ظلم نفسه بارتكاب ذنب، ثم تاب بعد ذلك فإني غفور له، رحيم به. وأدخل يدك في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بعد إدخالك لها بيضاء مثل الثلج من غير برص، ضمن تسع آيات تشهد بصدقك - هي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم - إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله بالكفر به.

﴿١٢﴾ فلما جاءتهم آياتنا هذه التي أيدنا بها موسى واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• القرآن هداية وبشرى للمؤمنين. • الكفر بالله سبب في اتباع الباطل من الأعمال والأقوال، والحيرة، والاضطراب. • تأمين الله لرسله وحفظه لهم سبحانه من كل سوء.

﴿١٤﴾ وكفروا بهذه الآيات البينات ولم يقروا بها، واستيقنت أنفسهم أنها من عند الله؛ بسبب ظلمهم واستكبارهم عن الحق، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت عاقبة المفسدين في الأرض بكفرهم ومعاصيهم، فقد أهلكناهم، ودمرناهم كلهم.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا داود وابنه سليمان علماً، ومنه علم كلام الطير، وقال داود وسليمان شاكرين الله ﷻ: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم والنبوة على كثير من عباده المؤمنين.

﴿١٦﴾ وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال متحدثاً بنعمة الله عليه وعلى أبيه: يا أيها الناس، علمنا الله فهم أصوات الطير، وأعطانا من كل شيء أعطاه الأنبياء والملوك، إن هذا الذي أعطانا الله سبحانه لهو الفضل الواضح البين.

﴿١٧﴾ وجمع لسليمان جنوده من البشر والجن والطير، فهم يساقون بنظام.

﴿١٨﴾ فلم يزالوا يساقون حتى إذا جاؤوا إلى وادي النمل (موضع بالشام) قالت نملة من النمل: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يهلككم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون بكم، إذ لو علموا بكم لما داسوكم.

﴿١٩﴾ فلما سمع سليمان كلامها تبسم ضاحكاً من قولها هذا، وقال داعياً ربه سبحانه: رب وفقني وألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، ووفقني أن أعمل عملاً صالحاً ترضيه، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ وَ أَوْ لِيَأْتِنِي إِسْلَاطٌ مِّنْ رَبِّي ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿٢٠﴾ وتفقّد سليمان الطير فلم ير الهدد، فقال: ما لي لا أرى الهدد؟ أمتنني من رؤيته مانع، أم كان من الغائبين؟ فقال لما تبين له غيابه: لأعذبه عذاباً شديداً، أو لأذبحه عقاباً له على غيابه، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين عذره في الغياب.

﴿٢١﴾ فمكث الهدد في غيابه زمناً غير بعيد، فلما جاء قال لسليمان ﷺ: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتك من أهل سبا بخبر صادق لا شك فيه.

﴿٢٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التبسم ضحك أهل الوقار.
- شكر النعم أدب الأنبياء والصالحين مع ربهم.
- الاعتذار عن أهل الصلاح بظهر الغيب.
- سياسة الرعية بإيقاع العقاب على من يستحقه، وقبول عذر أصحاب الأعداء.
- قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر.

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ إِلَى آلِي الْقِيَامِ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٣٧٩

﴿٢٣﴾ إني وجدت امرأة تملكهم وأعطيت هذه المرأة من كل شيء من أسباب القوة والملك، ولها سرير عظيم تدير من فوقه شؤون قومها. ﴿٢٤﴾ وجدت هذه المرأة، ووجدت قومها يسجدون للشمس من دون الله ﷻ، وحسن لهم الشيطان ما هم عليه من أعمال الشرك والمعاصي، فصرفهم عن طريق الحق، فهم لا يهتدون إليه. ﴿٢٥﴾ حسن لهم الشيطان أعمال الشرك والمعاصي؛ لئلا يسجدوا لله وحده الذي يخرج ما ستره في السماء من المطر، وفي الأرض من النباتات، ويعلم ما تخفونه من الأعمال وما تظهرونه، لا يخفى عليه من ذلك شيء. ﴿٢٦﴾ الله لا معبود بحق غيره، رب العرش العظيم. ﴿٢٧﴾ قال سليمان ﷺ للهدد: سننظر أصدقت فيما تدعيه، أم كنت من الكاذبين. ﴿٢٨﴾ فكتب سليمان كتابًا، وسلمه للهدد، وقال له: اذهب بكتابي هذا فارمه إلى أهل سبأ وسلمهم إياه، وتخ عنهم جانبًا بحيث تسمع ما يرددون بشأنه. ﴿٢٩﴾ واستلمت الملكة الكتاب، وقالت: يا أيها الأشراف إني ألقى إلي كتاب كريم جليل. ﴿٣٠﴾ مضمون هذا الكتاب المرسل من سليمان المفتتح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»: ﴿٣١﴾ ألا تتكبروا، وأتوني منقادين مستسلمين لما أدعوكم إليه من توحيد الله وترك ما أنتم عليه من الشرك به، حيث عبدتم الشمس معه. ﴿٣٢﴾ قالت الملكة: يا أيها الأشراف والسادة، بينوا لي وجه الصواب في أمري، ما كنت قاضية أمرًا حتى تحضروني، وتظهروا رأيكم فيه. ﴿٣٣﴾ قال لها الأشراف من قومها: نحن أصحاب قوة عظيمة، وأصحاب بأس قوي في الحرب، والرأي ما تريه فانظري ماذا تأمرينا به فنحن قادرون على تنفيذه. ﴿٣٤﴾ قالت الملكة: إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى أفسدها بما يقومون به من القتل والسلب والنهب، وصيروا سادتها وأشرافها أذلاء بعد ما كانوا فيه من العزة والمنعة، وكذلك يفعل الملوك دائمًا إذا تغلبوا على أهل قرية؛ ليزرعوا الهيبة والرعب في النفوس. ﴿٣٥﴾ وإني مرسلة إلى صاحب الكتاب وقومه هدية، وأنظر ماذا تأتي به الرسل بعد إرسال هذه الهدية. ﴿٣٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إنكار الهدد على قوم سبأ ما هم عليه من الشرك والكفر دليل على أن الإيمان فطري عند الخلائق.
- التحقيق مع المتهم والتثبت من حججه.
- مشروعية الكشف عن أخبار الأعداء.
- من آداب الرسائل افتتاحها بالبسملة.
- إظهار عزة المؤمن أمام أهل الباطل أمر مطلوب.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمِدُّوْنِي بِمَالِ فَمَاءِ اتْنِ ۖ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
 ٣٦ أَتَدْكُمُ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۚ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ۚ
 ٣٧ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
 ٣٨ قَالَ عَفْرِتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۚ ٣٩ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا
 ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۚ ٤٠ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا
 عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۚ ٤١ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
 وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۚ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن
 قَوْمٍ كَافِرِينَ ۚ ٤٣ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ وَصَّرَحٌ مُّمرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ ۚ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ٤٤

٣٨٠

٣٦ فلما جاء رسولها ومن معه من
 أعوانه يحملون الهدية إلى سليمان
 أنكر عليهم سليمان إرسال الهدية
 قائلاً: أتمدونني بالأموال لتثوني
 عنكم؟ فما أعطاني الله من النبوة
 والملك والمال خير مما أعطاكم، بل
 أنتم الذين تفرحون بما يُهدى إليكم
 من حطام الدنيا.

٣٧ قال سليمان ﷺ لرسولها:
 ارجع إليهم بما جئت من هدية،
 فلنأتيها وقومها بجنود لا طاقة لهم
 بمواجهتهم، ولنخرجهم من سبأ وهم
 أذلة مهانون بعد ما كانوا فيه من العزة
 إن لم يأتوني منقادين.

٣٨ قال سليمان ﷺ مخاطباً أعيان
 أهل ملكه: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني
 بسرير ملكها قبل أن يأتوني منقادين؟
 ٣٩ أجابه مارد من الجن قائلاً:
 أنا أتيك بسريرها قبل أن تقوم من
 مجلسك هذا الذي أنت فيه، وإني
 لقوي على حمله أمين على ما فيه، فلن
 أنقص منه شيئاً.

٤٠ قال رجل صالح عالم عند
 سليمان، عنده علم من الكتاب، ومن
 ضمنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي
 به أجاب: أنا أتيك بسريرها قبل أن
 ترمش عينك؛ بأن أدعو الله فيأتي
 به، فدعا فاستجاب الله له دعاءه،
 فلما رأى سليمان سريرها مستقراً
 عنده قال: هذا من فضل ربي سبحانه؛
 ليختبرني أشكر نعمه أم أكفرها؟
 ومن شكر الله فإنما نفع شكره عائد
 إليه، فالله غني لا يزيده شكر العباد،
 ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن
 ربي غني عن شكره كريم، ومن كرمه
 إفضاله على من يجدها.

٤١ قال سليمان ﷺ: غيروا لها
 سرير ملكها عن هيئته التي كان عليها ننظر: أتهدي إلى معرفة أنه سريرها، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة أشياءهم؟
 فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان قيل لها اختباراً لها: أهذا مثل عرشك؟ فأجابت طبق السؤال: كأنه هو، فقال سليمان: وأعطانا
 الله العلم من قبلها لقدرته على مثل هذه الأمور، وكنا منقادين لأمر الله مطيعين له.

٤٢ وصرّفتها عن توحيد الله ما كانت تعبد من دون الله اتباعاً لقومها، وتقليداً لهم، إنها كانت من قوم كافرين بالله، فكانت كافرة
 مثلهم.

٤٣ قيل لها: ادخلي الصرح وهو كهية السطح، فلما رأتة ظننته ماء فكشفت عن ساقها لتخوضه، قال سليمان ﷺ: إنه صرح مُنْأَس
 من زجاج، ودعاها إلى الإسلام، فأجابه إلى ما دعاها إليه قائلة: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك معك، واناقدت مع سليمان لله
 رب المخلوقات جميعها.

٤٤ من قواريير الإيات،

- عزة الإيمان تحصن المؤمن من التأثير بحطام الدنيا.
- الفرح بالماديات والركون إليها صفة من صفات الكفار.
- يقظة شعور المؤمن تجاه نعم الله.
- اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يناسبه.
- إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا اللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ يَبُوءُ لَهُمْ حَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ
فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَاْنُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَلَحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٣٨١

﴿٤٥﴾ ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحًا ﷺ أن اعبدوا الله وحده، فإذا هم بعد دعوته إياهم طائفتان: طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة يتنازعون أيهم على الحق.

﴿٤٦﴾ قال لهم صالح ﷺ: لِمَ تطلبون تعجيل العذاب قبل الرحمة؟ هلا تطلبون المغفرة من الله لذنوبكم رجاء أن يرحمكم.

﴿٤٧﴾ قال له قومه في تفتن عن الحق: تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين، قال لهم صالح ﷺ: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره، عند الله علمه لا يخفى عليه منه شيء، بل أنتم قوم تختبرون بما يبسط لكم من الخير وبما ينالكم من الشر.

﴿٤٨﴾ وكان في مدينة الحجر تسعة رجال يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا يصلحون فيها بالإيمان والعمل الصالح.

﴿٤٩﴾ قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منكم بالله لنأتينه في بيته ليلاً، فلنقتله وأهله، ثم لنقولن لولي دمه: ما حضرنا قتل صالح وأهله، وإنا لصادقون فيما قلنا.

﴿٥٠﴾ ودبروا مكيده خفية لإهلاك صالح وأتباعه من المؤمنين، ومكرنا مكرًا لنصره وإنجائه من مكرهم وإهلاك الكافرين من قومه، وهم لا يعلمون بذلك.

﴿٥١﴾ فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل تدبيرهم ومكرهم؟ أننا استأصلناهم بعذاب من عندنا فهلكوا عن آخرهم.

﴿٥٢﴾ فتلك بيوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم، إن فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لبرة لقوم يؤمنون، فهم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٥٣﴾ وأنقذنا الذين آمنوا بالله من قوم صالح ﷺ، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٥٤﴾ واذكر - أيها الرسول - لو طأ حين قال لقومه موبخًا إياهم ومنكرًا عليهم: أتأتون الفلحشة - وهي اللواط - في شهوة من دون النساء، لا تريدون إعفافًا ولا ولدًا، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

• من قواعد الآيات:

- الاستغفار من المعاصي سبب لرحمة الله.
- التشاؤم بالأشخاص والأشياء ليس من صفات المؤمنين.
- عاقبة التمالؤ على الشر والمكر بأهل الحق سيئة.
- إعلان المنكر أقبح من الاستتار به.
- الإنكار على أهل الفسوق والفجور واجب.

﴿٥٦﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا مِنْ الْغَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٦﴾ فما كان لقومه من جواب إلا قولهم: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتنزهون عن الأفذار والأنجاس، قالوا ذلك استهزاء بآل لوط الذين لا يشاركونهم فيما يرتكبونه من الفواحش، بل ينكرون عليهم ارتكابها.

﴿٥٧﴾ فسلمناه وسلمنا أهله، إلا امرأته حكمنا عليها أن تكون من الباقيين في العذاب لتكون من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فكان مطرًا سيئًا مهلكًا لمن خوفوا بالعذاب ولم يستجيبوا.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه، وأمان منه من عذابه الذي عذب به قوم لوط وصالح لأصحاب النبي ﷺ، الله المعبود بحق الذي بيده ملكوت كل شيء خير أم ما يعبد المشركون من معبودات لا تملك نفعا ولا ضررا؟

﴿٦٠﴾ أم من خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وأنزل لكم - أيها الناس - من السماء ماء المطر، فأنبطنا لكم به حدائق ذات حسن وجمال، ما كان لكم أن تنبتوا شجر تلك الحدائق لعجزكم عن ذلك، قاله هو الذي أنبتها، أمعبود فعل هذا مع الله؟ لا، بل هم قوم يحرفون عن الحق فيسبون الخالق بالمخلوقين ظلما.

﴿٦١﴾ أم من صير الأرض مستقرة ثابتة لا تضطرب بمن عليها، وصير داخلها أنهارا تجري، وصير لها جبالا ثوابت، وصير بين البحرين المالح والعذب فاصلا يمنع اختلاط المالح بالعذب حتى لا يفسده، فلا يصلح

للشرب، أمعبود فعل ذلك مع الله؟ لا، بل معظمهم لا يعلمون، ولو كانوا يعلمون لما أشركوا بالله أحدا من مخلوقاته. ﴿٦٢﴾ أم من يجيب من ضاق عليه أمره واشتد إذا دعاه، ويرفع ما يقع بالإنسان من مرض وفقر وغيرهما، ويصيركم خلفاء في الأرض يخلف بعضكم بعضا جيلا بعد جيل، أمعبود يفعل ذلك مع الله؟ لا، قليلا ما تتعطلون وتعتبرون.

﴿٦٣﴾ أم من يهديكم في ظلمات البر وظلمات البحر بما ينصبه لكم من معالم ونجوم، ومن يبعث الرياح مبشرات بقرب نزول المطر الذي يرحم به عباده، أمعبود يفعل ذلك مع الله؟ تنزه الله، وتقدس عما يشركون به من مخلوقاته.

﴿٦٤﴾ من قوايد الآيات:

- لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم حجج الحق.
- رابطة الزوجية دون الإيمان لا تنفع في الآخرة.
- ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التذكير بنعم الله.
- كل مضطر من مؤمن أو كافر فإن الله قد وعده بالإجابة إذا دعاه.

أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ
 لَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
 لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
 شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا
 كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا ابْنَاءَ الْمَخْرَجَاتِ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
 نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٣٨٣

﴿٦٤﴾ أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميت، ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبت فيها! أمعبود يفعل ذلك مع الله؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿٦٥﴾ قل - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الناس، لكن الله وحده هو الذي يعلمه، وما يعلم جميع من في السماوات ومن في الأرض متى يُبعثون للجزاء إلا الله.

﴿٦٦﴾ أم هل تتابع علمهم بالآخرة فأيقنوا بها؟ لا، بل هم في شك وخيرة من الآخرة، بل قد عميت بصائرهم عنها. ﴿٦٧﴾ وقال الذين كفروا مستنكرين: إذا متنا وكنا ترابًا أيمن أن تبعث أحياء؟

﴿٦٨﴾ لقد وعدنا نحن، ووعد آبائنا من قبل أننا نبعث جميعًا، فلم نر تحقيقًا لذلك الوعد، ما هذا الوعد الذي وعدناه جميعًا إلا أكاذيب الأولين التي دونوها في كتبهم.

﴿٦٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: سيروا في أي جهة من الأرض فتأملوا كيف كانت نهاية المجرمين المكذبين بالبعث، فقد أهلكناهم لتكذيبهم به.

﴿٧٠﴾ ولا تحزن بسبب إعراض المشركين عن دعوتك، ولا يضق صدرك من كيدهم فالله ناصرك عليهم.

﴿٧١﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث

من قومك: متى يتحقق ما تعدنا به أنت والمؤمنون من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من ذلك؟

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: عسى أن يكون اقترب لكم بعض ما تستعجلون به من العذاب.

﴿٧٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لذو فضل على الناس حيث يترك معاملتهم بالعقوبة مع ما هم عليه من الكفر والمعاصي، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله على ما ينعم به عليهم.

﴿٧٤﴾ وإن ربك ليعلم ما تضرع قلوب عباده وما يظهره، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٥﴾ وما من شيء غائب عن الناس في السماء، ولا غائب عنهم في الأرض إلا هو في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يقص على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه، ويكشف انحرافاتهم.

﴿٧٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- علم الغيب مما اختص به الله، فادعاه كفر.
- الاعتبار بالأمم السابقة من حيث مصيرها وأحوالها طريق النجاة.
- إحاطة علم الله بأعمال عباده.
- تصحيح القرآن لانحرافات بني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم.

﴿٧٧﴾ وإنه لهداية ورحمة للمؤمنين والعاملين بما جاء فيه.

﴿٧٨﴾ إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين الناس مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة بحكمه العدل، فيرحم المؤمن، ويعذب الكافر، وهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغالبه أحد، العليم الذي لا يلبس عليه محقق بمقتل.

﴿٧٩﴾ فتوكل على الله، واعتمد عليه في جميع أمورك، إنك على الحق الواضح. ﴿٨٠﴾ إنك - أيها الرسول - لا تسمع الموتى الذين ماتت قلوبهم بسبب الكفر بالله، ولا تسمع من أصم الله سمعه عن سماع الحق ما تدعوهم إليه إذا رجعوا معرضين عنك.

﴿٨١﴾ ولست بهادي من عمت بصائرهم عن الحق، فلا تحزن عليهم وتتعب نفسك، ما تقدر أن تفهم الحق إلا من يؤمن بآياتنا فهم متقادون لأوامر الله.

﴿٨٢﴾ وإذا وجب العذاب وثبت عليهم لإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وبقي شرار الناس، أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر من كل أمة من الأمم جماعة من كبارهم ممن يكذب بآياتنا، يرذ أولهم إلى آخرهم ثم يساقون إلى الحساب.

﴿٨٤﴾ ويستمر سوقهم، حتى إذا جاؤوا مكان حسابهم قال لهم الله توبيخاً لهم: أكذبتُم بآياتي الدالة

وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴿٧٧﴾ إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴿٧٨﴾ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴿٧٩﴾ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ﴿٨٠﴾ وما أنت بهدى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسامون ﴿٨١﴾ وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴿٨٢﴾ ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴿٨٣﴾ حتى إذا جاءه وقال أكذبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أما ذا كنتم تعملون ﴿٨٤﴾ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴿٨٥﴾ ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرات في ذلك لايت لقوم يؤمنون ﴿٨٦﴾ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴿٨٧﴾ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴿٨٨﴾

على توحيدى والمشتعلة على شريعتي، ولم تحيطوا علماً بأنها باطلة فيسوغ لكم تكذيبها، أم ماذا كنتم تعملون بها من التصديق أو التكذيب؟

﴿٨٥﴾ ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم بالكفر بالله وتكذيب آياته، فهم لا يتكلمون للدفاع عن أنفسهم لعجزهم عن ذلك، وبطلان حججهم، ولما كانوا ينكرون البعث نبههم الله بما يدل عليه في حياتهم، وهو نومهم الذي هو بمنزلة الموت، واستيقاظهم الذي هو بمنزلة البعث، فقال:

﴿٨٦﴾ ألم ينظر هؤلاء المكذوبون بالبعث أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم، وصيرنا النهار مضياً ليبصروا فيه، فیسعوا إلى أعمالهم، إن في ذلك الموت المتكرر والبعث بعده لعلامات واضحة لقوم يؤمنون.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول - : يوم ينفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من استثناء الله من الفزع؛ تفضلاً منه، وكل من مخلوقات الله يأتونه في ذلك اليوم مطيعين ذليلين.

﴿٨٨﴾ وترى الجبال في ذلك اليوم تحسبها ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير بسرعة سير السحاب، صنع الله، فهو الذي يحركها، إنه خبير بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

• من نوايد الآيات،

• أهمية التوكل على الله. • تزكية النبي ﷺ بأنه على الحق الواضح. • هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ. • دلالة النوم على الموت، والاستيقاظ على البعث.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا هُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا
مَا كَسَبَتْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَيُريكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القصص

آياتها ٨٨

ترتيبها ٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو عَلَيْهِمْ
مِنْ نَّبَاِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ اِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْاَرْضِ وَجَعَلَ اَهْلًا لِشِيَاعٍ يَتَضَعِفُ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ اَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ اِنَّهٗ وَكَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ اَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتَضَعِفُوْا
فِي الْاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ اِيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِيْنَ ﴿٥﴾

٣٨٥

﴿٨٩﴾ من جاء يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح فله الجنة، وهم آمنون بتأمين الله لهم من فزع يوم القيامة. ﴿٩٠﴾ ومن جاء بالكفر والمعاصي فله النار يُلقون فيها على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً لهم وإهانة: هل تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي؟

﴿٩١﴾ قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرّمها، فلا يُسفك فيها دم، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُقتل صيدها، ولا يُقطع شجرها، وله سبحانه ملك كل شيء، وأُمرت أن أكون من المسلمين لله المنقادين له بالطاعة.

﴿٩٢﴾ وأُمرت أن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه، وعمل بما فيه، فنفق هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المُنذرين أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم.

﴿٩٣﴾ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، سيريكم الله آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق، فتعرفونها معرفة ترشدكم إلى الإذعان للحق، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

سورة القصص

مكية

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

سنة الله في تمكين المؤمنين المستضعفين وإهلاك الطغاة المستكبرين.

● التَّشْيِيرُ:

﴿١﴾ طَسَمَ: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ هذه آيات القرآن الواضح.

﴿٣﴾ نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه.

﴿٤﴾ إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصير أهلها طوائف مفرقاً بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نساءهم للخدمة إمعاناً في إذلهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والظغيان والتكبر.

﴿٥﴾ ونريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر: بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة بعد هلاك فرعون، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● الإيمان والعمل الصالح سبب النجاة من الفزع يوم القيامة. ● الكفر والعصيان سبب في دخول النار. ● تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم. ● التصبر والتمكين عاقبة المؤمنين.

﴿٦﴾ ونريد أن نمكّن لهم في الأرض بجعلهم أصحاب السلطان فيها، ونري فرعون ومسانده الأكبر في الملك هامان وجنودهما معاونين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانتقائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

ولما ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيكرم به موسى وقومه، ذكر نشأة موسى عليه السلام إلى أن بعثه الله رسولا، فقال:

﴿٧﴾ وألهمنا أم موسى عليها السلام أن أرضعيه حتى إذا خشيت عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميّه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيا، ومصبروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

﴿٨﴾ فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ أَنْ مُوسَى سَيَكُونُ عَدُوًّا لِفِرْعَوْنَ يَزِيلُ اللهُ مَلَكَهُ عَلَى يَدِهِ، جالبا لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا آتمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

﴿٩﴾ ولما أَرَادَ فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سروري ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولدا بالتبني، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

﴿١٠﴾ وأصبح قلب أم موسى عليها السلام خاليا من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن

تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتبنيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقضي به.

﴿١١﴾ وقالت أم موسى عليها السلام لأختها بعد لقائها له في النهر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرته عن بُعد حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تتفقد خبره.

﴿١٢﴾ وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء من قبل أن رده إلى أمه، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

﴿١٣﴾ فرجعنا موسى إلى أمه كيما تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

• من قوالب الآيات:

• تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم. • تدبير الظالم يؤول إلى تدميره. • قوة عاطفة الأمهات تجاه أولادهن. • جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم. • تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَاغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّصِي قِصَّتِي بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر مرحلة شبابه، فقال:

﴿١٣﴾ ولما بلغ سن اشتداد البدن، واستحكم في قوته - أعطياه فهماً وعلماً في دين بني إسرائيل قبل نبوته، وكما جزيئنا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

﴿١٤﴾ ودخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام، والآخر من القبط قوم فرعون أعداء موسى، فطلب الذي هو من قومه أن يعينه على الذي هو من القبط أعدائه، فضرب موسى القبطي بقبضة يده، فقتله بتلك الضربة لقوته، قال موسى عليه السلام: هذا من تزيين الشيطان واغرائه، إن الشيطان عدو مضل لمن اتبعه، واضع العداوة، فما حصل مني بسبب عداوته، وبسبب أنه مضل يريد إضلائي.

﴿١٥﴾ قال موسى داعياً ربه معترفاً بما حصل منه: رب إنني ظلمت نفسي بقتل هذا القبطي، فاغفر لي ذنبي، فبين الله لنا مغفرته لموسى، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٦﴾ ثم واصل الخبر عن دعاء موسى الذي قال فيه: رب بسبب ما أنعمت علي به من القوة والحكمة والعلم فلن أكون معيئاً للمجرمين على إجرامهم.

﴿١٧﴾ فلما حصل منه ما حصل من قتل القبطي أصبح في المدينة خائفاً يترقب ماذا يحدث، فإذا الذي طلب منه العون والنصر على عدوه القبطي بالأمس يستعين به على قبطي آخر، قال له موسى: إنك لدو غواية وضلال واضح.

﴿١٨﴾ فلما أن أراد موسى عليه السلام أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلاً قتلت نفساً بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿١٩﴾ ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إنني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك.

﴿٢٠﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفاً يترقب ماذا يحدث له، قال داعياً ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢١﴾ من قوايا الآيات:

- الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.
- الشكر الم محمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.
- أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.
- وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَةِ هَٰذَا وَهَٰذَا مِن عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْنَىٰ ۚ الَّذِي مِّن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَّزَهُ ۖ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ۖ وَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ وَمُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَاتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ۚ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۚ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾ فلما أن أراد موسى عليه السلام أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلاً قتلت نفساً بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿٢٣﴾ ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إنني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك.

﴿٢٤﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفاً يترقب ماذا يحدث له، قال داعياً ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢٥﴾ من قوايا الآيات:

- الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.
- الشكر الم محمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.
- أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.
- وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.

﴿٢٢﴾ ولما سار مقيلاً بوجهه جهة

مدين قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضلّ عنها.

﴿٢٣﴾ ولما وصل ماء مدين الذي

يستقون منه وجد جماعة من الناس

يستقون مواشيهم، ووجد من دونهم

امراتين تحبسان أغنامهما عن الماء

حتى يسقي الناس، قال لهما موسى

﴿٢٤﴾: ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟

قالتا له: عادتنا أن نتأني فلا نسقي

حتى ينصرف الرعاة؛ حذرًا من

مخالطتهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا

يستطيع أن يسقي، فاضطررنا لسقي

غنمنا.

﴿٢٥﴾ فرحمهما فسقى لهما أغنامهما،

ثم انصرف إلى الظل فاستراح فيه،

ودعا ربه بالتعريض بحاجته، فقال:

رب انني لما أنزلت إليّ من أي خير

محتاج.

﴿٢٦﴾ فلما ذهبنا أخبرتا أباهما به،

فأرسل إحداهما إليه تدعوه، فجاءته

تمشي في حياء، قالت: إن أبي يدعوك

أن تأتيه قصد أن يجزيك أجرك على

سقيك لنا، فلما جاء موسى أباهما،

وأخبره بأخباره، قال له مطمئنًا إياه:

لا تخف نجوت من القوم الظالمين

فرعون ومثله، فإنهم لا سلطان لهم

على مدين، فلا يستطيعون أن يصلوا

إليك بأذى.

﴿٢٧﴾ قالت إحدى ابنتيه: يا أبت

استأجره ليرعى غنمنا، فهو جدير بأن

تستأجره؛ لجمعه بين القوة والأمانة،

فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة

يحفظ ما أوّمتن عليه.

﴿٢٨﴾ قال أبوهما مخاطبًا موسى

﴿٢٩﴾: إنني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي

﴿٣٠﴾: إنما تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما

هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجديني - إن شاء الله - من الصالحين الذين يوفون

بالعقود، ولا ينقضون العهود.

﴿٣١﴾ قال موسى ﴿٣٢﴾: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأني الأمدين عملت لك: ثمانين سنوات، أو عشر سنوات، أكون قد

وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

﴿٣٣﴾ من قواعد الآيات:

• الالتجاء إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

• حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها.

• مشاركة المرأة بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صوابًا أمر محمود.

• القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح.

• جواز أن يكون المهر منفعة.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا
يَبْنَوتُ اسْتَجْرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِإِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
تَأْجُرَنِي ثَمَّنِي حَجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٩﴾

هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثمانين سنين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجديني - إن شاء الله - من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.

﴿٣١﴾ قال موسى ﴿٣٢﴾: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأني الأمدين عملت لك: ثمانين سنوات، أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

﴿٢٩﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ آلِ اللَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكُونُ مَوْسَى أَقْبَلُ وَلَا تَخَفُ إِيَّاكَ مِنَ الْأَمْنِينِ ﴿٣٢﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٩﴾ فلما أكمل موسى أوفى الأجلين عشر سنين، وسار بأهله من مدين إلى مصر أبصر من جانب الطور نارا، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت نارا، لعلي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشعلة من النار توقدون بها نارا؛ لعلكم تستدفئون من البرد.

﴿٣٠﴾ فلما جاء موسى النار التي أبصرها ناداه ربه ﷻ من جانب الوادي الأيمن في الموقع الذي باركه الله بتكليمه لموسى من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٣١﴾ وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالاً لأمر ربه، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولَّى هارباً خوفاً منها، ولم يرجع من هربه، فتاداه ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها؛ فإنك من الأمنين منها ومن غيرها مما تخاف.

﴿٣٢﴾ أدخل يدك اليمنى في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بيضاء من غير برص، فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج، واضمم إليك يدك ليهدأ خوفك، فضمها موسى إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران - العصا واليد - حجتان مرسلتان من ربك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٣٣﴾ قال موسى متوسلاً إلى ربه: إني قتلْتُ منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني به إن جئتهم لأبلغهم ما أرسلت به.

﴿٣٤﴾ وأخي هارون هو أبين مني كلاماً فابعثه معي معيماً يوافقني في كلامي، إن كذبتني فرعون وقومه، إني أخاف أن يكذبوني كما هي عادة الأمم التي بعثت إليها الرسل من قبلي فكذبوهم.

﴿٣٥﴾ قال الله مجيباً دعوة موسى: سنؤيِّدك - يا موسى - ببعت أخيك معك رسولاً معيماً، ونجعل لكما حجة وتأييداً، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، بسبب آياتنا التي أرسلناكم بها أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين المنتصرون.

﴿٣٦﴾ من قوائد الآيات،

- الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.
- تكليم الله لموسى ﷺ ثابت على الحقيقة.
- حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.
- أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة.

﴿٣٦﴾ فلما جاءهم موسى ﴿٣٦﴾ بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين.

﴿٣٧﴾ وقال موسى مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفسوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم.

﴿٣٨﴾ وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتى يشتد فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله إلي وإلى قومي.

﴿٣٩﴾ واشتد تكبر فرعون هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

﴿٤٠﴾ فأخذناه وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتى هلكوا جميعًا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

﴿٤١﴾ وجعلناهم قذوة للطفاء والضلال، يدعون إلى النار بما يبتئونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

﴿٤٢﴾ وأنبئناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المتبعدين عن رحمة الله. ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما ينصّر الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونها ويؤمنون به.

﴿٤٣﴾ من قوايد الآيات،

- ردّ الحق بالشبه الواهية شأن أهل الطغيان.
- التكبر مانع من اتباع الحق.
- سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.
- للباطل أثمته ودعائه وصوره ومظاهره.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَأَسْتَكَبرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكُنَّا بِكَ مُوَسِّعِينَ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنْ لَّمْ يَهْدِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٣٩١

﴿٤٤﴾ وما كنت - أيها الرسول - حاضراً بجانب الجبل الغربي بالنسبة لموسى ﷺ حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتى تعلم خبر ذلك فتقضيه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك. ﴿٤٥﴾ ولكننا أنشأنا أمماً وخلّاق من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن حتى نسوا عهد الله، وما كنت مقيماً في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قوماً ما جاءهم رسول من قبلك ينذرهم لعلمهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

﴿٤٧﴾ ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاً بعثت إلينا رسولاً فتتبع آياتك ونعمل بها، وتكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك لعاجلناهم بالعقاب، لكننا أخرناهم عنهم حتى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

﴿٤٨﴾ فلما جاء قريشاً محمد بالرسالة من ربه سألوا يهود عنه فلقنوهم هذه الحجة فقالوا: هلاً أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من الآيات الدالة على أنه رسول من ربه؛ كاليد والعصا، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: ألم يكفر

اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون؟!

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن التوراة والقرآن سحران.

﴿٥٠﴾ فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله.

﴿٥١﴾ من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- نفي علم الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه.
- اندراس العلم بتطاول الزمن.
- تحذير الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله.
- ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمْ آتَانَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ
 مُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا أَسْمِعُوا
 لِلْغَوَا عَرْضَ أَعْنَاهُ وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ
 عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾
 وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ
 نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا
 مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
 قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ
 بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ
 مُهْلِكِ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ
 آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾

٣٩٢

﴿٥١﴾ ولقد وصلنا للمشركين واليهود
 من بني إسرائيل القول بقصص الأمم
 السابقة، وما أحلنا عليهم من العذاب
 لما كذبوا رسلنا؛ رجاء أن يتعظوا
 بذلك فيؤمنوا حتى لا يصيبهم ما
 أصابهم.

﴿٥٢﴾ الذين ثبتوا على الإيمان
 بالتوراة من قبل نزول القرآن هم
 بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في كتبهم
 من الإخبار به ومن نفعه.

﴿٥٣﴾ وإذا يقرأ عليهم قالوا: أمنا به
 إنه الحق الذي لا مزية فيه، المنزل
 من ربنا، إنا كنا من قبل هذا القرآن
 مسلمين لإيماننا بما جاء به الرسل
 من قبله.

﴿٥٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر
 يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين
 بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم،
 وبإيمانهم بمحمد ﷺ حين بُعث،
 ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة
 ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم
 ينفقون في وجوه الخير.

﴿٥٥﴾ وإذا سمع هؤلاء المؤمنون
 من أهل الكتاب الباطل من القول
 أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه، وقالوا
 مخاطبين أصحابه: لنا جزء أعمالنا،
 ولكم جزء أعمالكم، سلمتم منا من
 الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة
 أصحاب الجهل لما فيها من الضرر
 والأذى على الدين والدنيا.

﴿٥٦﴾ إنك - أيها الرسول - لا تهدي من
 أحببت مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه
 للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي
 يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن
 سبق في علمه أنه من المهتدين إلى
 الصراط المستقيم.

﴿٥٧﴾ وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الذي جئت به ينتزعنا أعداؤنا من
 أرضنا بسرعة، أولم نمكن لهؤلاء المشركين حرماً يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه
 ثمار كل شيء رزقاً من لدنا سقناه إليهم؟ ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له.

﴿٥٨﴾ وما أكثر القرى التي كسرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذاباً فأهلكناها به، فتلك مساكنهم
 مندثرة يمر الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلاً من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن
 فيها.

﴿٥٩﴾ ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم
 القرى، وهي مكة، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٦٠﴾ من قوايد الأكرام،

• فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ، وأن له أجرين. • هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم.
 • اتباع الحق وسيلة للأمن لا مبعث على الخوف كما يدعي المشركون. • خطر الترف على الفرد والمجتمع. • من رحمة الله
 أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٠﴾ فَعَحِيتَ عَلَيْهِمُ الْآنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٥﴾

٣٩٣

ولما اعتذر المشركون عن اتباع الحق بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة أجابهم الله بقوله: ﴿٦٥﴾ وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتتزينون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فاني؟

﴿٦٦﴾ أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم فهو صائر إليه لا محالة كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المحضرين إلى نار جهنم؟

﴿٦٧﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿٦٨﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللتهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿٦٩﴾ وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقدوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، فودّوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.

﴿٧٠﴾ ويوم يناديهم ربهم قائلاً: ماذا أجبتكم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟ ﴿٧١﴾ فحفي عليهم ما يحتجون به فلم يذكروا شيئاً، ولا يسأل بعضهم بعضاً؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صائرون إليه من العذاب.

﴿٧٢﴾ فأما من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملاً صالحاً؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه.

﴿٧٣﴾ وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي من يشاء لطاعته وتبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.

﴿٧٤﴾ وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه. ﴿٧٥﴾ وهو الله سبحانه لا معبود بحق غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مردّ له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

• من قوايد الآيات:

- العاقل من يؤثر الباقي على الفاني.
- التوبة تجب ما قبلها.
- الاختيار لله لا لعباده، فليس لعباده أن يعترضوا عليه.
- إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.

(٧١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صير الله عليكم الليل دائماً مستمراً، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بضياء مثل ضياء النهار؟ أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك؟

(٧٢) قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن صير الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه لتستريحوا من عناء العمل في النهار؟ أفلا تبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك كله؟

(٧٣) ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم - أيها الناس - الليل مظلاً؛ لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً؛ لتسبوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم ولا تكفرونها.

(٧٤) ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنهم شركائي؟

(٧٥) وأحضرنا من كل أمة نبياً يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا مزية فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء له سبحانه.

ولما ذكر الله أن فرعون علا في الأرض بسبب السلطان ذكر طغيان قارون بسبب المال، فقال:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَا تَسْمَعُونَ
(٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَا تَبْصُرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥) إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ وَلَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)

(٧٦) إن قارون كان من قوم موسى ﷻ فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البطر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البطر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.

(٧٧) واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة؛ بأن تتفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يبغضهم.

من فوائد الآيات:

- تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له.
- الطغيان كما يكون بالرياسة والملك يكون بالمال.
- الفرح بكراً معصية يمحقتها الله.
- ضرورة النصيح لمن يخاف عليه من الفتنة.
- بغض الله للمفسدين في الأرض.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا
 وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْلَتٌ لَنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
 وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا
 وَيَكَانَتْهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٣٩٥

﴿٧٨﴾ قال قارون: إنما أُعْطيت هذه الأموال لعلمٍ عندي وقدرة، فأنا أستحقها لذلك، أَوَلَمْ يَعْلَمْ قَارُونُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا لِأَمْوَالِهِمْ؟ فَمَا نَفَعَتْهُمْ قُوَّتُهُمْ وَلَا أَمْوَالُهُمْ، وَلَا يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَجْرِمُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ بَهَا، فَسْؤَالُهُمْ سُؤَالَ تَكِيَّةٍ وَتَوْبِيخٍ.

﴿٧٩﴾ فخرج قارون في زِينَتِهِ مظهرًا أَهْنَتَهُ، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا لَيْتَنَا أُعْطِينَا مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا مِثْلَ مَا أُعْطِيَ قَارُونُ، إِنْ قَارُونُ لَذُو نَصِيبٍ وَافٍ كَبِيرٍ.

﴿٨٠﴾ وقال الذين أعطوا العلم حين رَأَوْا قَارُونَ فِي زِينَتِهِ وَسَمِعُوا مَا تَمَنَّاهُ أَصْحَابُهُ: وَيَلَكُمْ! ثَوَابُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ مِنَ النِّعَمِ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِيَ قَارُونُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا يُوَفَّقُ لِقَوْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَالْعَمَلُ بِمَا تَقْتَضِيهِ إِلَّا الصَّابِرُونَ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى إِيثارِ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَوَابٍ عَلَى مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ زَائِلٍ.

﴿٨١﴾ فخسفنا الأرض به وبداره ومن فيها انتقامًا منه على بغيه، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ جَمَاعَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ بِنَفْسِهِ.

﴿٨٢﴾ وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون متحسرين معتبرين: أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضِيقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ؟ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْنَا فَلَمْ يَعْاقِبْنَا بِمَا قَلْنَا؛ لَخَسَفَ بَنَّا مِثْلَ مَا خَسَفَ بِقَارُونِ،

إِنَّهُ لَا يَفُوزُ الْكَافِرُونَ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ إِنْ مَصِيرُهُمْ وَمَأْلَهُمُ الْخُسْرَانُ فِيهِمَا.

﴿٨٣﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا دَارَ نَعِيمٍ وَتَكْرِيمٍ لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ تَكْبُرًا فِي الْأَرْضِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَلَا يَرِيدُونَ فُسَادًا فِيهَا، وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ هِيَ بِمَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَعِيمٍ، وَمَا يَحِلُّ فِيهَا مِنْ رِضَا اللَّهِ لِلْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمْ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٨٤﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَغَيْرِهِ - فَلَهُ جِزَاءٌ خَيْرٌ مِنْ تِلْكَ الْحَسَنَةِ حَيْثُ تَضَاعَفَ لَهُ الْحَسَنَةُ إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسَّيِّئَةِ - مِنْ كُفْرٍ وَأَكْلِ رِبَا وَزُنًى وَغَيْرِ ذَلِكَ - فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مِثْلُ مَا عَمِلُوا دُونَ زِيَادَةٍ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كُلُّ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ وَنَعَمٍ، فَهُوَ مِنَ اللَّهِ خَلْقًا وَتَقْدِيرًا.
- أَهْلُ الْعِلْمِ هُمُ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُوجِهُ صَاحِبَهُ إِلَى الصَّوَابِ.
- الْعُلُوُّ وَالْكِبَرُ فِي الْأَرْضِ وَنَشْرُ الْفُسَادِ عَاقِبَتُهُ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ.
- سَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَدْلُهُ بِمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ لِلْمُؤْمِنِ وَعَدَمِ مُضَاعَفَةِ السَّيِّئَاتِ لِلْكَافِرِ.

﴿٨٥﴾ إِنْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٥﴾ وما كنت - أيها الرسول - تأمل - قبل البعثة - أن يُلقَىٰ إليك القرآن وحياً من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت أنزاله عليك، فلا تكونن معيئاً للكافرين على ما هم فيه من الضلال. ﴿٨٦﴾ ولا يصرفنك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد أنزلها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده. ﴿٨٧﴾ ولا تعبد مع الله معبوداً غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٨﴾ معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

سورة العنكبوت

— مكة —

﴿١﴾ مِنَ مَّقَاصِدِ السُّورَةِ: الأمر بالصبر والثبات عند الابتلاء والفتن، وبيان حسن عاقبته.

﴿٢﴾ التفسير: سيق الكلام عن نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٣﴾ أَظُنُّ النَّاسَ أَنَّهُمْ يَقُولُهُمْ: آمَنَّا بِاللَّهِ، يُتْرَكُونَ دُونَ اخْتِبَارِ بَيِّنِ حَقِيقَةِ مَا قَالُوا، هَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ حَقًّا؟ لَيْسَ

سورة العنكبوت

آياتها ٢٩

ترتيبها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾

٣٩٦

الأمر كما ظنوا.

﴿١﴾ ولقد اختبرنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهور ويكشف لكم صدق الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه.

﴿٢﴾ بل أظنُّ الذين يعملون المعاصي من الشرك وغيره أن يعجزونا، وينجوا من عقابنا؟ قَبِّحْ حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم.

﴿٣﴾ من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليشيبه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريباً، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يقوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٤﴾ ومن جاهد نفسه بحملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه: لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.

﴿٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- النهي عن إغاة أهل الضلال.
- الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ابتلاء المؤمنين واختبارهم سُنَّةَ إلهية.
- غنى الله عن طاعة عبده.

والذين آمنوا وصبروا على امتحاناتنا لهم، وعملوا الأعمال الصالحات لنمحو ذنوبهم بما عملوه من الأعمال الصالحة، ولنثيبهم في الآخرة أحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا.

ووصينا الإنسان بوالديه أن يزرعهما ويحسن إليهما، وإن جاهدك والدك - أيها الإنسان - لتشرك بي ما ليس لك بإشراكه علم - كما وقع لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أمه - فلا تطعهما في ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلي وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، وأجازيكم عليه.

والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لندخلنهم يوم القيامة في الصالحين، فتحشرهم معهم، ونثيبهم ثوابهم.

ومن الناس من يقول: أمنا بالله، فإذا آذاه الكفار على إيمانه جعل عذابهم له كعذاب الله فارتد عن الإيمان موافقة للكفار، ولئن حصل نصر من ربك لك - أيها الرسول - ليقولن: إنا كنا معكم - أيها المؤمنون - على الإيمان، أوليس الله بأعلم بما في صدور الناس؟ لا يخفى عليه ما فيها من الكفر والإيمان، فكيف ينبئون الله بما في قلوبهم وهو أعلم بما فيها منهم؟

وليعلمن الله الذين آمنوا به حقاً، وليعلمن المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويضمرون الكفر.

وقال الذين كفروا للذين آمنوا بالله وحده: اتبعوا ديننا وما نحن عليه،

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَاَنْتَبَهُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿٣٩٧﴾

ونحمل نحن عنكم ذنوبكم، فتجازي عليها دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من ذنوبهم، وإنهم لكاذبون في قولهم هذا. ولما كان نفي حملهم لخطايا غيرهم قد يفهم منه أن الكفار الداعين إلى ضلالتهم لا يأثمون إثماً زائداً بسبب ذلك رفع ذلك الإيهام بقوله:

﴿١٢﴾ وليحملن هؤلاء المشركون الداعون إلى باطلهم ذنوبهم التي اقترفوها، وليحملن ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من ذنوب التابعين لهم شيء، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يختلقونه في الدنيا من الأباطيل.

﴿١١﴾ ولقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه، فمكث فيهم مدة تسع مئة وخمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه واستمروا على كفرهم، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، فهلخوا بالفرق.

﴿١٤﴾ من قوايا الآيات:

- الأعمال الصالحة يُكفِّر الله بها الذنوب.
- تأكد وجوب البر بالأبوين.
- الإيمان بالله يقتضي الصبر على الأذى في سبيله.
- من سنَّ سيئة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

﴿١٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ
بالغرق، وجعلنا السفينة عبرة للناس
يعتبرون بها.

﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَنَا مُبْرَاهِيمٌ
إبراهيم حين قال لقومه: اعبدوا الله
وحده، واتقوا عقابه بامتثال أوامره
واجتباب نواهيته، ذلكم المأمور به
خير لكم إن كنتم تعلمون.

﴿١٧﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا لَا تُفْعَلُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَتَخْلُقُونَ الْكَذِبَ حِينَ تَرْعَمُونَ
المشركون - أصنامًا لا تفعل ولا تنفع ولا
تضر، وتخلقون الكذب حين ترعمون
استحقاقها للعبادة، إن الذين
تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم
رزقًا فيرزقوكم، فاطلبوا عند الله
الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده،
واشكروا له ما أنعم به عليكم من
الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة
لله حساب والجزاء لا إلى أصنامكم.

﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ
﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
أُولَٰئِكَ يُسْأَوْنَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَهَؤْلَاءِ
المكذِّبين بالبعث: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فتأملوا كيف بدأ الله الخلق، ثم الله
يحيي الناس بعد موتهم الحياة الثانية
للبعث والحساب، إن الله على كل شيء
قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجز عن
بعث الناس كما لم يعجز عن خلقهم
أولاً.

﴿٢٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَهَؤْلَاءِ
المكذِّبين بالبعث: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فتأملوا كيف بدأ الله الخلق، ثم الله
يحيي الناس بعد موتهم الحياة الثانية
للبعث والحساب، إن الله على كل شيء
قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجز عن
بعث الناس كما لم يعجز عن خلقهم
أولاً.

﴿٢٦﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ مِن خَلْقِهِ بِعَذَابِهِ، وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ مِن خَلْقِهِ بِفَضْلِهِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ حِينَ يَبْعَثُكُمْ فِي
قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً.

﴿٢٧﴾ وَلَسْتُمْ بِفَاعِلِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى أَمْرَكُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِّن
دُونِ اللَّهِ نَصِيرٌ يَرْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ.

﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَسُبْحَانَهُ وَبِلِقَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُولَٰئِكَ قُتِلُوا مِنْ رَّحْمَتِي، فَلَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا لِّكَفْرِهِمْ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّوجِعٌ يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الأصنام لا تملك رزقًا، فلا تستحق العبادة.

• طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.

• بدء الخلق دليل على البعث.

• دخول الجنة محرم على من مات على كفره.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيَةٍ ﴿٢٥﴾ * فَقَامَ مِنْ لَهُ وَلُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ
فِي الْآخِرَةِ لِمَن الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٤﴾ فما كان جواب قوم إبراهيم له - بعد ما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان - إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار انتصاراً لألهتكم، فسلمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعبراً لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر.

﴿٢٥﴾ وقال إبراهيم ﷺ لقومه: إنما اتخذتم أصناماً آلهة تعبدونها للتعرف والتوآد على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التوآد بينكم، فيتبرأ بعضكم من بعض عند معاناة العذاب، ويلعن بعضكم بعضاً، ومقركم الذي تأوون إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها. ﴿٢٦﴾ فأمن له لوط ﷺ، وقال إبراهيم ﷺ: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتدييره.

﴿٢٧﴾ وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصبرنا في أولاده النبوة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطينا ثواب صبره على الحق في الدنيا بصلاح الأولاد والثناء الحسن، وأنه في الآخرة ليُجزى جزاء الصالحين، لا ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعد له من الجزاء الكريم في الآخرة.

﴿٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تأباه الفطر السليمة.

﴿٢٩﴾ أنكم لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمرون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمر بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: اتئنا بعذاب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٣٠﴾ قال لوط ﷺ داعياً ربه بعد تعنت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافاً به: رب انصُرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة.

• من قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

- غناية الله بعباده الصالحين حيث ينجيهم من مكر أعدائهم.
- فضل الهجرة إلى الله.
- عظم منزلة إبراهيم وآله عند الله تعالى.
- تعجيل بعض الأجر في الدنيا لا يعني نقص الثواب في الآخرة.
- قبح تعاطي المنكرات في المجالس العامة.

(٢١) ولما جاءت الملائكة الذين بعثاهم يبشرون إبراهيم بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سدوم قوم لوط؛ إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة.

(٢٢) قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطاً، وليس هو من الظالمين، قالت الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذه وأهله من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته كانت من الباقيين الهالكين، فسنهلكها معهم.

(٢٣) ولما أتت الملائكة الذين بعثاهم لإهلاك قوم لوط لوطاً ساءه وأحزنه مجيئهم خوفاً عليهم من خبث قومه، فقد جاءت الملائكة في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقيين الهالكين، فسنهلكها معهم.

(٢٤) إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخيائث عذاباً من السماء، وهو حجارة من سجيل؛ عقاباً لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة القبيحة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء.

(٢٥) ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكناها آية واضحة لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

(٢٦) وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً ﷺ، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا بعبادتهم

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَسْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَقَبِيحَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْلَهَا آيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٢٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَصَّاهُمُ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾

إياه الجزاء في اليوم الآخر، ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

(٢٧) فكذب قومه، فأصابهم الزلزلة، فأصبحوا في دارهم ساقطين على وجوههم قد لصقت وجوههم بالتراب، لا حراك لهم.

(٢٨) وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم - يا أهل مكة - من مساكنهم بالشجر من حضرموت، والحجر ما يدلهم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إبصار بالحق والضلال والرشد والنفي بما علمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ...﴾ تدل على معرفة العرب بمساكنهم وأخبارهم.
- العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.
- الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
- منازل المهلكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
- العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإيتاره على الهدى.

وَقَرُّونَ وَفَرَعُونَ وَهَلَمَّنْ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَذَلِكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٤٠١

﴿٣٩﴾ وأهلكنا قارون - لما بغى على قوم موسى - بالخسف به وبيداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا ليسلموا من عذابنا بشئهم لنا.

﴿٤٠﴾ فأخذنا كلًّا من المذكورين سابقًا بعذابنا المهلك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجيل منضود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبيداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالغرق، وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.

﴿٤١﴾ مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعبدونها رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثال العنكبوت اتخذت بيتًا يحميها من الاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبیت العنكبوت، فهو لا يدفع عنها عدوًّا، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لَمَا اتخذوا أصنامًا يعبدونها من دون الله.

﴿٤٢﴾ إن الله ﷻ يعلم ما يعبدونه من دونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره.

﴿٤٣﴾ وهذه الأمثال نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديهم إليه، وما يدرکها على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرع الله وحكمه.

﴿٤٤﴾ خلق الله ﷻ السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثًا، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يَمُرُّون على الآيات في الأفاق والأنفس دون أن تلفت انتباههم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

﴿٤٥﴾ اقرأ - أيها الرسول - على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، وأئت بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفاتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ لما تحدثه من نور في القلوب يمنع من اقتراف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

• من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- أهمية ضرب المثل: «مثل العنكبوت».
- تعدد أنواع العذاب في الدنيا.
- تنوُّرُ الله عن الظلم.
- التعلُّق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب.
- أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن.

وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهُنَاءُ وَالْهُكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ وَبِيمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ولا تحاوروا - أيها المؤمنون - ولا تخاصموا اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعناد والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده منقادون متذللون.

﴿٤٧﴾ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة - مثل عبد الله بن سلام - يؤمنون به؛ لما يجدونه من نفعه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بأياتها إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والجحود للحق مع ظهوره.

﴿٤٨﴾ وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك؛ لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشكَّ الجاهل من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة. بل القرآن المنزل عليك آيات واضحة في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين، وما يجحد بأياتها إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

﴿٥٠﴾ وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد آيات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل - أيها الرسول -

لهؤلاء المقترحين: إنما الآيات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إليّ إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة. أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أننا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين ينتفعون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما افترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقاً. ﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - كفى بالله سبحانه شاهداً على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون؛ لاستبدلوا الكفر بالإيمان.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.
- الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق شرط لصحة الإيمان.
- القرآن الكريم الآية الخالدة والحجة الدائمة على صدق النبي ﷺ.

٥٣ يستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعذاب الذي أنذرتهم إياه، ولولا أن الله قدر لعذابهم وقتاً لا يتقدم عنه ولا يتأخر لجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتينهم فجأة وهم لا يتوقعونه.

٥٤ يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعدوها الله الكافرين لمحيطه بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها.

٥٥ يوم يُعْطِيهِم العذاب من فوقهم، ويكون فراشاً لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخاً لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي.

٥٦ يا عبادي الذين آمنوا بي، هاجروا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحداً.

٥٧ ولا يمنكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

٥٨ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات التي تقرب إليه لسكنائهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً، لا يلحقهم فيها فناء، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.

٥٩ نعم جزاء العاملين بطاعة الله الذين صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

٦٠ كل الدواب - على كثرتها - التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حملها الله يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٤ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٥ يَوْمَ يَعْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
٥٥ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ
٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٥٨ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ٦١ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٢ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣

٤٠٣

ترك الهجرة خوفاً من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه.
٦١ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر وهما يتعاقبان؟ ليقولنَّ: خلقهن الله، فكيف يُصَرِّفون عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟
٦٢ الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

٦٣ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأنبث به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولنَّ: أنزل المطر من السماء وأنبث به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصناماً لا تنفع ولا تضر.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه.
- باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح.
- فضل الصبر والتوكل على الله.
- الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالأنهية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

فيها من الشهوات والمتاع - إلا لهُوَ لقلوب المتعلقين بها ولعب، ما يلبث أن ينتهي بسرعة، وإن الدار الآخرة لهُي الحياة الحقيقية لبقائها، لو كانوا يعلمون لَمَا قَدَّمُوا ما يفنى على ما يبقى. ولَمَا سَجَّلَ اللهُ على المشركين تناقضهم؛ بإيمانهم بربوبية الله عندما يُسألون عمن خلق السماوات والأرض، وكفرهم بالوحيته عندما يعبدون غيره، سَجَّلَ عليهم تناقضاً آخر هو إخلاصهم التوحيد عند الخوف من الغرق وعودتهم للشرك عند أمنهم منه، فقال: ﴿١٥﴾ وإذا ركب المشركون في السفن في البحر دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينجيهم من الغرق، فلما نجاهم من الغرق انقلبوا مشركين يدعون معه آلهتهم. ﴿١٦﴾ انقلبوا مشركين ليكفروا بما أعطيتهم من النعم، وليتمتعوا بما أعطوا من زهرة الحياة الدنيا، فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة عندما يموتون. ﴿١٧﴾ أولم ير هؤلاء الجاحدون لنعمة الله عليهم حين نجاهم الله من الغرق نعمة أخرى؛ هي أن جعلنا لهم حرماً يأمنون فيه على دماءهم وأموالهم، على حين أن غيرهم تُشَنُّ عليهم الفارات، فيُقتلون ويؤسرون وتُنهب أموالهم، أفبالباطل من آلهتهم المزعومة يؤمنون، وبنعمة الله عليهم يكفرون، فلا يشكروها لله؟ ﴿١٨﴾ لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بأن نسب إليه شريكاً، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في جهنم مسكناً للكافرين ولأمثالهم. ﴿١٩﴾ والذين جاهدوا أنفسهم ابتغاء مرضاتنا لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر والهداية.

سُورَةُ الرُّومِ

مكية

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

تأكيد تفرد الله سبحانه بتصرف الأمور، وبيان سنن الله في خلقه.

• التَّشْبِيرُ:

﴿الر﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. ﴿١﴾ غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومِ. ﴿٢﴾ في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم. ﴿٣﴾ في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون. ﴿٤﴾ يفرحون بنصر الله للروم لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغَالَبُ، الرحيم بعباده المؤمنين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونسيانهم لأصنامهم، وإشراكهم به في الرخاء: دليل على تخبطهم.

• الجهاد في سبيل الله سبيل للتوفيق إلى الحق. • إخبار القرآن بالغيبات دليل على أنه من عند الله.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَفْلُونَ ٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ٨ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
 أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَتَوْا السُّوءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ١٠ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ١١ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ
 ١٣ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ١٥

٤٠٥

١٤ هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى، لا يخلف الله وعده ذلك، ويتحققه يزداد المؤمنون بقيًا بوعده الله بالنصر، أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم.

١٥ لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسب المعاش وبناء الحضارة المادية، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

١٦ أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها، ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض وما بينهما إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلًا محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

١٧ أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما ظلمهم الله حين أهلكتهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

١٨ ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

١٩ الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يفتيه، ثم يعيده، ثم إلى الله وحده ترجعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

٢٠ ويوم تقوم الساعة يبئس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه؛ لانقطاع حجتهم على الكفر بالله. ولم يكن لهم من شركائهم - الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا - من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خذلهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.

٢١ ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يتفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى عليين، ومخفوض إلى أسفل سافلين.

٢٢ فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسْرَوْنَ بما ينالون فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدًا.

٢٣ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العلم بما يصلح الدنيا مع الغفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.
- آيات الله في الأنفس وفي الأفاق كافية للدلالة على توحيده.
- الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.
- يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ
خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بَالَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٤٠٦

الذين يستفيدون من أعمال عقولهم.

﴿٢١﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: خلق السماوات وخلق الأرض، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لأهل العلم والبصيرة.

﴿٢٢﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: نومكم بالليل، ومنامكم بالنهار لتستريحوا من عناء أعمالكم، ومن آياته أن جعل لكم النهار لتتشربوا فيه مبتغين الرزق من ربكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لقوم يسمعون سماع تدبر وسماع قبول.

﴿٢٣﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن يريكم البرق في السماء، ويجمع لكم فيه بين الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وينزل لكم من السماء ماء المطر، فيحيي الأرض بعد جفافها بما ينبت فيها من نبات، إن في ذلك لبراهين ودلالات واضحة لقوم يعقلون، فيستدلون بها على البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة.
- الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي.
- آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يُعْمِلُ وسائل إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.

﴿١٦﴾ وأما الذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، وكذبوا بالبعث والحساب، فأولئك الذين أحضروا للعذاب فهم ملازمون له.

﴿١٧﴾ فسبحوا الله حين تدخلون في وقت المساء؛ وهو وقت صلاتي: المغرب والعشاء، وسبحوه حين تدخلون في وقت الصباح، وهو وقت صلاة الفجر.

﴿١٨﴾ وله وحده سبحانه الثناء؛ في السماوات يحمده ملائكته، وفي الأرض تحمده خلأته، وسبحوه حين تدخلون في العشي وهو وقت صلاة العصر، وسبحوه حين تدخلون في وقت الظهر.

﴿١٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، مثل إخراج الإنسان من النطفة، والفرخ من البيضة، ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، مثل إخراج النطفة من الإنسان، والبيضة من الدجاجة، ويحيي الأرض بعد جفافها بإزالة المطر ونباتها، ومثل إحياء الأرض بنباتها تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٢٠﴾ ومن آيات الله العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن خلقكم - أيها الناس - من تراب حين خلق أباكم منه، ثم إذا أنتم بشر تتكاثرون بالتناسل، وتنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها.

﴿٢١﴾ ومن آياته العظيمة كذلك الدالة على قدرته ووحدانيته أن خلق لأجلكم - أيها الرجال - من جنسكم أزواجاً لتطمئن أنفسكم إليهن للتجانس بينكم، وصيّر بينكم وبينهن محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات واضحة لقوم يتفكرون؛ لأنهم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٩﴾ فَأَقْرَرُوا وَجْهَهُ لِلدِّينِ حَنِيفًا ففطر الله التي فطر الناس عليها لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ *مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٦٢﴾

٤٠٧

﴿٥٥﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام؛ بأمره سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٥٦﴾ وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكاً وخلقاً وتقديراً، كل من في السماوات وكل من في الأرض من مخلوقاته منقادون له مستسلمون لأمره.

﴿٥٧﴾ وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفتائه، والإعادة أيسر من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئاً قال له: (كن) فيكون، وله الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتديبره.

﴿٥٨﴾ ضرب الله لكم - أيها المشركون - مثلاً مأخوذاً من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون أن يقتسموا أموالكم معكم كما يخاف بعضكم من شريكه الحر أن يقسم معه المال؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، فالله أولى بالألا يكون له شريك في ملكه من مخلوقاته وعبيده، يمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره نبين الحجج والبراهين بتوحيها لقوم يعقلون، لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك.

﴿٥٩﴾ ليس سبب ضلالهم قصوراً في الأدلة، ولا عدم بيان لها، وإنما هو اتباع الهوى وتقليد آبائهم، جهلاً منهم لحق الله عليهم، فمن يوفق لله؟ لا أحد يوفقه، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿٦٠﴾ فتوجه - أيها الرسول - أنت ومن معك للدين الذي وجهك الله إليه؛ مائلاً عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

﴿٦١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٦٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقة وأحزاباً، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهراً واختياراً.
- دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.
- اتباع الهوى يضل ويطغي.
- دين الإسلام دين الفطرة السليمة.

﴿٦١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٦٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقة وأحزاباً، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَتَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَزَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرْهُمْ سَيِّئَةً إِنَّمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ فَآتَتْ ذَا الْقُرْبَى
حَقَّهُ وَوَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَاءٌ آتَيْتُم مِّن رِّيَا
لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءٌ آتَيْتُم مِّن
زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٢٩﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
شَرِكَايَكُم مَّن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَوَعَالٍ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾

٤٠٨

﴿٢٣﴾ وإذا أصاب المشركين شدة من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشرائهم مع الله غيره في الدعاء. ﴿٢٤﴾ إذا كفروا بنعم الله - ومنها نعمة كشف الضر - وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.

﴿٢٥﴾ ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟ فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر.

﴿٢٦﴾ وإذا أذقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته أيديهم من المعاصي، إذا هم يئسسون من رحمة الله، ويقنطون من زوال ما يسوؤهم. ﴿٢٧﴾ أولم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً له أشكر أم يكفر؟ ويضيئه على من يشاء منهم ابتلاء له أيصبر أم يتسخط؟ إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.

﴿٢٨﴾ فأعط - أيها المسلم - صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم مما

خير للذين يريدون به وجه الله، والذين يقدمون هذه المعونة والحقوق هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم مما يرهبونه من العذاب.

﴿٢٩﴾ ولما بين ما يتقرب به إلى الله من العمل بين ما يَراد به غير وجهه، وإنما يَراد به مقصد دنيوي رخيص، فقال: ﴿٣٠﴾ وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتكم من أموالكم إلى من يدفع بها حاجة تريدون بذلك وجه الله، لا تريدون منزلة ولا مثوبة من الناس، فأولئك هم الذين يُضَاعَف لهم الأجر عند الله.

﴿٣١﴾ الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم، ثم رزقكم، ثم إيمانكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئاً من ذلك؟ تنزه سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.

﴿٣٢﴾ ظهر الفساد في البر والبحر، كالجذب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك لِيُذِيقَهُمْ الله جزء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة.

﴿٣٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النعمة؛ صفتان من صفات الكفار.
- إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.
- مَحَقُّ الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.
- أثر الذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.

﴿٤١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة. كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشرائهم بالله. ﴿٤٢﴾ فأقم - أيها الرسول - وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُنعمون، وفريق في النار معذبون.

﴿٤٣﴾ من كفر بالله فضرر كفره - وهو الخلود في النار - عائد عليه، ومن عمل عملاً صالحاً ينتهي به وجه الله فلا أنفسهم يَهَيِّئُونَ دخول الجنة والتنعيم بما فيها خالدين فيها أبداً.

﴿٤٤﴾ ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، من فضله وإحسانه، إنه سبحانه لا يحب الكافرين به ويرسله، بل يمتقنهم أشد المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.

﴿٤٥﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم - أيها الناس - من رحمته بما يحصل بعد المطر من حُصْبٍ ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.

﴿٤٦﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى أممهم، فجاءوهم بالحجج والبراهين الدالة على

صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعبادنا، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من

الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا. ﴿٤٧﴾ الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح وبعثها، فتثير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمده في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويعصره قطراً، فترى - أيها الناظر - المطر يخرج من بين ذلك السحاب، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا هم به يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابهم.

﴿٤٨﴾ وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لآيسين من نزوله عليهم.

﴿٤٩﴾ فانظر - أيها الرسول - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبت عليها من أنواع النبات بعد جفافها ويبسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٥٠﴾ من قواريذ الآيات،

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
كَفَرَ فَلْيَكْفُرْهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿٤١﴾ من قواريذ الآيات، وإنزال المطر، وإنزال السفن في البحر: نعم تستدعي أن نشكر الله عليها.

﴿٤٢﴾ إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سنة إلهية.

﴿٤٣﴾ إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مِّنْهُ مُصَفَّرًا لَّا ظُلُمًا لَّكُمْ فِيهِ بَعْدَ مَا يَخْتَلُونَ ۚ لَأَلَسْنَا بِكَافِرِينَ ۚ
 ٥١ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ لَوَّىٰهَا وَجْهَكَ وَكَيْدٌ مِّنْكَ ۚ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ يُخْفِي مَا يَشَاءُ ۚ
 ٥٢ وَمَا أَنْتَ بِمُهَذَّبٍ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُهَذَّبٍ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُهَذَّبٍ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُهَذَّبٍ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُهَذَّبٍ ۚ
 ٥٣ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۚ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَنَسَمَةٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ نَفْسٍ وَنَسَمَةٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ نَفْسٍ وَنَسَمَةٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ نَفْسٍ وَنَسَمَةٍ ۚ
 ٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُ إِلَيْنَا ۚ إِنَّنَا ظَالِمُونَ ۚ وَلَٰكِنَّا نَسْتَعْتِبُ اللَّهَ
 ٥٥ سَاعَةً كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۚ
 ٥٦ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۚ
 ٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَيْنَ جَهَنَّمَ بَايَاتٍ لِّقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۚ
 ٥٨ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ فَاصْبِرْ ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ لَا يُؤْقِنُونَ ۚ

٤١٠

٥١ ولئن بعثنا رجالاً على أزوعهم ونباتهم ريحاً تسدده عليهم، فرأوا زروعهم مُصْفَرَّةً الألوان بعد أن كانت مُخْضَرَّةً لظُلُمًا بعد مشاهدتهم لها يكتفرون بنعم الله السابقة على كثرتها.

٥٢ فكما أنك لا تستطيع إسماع الموتى ولا تستطيع إسماع الصم، وقد ابتعدوا عنك ليتأكد عدم سماعهم، فكذلك لا تستطيع أن تهدي من أشبه هؤلاء بالإعراض وعدم الانتفاع.

٥٣ وما أنت بموفق من ضل عن الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل الرشاد، لا تسمع سماعاً يُنتفع به إلا من يؤمن بآياتنا؛ لأنه هو الذي ينتفع بما تقوله، فهم منقادون لأمرنا، خاضعون له.

٥٤ الله هو الذي خلقكم - أيها الناس - من ماء مهين، ثم جعل من بعد ضعف طفولتكم قوة الرجولة، ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف وقوة، وهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء.

٥٥ ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا في قبورهم إلا ساعة، كما صُرفوا عن معرفة قدر ما لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق.

٥٦ وقال الذين أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، فهذا يوم يُبعث الناس من قبورهم، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتكم به.

٥٧ فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء لا ينفع الظالمين ما يخلقونه من أعداء، ولا يطلب منهم إرضاء الله بالتوبة والإنابة إليه؛ لفوات وقت ذلك.

٥٨ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم - أيها الرسول - بحجة على صدقك ليقولن الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به.

٥٩ مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها، يختم الله على قلوب كل الذين لا يعلمون أن ما جئتهم به حق.

٦٠ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك، إن وعد الله لك بالنصر والتمكين ثابت لا مرية فيه، ولا يدفعك الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، إلى الاستعجال وترك الصبر.

٦١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- يأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء.
- هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.
- مراحل العمر عبرة لمن يعتبر.
- الختم على القلوب سببه الذنوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَارِ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٨
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رُوْسِي أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١١

٤١١

١٠ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الأمر باتباع الحكمة التي تضمنتها القرآن، والتحذير من الإعراض عنها.

التفسير:

١ القرآن - سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذه الآيات المنزلة عليك - أيها الرسول - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة.

٣ وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده.

٤ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بخت وحساب وثواب وعقاب.

٥ أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، واليعد عما يرهّبونه.

ولما ذكر الله صفات المحسنين ذكر صفات المسيئين فقال:

٦ ومن الناس - مثل النضر ابن الحارث - من يختار الأحاديث

المُلهية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هُزُوًا يسخر منها، أولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُذَلٍّ في الآخرة.

٧ وإذا تُقَرَأُ عليه آياتنا أدير مستكبرًا عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صَمَمًا عن سماع الأصوات، فبشّرهُ - أيها الرسول - بعذاب موجه ينتظره.

٨ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات النعيم، يتنعمون فيما أعَدَّ الله لهم فيها.

٩ ماكنين فيها، وعدهم الله بذلك وعدًا حَقًّا لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

١٠ خلق الله السَّمَوَاتِ مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبثَّ فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبطنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

١١ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟ بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئًا وهم يُخْلِقُونَ.

١٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

● تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.

● التكبر مانع من اتباع الحق.

● انفراد الله بالخلق، وتحدي الكفار أن تخلق آلهتهم شيئًا.

الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر - يا لقمان - لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جحد نعمة الله عليه كفر به سبحانه فإنما ضرر كفره عليه ولا يضر الله شيئاً فهو غني عن خلقه جميعاً، محمود على كل حال. واذكر - أيها الرسول - إذ قال لقمان لابنه وهو يرعّيه في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار.

ووصينا الإنسان بطاعة أبيه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملاقية مشقة بعد مشقة، وقطعه عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر لله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيته ورعايته، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلا بما يستحقه.

وإن بذل الوالدان جهداً لئحملك على أن تشرك بالله غيره تحكماً منهما، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتحديد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

يا بني، إن السيئة أو الحسنه مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من

خردل وكانت في بطن صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض - فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء، خبير بحقائقها وموضعها.

يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خيرة لك فيه.

ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض فرحاً معجباً بنفسك، إن الله لا يحب كل مختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم يتكبر بها على الناس ولا يشكر الله عليها.

وتوسط في مشيك بين الإسراع والديب مشياً يظهر الوقار، واخفض من صوتك، لا ترفعه رفعاً يؤدي، إن أقيح الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها.

من قوايد الآيات:

• لما فضل سبحانه ما يصيب الأم من جهد الحمل والوضع دلّ على مزيد برّها.

• نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد.

• وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم.

• شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝۱۲ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝۱۳ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝۱۴ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝۱۵ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝۱۶ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝۱۷ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝۱۸ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝۱۹

الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤١﴾ * وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٤٢﴾ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٨﴾ مَّا خَلَقَكُمْ إِلَّا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٤٩﴾

٤١٣

﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا وَتَشَاهِدُوا - أيها الناس - أَنَّ اللَّهَ يُسَرِّ لَكُمْ الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، وَيُسَرِّ لَكُمْ أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستتير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

﴿٣٠﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي، قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة آلهتنا، أتيتعون أسلافهم ولو كان الشيطان يدعوهم - بما يضلهم به من عبادة الأوثان - إلى عذاب السعير يوم القيامة؟

﴿٣١﴾ ومن يُقبل على الله مخلصًا له عبادته ومحسنًا في عمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، وإلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلًا بما يستحق. ﴿٣٢﴾ ومن كفر بالله فلا يحزنك - أيها الرسول - كفره، إلينا وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها، إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

﴿٣٣﴾ نعمتهم بما نعطهم من الملمات في الدنيا زمنًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار.

﴿٣٤﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: مَن خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهنَّ الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم.

﴿٣٥﴾ لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتبديرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٣٦﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قُطِع وبُري أقلًا ما، وجُعِل البحر حبرًا لها ولو مده سبعة أبحر، ما فنيت كلمات الله لعدم تنافها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره.

﴿٣٧﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بتكنم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق نفس واحدة ويعثها في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو يعثها عن خلق أخرى ويعثها.

﴿٣٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نعم الله وسيلة لشكره والإيمان به، لا وسيلة للكفر به.
- خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد.
- أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته.
- عدم تنافي كلمات الله.

﴿٢١﴾ ألم تر أن الله ينقص من الليل ليزيد النهار، وينقص من النهار ليزيد الليل، وقدر مسار الشمس والقمر؛ إذ يجريان كل في مداره إلى أمٍ محدّد، وأن الله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٢﴾ ذلك التدبير والتقدير يشهدان بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبد المشركون من دونه هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي بذاته وقهره وقدره على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الذي هو أكبر من كل شيء.

﴿٢٣﴾ ألم تر أن السفن تجري في البحر بلطفه وتسخير؛ ليرىكم - أيها الناس - من آياته الدالة على قدرته سبحانه ولطفه، إن في ذلك لدلالات على قدرته لكل ضلّال على ما يصيبه من ضراء، شكور لما يناله من نعماء.

﴿٢٤﴾ وإذا أحاط بهم من كل جانب موج مثل الجبال والغمام، دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء والعبادة، فلما استجاب الله لهم، وأنقذهم إلى البر، وسلمهم من الغرق، فمنهم مقتصد لم يحم بما وجب عليه من الشكر على وجه الكمال، ومنهم جاحد لنعمة الله، وما يجحد بآياتنا إلا كل غدار - مثل هذا الذي عاهد الله لنن أنجاه ليكونن من الشاكرين له - كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه.

﴿٢٥﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم؛ بامتنال وأوامره واجتناب نواهيه، وخافوا عذاب

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٦﴾

آياتها

سورة لقمان

رَبِّهَا

٤١٤

يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود عن والده شيئاً، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملهيات، ولا يخدعكم الشيطان بحلم الله عليكم وتأخير العذاب عنكم.

﴿٢٦﴾ إن الله عنده وحده علم الساعة؛ فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام أذكر هو أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله هو الذي يعلم ذلك كله، إن الله عليم خبير بكل ذلك، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

● من فوائد الآيات:

- نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر؛ آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعم تستحق الشكر.
- الصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله.
- الخوف من القيامة يقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.
- إحاطة علم الله بالغيب كله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● من مقاصد السورة:

بيان حقيقة الخلق وأحوال الإنسان في الدنيا والآخرة.

● التفسير:

① ﴿الْم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

② هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ منزل عليه من رب العالمين لا شك في ذلك.

③ إن هؤلاء الكافرين يقولون: إن محمداً اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربك - أيها الرسول - عليك لتخوف قومًا ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله، لعلهم يهتدون إلى الحق فيتبعوه ويعملوا به.

④ الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، ما لكم - أيها الناس - من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتفكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟

⑤ يدبر الله ﷻ أمر جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أنتم - أيها الناس - في الدنيا.

⑥ ذلك الذي يدبر ذلك كله هو عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه

أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.

⑦ الذي أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق آدم من طين على غير مثال سابق.

⑧ ثم جعل ذريته من بعده من الماء الذي أنسل فخرج منه (المنى).

⑨ ثم أتم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه بأمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم - أيها الناس - الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلاً ما تشكرون هذه النعم لله التي أنعم بها عليكم.

⑩ وقال المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا وغبنا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً، فهل نبعث أحياء من جديد؟ لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به.

⑪ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي فوضه الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.

● من قوايد الآيات:

● الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم.

● ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل.

● استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه.

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَقَّعُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿١٢﴾ سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما جاءت به الرسل من عندك، فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمراً عظيماً.

﴿١٣﴾ ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلاً: لأملأن جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس؛ لاختيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة.

﴿١٤﴾ ويقال لهم يوم القيامة تَبَكَّيْنَاْ لهم وتوبيحاً: ذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مباليين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

ولما ذكر الله حال المجرمين ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿١٥﴾ إنما يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجداً لله مسبحين بحمده، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن السجود له بأي حال.

﴿١٦﴾ تتباعد جنوبهم عن قُرْشِهِم التي كانوا عليها في نومهم بتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعونه في

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوءِ لَٰكِنَّمَا يُمْنُهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَبِّحُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

٤١٦

صلاتهم وغيرها خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، ويذبلون الأموال التي أعطيناهاهم إياها في سبيل الله.

﴿١٧﴾ فلا تعلم أي نفس ما أعدَّ الله لهم مما تقرُّ به أعينهم، جزاءً منه لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات، فهو جزاء لا يحيط به إلا الله لعظمته.

﴿١٨﴾ من كان مؤمناً بالله عاملاً بأوامره مجتنباً لنواهيه، ليس كمن كان خارجاً عن طاعته: لا يستوي الفريقان عند الله في الجزاء.

﴿١٩﴾ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، فجزاؤهم المعد لهم جنات يستقرون فيها كرامة من الله لهم، جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿٢٠﴾ وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي، فمستقرهم الذي أُعِدَّ لهم يوم القيامة النار، ماكثين فيها أبداً، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها، وقيل لهم تَبَكَّيْنَاْ لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما كانت رسلكم تخوفكم منه.

﴿٢١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم؛ لأنها دار جزاء لا دار عمل.
- خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.
- من هدي المؤمنين قيام الليل.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْكِهِمْ أَتَىٰ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

آيَاتُهَا
٧٣

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

آيَاتُهَا
٣٣

٤١٧

﴿٢١﴾ ولنذيقن هؤلاء المكذبين الخارجين عن طاعة ربهم من المحن والبلاء في الدنيا، قبل العذاب الأكبر المعد لهم في الآخرة إن لم يتوبوا؛ لعلهم يعودون إلى طاعة ربهم.

﴿٢٢﴾ ولا أحد أظلم ممن وعظ بآيات الله فلم يتعظ بها، وأعرض عنها غير مُبالٍ بها، إنا من المجرمين - بارتكاب الكفر والمعاصي الذين يعرضون عن آيات الله - منتقمون لا محالة.

﴿٢٣﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن - أيها الرسول - في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هادياً لبني إسرائيل من الضلال.

﴿٢٤﴾ وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يقتدي بهم الناس في الحق، يرشدون إلى الحق، بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه، لما صبروا على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وعلى الأذى في سبيل الدعوة، وكانوا بآيات الله المنزلة على رسولهم يصدقون بها تصديقاً جازماً.

﴿٢٥﴾ إن ربك - أيها الرسول - هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين الحق والمبطل، ويجازي كل بما يستحقه.

﴿٢٦﴾ أعني هؤلاء فلم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من الأمم السالفة؛ فهاهم يمشون في مساكنهم التي كانوا يسكنونها قبل إهلاكهم، فلم يتعظوا بحالهم، إن فيما حدث لتلك الأمم من الإهلاك بسبب كفرهم ومعاصيهم لعبراً يستدل بها على صدق رسلهم الذين جاؤوهم من عند الله، أفلا

يسمع هؤلاء المكذبون بآيات الله سماع قبول وامتثال؟

﴿٢٧﴾ أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث أننا نرسل ماء المطر إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها، فتخرج بذلك الماء زرعاً تأكل منه إبلهم وبقرهم وغنمهم، ويأكلون هم منه؟ أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض القاحلة قادر على إحياء الموتى؟

﴿٢٨﴾ ويقول المكذبون بالبعث مستعجلين العذاب: متى هذا الحكم الذي تزعمون أنه سيفصل بيننا وبينكم يوم القيامة، فيكون مصيرنا النار ومصيركم الجنة؟

﴿٢٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هذا الوعد هو يوم القيامة، إنه يوم الفصل بين العباد حين لا ينفع الذين كفروا بالله في الدنيا تصديقهم بعد معانين يوم القيامة، ولا هم يؤخرون حتى يتوبوا إلى ربهم ويتوبوا إليه.

﴿٣٠﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء بعد تماديهم في ضلالهم، وانتظر ما يحل بهم، إنهم ينتظرون ما تعدهم من العذاب.

﴿٣١﴾ من قوالب الآيات:

- عذاب الكافر في الدنيا وسيلة لتوبته.
- ثبوت اللقاء بين نبينا ﷺ وموسى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.
- الصبر واليقين صفات أهل الإمامة في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝^١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝^٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝^٣ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝^٤ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝^٥ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝^٦

٤١٨

من مقاصد السُّورَة:
بيان عناية الله بنبيه ﷺ، وحماية جنابه وأهل بيته.

التفسير:

١ يا أيها النبي، اثبت ومن معك على تقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وخفه وحده، ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما تهوى نفوسهم، إن الله كان عليماً بما يكيد الكفار والمنافقون، حكيماً في خلقه وتدبيره.

٢ واتبع ما ينزل عليك ربك من الوحي، إن الله كان بما تعملون خبيراً، لا يفوته من ذلك شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

٣ واعتمد على الله وحده في أمورك كلها، وكفى به سبحانه حافظاً لمن توكل عليه من عباده.

٤ لم يجعل الله قلبين في صدر رجل واحد، وكذلك لم يجعل الزوجات بمنزلة الأمهات في التحريم، ولم يجعل كذلك الأبناء بالتبني بمنزلة الأبناء من الصلب، فإن الظهار - وهو تحريم الرجل زوجته عليه كأمه وأخته - وكذلك التبني: من العادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ذلك الظهار والتبني، قول ترددونه بأفواهكم، ولا حقيقة له، فليست الزوجة أمّاً، ولا الدعي أبناً لمن ادعاه، والله سبحانه يقول الحق ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

٥ انسبوا من تزعمون أنهم أبناؤكم إلى آبائهم الحقيقيين،

فنسبتهم إليهم هو العدل عند الله، فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين ومحرمونكم من الرق، فتأدوا أحدهم بيا أخي ويا ابن عمي، ولا إثم عليكم إذا أخطأ أحدكم فتسبب دعياً إلى مدعيه، ولكن تأثمون عند تعدد النطق بذلك، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم حيث لم يؤاخذهم بالخطأ.

٦ النبي محمد ﷺ أحقّ بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل إلى غيره، وزوجاته ﷺ بمنزلة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته ﷺ، وذوو القرابة بعضهم أحقّ ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله، الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفًا من إيضاء لهم وإحسان إليهم فلکم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطوراً فيجب العمل به.

من قوالب الأدب:

- لا أحد أكبر من أن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.
- رفع المؤاخذه بالخطأ عن هذه الأمة.
- وجوب تقديم مراد النبي ﷺ على مراد الأنفس.
- بيان علو مكانة أزواج النبي ﷺ، وحرمة نكاحهن من بعده؛ لأنهن أمهات للمؤمنين.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧
لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتُمُ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثَمَّةٌ سَبِيلُ الْفِتْنَةِ
لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ١٥

٤١٩

٧ واذكر - أيها الرسول - إذ أخذنا من الأنبياء عهدًا مؤكدًا أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يُبَلِّغُوا ما أنزل إليهم من الوحي، وأخذناه على وجه الخصوص منك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم؛ وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا على الوفاء بما اتَّفقوا عليه من تبليغ رسالات الله.

٨ أخذ الله هذا العهد المؤكد من الأنبياء ليسأل الصادقين من الرسل عن صدقهم تَبَكُّيًّا للكافرين، وأعدَّ الله للكافرين به وبرسله يوم القيامة عذابًا موجعًا هونار جهنم.

٩ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمًا بالغة، وعملوا بما شرع، اذكروا نعمة الله عليكم، حين جاءت المدينة جنود الكفار متحزبين على قتالكم، وساندتهم المنافقون واليهود، فبعثنا عليهم ريحًا هي ريح الصبا التي تُصير بها النبي ﷺ، وبعثنا جنودًا من الملائكة لم تروها، فولى الكفار هاربين لا يقدرُونَ على شيء، وكان الله بما تعملون بصيرًا لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على أعمالكم.

١٠ وذلك حين جاءكم الكفار من أعلى الوادي ومن أسفل من جهتي المشرق والمغرب، حينها مالت الأبصار عن كل شيء إلا عن نظر عدوِّها، ووصلت القلوب إلى الحناجر من شدة الخوف، وتظنون بالله الظنون المختلفة؛ فتارة تظنون النصر، وتارة تظنون اليأس منه.

١١ في ذلك الموقف في غزوة الخندق اختبر المؤمنون بما لأقوه من تكالب أعدائهم عليهم، واضطربوا اضطرابًا شديدًا من شدة الخوف، وتبين بهذا الاختبار المؤمن والمنافق.

١٢ يومئذ قال المنافقون وضعاغ الإيمان الذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدونا والتمكين لنا في الأرض إلا باطلاً لا أساس له.

١٣ واذكر - أيها الرسول - حين قال فريق من المنافقين لأهل المدينة: يا أهل يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام)، لا إقامة لكم عند سفح سَلْع قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو، وليست بمكشوفة كما زعموا، وإنما يريدون بهذا الاعتذار الكاذب الفرار من العدو.

١٤ ولودخل العدو عليهم المدينة من جميع نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك بالله لأعطوا عدوهم ذلك، وما احتبسوا عن الردة والتكوص إلى الكفر إلا قليلًا.

١٥ ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله بعد فرارهم يوم أحد من القتال: لئن أشهدهم الله قتالًا آخر ليقاتلنَّ عدوهم، ولا يفروا خوفًا منهم، ولكنهم نكثوا، وكان العبد مسؤولًا عما عاهد الله عليه، وسوف يُحاسَب عليه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● منزلة أولي العزم من الرسل.

● تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد.

● خذلان المنافقين للمؤمنين في المحن.

١٦ يومئذ قال المنافقون وضعاغ الإيمان الذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدونا والتمكين لنا في الأرض إلا باطلاً لا أساس له.

١٧ واذكر - أيها الرسول - حين قال فريق من المنافقين لأهل المدينة: يا أهل يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام)، لا إقامة لكم عند سفح سَلْع قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو، وليست بمكشوفة كما زعموا، وإنما يريدون بهذا الاعتذار الكاذب الفرار من العدو.

١٨ ولودخل العدو عليهم المدينة من جميع نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك بالله لأعطوا عدوهم ذلك، وما احتبسوا عن الردة والتكوص إلى الكفر إلا قليلًا.

١٩ ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله بعد فرارهم يوم أحد من القتال: لئن أشهدهم الله قتالًا آخر ليقاتلنَّ عدوهم، ولا يفروا خوفًا منهم، ولكنهم نكثوا، وكان العبد مسؤولًا عما عاهد الله عليه، وسوف يُحاسَب عليه.

﴿١٦﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ: لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْقِتَالِ خَوْفًا أَوْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ مِنَ الْقَتْلِ؛ لِأَنَّ الْأَجَالَ مُقَدَّرَةٌ، وَإِذَا فَرَرْتُمْ وَلَمْ يَحْنِ أَجْلُكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَمْتَعُونَ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا.

﴿١٧﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: مَنْ ذَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

﴿١٨﴾ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْكُمْ لَغَيْرِهِمْ عَنِ الْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: تَعَالَا إِلَيْنَا وَلَا تَقَاتِلُوا مَعَهُ حَتَّى لَا تُقَاتِلُوا، فَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكُمْ الْقِتْلَ، وَهَؤُلَاءِ الْمُحْذَرُونَ لَا يَأْتُونَ الْحَرْبَ وَلَا يَشَارِكُونَ فِيهَا إِلَّا نَادِرًا؛ لِيُدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَارَ، لَا لِيَنْصُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

﴿١٩﴾ يَخْلَاءُ عَلَيْكُمْ - مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ - بِأَمْوَالِهِمْ فَلَا يَعِينُونَكُمْ بِبِذْلِهَا، وَيَخْلَاءُ بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا يَقَاتِلُونَ مَعَكُمْ، وَيَخْلَاءُ بِمُودِنِهِمْ فَلَا يُوَادُّونَكُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الْجَبَنِ مِثْلَ دُورَانِ عَيْنِي مِنْ يِعَانِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ وَاطْمَأْنَأُوا أَذُوكُمْ بِالْكَلَامِ بِالسِّنَةِ سَلِيطةً، أَشِحَّةً عَلَى الْغَنَائِمِ يَبْحَثُونَ عَنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقًّا، فَأَبْطَلَ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ الْإِبْطَالُ يَسِيرًا عَلَى اللَّهِ.

﴿٢٠﴾ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْجَبَنَاءُ أَنَّ الْأَحْزَابَ الْمُتَأَلِّبَةَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ لَنْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ قَدَّرَ أَنْ يَجَاءَ الْأَحْزَابُ مَرَّةً أُخْرَى يَوْذُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَنَّهُمْ خَارِجُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ، يَسْأَلُونَ عَنْ أَخْبَارِكُمْ: مَاذَا حَدَّثَ لَكُمْ بَعْدَ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ لَكُمْ؟ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مَا قَاتَلُوا مَعَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا، فَلَا تَبَالُوا بِهِمْ، وَلَا تَأْسُوا عَلَيْهِمْ.

﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ وَوَقَامُ بِهِ وَفِعْلُهُ، قِدْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَدْ حَضَرَ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَبَاشَرَ الْحَرْبَ، فَكَيْفَ تَبْخُلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِهِ؟ وَلَا يَتَأَسَّى بِرَسُولِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا مَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ، وَيَرْجُو الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَيَعْمَلُ لَهُ، وَذَكَرَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَأَمَّا الَّذِي لَا يَرْجُو الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ كَثِيرًا فَإِنَّهُ لَا يَتَأَسَّى بِرَسُولِهِ ﷻ.

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا عَايَنَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ الْمُجْتَمِعَةَ لِقِتَالِهِمْ قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْإِبْطَالِ وَالْمَحْنِ وَالنَّصْرِ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي هَذَا، فَقَدْ تَحَقَّقَ، وَمَا زَادَتْهُمْ مَعَانِيَتُهُمْ لِلْأَحْزَابِ إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَاتِّقِيادًا لَهُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الْأَجَالَ مُقَدَّرَةٌ: لَا يُقَرَّبُهَا قِتَالٌ، وَلَا يُبْعَدُهَا هُرُوبٌ مِنْهُ.
- التَّشْبِيهُ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ شَأْنَ الْمُنَافِقِينَ دَائِمًا.
- الرُّسُولُ ﷻ قِدْوَةٌ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.
- الثِّقَّةُ بِاللَّهِ وَالْإِتِّقَانُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

٢٣ من المؤمنين رجال صدقوا الله، فوقوا بما عاهدوه عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فمنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه مثل ما فعله المنافقون بعهودهم.

٢٤ ليجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة، وكان الله غفوراً لمن تاب من ذنوبه، رحيماً به. ٢٥ ورد الله قريشاً وغطفان والذين معهم بكربهم وغمهم لفوتهم ما أملوا، لم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال معهم؛ بما أرسله من الريح وأنزله من الملائكة، وكان الله قوياً عزيزاً لا يغالبه أحد إلا غلبه وخذله.

٢٦ وأنزل الله الذين أعانوه من اليهود من حصونهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، وألقى الخوف في نفوسهم، فريقاً تقتلونهم - أيها المؤمنون - وفريقاً تأسرونهم. ٢٧ وملكمكم الله بعد هلاكهم أرضهم بما فيها من زروع ونخيل، وملكمكم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملكمكم أرض خيبر التي لم تطؤوها بعد، لكنكم ستطؤونها، وهذا وعد وبشرى للمؤمنين، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

٢٨ يا أيها النبي، قل لأزواجك حين طلبن منك التوسعة في النفقة ولم يكن عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعكن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيذاء.

٢٩ وإن كنتم تردن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

٣٠ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعصية ظاهرة يضاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

٣١ من قوايد الآيات،

• تركية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.

• عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.

• سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.

• اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهن.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ٢٤ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٢٥ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٦ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٧ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٩ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٣٠ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣١

عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعكن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيذاء.

٢٩ وإن كنتم تردن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

٣٠ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعصية ظاهرة يضاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

٣١ من قوايد الآيات،

• تركية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.

• عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.

• سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.

• اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهن.

﴿٢٢﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ثَوَّابًا
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ يَدْنَسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٤﴾ وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٦﴾
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَلِيلَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَبِاتُوا فِي الْبُيُوتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

٤٢٢

﴿٢٢﴾ ومن تدبم على طاعة الله
ورسوله منكن، وتعمل عملاً صالحاً
مريضاً عند الله - نعطها من الثواب
ضعف غيرها من سائر النساء،
وأعدنا لها في الآخرة أجراً كريماً
وهو الجنة.

﴿٢٣﴾ يا نساء النبي محمد ﷺ، لستن
في الفضل والشرف مثل سائر النساء،
بل أنتن في الفضل والشرف بالمنزلة
التي لا يصل إليها غيركن إن امتثلتن
أوامر الله واجتبتن نواهيها، فلا
تليقن القول وترفقن الصوت إذا تكلمتن
مع الأجانب من الرجال، فيطمع بسبب
ذلك من في قلبه مرض النفاق وشهوة
الحرام، وقلن قولاً بعيداً من الريبة
بأن يكون جذاً لا هزلاً بقدر الحاجة.

﴿٢٤﴾ واثبتن في بيوتكن، فلا تخرجن
منها لغير حاجة، ولا تظهري محاسنكن
صنيع من كن قبل الإسلام من النساء
حيث كن يبدن ذلك استمالة للرجال،
وآدين الصلاة على أكمل وجه،
وأعطين زكاة أموالكن، وأطعن الله
ورسوله، إنما يريد الله سبحانه أن
يذهب عنكم الأذى والسوء، يا أزواج
رسول الله ويا أهل بيته، ويريد أن
يطهر نقوسكن؛ بتخليتها بفضائل
الأخلاق، وتخليتها عن رذائلها تطهيراً
كاملاً، لا يبقى بعده دس.

﴿٢٥﴾ واذكرن ما يقرأ في بيوتكن
من آيات الله المنزلة على رسوله،
ومن سنة رسوله المطهرة، إن الله
كان لطيفاً بكن حين امتن عليكن بأن
جعلكن في بيوت نبيه، خبيراً بكن حين
اصطفاكم أزواجاً لرسوله، واختاركن
أمهات لجميع المؤمنين من أمته.

﴿٢٦﴾ إن المتذللين لله بالطاعة

والمتذلللات، والمصدقين بالله والمصدقات، والمطيعين والمطيعات لله، والصادقين والصادقات في إيمانهم وقولهم، والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، والمتصدقين والمتصدقات بأموالهم في الفرض والنفل، والصائمين
والصائمات لله في الفرض والنفل، والحافظين فروجهم والحافظات فروجهن بسترها عن الكشف أمام من لا يحل له النظر إليها،
وبالبعد عن فاحشة الزنى ومقدماتها، والذاكرين والذاكرات الله بقلوبهم وألسنتهم كثيراً سرّاً وعلانية - أعد الله لهم مغفرة منه
لذنوبهم، وأعد لهم ثواباً عظيماً يوم القيامة وهو الجنة.

﴿٢٧﴾ من قوايد الآيات:

- من توجيهات القرآن للمرأة المسلمة: النهي عن الخضوع بالقول، والأمر بالمكث في البيوت إلا لحاجة، والنهي عن التبرج.
- فضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من أهل بيته.
- مبدأ التساوي بين الرجال والنساء قائم في العمل والجزاء إلا ما استثناه الشرع لكل منهما.

(٣٦) وَلَا يَصِحُّ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ، أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي قَوْلِهِ أَوْ رَفْضِهِ، وَمِنْ بَعْضِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ضَلَالًا وَاضِحًا.

(٣٧) وَإِذْ تَقُولُ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ بِالْعَتَقِ - وَالْمَقْصُودُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه حِينَ جَاءَكَ مَشَاوِرًا فِي شَأْنِ طَلَاقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَلَا تَطْلُقْهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بَامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَكْتُمُ فِي نَفْسِكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ لَكَ مِنْ زَوَاجِكَ بِزَيْنَبٍ خَشْيَةً مِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَيُظْهِرُ طَلَاقَ زَيْدٍ لَهَا ثُمَّ زَوَّاجَكَ مِنْهَا وَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخْشَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ وَرَغِبَ عَنْهَا وَطَلَقَهَا زَوَّاجُكَاهَا؛ لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِثْمٌ فِي التَّرُوجِ بِزَوَّاجَاتِ أَبْنَائِهِمُ بِالْتَّبَنِّي إِذَا طَلَّقُوهُنَّ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَلَا حَائِلٌ دُونَهُ.

(٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِثْمٍ أَوْ تَضْيِيقٍ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ نِكَاحِ زَوْجَةِ ابْنِهِ بِالْتَّبَنِّي، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَّبِعُ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَيْسَ هُوَ ﷺ بِدَّعَا مِنَ الرِّسَالَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ - مِنْ إِمْتَامِ هَذَا الزَّوْجِ وَابْطَالِ التَّبَنِّي وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ فِيهِ رَأْيٌ أَوْ خِيَارٌ - قَضَاءً نَافِذًا لَا مَرَدَّ لَهُ.

(٣٩) هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى أُمَّمِهِمْ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَلَا يَلْتَمِثُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ عِنْدَمَا يَفْعَلُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَفَى

بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ لِحَاسِبِهِمْ عَلَيْهَا، وَيجازيهم بها؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

(٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَيْسَ هُوَ وَالِدُ زَيْدٍ حَتَّى يَحْرَمَ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَقَهَا، وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ.

(٤١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، اذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا.

(٤٢) وَنَزَّهْهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرِهِ؛ لِفَضْلِهِمَا.

(٤٣) هُوَ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ وَيُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَتَدْعُوا لَكُمْ مَا لَكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ فَلَا يَعْذِبُهُمْ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فَامْتَلَأُوا أَمْرَهُ وَاجْتَنِبُوا نَهْيَهُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وَجُوبُ اسْتِسْلَامِ الْمُؤْمِنِ لِحُكْمِ اللَّهِ وَالْإِنْقِيَادَ لَهُ.

• اِطْلَاعُ اللَّهِ عَلَى مَا فِي النَفُوسِ.

• مِنْ مَنَاقِبِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: أَنَّ زَوْجَهَا اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

• فَضْلُ ذِكْرِ اللَّهِ، خَاصَّةً وَقْتُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ وَسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَيِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)

٤٤ تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام وأمان من كل سوء، وأعد الله لهم أجرًا كريماً - وهو جنته - جزاء لهم على طاعتهم له، وبعدهم عن معصيته.

٤٥ يا أيها النبي، إنا بعثناك إلى الناس شاهداً عليهم بأن بلغتهم ما أرسلت به إليهم، ومبشراً للمؤمنين ومنهم بما أعد الله لهم من الجنة، ومخوفاً للكافرين مما أعد لهم من عذابه.

٤٦ وبعثناك داعياً إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحاً منيراً يستنير به كل من يريد الهداية. ٤٧ وأخبر المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم، بما يسرهم أن لهم من الله سبحانه فضلاً عظيماً يشمل نصرهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

٤٨ ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فلعل ذلك يكون أدعى لأن يؤمنوا بما جئتكم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلًا يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة.

٤٩ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا عقدتم على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن فما لكم عليهن من عدة، سواء كانت بالأقراء أو الشهور؛ للعلم ببراءة أرحامهن بعدم البناء بهن، ومتعهن بأموالكم حسب وسعكم؛ جبراً لخواتمهن المنكسرة بالطلاق، وخلوا سبيلهن بالمعروف

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ٤٤ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ٤٦ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ٤٧ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٤٨ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِيتَعُوهُنَّ وَسَرَاحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٤٩ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ٥٠ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكُمْ وَلَا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥١

٤٢٤

دون إيداء لهن.

٥٠ يا أيها النبي، إنا أبخنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهرهن، وأحللنا لك ما ملكت من الإماء مما أفاء الله به عليك من السبايا، وأحللنا لك نكاح بنات عمك، ونكاح بنات خالك، ونكاح بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، وأحللنا لك أن تنكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك من غير مهر إن أردت أن تنكحها، ونكاح الهبة خاص به ﷺ لا يجوز لغيره من الأمة، قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نسوة، وما شرعناه لهم في شأن إمائهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بهن شاؤوا منهن دون تقييد بعدد، وأبخنا لك ما أبخنا مما ذكر مما لم نبخه لغيرك؛ لتلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفوراً لمن تاب من عبادته، رحيماً بهم.

٥١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصبر على الأذى من صفات الداعية الناجح.
- يُنْذَبُ لِلزَّوْجِ أَنْ يُعْطِيَ مَطْلَقَتَهُ قَبْلَ الدَّخُولِ بِهَا بَعْضَ الْمَالِ جِزْراً لَخَاطَرِهَا.
- خصوصية النبي ﷺ بجواز نكاح الهبة، وإن لم يحدث منه.

﴿٥٦﴾ تَوَخَّرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مَنْ تَشَاءُ تَأْخِيرَ قَسَمِهِ مِنْ نَسَائِكَ فَلَا تَبِيتَ مَعَهَا، وَتَضَمَّنْ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءَ مِنْهُنَّ فَتَبِيتَ مَعَهَا، وَمَنْ طَلَبْتَ أَنْ تَضُمَّهُمَا مِنْ أُمَّهَاتِهِنَّ فَلَا إِثْمَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ذَلِكَ التَّخْيِيرُ وَالتَّوَسُّعُ لَكَ أَقْرَبُ أَنْ تَقَرَّرَ بِهِ أَعْيُنَ نَسَائِكَ، وَأَنْ يَرْضِينَ بِمَا أُعْطِيَتْهُنَّ جَمِيعَهُنَّ؛ لَعَلَّهِنَّ أَنْكَ لَمْ تَتْرَكَ وَاجِبًا، وَلَمْ تَبْخُلْ بِحَقِّ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، حَلِيمًا لَا يَعْجَلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ.

﴿٥٧﴾ لَا يَجُوزُ لَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنْ تَتَزَوَّجَ بِنِسَاءٍ غَيْرِ زَوْجَاتِكَ اللَّاتِي هُنَّ فِي عَصَمَتِكَ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَطْلُقَهُنَّ، أَوْ تَطْلُقَ بَعْضُهُنَّ لِتَأْخُذَ غَيْرَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنٌ مِنْ تَرِيدَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهَا مِنَ النِّسَاءِ غَيْرَهُنَّ، لَكِنْ يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُتَسَرَّيَ بِمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْإِمَاءِ دُونَ حَصَرٍ فِي عِدَدٍ مُحَدَّدٍ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظًا، وَهَذَا الْحُكْمُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ مُنِعَ طَلَاقُهُنَّ وَالزَّوْجُ عَلَيْهِنَّ.

﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَكُمْ، لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ بِدُخُولِهَا بِدَعْوَتِكُمْ إِلَى طَعَامٍ، وَلَا تَطِيلُوا الْجُلُوسَ تَنْتَظِرُونَ نَضِجَ الطَّعَامِ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى طَعَامٍ فَادْخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمْ فَانْصَرَفُوا، وَلَا تَمْكُثُوا بَعْدَهُ يَسْتَأْذِنُ بَعْضُكُمْ بِحَدِيثِ بَعْضٍ، إِنْ ذَلِكَ الْمَكْثُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَطْلُبَ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَأْمُرَ بِالْحَقِّ، فَأَمْرُكُمْ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْهُ حَتَّى لَا تُؤْذَوْهُ ﷺ بِالْمَكْثِ، وَإِذَا طَلَبْتُمْ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ حَاجَةً مِثْلَ آتِيَةٍ وَنَحْوِهَا فَاطْلُبُوا حَاجَتَكُمْ تِلْكَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ، وَلَا تَطْلُبُوهَا مِنْهُنَّ مُوَاجَهَةً حَتَّى لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُكُمْ؛ صَوْنًا لَهُنَّ؛ لِمَكَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الطَّلَبُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ؛ حَتَّى لَا يَطَّرُقَ الشَّيْطَانُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ بِالْوَسْوَسَةِ وَتَزْيِينِ الْمُنْكَرِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَكْثِ لِلْحَدِيثِ، وَلَا أَنْ تَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، فَهِنَّ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ، إِنْ ذَلِكَ الْإِذَاءُ - وَمِنْ صَوَرِهِ نِكَاحُكُمْ نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ - حَرَامٌ وَيَعِدُّ عِنْدَ اللَّهِ إِثْمًا عَظِيمًا.

﴿٥٩﴾ إِنْ تَطَهَّرُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ أَوْ تَسْتَرَوْهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، فَلَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عَظُمَ مَقَامُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ رَبِّهِ؛ وَلِذَلِكَ عَاتَبَ الصَّحَابَةُ ﷺ الَّذِينَ مَكَثُوا فِي بَيْتِهِ ﷺ لِتَأْذِيهِ مِنْ ذَلِكَ.
- ثُبُوتُ صِفَتِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى.
- الْحَيَاءُ مِنَ اخْتِلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ.
- صِيَانَةُ مَقَامِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

الْحَدِيثُ

﴿٥٦﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَسْتَعِيتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٧﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٩﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٩﴾

حَاجَةً مِثْلَ آتِيَةٍ وَنَحْوِهَا فَاطْلُبُوا حَاجَتَكُمْ تِلْكَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ، وَلَا تَطْلُبُوهَا مِنْهُنَّ مُوَاجَهَةً حَتَّى لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُكُمْ؛ صَوْنًا لَهُنَّ؛ لِمَكَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الطَّلَبُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ؛ حَتَّى لَا يَطَّرُقَ الشَّيْطَانُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ بِالْوَسْوَسَةِ وَتَزْيِينِ الْمُنْكَرِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَكْثِ لِلْحَدِيثِ، وَلَا أَنْ تَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، فَهِنَّ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ، إِنْ ذَلِكَ الْإِذَاءُ - وَمِنْ صَوَرِهِ نِكَاحُكُمْ نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ - حَرَامٌ وَيَعِدُّ عِنْدَ اللَّهِ إِثْمًا عَظِيمًا.

﴿٥٩﴾ إِنْ تَطَهَّرُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ أَوْ تَسْتَرَوْهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، فَلَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا
 أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ٥٥ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَلِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا
 يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
 لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ مَلْعُونِينَ
 أَيْمَنُوا بِقَوْلِهِمْ أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا ٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢

الجزء الثاني

٤٢٦

عباده، رحيمًا به.

٥٥ لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم؛ بإضمارهم الكفر وأظهارهم الإسلام، والذين في قلوبهم فجور بتعلقهم بشهواتهم، والذين يأتون بالأخبار الكاذبة في المدينة ليفرقوا بين المؤمنين - لأمرتك - أيها الرسول - بمعاقتهم، ولتسلطك عليهم، ثم لا يساكنوك في المدينة إلا قليلًا من الزمن؛ لإهلاكهم أو طردهم عنها بسبب إفسادهم في الأرض.

٥٦ مطرودين من رحمة الله، في أي مكان لقوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً؛ لنفاقهم ونشرهم الفساد في الأرض.

٥٧ هذه سنة الله الجارية في المنافقين إذا أظهروا النفاق، وسنة الله ثابتة لن تجد لها أبدًا تغييرًا.

٥٨ من قوايد الآيات؛

• علو منزلة النبي ﷺ عند الله وملائكته.

• حرمة إيذاء المؤمنين دون سبب.

• النفاق سبب لنزول العذاب بصاحبه.

٥٥ لا إثم عليهن أن يراهن ويكلمهن دون حجاب: أبائهن، وأولادهن، وإخوانهن، وأبناء إخوانهن، وأبناء أخواتهن من النسب أو الرضاة، ولا إثم عليهن أن يكلمهن دون حجاب: النساء المؤمنات، وما ملكت أيمانهن، واتقين الله - أيها المؤمنات - فيما أمر به ونهى عنه سبحانه، فهو مُشاهد لما يظهر منك ويصدر عنك.

٥٦ إن الله ينثي عند ملائكته على الرسول محمد ﷺ، وملائكته يدعون له، يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لعباده، صلوا على الرسول وسلموا عليه تسليماً.

ولما أمر الله بتعظيم الرسول ﷺ والصلاة عليه نهى عن إيذائه فقال: ٥٧ إن الذين يؤذون الله ورسوله بالقول أو الفعل أبدهم الله ومطردهم من رحاب رحمته في الدنيا وفي الآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذاباً مذللاً جزاء لهم على ما اقترفوه من إيذاء رسوله.

٥٨ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول أو الفعل بغير ذنب اكتسبوه من جناية توجب ذلك الإيذاء، فقد احتملوا كذباً وإثماً ظاهراً.

٥٩ يا أيها النبي قل لأزواجك، وقل لبناتك، وقل لنساء المؤمنين: ليُرخين عليهن من الجلايب التي يلبسها حتى لا تنكشف منهن عورة أمام الأجانب من الرجال؛ ذلك أقرب أن يعرف أنهن حرائر فلا يتعرض لهن أحد بالإيذاء كما يتعرض به للإماء، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۖ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ۖ ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ۖ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۖ ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۖ ﴿٦٩﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَارَقَ فَوْزًا عَظِيمًا ۖ ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٧٣﴾

﴿٦٣﴾ يسألك المشركون - أيها الرسول - سؤال إنكار وتكذيب، ويسألك اليهود أيضًا؛ عن الساعة؛ متى وقتها؟ قل لهؤلاء: علم الساعة عند الله ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة؟

﴿٦٤﴾ إن الله سبحانه طرد الكافرين من رحمته، وهنأ لهم يوم القيامة نارًا ملتهية تنتظرهم.

﴿٦٥﴾ ماكنون في عذاب تلك النار المعدة لهم أبدًا، لا يجدون فيها وليًا ينفعهم، ولا نصيرًا يدفع عنهم عذابها.

﴿٦٦﴾ يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة التحسر والندم: يا ليتنا في حياتنا الدنيا كنا أطعنا الله بامتثال ما أمرنا به، واجتنب ما نهانا عنه، وأطعنا الرسول فيما جاء به من ربه.

﴿٦٧﴾ جاء هؤلاء بحجة واهية باطلة فقالوا: ربنا إنا أطعنا رؤسائنا وكبراء أقوامنا، فأضلونا عن الصراط المستقيم.

﴿٦٨﴾ ربنا، اجعل لهؤلاء الرؤساء والكبراء الذين أضلونا عن الصراط المستقيم ضِعْفَيْنِ ما جعلت لنا من العذاب لإضلالهم إيانا، واطردهم من رحمتك طردًا عظيمًا.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تؤذوا رسولكم فتكونوا مثل الذين آذوا موسى كعبيهم له في جسده فبرَّاه الله مما قالوا، فتبين لهم سلامته مما قالوا فيه، وكان موسى عند الله وجيهاً، لا يرد طلبه، ولا يخيب مسعاه.

﴿٧٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وقولوا قولاً صواباً صدقاً. إنكم إن اتقيتم الله وقلتم قولاً صواباً، أصلح لكم أعمالكم، وتقبلها منكم، ومَحَا عنكم ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً لا يدانيه أي فوز، وهو الفوز برضا الله ودخول الجنة.

﴿٧١﴾ إنا عرضنا التكاليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبتها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة حملها.

﴿٧٢﴾ حملها الإنسان بقدر من الله: ليعذب المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء؛ على نفاقهم وشركهم بالله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أحسنوا حمل أمانة التكاليف، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده رحيماً بهم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اختصاص الله بعلم الساعة.
- تحميل الأتباع كِبَرَاءَهُمْ مسؤولية إضلالهم لا يعفيهم هم من المسؤولية.
- شدة التحريم لإيذاء الأنبياء بالقول أو الفعل.
- عظم الأمانة التي تحمّلها الإنسان.

آياتها
٣٤

سورة سبأ

آياتها
٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
 فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
 يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
 الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
 قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
 ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٣ لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِيءَايَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ
 لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ۝٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
 يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧

٤٢٨

١ من مَقاصد السُّورَة: بيان أحوال الناس مع النعم، وسنة الله في تغييرها.

٢ التفسير: الحمد لله الذي له كل ما في

السموات وكل ما في الأرض، خلقاً وملكاً وتديراً، وله سبحانه الثناء في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتديريه، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

٣ يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

٤ وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبداً، قل لهم - أيها الرسول - بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تكذبون بها، لكن لا يعلم وقت ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه سبحانه وزن أصغر نملة في السموات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

٥ أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك

المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة.

٦ والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشد.

٧ ويشهد علماء الصحابة ومن آمن من علماء أهل الكتاب أن الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحق الذي لا مزية فيه، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

٨ وقال الذين كفروا بالله لبعضهم: تعجبنا وسخرية مما جاء به الرسول ﷺ: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وقطعتم تقطيعاً أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء؟

٩ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• سعة علم الله سبحانه المحيط بكل شيء.

• فضل أهل العلم.

• إنكار المشركين لبعث الأجساد تُكْرَرُ لقدرة الله الذي خلقهم.

﴿٨﴾ وقالوا: هل اخلق هذا الرجل على الله كذباً فزعم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يهدي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.

﴿٩﴾ أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خسف الأرض من تحت أقدامهم خسفناها من تحتهم، وإن نشأ أن نسقط عليهم قطعا من السماء لأسقطناها عليهم، إن في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد كثير الرجوع إلى طاعة ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

﴿١٠﴾ ولقد أعطينا داود ﴿١٠﴾ منا نبوة وملكاً، وقلنا للجبال: يا جبال، سبّحي مع داود، وهكذا قلنا للطير، وصبرنا له الحديد ليثماً ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

﴿١١﴾ أن اعمل - يا داود - دروعاً واسعة تقي مقاتليك بأس عدوهم، وصبر المسامير مناسبة للخلق فلا تجعلها دقيقة بحيث لا تستقر فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملاً صالحاً، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

﴿١٢﴾ وسخرنا سليمان بن داود ﴿١٢﴾ الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسيلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، والذي يميل من الجن عما أمرناه به من العمل نذيقه من عذاب النار الملتهبة. يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدور الطبخ الثابتات فلا يحركن لعظمهن، وقلنا لهم: اعملوا - يا آل داود - شكرًا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿١٣﴾ فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فلما سقطت تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذل لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان ﴿١٣﴾ فلما منهم أنه حي يراقبهم.

﴿١٤﴾ من قوايد الآيات:

- تكريم الله نبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، والآلة الحديد له.
- تكريم الله نبيه سليمان ﴿١٢﴾ بالنبوة والملك.
- اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يدعى من أن للجن أو غيرهم اطلاعاً على الغيب.

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَاشِئَ خُسْفٍ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ عُدُوهُمَا شَهْرًا وَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رِيٍّ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ وَقَلَّمَ آخَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾ وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، والذي يميل من الجن عما أمرناه به من العمل نذيقه من عذاب النار الملتهبة. يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدور الطبخ الثابتات فلا يحركن لعظمهن، وقلنا لهم: اعملوا - يا آل داود - شكرًا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿١٣﴾ فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فلما سقطت تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذل لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان ﴿١٣﴾ فلما منهم أنه حي يراقبهم.

﴿١٤﴾ من قوايد الآيات:

- تكريم الله نبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، والآلة الحديد له.
- تكريم الله نبيه سليمان ﴿١٢﴾ بالنبوة والملك.
- اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يدعى من أن للجن أو غيرهم اطلاعاً على الغيب.

ولما ذكر الله ما أنعم به على داود
وابنه سليمان ﷺ، ذكر ما أنعم به
على أهل سبأ، إلا أن داود وسليمان
ﷺ شَكَرَا اللَّهَ وَأَهْلَ سَبَأٍ كَفَرُوا،
فقال:

﴿١٥﴾ لقد كان لقييلة سبأ في مسكنهم
الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة
على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي
جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية
عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق
ربكم، واشكروا على نعمه؛ هذه بلدة
طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب
من تاب إليه.

﴿١٦﴾ فأعرضوا عن شكر الله
والإيمان برسله، فعاقبناهم بتبديل
نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلًا
جارفًا خرب سدهم وأغرق مزارعهم،
وبدلناهم بِيَسْتَأْنِتِهِمْ بُسْتَانَيْنِ مُتَمَرِّينِ
بالشمر المر، وفيهما شجر الأثل غير
المثمر، وشيء قليل من السدر.

﴿١٧﴾ ذلك التبديل - العاصل لما
كانوا عليه من النعم - بسبب كفرهم
وعراضهم عن شكر النعم، ولا نقاب
هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم
الله الكفور به سبحانه.

﴿١٨﴾ وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن
وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى
متقاربة، وقدرنا فيها السير بحيث
يسيروا من قرية إلى قرية دون مشقة
حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا
فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن
من العدو والجوع والعطش.

﴿١٩﴾ فبطروا نعمة الله عليهم
بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد
بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى
نذوق تعب الأسفار، وتظهر مزية

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ وَبَلَدٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ يَكْفُرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿٤٣٠﴾

ركائبنا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره وحسدتهم للفقراء منهم، فصيّرناهم أحاديث يتحدث بها من
بعدهم، وفرقناهم في البلاد كل تقريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم. إن في ذلك المذكور - من الإنعام على أهل سبأ ثم الانتقام
منهم لكفرهم وبطرهم - لعبرة لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

﴿٢٠﴾ ولقد حَقَّقَ عليهم إبليس ما ظنّه من أنّه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من
المؤمنين فإنهم خيبروا رجاءه بعدم اتباعهم له.

﴿٢١﴾ وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلوا، وإنما كان يزين لهم ويغويهم، إلا أننا أدبنا له في إغوائهم ليظهر
أمر من يؤمن بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو منها في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده،
ويجازيهم عليها. ﴿٢٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله ليجلبوا لكم النفع أو
يكتشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من معين يعينه،
فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ

• الشكر يحفظ النعم، والجحود يسبب سلبها. • الأمن من أعظم النعم التي يمتنُّ الله بها على العباد. • الإيمان الصحيح
يعصم من اتباع إغواء الشيطان بإذن الله. • ظهور إبطال أسباب الشرك ومدخله كالزعم بأن للأصنام مُلْكًا أو مشاركة لله، أو إعانة
أو شفاعة عند الله.

﴿٢٣﴾ وَلَا تَتَفَنَّعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ جَبَرِيلُ: قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ وَقَهْرُهُ، الْكَبِيرُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ.

﴿٢٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَمَنْ الْأَرْضُ بِأَنْبَاتِ الثَّمَرَاتِ وَالزَّرْعِ وَالْفَوَاكِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؟ قُلْ: اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ مِنْهَا، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - لَعَلَىٰ هُدَايَةٍ أَوْ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الطَّرِيقِ، فَاحْدُنَا لَا مَحَالَةَ كَذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَهْلَ الْهُدَىٰ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿٢٦﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: لَا تَسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ ذُنُوبِنَا الَّتِي ارْتَكَبْنَاهَا، وَلَا تُسْأَلُ نَحْنُ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

﴿٢٧﴾ قُلْ لَهُمْ: يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، فَيُبَيِّنُ الْمُحَقِّقَ مِنَ الْمُبْطِلِ وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، الْعَلِيمُ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ.

﴿٢٨﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: أَرُونِي الَّذِينَ جَعَلْتُمُوهُمْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ تَشْرِكُونَهُمْ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ، كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرْتُمْ مَنْ أَنْ لَهُ شُرَكَاءُ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

﴿٢٩﴾ وَمَا بَعَثْنَاكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - إِلَّا لِلنَّاسِ عَامَةً مِيشَرًا أَهْلَ التَّقْوَىٰ بِأَنَّهُمْ

لَهُمُ الْجَنَّةُ، وَمُخَوِّفًا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ مِنَ النَّارِ، وَلَكِنْ مَعْظَمُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ عِلْمُهُ لَمَا كَذَّبُوكَ.

﴿٣٠﴾ وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ الَّذِي يُخَوِّفُونَ مِنْهُ: مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ بِالْعَذَابِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَدْعُونَهُ مِنْ أَنَّهُ حَقٌّ؟

﴿٣١﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ: لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ مُحَدَّدٍ؛ لَا تَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ سَاعَةً، وَلَا تَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ سَاعَةً، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ مَنزَلٌ عَلَيْهِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ السَّابِقَةِ، وَلَوْ تَرَىٰ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - إِذِ الظَّالِمُونَ مَحْبُوسُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، يَتَرَاغَبُونَ الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ، يُلْقِي كُلُّ مِنْهُمْ الْمَسْئُولِيَّةَ وَاللُّومَ عَلَى الْآخَرِ، يَقُولُ الْآتِبَاعُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّفُوا لِسَادَتِهِمُ الَّذِينَ اسْتَضَعَّفُوهُمْ فِي الدُّنْيَا: لَوْلَا أَنْكُمْ أَضَلَلْتُمُونَا، لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

﴿٣٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● التَّلَطُّفُ بِالْمَدْعُوِّ حَتَّى لَا يَلُودَ بِالْعِتَادِ وَالْمُكَابَرَةِ.

● صَاحِبُ الْهُدَى مُسْتَعْتَلٌ بِالْهُدَى مَرْتَفِعٌ بِهِ، وَصَاحِبُ الضَّلَالِ مُنْغَمَسٌ فِيهِ مُحْتَقِرٌ.

● شُمُولُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءُ، وَالْجَنِّ كَذَلِكَ.

﴿٢١﴾ قال المتبوعون الذين استكبروا عن الحق للتابعين الذين استضعفوه: نحن منعناكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد ﷺ، بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وإفساد.

﴿٢٢﴾ وقال التابعون الذين استضعفهم سادتهم لمتبوعيههم المستكبرين عن الحق: بل صدنا عن الهدى مكرهم بنا بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا بالكفر بالله، وعبادة مخلوقين من دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا العذاب، وعلموا أنهم معذبون، وجعلنا الأصفاة في أعناق الكافرين، لا يجوزون هذا الجزاء إلا بما كانوا يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله وارتكاب المعاصي.

وتسلية الرسول ﷺ حين كذبه قومه ذكره الله بأن التكذيب هو ذنب الأمم من قبله، فقال:

﴿٢٣﴾ وما بعثنا في قرية من القرى من رسول يخوفهم عذاب الله إلا قال المُنْعَمُونَ فيها من أصحاب السلطان والجاه والمال: إنا بما بُعِثْتُمْ به - أيها الرسل - كافرين.

﴿٢٤﴾ وقال أصحاب الجاه هؤلاء مُتَّبِعِينَ مفتخرين: نحن أكثر أموالاً وأكثر أولاداً، وما زعمت من أننا مُعَذَّبُونَ كذب، فلسنا بمُعَذَّبِينَ في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٢٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المغرورين بما أوتوا من النعم: ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء اختيباراً له أيشكر أم يكفر، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً له أيصبر أم يتسخط؟ ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله حكيم؛

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحُنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَضْعَافٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾

﴿٤٣٢﴾

لا يقدر أمرًا إلا لحكمة بالغة؛ غلّمها من غلّمها وجهلّها من جهلّها.

﴿٣٠﴾ وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تقودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً حاز الأجر المُضَاعَفَ؛ فالأموال تقربه بإتفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم ثواب مضاعف لما عملوه من حسنات؛ وهم في المنازل العليا من الجنة آمنون من كل ما يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم. ﴿٣١﴾ والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم هؤلاء خاسرون في الدنيا مُعَذَّبُونَ في الآخرة.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله، فالله ﷻ يخلفه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله سبحانه هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليجأ إليه سبحانه.

﴿٣٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تبرؤ التابعين والمتبوعين بعضهم من بعض، لا يُعْفِي كُلاً من مسؤوليته.
- الترف مُتَّبِعٌ عن الإذعان للحق والانقياد له.
- المؤمن ينفعه ماله وولده، والكافر لا ينتفع بهما.
- الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى إخلاف المال في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِيَّ أَتِيَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَأَلَيْكُمُ الْيَوْمَ لَئِمَّةٌ كُفْرُكُمْ بِبَعْضِ مَا نَعُوضُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا اتَّخَذْتُمُ ابْنَتَيْ بَيْتِكُمَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَالِكُمْ ثُمَّ تَنَفَّكُوا وَامَّا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَماً الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤٣٣

﴿٤٠﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشرهم الله جميعاً، ثم يقول سبحانه للملائكة تقريراً للمشركين وتوبيخاً لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

﴿٤١﴾ قال الملائكة: تزهت وتقدست! أنت ولينا من دونهم، فلا موالاة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ يتمثلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

﴿٤٢﴾ يوم الحشر والحساب لا يملك المعبدون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعاً، ولا يملكون لهم ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٤٣﴾ وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة لا لبس فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصرفكم عما كان عليه آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحراً واضحاً؛ لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

﴿٤٤﴾ وما أعطيناكم من كتب يقرؤونها حتى ترشدكم أن هذا القرآن كذب اختلقه محمد، وما أرسلنا إليهم قبل إرساله - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.

﴿٤٥﴾ وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى عُشْر ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوة والمنعة والمال

والعدد، فكذب كل منهم رسوله، فما نفعهم ما أوتوا من المال والقوة والعدد، فوقع بهم عذابي، فانظر - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصعكم بخصلة واحدة: هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه، اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

﴿٤٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئتكم به من الهدى والخير - على تقدير وجوده -، فهو لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو سبحانه على كل شيء شهيد، فهو يشهد على أبي بلغتم، ويشهد على أعمالكم، فيوفيكم جزاءها.

ولما بين سبحانه الحجج على أهل الباطل والشرك بين أن ذلك سُئِنَتْ فقال:

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي يسلط الحق على الباطل فيبطله، وهو علّام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• التقليد الأعمى للأباء صارف عن الهداية. • التفكر مع التجرد من الهوى وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب.

• الداعية إلى الله لا ينتظر الأجر من الناس، وإنما ينتظره من رب الناس.

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: جاء الحق الذي هو الإسلام، وزال الباطل الذي لا يبدو له أي أثر أو قوة ولا يعود إلى نفوذه.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إن ضللت عن الحق فيما أبلغكم فضرر ضلالي قاصر علي، لا ينالكم منه شيء، وإن اهتديت إليه فبسبب ما يوحيه إلي ربي سبحانه، إنه سميع لأقوال عباده، قريب لا يتعذر عليه سماع ما أقول.

﴿٥١﴾ ولوترى - أيها الرسول - إذ فزع هؤلاء المكذبون لما عاينوا العذاب يوم القيامة، فلا مفر لهم منه، ولا ملجأ يلجئون إليه، وأخذوا من مكان قريب سهل التناول من أول وهلة، لو ترى ذلك لرأيت أمراً عجباً.

﴿٥٢﴾ وقالوا حين رأوا مصيرهم: أمنا بيوم القيامة، وكيف لهم تعاطي الإيمان وتناوله وقد بعد عنهم مكان قبول الإيمان بخروجهم من دار الدنيا التي هي دار عمل لا جزاء، إلى الدار الآخرة التي هي دار جزاء لا عمل! ﴿٥٣﴾ وكيف يحصل منهم الإيمان ويُقبل، وقد كفروا به في الحياة الدنيا، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، كقولهم في الرسول ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر! ﴿٥٤﴾ ومنع هؤلاء المكذبون من الحصول على ما يشتهونه من ملذات الحياة، ومن التوبة من الكفر والنجاة من النار، والعودة إلى الحياة الدنيا، كما فعل بأمثالهم من الأمم المكذبة من قبلهم، إنهم كانوا في شك مما جاءت به الرسل من توحيد الله والإيمان بالبعث، شك باعث على الكفر.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ أَفْلَاقَتْ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَمَتَا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سورة فاطر ﴿٣٥﴾ آياتها ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ مَّتَشَى وَتِلْكَ أَرَبُغٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَهْوَافًا تَنْوِفُونَ ﴿٣﴾

﴿٤٣٤﴾

سورة فاطر

— مكية —

﴿١﴾ من مقاصد السورة: بيان فقر العباد المطلق إلى فاطر السماوات والأرض، وكمال غناه عنهم.

﴿٢﴾ التفسير: ﴿١﴾ الحمد لله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، الذي جعل من الملائكة رسلاً ينفذون أوامره القدريّة، ومنهم من يبلغ الأنبياء الوحي، وقواهم على أداء ما اتّمنهم عليه، فمنهم ذو جناحين وذو ثلاثة وذو أربعة، يطير بها لتنفيذ ما أمر به، يزيد الله في الخلق ما يشاء من عضو أو حسن أو صوت، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء. ﴿٢﴾ إن مفاتيح كل شيء بيد الله: فما يفتح للناس من رزق وهداية وسعادة وغير ذلك من النعم فلا أحد يستطيع أن يمنعه، وما يمسكه من ذلك فلا أحد يستطيع إرساله من بعد إمساكه له، وهو العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره. ﴿٣﴾ يا أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم، وبجوارحكم بالعمل، هل لكم من خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ينزله عليكم من المطر، ويرزقكم من الأرض بما ينبت من الثمار والزرع، وغير ذلك؟ لا معبود بحق غيره، فكيف بعد هذا تصرفون عن هذا الحق وتفترون على الله وتزعمون أن لله شركاء، وهو الذي خلقكم ورزقكم! ﴿٤﴾

﴿٥﴾ من فوائد الآيات: • مشهد فزع الكفار يوم القيامة مشهد عظيم. • محل نفع الإيمان في الدنيا: لأنها هي دار العمل. • عظم خلق الملائكة يدل على عظمة خالقهم سبحانه.

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ وَسْوَءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ
 اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
 حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ
 بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّورُ ٩ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
 ١٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ
 وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١١

٤٣٥

١١ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فليست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت أمم من قبلك رسلكم مثل عاد وثمود وقوم لوط، وإلى الله وحده ترجع الأمور كلها، فيهلك المكذبين، وينصر رسله والمؤمنين.
 ١٢ يا أيها الناس، إن ما وعد الله به - من البعث والجزاء يوم القيامة - حق لا شك فيه، فلا تخدعكم لذات الحياة الدنيا وشهواتها عن الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح، ولا يخدعكم الشيطان بتزيينه للباطل، والركون إلى الحياة الدنيا.

١٣ إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوًّا بالتزام محاربتة، إنما يدعو الشيطان أتباعه إلى الكفر بالله لتكون عاقبتهم دخول النار الملتبته يوم القيامة.
 ١٤ الذين كفروا بالله اتباعًا للشيطان، لهم عذاب قوي، والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ولهم أجر عظيم منه وهو الجنة.

١٥ إن من حسن له الشيطان عمله السيئ فاعتقده هو حسنًا، ليس كمن زين له الله الحق فاعتقده حقًا، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا مكره له، فلا تهلك - أيها الرسول - نفسك حزنًا على ضلال الضالين، إن الله سبحانه عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

١٦ والله الذي بعث الرياح فتتحرك هذه الرياح سحابًا، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحيينا بمائه الأرض بعد جفافها بما أنبتناه فيها من النبات، فكما أحيينا هذه الأرض بعد

موتها بما أودعناه فيها من النبات، يكون بعث الأموات يوم القيامة.

١٧ من كان يريد العزة في الدنيا أو في الآخرة فلا يطلبها إلا من الله، فلله وحده العزة فيهما، إليه يصعد ذكره الطيب، وعمل العباد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة - كمحاولة قتل الرسول ﷺ - لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكفار يبطل ويفسد، ولا يحقق لهم مقصدًا.

١٨ والله هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة، ثم جعلكم ذكورًا وإناثًا تتزاوجون بينكم، وما تحمل من أنثى جنينًا، ولا تضع ولدها إلا بعلمه سبحانه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزد في عمر أحد من خلقه ولا ينقص منه إلا كان ذلك مسطورًا في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور - من خلقكم من تراب وخلقكم أطوارًا وكتابة أعماركم في اللوح المحفوظ - على الله سهل.

١٩ من قوايل الآيات:

• تسلية الرسول ﷺ بذكر أخبار الرسل مع أقوامهم.

• الاغترار بالدنيا سبب الإعراض عن الحق.

• اتخاذ الشيطان عدوًّا باتخاذ الأسباب المعينة على التحرز منه؛ من ذكر الله، وتلاوة القرآن، وفعل الطاعة، وترك المعاصي.

• ثبوت صفة العلو لله تعالى.

﴿١٢﴾ وَلَا يَتَسَاوَى الْبَحْرَانِ: أَحَدُهُمَا عَذِبٌ شَدِيدٌ الْعَذُوبَةِ، سَهْلٌ شَرِبُهُ لِعَذُوبَتِهِ، وَالثَّانِي مِلْحٌ مَرٌّ لَا يُمْكِنُ شَرِبُهُ لَشِدَّةِ مِلْحَتِهِ، وَمِنْ كُلِّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا هُوَ السَّمَكُ، وَتَسْتَخْرِجُونَ مِنَ الْبَحْرِ وَالْمَرْجَانِ تَلْبَسُونَهُمَا زِينَةً، وَتَرَى السَّفْنَ - أَيُّهَا النَّازِرُ - تَشَقُّ بِحَرْيِهَا الْبَحْرَ مُقْبِلَةً وَمَدْبِرَةً، لَتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِالتَّجَارَةِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اللَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْكَثِيرَةِ.

﴿١٣﴾ يَدْخُلُ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فَيَزِيدُهُ طَوْلًا، وَيَدْخُلُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ فَيَزِيدُهُ طَوْلًا، وَسَخَّرَ سَبْحَانَهُ الشَّمْسَ، وَسَخَّرَ الْقَمَرَ، كُلُّهُمَا يَجْرِي لِمَوْعِدٍ مُقَدَّرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ذَلِكَ الَّذِي يَقْدِرُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَجْرِيهِ هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ: لَهُ وَحْدَهُ الْمَلِكُ، وَالَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ مَا يَمْلِكُونَ قَدْرَ لَفَافَةِ نَوَاةِ ثَمَرٍ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِي؟

﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوا مَعْبُودَكُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، فَهُمْ جَمَادَاتٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا وَلَا سَمْعَ لَهَا، وَلَوْ سَمِعُوا دَعَاءَكُمْ - عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ - لَمَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّوْنَ مِنْ شَرِكِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، فَلَا أَحَدٌ يَخْبِرُكُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمْ الْمَحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَأْنِكُمْ، وَفِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْكُمْ فِي شَيْءٍ، الْمَحْمُودُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَا يَقْدِرُهُ لِعِبَادِهِ. ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَاءُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَزِيلَكُمْ

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَاغٍ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدَّعِ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِهَلَةٍ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

٤٣٦

بِهَلَاكِ يَهْلِكُكُمْ بِهِ أَزْالِكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بِدَلِكُمْ يَعْبُدُونَهُ، لَا يَشْكُرُونَ بِهِ شَيْئًا.

﴿١٧﴾ وَمَا إِزَالَتُكُمْ بِإِهْلَاكِكُمْ، وَالْإِتْيَانُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بِدَلِكُمْ؛ بِمَمْتَنٍ عَلَى اللَّهِ ﷻ. ﴿١٨﴾ وَلَا تَحْمِلُ نَفْسٌ مَذْنِبَ نَفْسٍ مَذْنِبًا أُخْرَى، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ مَذْنِبًا تَحْمِلُ ذَنْبَهَا، وَإِنْ تَدَّعِ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ يَحْمِلُ ذَنْبَهَا مَنْ يَحْمِلُ عَنْهَا شَيْئًا مِنْ ذَنْبِهَا لَا يُحْمَلُ عَنْهَا مِنْ ذَنْبِهَا شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُو قَرِيبًا لَهَا، إِنَّمَا تَخَوْفُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، وَأَتَمُّوا الصَّلَاةَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهَا، فَهُمْ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِتَخْوِيفِكَ، وَمَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْمَعَاصِي - وَأَعْظَمَهَا الشِّرْكُ - فَإِنَّمَا يَتَطَهَّرُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنْ نَفَعَ ذَلِكَ عَائِدَ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتِهِ، وَإِلَى اللَّهِ الرَّجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تسخير البحر، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر: من نعم الله على الناس، لكن الناس تعتاد هذه النعم فتغفل عنها.
- سفه عقول المشركين حين يدعون أصنامًا لا تسمع ولا تعقل.
- الافتقار إلى الله صفة لازمة للبشر، والفتنى صفة كمال لله.
- تزكية النفس عائدة إلى العبد؛ فهو يحفظها إن شاء أو يضيعها.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
 ﴿١٢﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿١٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
 الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
 الْقُبُورِ ﴿١٤﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٦﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
 فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
 وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
 جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿١٩﴾
 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ
 إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٠﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢١﴾ لِيُؤْفِقَهُم
 أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾

٤٣٧

﴿١١﴾ وما يستوي الكافر والمؤمن في المنزلة، كما لا يستوي الأعمى والبصير.

﴿١٢﴾ ولا يستوي الكفر والإيمان، كما لا تستوي الظلمات والنور.

﴿١٣﴾ ولا تستوي الجنة والنار في آثارهما، كما لا يستوي الظل والريح الحارة.

﴿١٤﴾ وما يستوي المؤمنون والكفار، كما لا يستوي الأحياء والأموات، إن الله يُسْمِعُ من يشاء هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بِمُسْمِعِ الكفار الذين هم مثل الموتى في القبور.

﴿١٥﴾ ما أنت إلا منذر لهم من عذاب الله.

﴿١٦﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق الذي لا مرية فيه، مبشرًا للمؤمنين بما أعد الله لهم من الثواب الكريم، ومنذرًا للكافرين مما أعد لهم من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرهم من عذابه.

﴿١٧﴾ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فلست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة لهؤلاء رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، جاءتهم رسلهم من عند الله بالهجة الواضحة الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالضعف، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله.

﴿١٨﴾ ومع ذلك كفروا بالله ورسله ولم يصدقوهم فيما جاؤوا به من عنده، فأهلك الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم حيث أهلكتهم.

﴿١٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفًا ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينها أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمراء، وطرائق حالكة السواد.

﴿٢٠﴾ ومن الناس، ومن الدواب، ومن الأنعام (الإبل، والبقر، والغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه: لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغالبه أحد. غفور لذنوب من تاب من عبادته.

﴿٢١﴾ إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزلناه على رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهًا، يرجون بتلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد.

﴿٢٢﴾ ليؤفيهم الله ثواب أعمالهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فهو أهل لذلك، إنه سبحانه غفور لذنوب المتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نفي التساوي بين الحق وأهله من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى.
- كثرة عدد الرسل ﷺ قبل رسولنا ﷺ دليل على رحمة الله وعناد الخلق.
- إهلاك المكذبين سُنَّةَ إلهية.
- صفات الإيمان تجارة رابعة، وصفات الكفر تجارة خاسرة.

(٣١) والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، الذي أنزله الله تصديقاً للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده بصير، فهو يوحى إلى رسول كل أمة ما تحتاج إليه في زمانها.

(٣٢) ثم أعطينا أمة محمد ﷺ الذين اخترناهم على الأمم القرآن، فمنهم ظالم لنفسه بفعل المحرمات وترك الواجبات، ومنهم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات، مع ترك بعض المستحبات وفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وذلك بفعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ذلك المذكور - من الاختيار لهذه الأمة وإعطائها القرآن - هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل. جنات إقامة يدخلها هؤلاء المصطفون، يلبسون فيها لؤلؤاً وأساور من ذهب، ولباسهم فيها حرير.

(٣٣) وقالوا بعد دخولهم الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النار، إن ربنا لغفور لذنوب من تاب من عباده، شكور لهم على طاعتهم.

(٣٤) الذي أنزلنا دار الإقامة - التي لا نقلة بعدها - من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا عناء، ولما ذكر الله جزاء المصطفين من عباده ذكر جزاء الأردئين منهم وهم الكفار، فقال:

(٣٥) والذين كفروا بالله لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يُقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يُخفف عنهم من عذاب

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)

جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كل جحود لنعم ربه.

(٣٩) وهم يصيحون فيها بأعلى أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملاً صالحاً مغايراً لما كنا نعمل في الدنيا لننال رضاك، ونسلم من عذابك، فيجيبهم الله: أولم نجعلكم تعيشون عمراً يتذكر فيه من يريد أن يتذكر، فيتوب إلى الله ويعمل عملاً صالحاً، وجاءكم الرسول منذراً لكم من عذاب الله؟ فلا حجة لكم، ولا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخففه عنهم.

(٤٠) إن الله عالم غيب السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه عباده في صدورهم من الخير والشر. من قواید الآيات:

- فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.
- تفاوت إيمان المؤمنين يعني تفاوت منزلتهم في الدنيا والآخرة.
- الوقت أمانة يجب حفظها، فمن ضيعها ندم حين لا ينفع الندم.
- إحاطة علم الله بكل شيء.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجْدَلُ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجْدَلُ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٣٤﴾

٤٣٩

﴿٢٩﴾ هو الذي جعل جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف في الأرض بعضًا ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به الرسل فإثم كفره وعقابه عائد عليه، ولا يضر كفره ربه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم سبحانه إلا بغضًا شديدًا، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خسارًا، حيث إنهم يخسرون ما كان أعد الله لهم في الجنة لو آمنوا.

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ أخلقوا جبالها؟ أخلقوا أنهارها؟ أخلقوا دوابها؟ أم أنهم شركاء مع الله في خلق السماوات؟ أم أعطيناهم كتابًا فيه حجة على صحة عبادتهم لشركائهم؟ لا شيء من ذلك حاصل، بل لا يعد الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم بعضًا إلا خداعًا.

﴿٣١﴾ إن الله سبحانه يمسك السماوات والأرض مانعًا إياهما من الزوال، ولئن زالتا - على سبيل الفرض - فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده سبحانه، إنه كان حلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لذنوب من تاب من عبادته.

﴿٣٢﴾ وأقسم هؤلاء الكفار المكذبون قَسَمًا مؤكدًا مغلطًا: لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم من عذابه ليكونن أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ برسلاً من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُعدًا عن الحق وتعلقًا بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدى ممن سبقوهم.

﴿٣٣﴾ وقسمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سُنَّةَ اللَّهِ الثابتة؛ وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم؟ فلن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلًا بالآ تقع عليهم، ولا تحويلًا بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سُنَّةُ إلهية ثابتة. ﴿٣٤﴾ أقلم يسير مكذبوك من قريش في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من قريش؟ وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليماً بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديرًا على إهلاكهم متى شاء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الكفر سبب لمقت الله، وطريق للخسارة والشقاء.
- المشركون لا دليل لهم على شركهم من عقل ولا نقل.
- تدمير الظالم في تدميره عاجلاً أو آجلاً.

﴿٤٥﴾ ولَوْ يَعْمَلُ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ لِلنَّاسِ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي، وَمَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْأَثَامِ، لَأَهْلَكَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْحَالِ وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ دَوَابٍ وَأَمْوَالٍ، وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّجَدَّدٍ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

آيَاتُهَا ٨٣

سُورَةُ يَس

رَتَبَتْهَا ٣٦

سُورَةُ يَس

مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٢

٤٤٠

• من مقاصد السورة:
إثبات الرسالة والبعث ودلائلها.
التفسير:
• يس سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
• يقسم الله بالقرآن الذي أحكمت آياته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
• إنك - أيها الرسول - لمن الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛ ليأمرهم بتوحيده وعبادته وحده.
• على منهج مستقيم وشرع قويم، وهذا المنهج المستقيم والشرع القويم منزل من ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الرحيم بعباده المؤمنين.
• أنزلنا إليك ذلك لتخوف قوماً وتذريهم، وهم العرب الذين لم يأتهم رسول ينذرهم، فهم لاهون عن الإيمان والتوحيد، وكذلك شأن كل أمة انقطع عنها الإنذار، تحتاج إلى من يذكرها من الرسل.
• لقد وجب العذاب من الله لأكثر هؤلاء، بعد أن بلغهم الحق من الله على

لسان رسوله فلم يؤمنوا به، وبقوا على كفرهم، فهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بما جاءهم من الحق. (١) ومثلهم في ذلك مثل من جعلت أصداف في أعناقهم، وجُمِعَت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغفلون عن الإيمان بالله فلا يدعون له، ولا يخفون رؤوسهم من أجله. (٢) وجعلنا من بين أيديهم حاجراً عن الحق، ومن خلفهم حاجراً، فأغشيناهم أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون إبصاراً ينتفعون به، حصل ذلك لهم بعد أن ظهر عنادهم وإصرارهم على الكفر. (٣) سواء عند هؤلاء الكفار المعاندين للحق أخوفتهم - يا محمد - أم لم تخوفهم، فهم لا يؤمنون بما جئت به من عند الله. (٤) إن الذي ينتزع حقاً بإنذارك من صدق بهذا القرآن واتباع ما جاء فيه، وخاف من ربه في الخلوة، حيث لا يراه غيره، فأخبر من هذه صفاته بما يسره من محو الله لذنوبه ومغفرته لها، ومن ثواب عظيم ينتظره في الآخرة وهو دخول الجنة. (٥) إنا نحن نحوي الموتى بيعتهم للحساب يوم القيامة، ونكتب ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان لهم من أثر باق بعد مماتهم صالحاً كان كالصدقة الجارية أو سيئاً كالكفر، وقد أحصينا كل شيء في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.

• من فوائد الآيات،

• العناد مانع من الهداية إلى الحق. • العمل بالقرآن وخشية الله من أسباب دخول الجنة. • فضل الولد الصالح والصدقة الجارية وما شابههما على العبد المؤمن.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
 إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۖ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۖ قَالُوا
 رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ۖ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ ۖ قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ كَيْنَ لِمُتَنَّهُوَالْتَّجَمُّكُمْ
 وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابِ إِلِيمُ ۖ قَالُوا طِيرُكُم مَّعَكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ
 دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۖ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
 رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَكُونُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۖ اتَّبِعُوا
 مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۖ وَمَالِيَ لَأَعْبُدُ
 الَّذِي فُطِرَ لِي وَالْإِلَهِ تَرْجِعُونَ ۖ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
 إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا يُنْقِذُونِ ۖ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ إِنِّي ءَامَنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ۖ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَّت قَوْمِي
 يَكْفُرُونَ ۖ يَمَّا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۖ

٤٤١

١٣٦ واجعل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين مثلاً يكون لهم عبرة، وهو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلهم.

١٣٧ حين أرسلنا إليهم أولاً رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا هذين الرسولين، فقوييناهما بإرسال رسول ثالث معهم، فقال الرسل الثلاثة لأهل القرية: إنا - نحن الثلاثة - إليكم مرسلون؛ لندعوكم إلى توحيد الله واتباع شرعه.

١٣٨ قال أهل القرية للمرسلين: لستم إلا بشرًا مثلنا، فلا مزية لكم علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في دعواكم هذه.

١٣٩ قال الرسل الثلاثة ردًا على تكذيب أهل القرية: ربنا يعلم إنا إليكم - يا أهل القرية - المرسلون من عنده، وكفى بذلك حجة لنا.

١٤٠ وليس علينا إلا تبليغ ما أمرونا بتبليغه إليكم بوضوح، ولا نملك هدايتكم.

١٤١ قال أهل القرية للرسل: إنا تشاء منا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد لنعاقتكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينالكم منا عذاب موجع.

١٤٢ قال الرسل ردًا عليهم: شؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم بالله وترككم اتباع رسله، أتشاءمون إن ذكرناكم بالله؟ بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب الكفر والمعاصي.

١٤٣ وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفًا على قومه من تكذيب الرسل وتهديدهم بالقتل والإيذاء، قال: يا قوم، اتبعوا ما جاء به هؤلاء المرسلون.

١٤٤ اتبعوا - يا قوم - من لا يطلب منكم على إبلاغ ما جاء به ثوابًا منكم، وهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله من وحيه، فمن كان كذلك فجدير بأن يتبع.

١٤٥ وقال هذا الرجل الناصح: وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقني؟ وأي مانع يمنعكم من عبادة ربي الذي خلقكم، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء؟

١٤٦ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي مَعْبُودَاتٍ بَغِيرِ حَقِّهِ؟ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِسُوءٍ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَةُ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ شَيْئًا فَلَا تَمْلِكُ لِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْذِفَنِي مِنَ السُّوءِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ بِي إِنْ مِتُّ عَلَى الْكُفْرِ.

١٤٧ إِنِّي إِذَا اتَّخَذْتُ مَعْبُودَاتٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمْ يَنْفَعِ خَطَايَايَ حَيْثُ عِبَدْتُ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَتَرَكْتُ عِبَادَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّهَا.

١٤٨ إِنِّي - يا قوم - آمنتُ بربي وربيكم جميعًا فاسمعوني، فلا أبالي بما تهددونني به من القتل، فما كان من قومه إلا أن قتلوه، فأدخله الله الجنة.

١٤٩ قِيلَ تَكْرِيمًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَشَهِدَ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ قَالَ مَتَمْنِيًا: يَا لَيْتَ قَوْمِي الَّذِينَ كَذَّبُونِي وَقَتَلُونِي يَعْلَمُونَ بِمَا حَصَلَ لِي مِنْ مَغْفَرَةِ الذُّنُوبِ، وَبِمَا أَكْرَمَنِي بِهِ رَبِّي: لِيُؤْمِنُوا مِثْلًا مِثْلًا آمَنْتُ، وَيُنَالُوا جِزَاءً مِثْلَ جِزَائِي.

١٥٠ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• أهمية القصص في الدعوة إلى الله، • الطيرة والتشاؤم من أعمال الكفر، • النصيح لأهل الحق واجب، • حب الخير للناس صفة من صفات أهل الإيمان.

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٣٠﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن تَخِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٥﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤٠﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤١﴾

٤٤٢ هـ

أنزلنا عليها المطر بساتين من التخييل والعنب، وفجرنا فيها من عيون الماء ما يسقيها.

﴿٢٨﴾ ليأكل الناس من ثمار تلك البساتين ما أنعم الله به عليهم، ولم يكن لهم سعي فيه، أفلا يشكرون الله على نعمه هذه بعبادته وحده والإيمان برسوله؟ ﴿٢٩﴾ تقدس الله وتعالى الذي أنشأ الأصناف من النبات والأشجار، ومن أنفَسَ الناس حيث أنشأ الذكور والإناث، وما لا يعلم الناس من مخلوقات الله الأخرى في البر والبحر وغيرهما.

﴿٣٠﴾ ودلالة للناس على توحيد الله أنا نذهب الضياء بذهاب النهار ومجيء الليل حين تنزع النهار منه، ونأتي بالظلمة بعد ذهاب النهار، فإذا الناس داخلون في ظلام. ﴿٣١﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله هذه الشمس التي تجري لمستقر يعلم الله قدره لا تتجاوز، ذلك التقدير تقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم الذي لا يخفى عليه شيء من أمر مخلوقاته.

﴿٣٢﴾ وآية لهم دالة على توحيد سبحانه هذا القمر الذي قدرناه منازل كل ليلة: يبدأ صغيراً ثم يكبر ثم يصغر حتى يصير مثل عدق النخلة المُنْعَرَجِ المُتَدَرِّس في رفته وانحنائه وصفرته وقدمه. ﴿٣٣﴾ وآيات الشمس والقمر والليل والنهار مقدرة بتقدير الله، فلا تتجاوز ما قدر لها، فلا الشمس يمكن أن تلتحق بالقمر لتغيير مساره أو إذهاب نوره، ولا الليل يمكن أن يسبق النهار ويدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل هذه المخلوقات المسخرة وغيرها من الكواكب والمجرات لها مساراتها الخاصة بها بتقدير الله وحفظه.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• ما أمون الخلق على الله إذا عصوه، وما أكرمهم عليه إن أطاعوه. • من الأدلة على البعث إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر، وإخراج الحب منه. • من أدلة التوحيد: خلق المخلوقات في السماء والأرض وتسييرها بقدر.

﴿٢٨﴾ وما أنزلنا لأجل إهلاك قومه الذين كذبوه وقتلوه جنداً من الملائكة ننزلهم من السماء، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكتناهم؛ فأمرهم أيسر عندنا من ذلك، فقد قدرنا أن يكون هلاكهم بصيحة من السماء، وليس بإنزال ملائكة العذاب. ﴿٢٩﴾ فما كانت قصة إهلاك قومه إلا صيحة واحدة أرسلناها عليهم فإذا هم صرعى لم تبق منهم باقية، مثلهم كنار كانت مشتعلة فانطفأت، فلم يبق لها أثر.

﴿٣٠﴾ يا ندامة العباد المكذبين وحسرتهم يوم القيامة حين يشاهدون العذاب؛ ذلك أنهم كانوا في الدنيا ما يأتيهم من رسول من عند الله إلا كانوا يسخرون منه ويستهزئون به، فكان عاقبتهم الندامة يوم القيامة على ما فرطوا في جنب الله.

﴿٣١﴾ ألم ير هؤلاء المكذوبون المستهزئون بالرسول عبدة فيمن سبقهم من الأمم؟ فقد ماتوا، ولن يرجعوا إلى الدنيا مرة أخرى، بل أقضوا إلى ما قدموا من أعمال، وسيجازيهم الله عليها.

﴿٣٢﴾ وليس جميع الأمم دون استثناء إلا مُحَضَّرِينَ عندنا يوم القيامة بعد بعثهم لنجازيهم على أعمالهم.

﴿٣٣﴾ وعلامة للمكذبين بالبعث أن البعث حق: هذه الأرض اليابسة المجدية أنزلنا عليها المطر من السماء، فأنبثنا فيها من أصناف النبات وأخرجنا فيها من أصناف الحبوب ليأكلها الناس، فالذي أحيا هذه الأرض بإنزال المطر وإخراج النبات قادر على إحياء الموتى وبعثهم. ﴿٣٤﴾ وصيرنا في هذه الأرض التي

﴿٤١﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله كذلك وإنعامه على عباده أنا حملنا من نجا من الطوفان من ذرية آدم زمن نوح، في السفينة المملوءة بمخلوقات الله، فقد حمل الله فيها من كل جنس زوجين.

﴿٤٢﴾ وعلامة لهم على توحيده وإنعامه على عباده أنا خلقنا لهم من مثل سفينة نوح مراكب، ﴿٤٣﴾ ولو أردنا إغراقهم أغرقناهم، فلا مغيث يغنيهم إن أردنا إغراقهم، ولا منقذ ينقذهم إذا غرقوا بأمرنا وقضائنا.

﴿٤٤﴾ إلا أن نرحمهم بإنجائهم من الغرق وإعادتهم ليمتعوا إلى أجل محدد لا يتجاوزونه، لعلهم يعتبرون فيؤمنوا.

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المشركين المعرضين عن الإيمان: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة وشدايدها، واحذروا الدنيا المذبذبة رجاء أن يمن الله عليكم برحمته؛ لم يمتثلوا لذلك، بل أعرضوا عنه غير مباليين به.

﴿٤٦﴾ وكلما جاءت هؤلاء المشركين المعاندين آيات الله الدالة على توحيده واستحقاقه للأفراد بالعبادة، كانوا معرضين عنها غير معتبرين بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المعاندين: ساعدوا الفقراء والمساكين من الأموال التي رزقكم الله إياها، ردوا مستكرين قائلين للذين آمنوا: أنطمع من لو يشاء الله إطلاعهم لأطعمهم! فنحن لا نخالف مشيئته، ما أنتم - أيها المؤمنون - إلا في خطأ واضح ويقد عن الحق.

﴿٤٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث

مكذبين به مستبعدين له: متى هذا البعث إن كنتم - أيها المؤمنون - صادقين في دعوى أنه واقع!

﴿٤٩﴾ ما ينتظر هؤلاء المكذبون بالبعث المستبعدون له إلا النفخة الأولى حين ينفخ في الصور، فتبتغهم هذه الصيحة وهم في مشاغلهم الدنيوية من بيع وشراء وسقي ورعي وغيرها من مشاغل الدنيا.

﴿٥٠﴾ فلا يستطيعون عندما تتجوزهم هذه الصيحة أن يوصي بعضهم بعضاً، ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وأهليهم، بل يموتون وهم في مشاغلهم هذه. ﴿٥١﴾ ونفخ في الصور النفخة الثانية للبعث، فإذا هم يخرجون جميعاً من قبورهم إلى ربهم يسرعون للحساب والجزاء. ﴿٥٢﴾ قال هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث نادمين: يا خسارتنا، من الذي بعثنا من قبورنا؟ فيجابون عن سؤالهم: هذا ما وعد الله به فإنه لا بد واقع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.

﴿٥٣﴾ ما كان أمر البعث من القبور إلا أثراً عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع المخلوقات محضرة عندنا يوم القيامة للحساب، يكون الحكم بالعدل في ذلك اليوم، فلا تظلمون - أيها العباد - شيئاً بزيادة سيئاتكم أو نقصان حسناتكم، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

﴿٥٤﴾ من قوايد الآيات،

• من أساليب تربية الله لعباده أنه جعل بين أيديهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. • الله تعالى مكّن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون به على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ
وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ٥٨ وَامْتَرُوا
الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ٥٩ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ وَأَنْ
اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ
جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤
الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٦٥ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ
فَأَسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ٦٦ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ٦٧
وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ٦٨
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ
٦٩ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ٧٠

٤٤٤

٥٥ إن أصحاب الجنة في يوم القيامة مشغولون عن التفكير في غيرهم؛ لما شاهدوه من النعيم المقيم، والفوز العظيم، فهم يتفكّهون في ذلك مسرورين.

٥٦ هم وأزواجهم يتعمون على الأسرة تحت ظلال الجنة الوارفة.

٥٧ لهم في هذه الجنة أنواع من الفواكه الطيبة من العنب والتين والرمان، ولهم كل ما يطلبون من المأكل وأنواع النعيم، فما طلبوه من ذلك حاصل لهم.

٥٨ ولهم فوق هذا النعيم سلام حاصل لهم، قولاً من رب رحيم بهم، فإذا سلم عليهم حصلت لهم السلامة من كل الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها.

٥٩ ويقال للمشركين يوم القيامة: تميزوا عن المؤمنين، فلا يليق بهم أن يكونوا معكم؛ لتباين جزائكم مع جزائهم وصفاتكم مع صفاتهم.

٦٠ ألم أوصيكم وأمركم على السنة رسلي وأقل لكم: يا بني آدم، لا تطيعوا الشيطان بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي، إن الشيطان لكم عدو واضح العداوة، فكيف لعاقل أن يطيع عدوه الذي تظهر له عداوته؟

٦١ وأمرتكم - يا بني آدم - أن تعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً؛ فعبادتي وحدي وطاعتي طريق مستقيم يؤدي إلى رضاي ودخول الجنة، لكنكم لم تمتثلوا ما أوصيتكم وأمرتكم به.

٦٢ ولقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً، أفلم تكن لكم عقول تأمركم بطاعة ربكم وعبادته وحده سبحانه، وتحذركم من طاعة الشيطان

الذي هو عدو واضح العداوة لكم؟

٦٣ هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم، وكانت غيباً عنكم، وأما اليوم فما أنتم ترونها رأي العين. ٦٤ ادخلوها اليوم، وعانوا من حرها بسبب كفركم بالله في حياتكم الدنيا. ٦٥ اليوم تطيع على أفواههم فيصبرون خرساً لا يتكلمون بإنكار ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وتكلمنا أيديهم بما عملت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي ويمشون إليها. ٦٦ ولو نشاء إذهب أبصارهم لأذهبناهما فلم يبصروا، فتسابقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، فبعيد أن يعبروا وقد ذهبت أبصارهم. ٦٧ ولو نشاء تغيير خلقهم واقعدهم على أرجلهم لغيرنا خلقهم وأقعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون أن يبرحوا مكانهم، ولا يستطيعون ذهاباً إلى أمام، ولا رجوعاً إلى وراء. ٦٨ ومن نمد في حياته من الناس بإطالة عمره نرجعه إلى مرحلة الضعف، أفلا يتفكرون بعقولهم، ويدركون أن هذه الدار ليست دار بقاء ولا خلود، وأن الدار الباقية هي دار الآخرة. ٦٩ وما علمنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جبلته، حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآنًا واضحاً لمن تأمله. ٧٠ لينذر من كان حي القلب مستنير البصيرة، فهو الذي ينتفع به، ويحق العذاب على الكافرين. لما قامت عليهم الحجة بإنزاله وبلوغ دعوته إليهم، فلم يبق لهم عذر يعتذرون به.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • في يوم القيامة يتجلى لأهل الإيمان من رحمة ربهم ما لا يخطر على بالهم. • أهل الجنة مسرورون بكل ما تهواه النفوس وتلذذه العيون ويتمناه المتمدنون. • ذو القلب هو الذي يزكو بالقرآن، ويزداد من العلم منه والعمل. • أعضاء الإنسان تشهد عليه يوم القيامة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مِلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَلَسَى خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

آيَاتُهَا
١٨٢تَرْجُمَاتُهَا
٣٧

٤٤٥

﴿٧١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ أَنْعَمًا، فهم لأمر تلك الأنعام مالكون؛ يتصرفون فيها بما تقتضيه مصالحهم. ﴿٧٢﴾ وسخرناها لهم وجعلناها متقادة لهم، فعلى ظهور بعضها يركبون ويحملون أثقالهم، ومن لحوم بعضها يأكلون.

﴿٧٣﴾ ولهم فيها منافع غير ركوب ظهورها والأكل من لحومها؛ مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وأثمانها؛ فمنها يصنعون فرشًا ولباسًا، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي من عليهم بهذه النعم وغيرها؟

﴿٧٤﴾ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها رجاء أن تنصرهم فتقذهم من عذاب الله.

﴿٧٥﴾ تلك الآلهة التي اتخذوها لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر من يعبدونهم من دون الله، وهم وأصنامهم جميعًا مُّحْضَرُونَ في العذاب يتبرأ كل منهم من الآخر.

﴿٧٦﴾ فلا يحزنك - أيها الرسول - قولهم: إنك لست مرسلًا، أو إنك شاعر، وغير ذلك من بهتانهم. إنا نعلم ما يخفون من ذلك وما يظهرون، لا يخفى علينا منه شيء، وسنجازيهم عليه.

﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يفكر الإنسان الذي ينكر البعث بعد الموت أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ مَّثْنٍ، ثم مر بأطوار حتى ولد وتربى، ثم صار كثير الخصام والجدال: ألم ير ذلك ليستدل به على إمكان وقوع البعث؟

﴿٧٨﴾ غَفَلَ هذا الكافر وجَهِل حين استدل بالعظام البالية على استحالة البعث، فقال: من يعيدها؟ وغاب عنه خلقه هو من العدم.

﴿٧٩﴾ قل - يا محمد - مجيبًا إياه: يحيي هذه العظام البالية مَنْ خَلَقَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فمن خلقها أول مرة لا يعجز عن إعادة الحياة إليها، وهو سبحانه بكل خلق عليم، لا يخفى عليه منه شيء.

﴿٨٠﴾ الذي جعل لكم - أيها الناس - من الشجر الأخضر الرطب نارًا تستخرجونها منه فإذا أنتم توقدون منه نارًا، فمن جمع بين ضديين - بين رطوبة ماء الشجر الأخضر، والنار المشتعلة فيه - قادر على إحياء الموتى.

﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الذي خلق السموات والأرض على ما فيها من عظم بقادر على إحياء الموتى بعد إماتتهم؟ بلى، إنه لقادر عليه، وهو الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات، العليم بها، فلا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٢﴾ إِنَّمَا أمر الله وشأنه سبحانه أنه إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء الذي يريده، ومن ذلك ما يريده من الإحياء والإماتة والبعث وغيرها.

﴿٨٣﴾ فتترزه الله وتقدس عما ينسبه إليه المشركون من العجز، فهو الذي له ملك الأشياء كلها يتصرف فيها بما يشاء، وبيده مفاتيح كل شيء، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• من فضل الله ونعمته على الناس تذليل الأنعام لهم، وتسخيرها لمنافعهم المختلفة. • وهرة الأدلة العقلية على يوم القيامة وإعراض المشركين عنها. • من صفات الله تعالى أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة.

• من مقاصد السورة:

تنزيه الله عما نسب إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن.

• التفسير:

• أقسم بالملائكة التي تصف في عبادتها مئراصة. • وأقسم بالملائكة التي تزرع السحاب، وتسوقه إلى حيث يشاء الله له أن ينزل.

• وأقسم بالملائكة الذين يتلون كلام الله. • إن معبودكم بحق - أيها الناس - لواحد لا شريك له، وهو الله.

• رب السماوات، ورب الأرض، ورب ما بينهما، ورب الشمس في مطالعها ومغاربها طول السنة. • إنا جعلنا

أقرب السماوات إلى الأرض بزيئة جميلة هي الكواكب التي هي في النظر كالجواهر المتلألئة. • وحفظنا

السماء الدنيا بالنجوم من كل شيطان مترد خارج عن الطاعة؛ فيرمى بها. • لا يستطيع هؤلاء الشياطين

أن يسمعو الملائكة في السماء إذا تكلموا بما يوحيه إليهم ربهم من شرعه ولا من قدره، ويرمون بالشهب من كل جانب. • طردا لهم وإبدا

عن الاستماع إليهم، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم دائم لا ينقطع. • إلا من

اختطف من الشياطين خلفة، وهي كلمة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما لم يصل علمه إلى أهل

الأرض، فيتيهه شهاب مضيء يحرقه، وربما يلقي تلك الكلمة قبل أن يحرقه الشهاب إلى إخوانه فتصل إلى الكهان، فيكذبون معها مئة كذبة. • فاسأل

- يا محمد - الكفار المنكرين للبعث: أهم أشد خلقا وأقوى أجساما وأعظم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝ فَاتَّخِذْنَ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطَفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَلَمْ نَكُنَّا نَرُ آبَاءَ عِزْمًا أَلَمْ نَلْمِذِبُوا أَلَمْ نَلْمِذِبُوا أَلَمْ نَلْمِذِبُوا أَلَمْ نَلْمِذِبُوا أَلَمْ نَلْمِذِبُوا ۝ فَانْمَاهِي زَجْرًا وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَقَالُوا يَتَوَكَّلْنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَوَ أَرْجَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝

٤٤٦

أعضاء ممن خلقنا من السماوات والأرض والملائكة؟ إنا خلقناهم من طين لزج، فكيف ينكرون البعث، وهم مخلوقون من خلق ضعيف وهو الطين اللزج؟ • بل عجب - يا محمد - من قدرة الله وتديره لشؤون خلقه، وعجبت من تكذيب المشركين بالبعث، وهؤلاء المشركون من شدة تكذيبهم بالبعث يسخرون مما تقول بشأنه. • وإذا وعظ هؤلاء المشركون بموعظة من المواعظ لم يتعظوا بها، ولم ينتفعوا؛ لما هم عليه من قساوة القلوب. • وإذا شاهدوا آية من آيات النبي ﷺ الدالة على صدقه بالغوا في السخرية والتعجب منها. • وقالوا: ما هذا الذي جاء به محمد إلا سحر واضح. • إذا متنا وصرنا ترابا وعظاما بالية متفتتة إنا لمبعوثون أحياء بعد ذلك؟ إن هذا لمستبعد. • أويُبعث أبائنا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟ • قل - يا محمد - مجيبا إياهم: نعم تبعثون بعد أن صرتم ترابا وعظاما بالية، ويُبعث أبائكم الأولون، تبعثون جميعا وأنتم صاغرون ذليلون. • فإنما هي نفخة واحدة في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم جميعا ينظرون إلى أهوال يوم القيامة يترقبون ما يفعل الله بهم. • وقال المشركون المكذبون بالبعث: يا هلاكنا هذا يوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على ما قدموا في حياتهم الدنيا من عمل. • فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين العباد الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به في الدنيا. • ويقال للملائكة في ذلك اليوم: اجمعوا المشركين الظالمين بشركم هم وأشباههم في الشرك والمُشايعون لهم في التكذيب، وما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام، فحرقوهم طريق النار ودلوهم عليها وسوقوهم إليها، فإنها مصيرهم. • واحبسوهم قبل إدخالهم النار للحساب، فهم مسؤولون، ثم بعد ذلك سوقوهم إلى النار.

• ونقابات الآيات: • تزيين السماء الدنيا بالكواكب لمنافع: منها: تحصيل الزينة، والحفظ من الشيطان المارد. • إثبات الصراط: وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار.

١٢٥) ويقال لهم توبيحًا لهم: ما بالكم لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا تتناصرون، وتزعمون أن أصنامكم تتصركم؟ ١٢٦) بل هم اليوم منقادون لأمر الله ذليولون، لا ينصر بعضهم بعضًا لعجزهم وقلة حيلتهم. ١٢٧) وأقبل بعضهم على بعض يتلأومون ويتخاصمون حين لا ينفع التلاوم والتخاصم. ١٢٨) قال الأتباع للمتبعين: إنكم - يا كبراءنا - كنتم تأتوننا من جهة الدين والحق فتزنيون لنا الكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي، وتنفروننا من الحق الذي جاءت به الرسل من عند الله. ١٢٩) قال المتبعون للاتباع: ليس الأمر - كما زعمتم - بل كنتم على الكفر ولم تكونوا مؤمنين، بل كنتم منكبين. ١٣٠) وما كان لنا عليكم أيها الأتباع من تسلط بقهر أو غلبة حتى نوقعكم في الكفر والشرك وارتكاب المعاصي، بل كنتم قومًا متجاوزين الحد في الكفر والضلال. ١٣١) فوجب علينا وعليكم وعيد الله في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أجمعين﴾ (ص: ٨٥)، ومن ثم فإننا ذاتون - لا محالة - ما توعد به ربنا. ١٣٢) فدعوناكم إلى الضلال والكفر، إنا كنا ضالين عن طريق الهدى. ١٣٣) فإن الأتباع والمتبعين في العذاب يوم القيامة مشتركون. ١٣٤) إنا كما فعلنا بهؤلاء من إذافتهم العذاب، نفعل بالمجرمين من غيرهم. ١٣٥) إن هؤلاء المشركين كانوا إذا قيل لهم في الدنيا: لا إله إلا الله للعمل بمقتضاها وترك ما يخالفها، رفضوا الاستجابة لذلك والإذعان له تكبرًا عن الحق وترفقًا عليه. ١٣٦) ويقولون محتجين

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ١٢٥ بَلْ هُمْ أَيْوَمُ مُسْتَسَامُونَ ١٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ١٢٧ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ١٢٨ قَالُوا بَلْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ١٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ١٣٠ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّ الَّذِينَ تَابُوا ١٣١ فَآغَوْا نَبْتَكُمْ إِنَّكَ كَأَغْوَيْنَ ١٣٢ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ١٣٣ إِنْ أَكْرَأْتَ لَكَ نَفْعٌ بِأَلْمَجْرِمِينَ ١٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ١٣٥ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ١٣٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ١٣٧ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ١٣٨ وَمَا تَجَزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٤٠ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ١٤١ فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ ١٤٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٤٣ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ١٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ١٤٥ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ١٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ١٤٧ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِطْرَفِ عِينٌ ١٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ١٤٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ١٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ١٥١

٤٤٧

لكفرهم: أنترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يعنون بقولهم هذا رسول الله ﷺ. ١٣٧) لقد أعظموا الفرية، فما كان رسول الله ﷺ مجنونًا ولا شاعرًا، بل جاء بالقرآن الداعي إلى توحيد الله واتباع رسوله، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من عند الله من التوحيد وإثبات المعاد، ولم يخالفهم في شيء. ١٣٨) إنكم - أيها المشركون - لذائقو العذاب الموجه يوم القيامة بسبب كفركم وتكذيبكم للرسل. ١٣٩) وما تجزؤون - أيها المشركون - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله وارتكاب المعاصي. ١٤٠) لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، وأخلصوا له العبادة، هم بمنجاة من هذا العذاب. ١٤١) أولئك العباد المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في طيبه وحسنه ودوامه. ١٤٢) ذلك الرزق فواكه متنوعة من أطيب ما يأكلونه ويشتهونه، وهم فوق ذلك مكرمون برفع الدرجات وبالنظر إلى وجه الله الكريم. ١٤٣) كل ذلك ينالونه في جنات النعيم المقيم الثابت الذي لا ينقطع ولا يزول. ١٤٤) يتكئون على أسرة متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض. ١٤٥) يدار عليهم بكؤوس الخمر التي هي في صفاتها كالماء الجاري. ١٤٦) بيضاء اللون يلتذ بشربها من يشربها لذة كاملة. ١٤٧) ليست كخمر الدنيا، فليس فيها ما يذهب العقول من السكر، ولا ينتاب متعاطيها صداع، يتلذذ لشاربها جسمه وعقله. ١٤٨) وعندهم في الجنة نساء عفيفات، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون. ١٤٩) كأنهن في بياض ألوانهن المشوبة بصفرة بيض طائر مصون لم تمسه الأيدي. ١٥٠) فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عن ماضيهم وما حدث لهم في الدنيا. ١٥١) قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي في الدنيا صاحب مُنْكَرٍ لِّبَيْثٍ. • مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ: • سبب عذاب الكافرين: العمل المنكر، وهو الشرك والمعاصي. • من نعيم أهل الجنة أنهم نعموا باجتماع بعضهم مع بعض، ومقابلة بعضهم مع بعض، وهذا من كمال السرور.

﴿٥٢﴾ يقول لي منكراً وساخراً: هل أنت - أيها الصديق - من المصدقين ببعث الأموات؟ ﴿٥٣﴾ إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نخره أنا لمبعوثون ومجازون على أعمالنا التي عملناها في الدنيا؟ ﴿٥٤﴾ قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: اطلعوا معي لنرى مصير ذلك القرين الذي كان ينكر البعث؟ ﴿٥٥﴾ فاطلع هو فرأى قرينه في وسط جهنم.

﴿٥٦﴾ قال: تالله لقد قاربت - أيها القرين - أن تهلكني بدخول النار بدعوتك لي إلى الكفر وإنكار البعث. ﴿٥٧﴾ ولولا إغرام الله علي بالهداية للإيمان والتوفيق له، لكنت من المحضرين إلى العذاب مثلك. ولما أنهى كلامه مع قرينه من أهل النار توجه إلى خطاب قرنائه من أهل الجنة فقال: ﴿٥٨﴾ فلسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين. ﴿٥٩﴾ غير موتنا الأولى في الحياة الدنيا، بل نحن مخلصون في الجنة، ولسنا بمعذبين كما يعذب الكفار. ﴿٦٠﴾ إن هذا الذي جازانا به ربنا - من دخول الجنة والخلود فيها والسلامة من النار - لهو الظفر العظيم الذي لا ظفر يساويه.

﴿٦١﴾ لمثل هذا الجزاء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فإن هذا هو التجارة الرباحة. ﴿٦٢﴾ أذلك النعيم المذكور الذي أعده الله لعباده الذين أخلصهم لطاعته، خير وأفضل مقاماً وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار الذي لا يسمن ولا يفني من جوع؟ ﴿٦٣﴾ إنا صيرنا هذه الشجرة فتنة يفتتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي، حيث قالوا: إن

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُنَا ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أَمْوَتَنَّا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا أَلْهُوَ الْقُوَى الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا عَنْهُ شَجَرَةً زَقُومٍ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا خَائِفُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَقْوَاءُ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

النار تاكل الشجر، فلا يمكن أن ينبت فيها. ﴿٧٦﴾ إن شجرة الزقوم شجرة خبيثة المنبت، فهي شجرة تخرج في قعر الجحيم. ﴿٧٧﴾ ثمرها الخارج منها كرية المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وقيح المنظر دليل على قبح المخبر، وهذا يعني أن ثمرها خبيث الطعم. ﴿٧٨﴾ فإن الكفار لآكلون من ثمرها المر القبيح، ومالئون منه بطونهم الخاوية. ﴿٧٩﴾ ثم إنهم بعد أكلهم منها لهم شراب خليط قبيح حار. ﴿٨٠﴾ ثم إن رجوعهم بعد ذلك لإلى عذاب الجحيم، فهم يتنقلون من عذاب إلى عذاب. ﴿٨١﴾ إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية، فتأسوا بهم تقليداً لا عن حجة. ﴿٨٢﴾ فهم يتبعون آثار آبائهم في الضلالة مسرعين. ﴿٨٣﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين، فليس قومك - أيها الرسول - أول من ضل من الأمم. ﴿٨٤﴾ ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلاً يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا. ﴿٨٥﴾ فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأقسام الذين أنذرتهم رسلكم فلم يستجيبوا لهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلكم. ﴿٨٦﴾ إلا من أخلصهم الله للإيمان به، فإنهم ناجون من العذاب الذي كان نهاية أولئك المكذبين الكافرين. ﴿٨٧﴾ ولقد دعانا نبينا نوح ﴿٨٨﴾ حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المجيبون نحن، فقد سارعنا في إجابة دعائه عليهم. ﴿٨٩﴾ ولقد سلمناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق بالطوفان العظيم المرسل على الكافرين من قومه.

• من قوايا الآيات: • الظفر بنعيم الجنان هو الفوز الأعظم، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون. • إن طعام أهل النار هو الزقوم ذو الثمر المر الكرية الطعم والرائحة، العسير البلع، المؤلم الأكل. • أجاب الله تعالى دعاء نوح ﴿٩٠﴾ بإهلاك قومه، والله نعم المقصود المجيب.

﴿٧٧﴾ وَنَجِّنَا أَهْلَهُ وَاتَّبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدَّاهُمْ، فَقَدْ أَغْرَقْنَا غَيْرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ.

﴿٧٨﴾ وَأَبْقَيْنَا لَهُ فِي الْأُمَمِ التَّلَاحِقَةَ ثَنَاءً حَسَنًا يَتَّبِعُونَ بِهِ عَلَيْهِ.

﴿٧٩﴾ أَمَانٌ وَسَلَامٌ لِنُوحٍ مَنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ سَوْءٌ فِي الْأُمَمِ التَّلَاحِقَةِ، بَلْ سَبَقَتْ لَهُ الثَّنَاءُ وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ.

﴿٨٠﴾ إِنْ مِثْلُ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَيْنَا بِهِ نُوحًا ﴿٧٨﴾ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِعِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

﴿٨١﴾ إِنْ نُوحًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

﴿٨٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْبَاقِينَ بِالطُّوفَانِ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. ﴿٨٣﴾ وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ الَّذِينَ وَافَقُوهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ. ﴿٨٤﴾ أَذْكَرَ حِينَ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشَّرِكِ نَاصِحٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ.

﴿٨٥﴾ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ مُوبِخًا لَهُمْ: مَا الَّذِي تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿٨٦﴾ آَلِهَةٌ مَكْذُوبَةٌ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ - يَا قَوْمَ -

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ إِذَا لَقِيتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟ وَمَاذَا تَرَوْنَهُ صَانِعًا بِكُمْ؟ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ النَّجْمِ يَدِيرُ مَكِيدَةً لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ. ﴿٨٩﴾ فَقَالَ مُتَعَلِّلاً

عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ إِلَى عِيدِهِمْ: إِنِّي مَرِيضٌ. ﴿٩٠﴾ فَتَرَكُوهُ وَرَاءَهُمْ وَذَهَبُوا.

﴿٩١﴾ فَمَالَ إِلَى آلِهِتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ سَاحِرًا مِنَ آلِهِتِهِمْ:

أَلَا تَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الْمُشْرِكُونَ لَكُمْ؟ ﴿٩٢﴾ مَا شَأْنُكُمْ لَا

تَتَكَلَّمُونَ، وَلَا تَجِيبُونَ مَنْ يَسْأَلُكُمْ؟ ﴿٩٣﴾ أَمْثَلُ هَذَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿٩٤﴾ فَمَالَ

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبَرْهِيمٍ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِلْقٍ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ ﴿٩٧﴾ فَرَادُوا بِهٖ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ لَأْسَافِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَابَعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾

٤٤٩

عليهم إِبْرَاهِيمَ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ الِئْمَنَى لِيَكْسِرَهُمْ. ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ عِبَادُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ يَسْرِعُونَ. ﴿٩٥﴾ فَقَالَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بَثَاتٍ، وَقَالَ لَهُمْ مُوبِخًا يَا هُمْ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً أَنْتُمْ تَتَحَنُّونَهَا بِأَيْدِيكُمْ؟ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ خَلَقَكُمْ أَنْتُمْ، وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ، وَمَنْ عَمَلَكُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلَا يَشْرِكُ بِهِ غَيْرُهُ. ﴿٩٧﴾ فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مُقَارَعَتِهِ بِالْحُجَّةِ لَجَّوْا إِلَى الْقُوَّةِ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ بِإِبْرَاهِيمَ، قَالُوا: ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا، وَامْلُؤُوهُ حَطَبًا وَأَضْرَمُوهُ، ثُمَّ أَرْمُوهُ فِيهِ. ﴿٩٨﴾ فَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بِإِبْرَاهِيمَ سُوءًا بِأَنْ يَهْلِكُوا فَيَسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَصَيَّرْنَاهُمُ الْخَاسِرِينَ حِينَ جَعَلْنَا النَّارَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا. ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي مَهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي تَارِكًا بِلَدِ قَوْمِي لِأَتَمَكِّنَ مِنْ عِبَادَتِهِ، سَيِّدُنِي رَبِّي عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿١٠٠﴾ يَا رَبِّ، ارْزُقْنِي وَلَدًا صَالِحًا يَكُونُ لِي عَوْنًا وَعَوْضًا عَنْ قَوْمِي فِي الْغُرْبَةِ. ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دَعْوَتَهُ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَا يَسِرُّهُ، حَيْثُ بَشَّرْنَاهُ بِوَلَدٍ يُكَبِّرُ، وَيَصِيرُ حَلِيمًا، وَهَذَا الْوَلَدُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﴿١٠٢﴾. ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا شَبَّ إِسْمَاعِيلُ، وَأَدْرَكَ سَعْيُهُ سَعَى أَبِيهِ رَأَى أَبُوهُ إِبْرَاهِيمَ رُؤْيَا، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيًا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَخْبِرًا ابْنَهُ عَنْ فَحْوَى هَذِهِ الرُّؤْيَا: يَا بُنَيَّ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانْظُرْ مَا تَرَى فِي ذَلِكَ، فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ قَائِلًا: يَا أَبَتِي، أَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَبْحِي، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ الرَّاضِينَ بِحُكْمِ اللَّهِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● مِنْ مَظَاهِرِ الْإِنْعَامِ عَلَى نُوحٍ: نَجَاةُ نُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ أَصُولَ الْبَشَرِ وَالْأَعْرَاقِ وَالْأَجْنَاسِ، وَابْقَاءُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ. ● أَفْعَالُ الْإِنْسَانِ يَخْلُقُهَا اللَّهُ وَيَفْعَلُهَا الْعَبْدُ بِاخْتِيَارِهِ. ● الذَّبِيحُ بِحَسَبِ دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَرْتِيبِهَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﴿١٠٣﴾؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ أَوَّلًا، وَأَمَّا إِسْحَاقُ ﴿١٠٤﴾ فَيُبَشَّرُ بِهِ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ ﴿١٠٣﴾. ● قَوْلُ إِسْمَاعِيلَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سَبَبٌ لَتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِالصَّبْرِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْأَمْرَ لِلَّهِ.

﴿١٠٦﴾ فلما خضعوا لله وانقادوا له،

وضع إبراهيم ابنه على جانب جبهته لينفذ ما أمر به من ذبحه.

﴿١٠٧﴾ وناديناه إبراهيم وهو يهيم بتنفيذ أمر الله بذبح ابنه: أن يا إبراهيم.

﴿١٠٨﴾ قد حَقَّقَت الرؤيا التي رأيتهَا في منامك بعزمك على ذبح ابنك،

إنا - كما جزيناك بتخليصك من هذه المحنة العظيمة - نجزي المحسنين

فتخلصهم من المحن والشدائد،

﴿١٠٩﴾ إن هذا لهو الاختبار الواضح، وقد نجح إبراهيم فيه.

﴿١١٠﴾ وفديناه إسماعيل بكبش عظيم بدلاً منه يذبح عنه.

﴿١١١﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناءً حسنًا في الأمم اللاحقة.

﴿١١٢﴾ تحيةً من الله له، ودعاءً بالسلامة من كل ضر وأفة.

﴿١١٣﴾ كما جازينا إبراهيم هذا الجزء على طاعته نجازي المحسنين.

﴿١١٤﴾ إن إبراهيم من عبادنا المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه العبودية لله.

﴿١١٥﴾ وبشرناه بولد آخر يصير نبياً وعبدًا صالحاً وهو إسحاق؛ جزاءً

على طاعته لله في ذبح إسماعيل ولده الوحيد.

﴿١١٦﴾ وأنزلنا عليه وعلى ابنه إسحاق بركة منا، فأكثرنا لهما النعم، ومنها

تكاثر ولدهما، ومن ذريتهما محسن بطاعته لربه، ومنهم ظالم لنفسه

بالكفر وارتكاب المعاصي واضح الظلم.

﴿١١٧﴾ ولقد مننا على موسى وأخيه هارون بالنبوة.

﴿١١٨﴾ وسلمناهما وقومهما بني إسرائيل

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٧﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٩﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١١﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٧﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٨﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾ وَعَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٠﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّهُمَا مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٧﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٨﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٩﴾

٤٥٠

من استعباد فرعون لهم ومن الغرق.

﴿١٢٠﴾ ونصرناهم على فرعون وجنوده، فكانت الغلبة لهم على عدوهم.

﴿١٢١﴾ وأعطينا موسى وأخاه هارون التوراة كتاباً من عند الله واضحاً لا لبس فيه.

﴿١٢٢﴾ وهديناهما إلى الصراط المستقيم الذي لا عوجاج فيه، وهو طريق دين الإسلام الموصلة إلى مرضاة الخالق سبحانه.

﴿١٢٣﴾ وأبقينا عليهما ثناءً حسنًا وذكرًا طيباً في الأمم اللاحقة.

﴿١٢٤﴾ تحيةً من الله طيبة لهما وثناءً عليهما ودعاءً بالسلامة من كل مكروه.

﴿١٢٥﴾ إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم لربهم.

﴿١٢٦﴾ إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بالله العاملين بما شرع لهم. ﴿١٢٧﴾ وإن إلياس لمن المرسلين من ربه، أنعم الله عليه

بالنبوة والرسالة. ﴿١٢٨﴾ إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل: يا قوم، ألا تتقون الله؛ بامتنال أوامره، ومنها التوحيد،

وباجتناب نواهيه، ومنها الشرك؟ ﴿١٢٩﴾ أتعبدون من دون الله صنمكم بعلًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟ ﴿١٣٠﴾ والله هو ربكم

الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة، لا غيره من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكَلَامِ:

• قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ دليل على أن إبراهيم وإسماعيل ؑ كانا في غاية التسليم لأمر الله تعالى. • من مقاصد الشرع تحرير

العباد من عبودية البشر. • الثناء الحسن والذكر الطيب من النعيم المعجل في الدنيا.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِنَّ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَقْلًا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾
فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَيْهِمْ
الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

٤٥١

﴿١٢٧﴾ فما كان من قومه إلا أن كذبوه، وبسبب تكذيبهم فهم مُحْضَرُونَ في العذاب. ﴿١٢٨﴾ إلا من كان من قومه مؤمناً مخلصاً لله في عبادته؛ فإنه ناج من الإحضار إلى العذاب. ﴿١٢٩﴾ وأبقينا عليه ثناءً حسناً وذكرًا طيباً في الأمم اللاحقة. ﴿١٣٠﴾ تحية من الله وثناءً على إلياس. ﴿١٣١﴾ إنا كما جازينا إلياس هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. ﴿١٣٢﴾ إن إلياس من عبادنا المؤمنين حقاً الصادقين في إيمانهم بربه. ﴿١٣٣﴾ وإن لوطاً لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين. ﴿١٣٤﴾ اذكر حين سلمناه وأهله كلهم من العذاب المرسل على قومه. ﴿١٣٥﴾ إلا زوجته، فقد كانت امرأة شملها عذاب قومها؛ لكونها كانت كافرة مثلهم. ﴿١٣٦﴾ ثم أهلكنا الباقيين من قومه ممن كذبوا به، ولم يصدقوا بما جاء به. ﴿١٣٧﴾ وإنكم - يا أهل مكة - تمررون على منازلهم في أسفاركم إلى الشام في وقت الصباح. ﴿١٣٨﴾ وتمررون عليها كذلك ليلاً، أفلا تعقلون، وتتظنون بما آل إليه أمرهم بعد تكذيبهم وكفرهم وارتكابهم الفاحشة التي لم يسبقوا إليها؟ ﴿١٣٩﴾ وإن عبادنا يونس لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين. ﴿١٤٠﴾ حين فر من قومه من غير إذن ربه، وركب سفينة مملوءة من الركاب والأمتعة. ﴿١٤١﴾ فأوشكت السفينة أن تغرق لامتلائها، فافتزع الركاب ليُلْقُوا بعضهم؛ خوفاً من غرق السفينة بسبب كثرة الركاب، فكان يونس من هؤلاء المغلوبين، فألقوه في البحر. ﴿١٤٢﴾ فلما ألغوه في البحر أخذته الحوت، وابتلعه، وهو أت بما يلام عليه؛ لذهابه إلى البحر بغير إذن ربه. ﴿١٤٣﴾ فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيراً قبل ما حل به، ولولا تسبيحه في بطن الحوت. ﴿١٤٤﴾ لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة بحيث يصير له قبراً. ﴿١٤٥﴾ فألقيناه من بطن الحوت بأرض خالية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن لمكثته مدة في بطن الحوت، وأنبتنا عليه في تلك الأرض الخالية شجرة من القرع يستظل بها ويأكل منها. ﴿١٤٦﴾ وأرسلناه إلى قومه وعددهم مئة ألف، بل يزيدون. ﴿١٤٧﴾ فآمنا وصدقوا بما جاء به، فمتعهم الله في حياتهم الدنيا إلى أن انقضت آجالهم المحددة لهم. ﴿١٤٨﴾ فاسأل - يا محمد - المشركين سؤال إنكار: اتجعلون لله البنات اللاتي تكرهونهن، وتجعلون لكم البنين الذين تحبونهم؟ أي قسمة هذه؟ ﴿١٤٩﴾ كيف زعموا أن الملائكة إناث، وهم لم يحضروا خلقهم، وما شاهدوهم؟ ﴿١٥٠﴾ ألا إن المشركين من كذبهم على الله واقتراهم عليه لينسبون له الولد، وإنهم لكاذبون في دعواهم هذه. ﴿١٥١﴾ هل اختار الله لنفسه البنات اللاتي تكرهونهن على البنين الذين تحبونهم؟ كلا. ﴿١٥٢﴾ من قوايد الآيات، ﴿١٥٣﴾ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبْدِلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ: إِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِهْلَاكُ الْكَافِرِينَ. • ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. • جواز القرعة شرعاً لقوله تعالى: ﴿فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

• ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. • جواز القرعة شرعاً لقوله تعالى: ﴿فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿١٥٦﴾ مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ -
تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ حَيْثُ
تَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبِنَاتِ، وَتَجْعَلُونَ لَكُمْ
الْبَنِينَ؟

﴿١٥٧﴾ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ بَطْلَانَ مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ؟ فَإِنَّكُمْ
لَوْ تَذَكَّرْتُمْ لَمَا قُلْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ.

﴿١٥٨﴾ أَمْ لَكُمْ حُجَّةٌ جَلِيَّةٌ وَبِرْهَانٌ
وَاضِحٌ مِنْ كِتَابِ بَذَلِكُ أَوْ رَسُولِ؟
﴿١٥٩﴾ فَأْتُوا بِكُتَابِكُمْ الَّذِي يَحْمِلُ لَكُمْ
الْحُجَّةَ عَلَى هَذَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا
تَدْعُونَهُ.

﴿١٦٠﴾ وَجَعَلَ الْمَشْرُكُونَ بَيْنَ اللَّهِ
وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُسْتَوْرِينَ عَنْهُمْ نَسَبًا
حِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ،
وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ سَيَحْضُرُ
الْمَشْرُكِينَ لِلْحِسَابِ.

﴿١٦١﴾ تَتَزَهَّدُ اللَّهُ وَتَقْدَسُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ
الْمَشْرُكُونَ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ
الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿١٦٢﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ؛ فَإِنَّهُمْ
لَا يَصِفُونَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ
مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ.

﴿١٦٣﴾ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ -
وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿١٦٤﴾ لَسْتُمْ بِمُضِلِّينَ مِنْ أَحَدٍ عَنْ دِينِ
الْحَقِّ.

﴿١٦٥﴾ إِلَّا مَنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْفِذُ فِيهِ
قَضَاءَهُ فَيَكْفُرُ، وَيَدْخُلُ النَّارَ، أَمَا أَنْتُمْ
وَمُعْبُودَاتُكُمْ فَلَا قُدْرَةَ لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿١٦٦﴾ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَبْنِيَّةَ عِبُودِيَّتِهَا
لِلَّهِ، وَبِرَاءَتِهَا مِمَّا زَعَمَ الْمَشْرُكُونَ:
وَلَيْسَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ فِي
عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿١٦٧﴾ وَأَنَا - نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ -

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِذَا تَكَلَّمْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنْهَا إِلَّا
لَهُ، وَمَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَيِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصُرْهُمْ
فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِزَّادُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصُرْ
فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

آيَاتُهَا ٨٨

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

رَتَبَتُهَا ٣٨

٤٥٢

لَوْ أَقْبَضُوا صَفُوفًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِنَّا لَمُنْزِلُونَ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ.

﴿١٧٠﴾ وَإِنَّ الْمَشْرُكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا يَقُولُونَ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ كَالْتَّوْرَةِ مَثَلًا؛ لَأَخْلَصْنَا
لِلَّهِ الْعِبَادَةَ، وَهُمْ كَاذِبُونَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْقُرْآنِ فَكَفَرُوا بِهِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ. ﴿١٧١﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِرُسُلِنَا إِنَّهُمْ مَنصُورُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْحِجَّةِ وَالْقُوَّةِ، وَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَجُنْدُنَا
الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، ﴿١٧٢﴾ فَأَعْرَضَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ الْمَعَانِدِينَ إِلَى مَدَّةٍ
يَعْلَمُهَا اللَّهُ حَتَّى يَأْتِيَ وَفْتُ عَذَابِهِمْ. ﴿١٧٣﴾ وَانْتَظَرَهُمْ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ، فَسَيَبْصُرُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ إِبْصَارُ. ﴿١٧٤﴾ أَفَسَتَعْجَلُ هَؤُلَاءِ
الْمَشْرُكُونَ بِعَذَابِ اللَّهِ؟ ﴿١٧٥﴾ فَإِذَا نَزَلَ عَذَابُ اللَّهِ بِهِمْ فَبُئْسَ الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ. ﴿١٧٦﴾ وَأَعْرَضَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - عَنْهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
بِعَذَابِهِمْ. ﴿١٧٧﴾ وَانْتَظَرُ فَيَسْتَظْهِرُ هَؤُلَاءِ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ. ﴿١٧٨﴾ تَتَزَهَّدُ رَبِّكَ - يَا مُحَمَّدُ - رَبِّ الْقُوَّةِ، وَتَقْدَسُ عَمَّا يَصِفُهُ
بِهِ الْمَشْرُكُونَ مِنْ صِفَاتِ النُّقْصِ. ﴿١٨١﴾ وَتَحْيَا اللَّهُ وَتَنَازِلُهُ عَلَى رُسُلِهِ الْكَرَامِ.

﴿١٨٢﴾ وَالتَّوْبَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ ﷻ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا، لَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• سُنَّةُ اللَّهِ نَصْرَ الْمُرْسَلِينَ وَوَرِثَتَهُمُ بِالْحِجَّةِ وَالْغَلْبَةِ، وَفِي الْآيَاتِ بَشَارَةُ عَظِيمَةٍ؛ لِمَنْ اتَّصَفَ بِأَنَّهُ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ غَالِبٌ مَنصُورٌ.
• فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى بَيَانِ عِزِّ الْمَشْرُكِينَ وَعِزِّ آلِهِمْ عَنْ إِضْلَالِ أَحَدٍ، وَبَشَارَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ بِأَنَّ اللَّهَ بِقُدْرَتِهِ يَنْجِيهِمْ
مِنْ إِضْلَالِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ.

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

● التَّشْيِيرُ:

● ص: تقدم الكلام على

نظائرها من الحروف المقطعة في

بداية سورة البقرة. أقسم بالقرآن

المشتمل على تذكير الناس بما ينفعهم

في دنياهم وأخرتهم، ليس الأمر كما

يظنه المشركون من وجود شركاء مع

الله. ٢) لكن الكافرين في حمية وتكبر

عن توحيد الله، وفي خلاف مع محمد

ﷺ وعداوة له. ٣) كم أهلكنا من

قبلهم من القرون التي كذبت برسلسها

فنادوا مستغيثين عند نزول العذاب

عليهم، وليس الوقت وقت خلاص لهم

من العذاب فتتفعهم الاستغاثة منه.

٤) وتعجبوا حين جاءهم رسول من

أنفسهم يخوفهم من عذاب الله إن

استمروا على كفرهم، وقال الكافرون

حين شاهدوا البراهين على صدق ما

جاء به محمد ﷺ: هذا رجل ساحر

يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه من

أنه رسول من الله يوحى إليه. ٥) أجعل

هذا الرجل الآلهة المتعددة إلهاً واحداً

لا إله غيره؟ إن صنيعه هذا لغاية في

العجب. ٦) وانطلق أشراهم

وكبرائهم قائلين لأتباعهم: امضوا

على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دين

محمد، واثبتوا على عبادة آلهتكم، إن

ما دعاكم إليه محمد من عبادة إله

واحد شيء مُدْبِر يريد هويلعلو علينا

ونكون له أتباعاً. ٧) ما سمعنا بما

يدعوننا إليه محمد من توحيد الله فيما

وجدنا عليه آباءنا، ولا في ملة عيسى

ﷺ، وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب وافتراء. ٨) أصبح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة

الكبراء؟ ٩) بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يذوقوا عذاب الله، فاغتروا بإمهاهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا

على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. ١٠) أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه

أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطونها من يشاء، وليست لهم حتى يمنعوها من شأؤوا ويمنعوها من

أرادوا. ١١) أم لهم ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيها؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب

الموصلة إلى السماء ليتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. ١٢) هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ جند

مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت برسلسها. ١٣) ليس هؤلاء المكذبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب

فرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس. ١٤) وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، أولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا

على تكذيب رسلكم والكفر بما جاؤوا به. ١٥) ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم

عقابه وإن تأخر إلى حين. ١٦) وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع

عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. ١٧) وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقينه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ● غلبة

المقاييس المادية في أذهان المشركين برغبتهم في نزول الوحي على السادة والكبراء. ● سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٍ ٢
 كَرَاهَلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَ أُولَآئِ حِينَ مَنَاصٍ ٣ وَعَجَبُوا
 أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤
 أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ٥ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
 مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٧ أَنزَلَ
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ
 ٨ أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠ جُنُودُ
 مَا هُنَا لَكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
 وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ
 فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحْدَةً مَّا هَا
 مِنْ فَوَاقٍ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَّنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦

٤٥٣

● وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب وافتراء. ٨) أصبح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة
 الكبراء؟ ٩) بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يذوقوا عذاب الله، فاغتروا بإمهاهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا
 على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. ١٠) أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه
 أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطونها من يشاء، وليست لهم حتى يمنعوها من شأؤوا ويمنعوها من
 أرادوا. ١١) أم لهم ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيها؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب
 الموصلة إلى السماء ليتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. ١٢) هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ جند
 مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت برسلسها. ١٣) ليس هؤلاء المكذبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب
 فرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس. ١٤) وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، أولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا
 على تكذيب رسلكم والكفر بما جاؤوا به. ١٥) ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم
 عقابه وإن تأخر إلى حين. ١٦) وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع
 عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. ١٧) وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقينه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ● غلبة
 المقاييس المادية في أذهان المشركين برغبتهم في نزول الوحي على السادة والكبراء. ● سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر
 والتعجب والاستعلاء عن اتباع الحق.

﴿١٧﴾ أصبر - أيها الرسول - على ما يقوله هؤلاء المكذبون مما لا يرضيك، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على مقارعة أعدائه والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة، والعمل بما يرضيه.

﴿١٨﴾ إنا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه إذا سبح آخر النهار وأوله عند الإشراق.

﴿١٩﴾ وسخرنا الطير محبوسة في الهواء، كل مطيع يسبح تبعاً له.

﴿٢٠﴾ وقوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة والنصر على أعدائه، وأعطيناه النبوة والصواب في أموره، وأعطيناه البيان الشافي في كل قصد، والفصل في الكلام والحكم.

﴿٢١﴾ وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين غلوا على داود مكان عبادته.

﴿٢٢﴾ إذ دخلا على داود فجأة، فارتاع من دخولهما عليه فجأة بهذه الطريقة غير المألوفة للدخول عليه، فلما تبين لهما ارتباعه قالا: لا تخف؛ فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجر علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل الذي هو سبيل الصواب.

﴿٢٣﴾ قال أحد الخصمين لداود: ﴿٢٤﴾ إن هذا الرجل أخي، له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبني في الحجة.

﴿٢٥﴾ فحكم داود بينهما وقال مخاطباً صاحب الدعوى: لقد ظلمك أخوك حين سألك ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حقه وعدم الإنصاف، إلا المؤمنين الذين يعملون

الأعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود ﴿٢٦﴾ أنما أوقعناه في فتنة بهذه الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

﴿٢٧﴾ فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة. ﴿٢٨﴾ يا داود، إنا صبرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدينية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقراءة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب؛ إذ لو كانوا يذكرونه ويخافون منه لما مالوا مع أهوائهم.

﴿٢٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من الآيات.
- الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة نسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه.
- استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخَلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر.
- ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ رَوْءَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخَلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْحِسَابُ ﴿٢٦﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِينَتُ الْجَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٤٥٥

﴿٢٧﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلاً ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار إذا ماتوا على ما هم عليه من الكفر وظن السوء بالله. ﴿٢٨﴾ لن نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات مثل المفسدين في الأرض بالصالحات مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا نجعل المتقين لربهم بامثال أوأمره واجتباب نواهيه مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله ﷻ، بل يجازي الله المؤمنين الأتقياء بدخول الجنة، ويعاقب الكافرين الأشقياء بدخول النار؛ لأنهم لا يستون عند الله، فلا يستوي جزاؤهم عنده.

﴿٢٩﴾ إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك كثير الخير والنفع، ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعض به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

﴿٣٠﴾ ووهبنا لداود ابنه سليمان إنعاماً منا عليه وتفضلاً لنقرر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير التوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه.

﴿٣١﴾ اذكر حين عرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم، وترفع الرابعة، فلم تزل تُعرض عليه تلك الخيول الأصيلة حتى غربت الشمس.

﴿٣٢﴾ فقال سليمان: إنني أثرت حب المال - ومنه هذه الخيل - على ذكر ربي حتى غابت الشمس وتأخرت عن صلاة العصر.

﴿٣٣﴾ ردوا علي هذه الخيل، فردوها عليه، فبدأ يضرب بالسيف سوقها وأعناقها.

﴿٣٤﴾ ولقد اخترنا سليمان وألقينا على كرسى ملكه شيطاناً، متمثلاً بإنسان تصرف في ملكه مدة قصيرة ثم أعاد الله لسليمان ملكه، وسلطه على الشياطين.

﴿٣٥﴾ قال سليمان: يا رب، اغفر لي ذنوبي، وأعطني ملكاً خاصاً بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك - يا رب - كثير العطاء، عظيم الجود.

﴿٣٦﴾ فاستجبنا له وذللنا له الريح تنقاد بأمره لينة، لا زعزعة فيها مع قوتها وسرعة جريها، تحمله حيث أراد.

﴿٣٧﴾ وذللنا له الشياطين يأمرون بأمره، فمنهم البناؤون، ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار، فيستخرجون الدر منها.

﴿٣٨﴾ ومن الشياطين مرده سخرها له، فهم موقنون في الأغلال لا يستطيعون التحرك. ﴿٣٩﴾ يا سليمان، هذا عطاولنا الذي أعطيناكه استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن تحاسب في إعطاء أو منع. ﴿٤٠﴾ وإن سليمان عندنا لمن المقربين، وله حُسن مرجع يرجع إليه وهو الجنة. ﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب دعا الله ربه: أني أصابني الشيطان بأمر متعب معذب.

﴿٤٢﴾ فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فضرب برجله الأرض، فنبع له منها ماء يشرب منه ويغتسل، فيذهب ما به من الضر والأذى.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• البحث على تدبر القرآن. • في الآيات دليل على أنه بحسب سلامة القلب وفضيلة الإنسان يحصل له التذكر والانفتاح بالقرآن الكريم. • في الآيات دليل على صحة القاعدة المشهورة: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

﴿٤٣﴾ فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضرر، وأعطيناه أهله، وزدناه عليهم مثلهم من البنين والعفدة رحمة منا به، وجزاء له على صبره، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب. ﴿٤٤﴾ حين غضب أيوب على زوجته، فأقسم ليضربنها مئة جلدة، قلنا له: خذ - يا أيوب - بيدك حزمة شَمَارِخ فاضربها بها إبراراً لقسمك، ولا تحث في قسمك الذي أقسمته، فأخذ بحزمة شَمَارِخ فاضربها بها، إنا وجدناه صابراً على ما ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه كثير الرجوع والإنابة إلى الله.

﴿٤٥﴾ واذكر - أيها الرسول - عبادنا الذين اصطفيناهم ورسلنا الذين أرسلناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله وتلقس مرضاته، وكانوا أصحاب بصيرة في الحق صادقة. ﴿٤٦﴾ إنا مننا عليهم بخاصة اختصاصهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح ودعوة الناس إلى العمل لها. ﴿٤٧﴾ وإنهم عندنا لمن اصطفيناهم لطاعتنا وعبادتنا، واخترناهم لحمل رسالتنا وتبليغها للناس. ﴿٤٨﴾ واذكر - أيها النبي - إسماعيل بن إبراهيم، واذكر اليسع، واذكر ذا الكفل، وأثن عليهم بأحسن ثناء، فهم أهل له، وكل هؤلاء من المختارين عند الله المصطفين.

﴿٤٩﴾ هذا ذكر لهؤلاء بالثناء الجميل في القرآن، وإن للمتقين بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لمرجئاً حسناً في الدار الآخرة. ﴿٥٠﴾ هذا المرجع الحسن هو جنات إقامة يدخلونها يوم القيامة،

وقد فتحت لهم أبوابها احتفاءً بهم. ﴿٥١﴾ متكئين على الأرائك المزيّنة لهم، يطلبون من خدامهم أن يقدموا لهم ما يشتهونه من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب مما يشتهونه من خمر وغيرها. ﴿٥٢﴾ وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، لا تتجاوزهن إلى غيرهم، وهن مستويات في السن. ﴿٥٣﴾ هذا ما توعدون - أيها المتقون - من الجزاء الطيب يوم القيامة على أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها في الدنيا. ﴿٥٤﴾ إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء ليرزقنا نرزق به المتقين يوم القيامة، وهو رزق مستمر، لا ينقطع ولا ينتهي. ﴿٥٥﴾ هذا الذي ذكرنا جزاء المتقين، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لجزاء مغايراً لجزاء المتقين، فلهم شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة. ﴿٥٦﴾ هذا الجزاء هو جهنم تحيط بهم، ويعانون حرها ولهبها، لهم منها فراش، فيبس الفراش فراشهم. ﴿٥٧﴾ هذا العذاب ماء متناهي الحرارة، وصديد سائل من أجساد أصحاب النار المعذبين فيها، فليشربوه، فهو شرابهم الذي لا يروي من عطش. ﴿٥٨﴾ ولهم عذاب آخر من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب يُعَذَّبون بها في الآخرة. ﴿٥٩﴾ وإذا دخل أهل النار وقع بينهم ما يقع بين الخصوم من الشتم، وتبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة من أهل النار داخلية النار معكم، فيجيبونهم: لا مرحباً بهم إنهم مقاسون من عذاب النار مثل ما نقاسيه. ﴿٦٠﴾ قال فوج الأتباع لساداته المتبوعين: بل أنتم - أيها السادة المتبوعون - لا مرحباً بكم، فأنتم من تسببتم لنا بهذا العذاب الأليم يا ضاللكم لنا وإغواكم، فيبس القرار هذا القرار، قرار الجميع الذي هو نار جهنم. ﴿٦١﴾ قال الأتباع: يا ربنا، من أضلنا عن الهدى بعد إذ جاءنا فاجعل عذابه في النار عذاباً مضاعفاً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • من صبر على الضر فإله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وأجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. • في الآيات دليل على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً ضرباً غير مبرح؛ فأَيُوبُ ﷺ حلف على ضرب امرأته ففعل.

٦٢ وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.

٦٣ أكانت سخريتنا واستهزاؤنا بهم خطأ فلم يستحقوا العذاب، أم أن استهزاءنا بهم كان صواباً، وقد دخلوا النار، ولم تقع عليهم أبصارنا؟

٦٤ إن ذلك الذي ذكرنا لكم من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق لا مرية فيه ولا ريب.

٦٥ قل - يا محمد - للكفار من قومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يوقعه عليكم بسبب كفركم به وتكذيبكم لرسله، وليس يوجد إليه يستحق العبادة إلا الله سبحانه، فهو المنفرد في عظمته وصفاته وأسمائه، وهو القهار الذي قهر كل شيء، فكل شيء خاضع له.

٦٦ وهو رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما، وهو العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، وهو الغفار لذنوب التائبين من عباده.

٦٧ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: إن القرآن خبر ذو شأن عظيم.

٦٨ أنتم عن هذا الخبر العظيم الشأن معرضون، لا تلتفتون إليه.

٦٩ ليس لي من علم بما كان يدور من حديث بين الملائكة بشأن خلق آدم، لولا أن الله أوحى إليّ وعلمني، إنما يوحى الله إليّ ما يوحىه لأنني نذير لكم من عذابه بين النذارة.

٧٠ اذكر حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرًا من طين وهو آدم.

٧١ فإذا سوّيت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.

٧٢ فامتثل الملائكة أمر ربهم، فسجدوا جميعهم سجود تكريم، ولم يبق منهم أحد إلا سجد لآدم.

٧٣ إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان يتكبره على أمر ربه من الكافرين.

٧٤ قال الله: يا إبليس، أي شيء منعك من السجود لآدم الذي خلقته بيدي؟ أمنعك من السجود التكبر، أم كنت من قبل ذا تكبر وعلوّ على ربك؟

٧٥ قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين. وهذا يزعمه أن النار أشرف عنصرًا من الطين.

٧٦ قال الله لإبليس: فخرج من الجنة فإنك ملعون مشنوم.

٧٧ وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة. ٧٨ قال إبليس: فأمهلي ولا تمتني إلى يوم تبعث عبادك. ٧٩ قال الله: فإنك من الممهّلين. ٨٠ إلى يوم الوقت المعلوم لإهلاكك. ٨١ قال إبليس: فأقسم بقدرتك وقهرك، لأضلن بني آدم أجمعين. ٨٢ إلا من عصمته أنت من إضلائي وأخلصته لعبادتك وحدي.

• من فوائد الآيات:

• القياس والاجتهاد مع وجود النص الواضح مسلك باطل. • كفر إبليس كفر عناد وتكبر. • من أخلصهم الله لعبادته من الخلق لا سبيل للشيطان عليهم.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ٦٢ أَتُخَذُ نَهُمْ
سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ٦٣ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ٦٤ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٥
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ٦٦ قُلْ هُوَ تَبَوَّأُ
عَظِيمٌ ٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٦٩ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٧٠ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ٧٣ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٧٤ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
٧٦ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ٨٠ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٨١ قَالَ فِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ٨٣

﴿٨٦﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَالْحَقُّ مِنِّي، وَالْحَقُّ أَقُولُهُ، لَا أَقُولُ غَيْرَهُ.

﴿٨٧﴾ لِأَمْلَأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْ أَجْمَعِينَ.

﴿٨٨﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أَبْلَغْتُكُمْ مِنَ النَّصِيحِ مِنْ جِزَاءٍ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ بِالْإِثْبَانِ بِزِيَادَةِ عَلَى مَا أَمَرْتُ بِهِ.

﴿٨٩﴾ لَيْسَ الْقُرْآنُ إِلَّا تَذْكِيرٌ لِلْمُكَلِّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

﴿٩٠﴾ وَلِتَعْلَمُنَّ خَبَرَ هَذَا الْقُرْآنِ، وَأنَّهُ صَادِقٌ بَعْدَ وَقْتٍ قَرِيبٍ حِينَ تَمُوتُونَ.

سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ

● مِنْ تَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبذ الشرك.

● التفسير:

﴿١﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، ليس مُنْزَلاً من غيره سبحانه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق، فأخبره كلها صادقة وأحكامه جميعها عادلة، فاعبد الله موحداً له، مخلصاً له التوحيد من الشرك.

﴿٣﴾ ألا لله الدين الخالي من الشرك، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان والطواغيت يعبدونهم من دون الله معتذرين عن عبادتهم لهم بقولهم: ما نعبد هؤلاء

إلا ليقربونا إلى الله منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه، ويشفعوا لنا عنده؛ إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين وبين الكافرين المشركين يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية إلى الحق من هو كاذب على الله ينسب له الشريك، كفور بنعم الله عليه.

﴿٤﴾ لو أراد الله اتخاذ ولد لاختر من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزه وتقدس عما يقوله هؤلاء المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها، القهار لجميع خلقه.

﴿٥﴾ خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة، لا عبثاً كما يقول الظالمون، يُدخل الليل على النهار، ويُدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، ودلّل الشمس، ودلّل القمر، كل منهما يجري لوقت مُقَدَّر هو انتضاء هذه الحياة، ألا هو سبحانه العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغال به أحد، الغفار لذنوب من تاب من عباده.

● مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

● الداعي إلى الله يحتسب الأجر من عنده، لا يريد من الناس أجراً على ما يدعونهم إليه من الحق.

● التكلف ليس من الدين.

● التوسل إلى الله يكون بأسمائه وصفاته وبالإيمان وبالعمل الصالح لا غير.

سُورَةُ الْبُرُجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦﴾

سورة البُرْجِ ٤٥٨ آيات

﴿٦﴾ خلقتكم ربكم - أيها الناس - من نفس واحدة هي آدم، ثم خلق من آدم زوجة حواء، وخلق لكم من الإبل والبقرة والضأن والمعز ثمانية أنواع، من كل صنف خلق ذكراً وأنثى، ينشئكم سبحانه في بطون أمهاتكم طلوعاً بعد طور في ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ذلكم الذي يخلق ذلك كله هو الله ربكم، له وحده الملك، لا معبود بحق غيره، فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟!

﴿٧﴾ إن تكفروا - أيها الناس - بربكم فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضركم كفركم، وإنما ضرر كفركم عائد إليكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، ولا يأمرهم بالكفر؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، وإن تشكروا الله على نعمه وتوأمنوا به يرضَ شكركم، ويشبكم عليه، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ثم إلى ربكم وحده مرجعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم على أعمالكم، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

﴿٨﴾ وإذا أصاب الكافر ضرر من مرض وفقد مال وخوف غرق دعا ربه سبحانه أن يكشف عنه ما به من ضرر راجعاً إليه وحده، ثم إذا أعطاه نعمة بأن كشف عنه الضر الذي أصابه ترك من كان يتضرع إليه من قبل وهو الله، وجعل لله شركاء يعبدهم من دونه ليحرف غيره عن طريق الله الموصل إليه، قل - أيها الرسول - لمن هذه حاله: استمتع بكفرك بقية عمرك، وهو زمن قليل، فإنك من أصحاب النار الملازمين لها يوم القيامة ملازمة الصاحب صاحبه.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ أَرْوَجَ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمْ ۖ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ ۖ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۖ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ۖ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ ﴿٨﴾ أَمْ مَنْ هُوَ قُنُوتٌ ۚ إِنْ نَاءَ اللَّيْلُ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ۚ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۖ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۖ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ ﴿١٠﴾

﴿٩﴾ أم من هو مطيع لله يقضي أوقات الليل ساجداً لربه وقائماً له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه خيراً، أم ذلك الكافر الذي يعبد الله في الشدة ويكفر به في الرخاء، ويجعل مع الله شركاء؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ما أوجب الله عليهم بسبب معرفتهم بالله وأولئك الذين لا يعلمون شيئاً من هذا؟ إنما يعرف الفرق بين هذين الفريقين أصحاب العقول السليمة. ﴿١٠﴾ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا بي وبرسلي: اتقوا ربكم بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، للذين أحسنوا منكم العمل في الدنيا حسنة في الدنيا بالنصر والصحة والمال، وفي الآخرة بالجنة، وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها حتى تجدوا مكاناً تعبدون الله فيه، لا يمنعكم مانع، إنما يُعطى الصابرون ثوابهم يوم القيامة دون عد ولا مقدار لكثرة وتنوعه.

﴿١١﴾ من قوايد الآيات:

- رعاية الله للإنسان في بطن أمه.
- ثبوت صفة الغنى وصفة الرضا لله.
- تعرّف الكافر إلى الله في الشدة وتتركه له في الرخاء، دليل على تخبطه واضطرابه.
- الخوف والرجاء صفتان من صفات أهل الإيمان.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول -: إني أمرني

الله أن أعبد وحده مخلصاً له العباد.

﴿١٢﴾ وأمرني أن أكون أول من أسلم له وانقاد من هذه الأمة.

﴿١٣﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف

إن عصيت الله ولم أطلع عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: إني أعبد

الله وحده مخلصاً له العباد، لا أعبد معه غيره.

﴿١٥﴾ فاعبدوا أنتم - أيها المشركون -

ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر

للتهديد)، قل - أيها الرسول -: إن

الخاسرين حقاً هم الذين خسروا

أنفسهم، وخسروا أهلهم، فلم يلقوهم

لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول

الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن

يلتقوا أبداً، ألا ذلك حقاً هو الخسران

الواضح الذي لا لبس فيه.

﴿١٦﴾ لهم من فوقهم دخان ولهيب

وحرّ، ومن تحتهم دخان ولهيب وحرّ،

ذلك المذكور من العذاب يخوف الله

به عباده، يا عبادي، فاتقوني بامثال

أوامري واجتنب نواهي.

ولما ذكر الله أحوال المجرمين،

ذكر أحوال عباده الصالحين فقال:

﴿١٧﴾ والذين اجتنبوا عبادة الأوثان،

وكل ما يُعبد من دون الله، ورجعوا

إلى الله بالتوبة؛ لهم البشري بالجنة

عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة،

فبشّر - أيها الرسول - عبادي.

﴿١٨﴾ الذين يستمعون القول ويميزون

بين الحسن منه والقبیح، فيتبعون

أحسن القول لما فيه من النفع،

أولئك المتصفون بتلك الصفات هم

الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ وَيَعْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظَّالِمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا آتَاهُوا مِنَ اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُتَقَدَّمُ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرُوفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرُوفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَلَاءً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

٤٦٠

أصحاب العقول السليمة.

﴿١١﴾ من وجبت عليه كلمة العذاب لاستمراره في كفره وضلاله، فلا حيلة لك - أيها الرسول - في هدايته، وتوفيقه، أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إنقاذ من هذه صفته من النار؟

﴿١٢﴾ لكن الذين اتقوا ربهم؛ بامثال أوامره واجتنب نواهي، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعداً، والله لا يخلف الميعاد.

﴿١٣﴾ إنكم تعلمون بالمشاهدة أن الله أنزل من السماء ماء المطر، فأدخله في عيون ومجارٍ، ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراهم - أيها المشاهد - مُصْفَرَّ اللون بعد أن كان مُخْضَرًّا، ثم يجعله بعد يبسه متكسراً متهشماً، إن في ذلك المذكور لتذكيراً لأصحاب القلوب الحية.

﴿٢١﴾ من قواري الآيات:

• إخلاص العباد لله شرط في قبولها.

• المعاصي من أسباب عذاب الله وغضبه.

• هداية التوفيق إلى الإيمان بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

﴿٢٢﴾ أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله؟ لا يستويان أبداً، فالنجاة للمهتدين، والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

﴿٢٣﴾ الله نزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الذي هو أحسن حديث، أنزله متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الصدق والحسن والاتلاف وعدم الخلاف، تتعدد فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الحق، وصفات أهل الباطل وغير ذلك، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا ما فيه من الوعيد والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من الرجاء والبشارات، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء، ومن يخذله الله، ولم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٤﴾ أيستوى هذا الذي هداه الله، ووقفه في الدنيا وأدخله الجنة في الآخرة، ومن كفر ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يثقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟ وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي على سبيل التوبيخ: ذوقوا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي، فهذا جزاؤكم.

﴿٢٥﴾ كذبت الأمم التي كانت قبل هؤلاء المشركين، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به فيستعدون له بالتوبة.

﴿٢٦﴾ فإذا فهم الله بذلك العذاب الخزي والعار والفضيحة في الحياة الدنيا، وإن عذاب الآخرة الذي ينتظرهم أعظم وأشد لو كانوا يعلمون. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه منها، فيعملوا بالحق، ويتركوا الباطل. جعلناه قرآناً بلسان عربي، لا أعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، رجاء أن يتقوا الله؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه. ضرب الله مثلاً للمشرك والموحد رجلاً مملوكاً لشركاء متنازعين؛ إن أرضى بعضهم أغضب بعضاً، فهو في حيرة واضطراب، ورجلاً خالصاً لرجل، وحده يملكه، ويعرف مراده فهو في طمأنينة وهدوء بال، لا يستوي هذان الرجلان. الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون مع الله غيره.

﴿٢٧﴾ إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون لا محالة.

﴿٢٨﴾ ثم إنكم - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تنازعون فيه، فيبين المحق من المبطل.

﴿٢٩﴾ من قوالب الآيات؛

- أهل الإيمان والتقوى هم الذين يخشعون لسمع القرآن، وأهل المعاصي والخذلان هم الذين لا ينتفعون به.
- التكذيب بما جاء به الرسل سبب نزول العذاب إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معاً.
- لم يترك القرآن شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه، إما إجمالاً أو تفصيلاً، وضرب له الأمثال.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَاجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿٢٢﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٥﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيََهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۚ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٢٧﴾ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ۚ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَكَاتِرِكُمْ ۚ إِنِّي عَمِلْتُ فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٠﴾

٤٦٢

﴿٢٢﴾ ولا أحد أظلم ممن نسب إلى الله ما لا يليق به؛ من الشريك والزوجة والولد، ولا أحد أظلم ممن كذب بالوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ، أليس في النار مأوى ومسكن للكافرين بالله، وبما جاء به رسوله؟ بلى، إن لهم لماوى ومسكناً فيها.

ولما ذكر الله الكاذب المكذب ذكر الصادق المصدق، فقال:

﴿٢٣﴾ والذي جاء بالصدق في أقواله وأفعاله من الأنبياء وغيرهم، وصديق به مؤمناً، وعمل بمقتضاه، أولئك هم المتقون حقاً، الذين يمتثلون أمر ربهم، ويجتنبون نهيه.

﴿٢٤﴾ لهم ما يشاؤون عند ربهم من الملذات الدائمة، ذلك جزاء المحسنين أعمالهم مع خالقهم ومع عبده.

﴿٢٥﴾ ليمحو الله عنهم أسوأ الذي كانوا يعملونه من المعاصي في الدنيا؛ لتوبتهم منها، وإنابتهم إلى ربهم، ويجزيهم ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿٢٦﴾ أليس الله بكاف عبده محمداً ﷺ؟ أمر دينه ودينه، ودافع عدوه عنه؟ بلى، إنه لكافيه، ويخوفونك - أيها الرسول - من جهلهم وسفاهتهم، من الأصنام التي يعبدونها من دون الله أن تنالك بسوء، ومن يخذله الله ولم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه ويوفقه.

﴿٢٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فلا مضل يستطيع إضلاله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به ويعصيه؟ بلى إنه لعزيز ذو انتقام.

﴿٢٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم إظهاراً لمعجز ألهتهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، إن أراد الله أن يصيبني بضراً هل تملك إزالة ضرره عني؟ أو إن أراد ربي أن يمنحني رحمة منه هل تستطيع منع رحمته عني؟ قل لهم: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري كلها، وعليه وحده يعتمد المتوكلون.

﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول -: يا قومي، اعملوا على الحالة التي ارتضيتوها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني ربي به؛ من الدعوة إلى توحيده، وإخلاص العبادة له، فسوف تعلمون عاقبة كل مسلك.

﴿٣٠﴾ سوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهيئه، وينزل عليه في الآخرة عذاب مقيم، لا ينقطع، ولا يزول.

• من قوايد الآيات:

- عظم خطورة الافتراء على الله ونسبة ما لا يليق به أو بشرعه له سبحانه.
- ثبوت حفظ الله للرسول ﷺ أن يصيبه أعداؤه بسوء.
- الإقرار بتوحيد الربوبية فقط بغير توحيد الألوهية، لا ينجي صاحبه من عذاب النار.

﴿٤١﴾ إنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن للناس بالحق لتتذرعهم، فمن اهتدى فإنما نفع هدايته لنفسه، فאלله لا تنفعه هدايته؛ لأنه غني عنها، ومن ضل فإنما ضرر ضلاله على نفسه، فאלله سبحانه لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلاً لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا تبليغهم ما أمرت بتبليغه. ﴿٤٢﴾ الله الذي يقبض الأرواح عند نهاية آجالها، ويقبض الأرواح التي لم تنقُض آجالها عند النوم، فيمسك التي تحكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمد محدد في علمه سبحانه، إن في ذلك القبض والإرسال والإماتة والإحياء لدلائل لقوم يتفكرون على أن الذي يفعل ذلك قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ لقد اتخذ المشركون من أصنامهم شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله، قل لهم - أيها الرسول -: أتتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئاً، ولا يعقلون؛ فهم جمادات صماء لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر؟

﴿٤٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لله وحده الشفاعة كلها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى، له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجازيكم على أعمالكم. ﴿٤٥﴾ وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء، وإذا ذكرت الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم مسرورون فرحون.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تقصّل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فتبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي. ﴿٤٧﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي جميع ما في الأرض من نفائس وأموال وغيرها، ومثله معه مضاعفاً؛ لافتدوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فرض أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٤٨﴾ من قوايد الآيات:

- التوهم والاستيقاظ: درسان يوميان للتعريف بالموت والبعث.
- إذا ذكر الله وحده عند الكفار أصابهم ضيق وهم؛ لأنهم يتذكرون ما أمر به وما نهى عنه وهم معرضون عن هذا كله.
- يتمنى الكافر يوم القيامة افتداء نفسه بكل ما يملك مع بخله به في الدنيا، ولن يقبل منه.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلٰمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ۖ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ وَظَهَرَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا مِنْ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا إِذَا خُوفُوا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

﴿٤٩﴾ فَبِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرُ مَرَضٌ أَوْ فَقْرٌ وَنَحْوُهُ دَعَانَا لِنَكْشِفَ عَنْهُ مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا أُعْطِيَاهُ نِعْمَةً مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَالٍ قَالَ الْكَافِرُ: إِنَّمَا أُعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ لَعَلَّمَهُ بِأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ ابْتِلَاءٌ وَاسْتِدْرَاجٌ، وَلَكِنَّ مَعْظَمَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ فَيَغْتَرُونَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿٥٠﴾ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ الْكَافِرُ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَنْزِلَةِ شَيْئًا. فَأَصَابَهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَاضِرِينَ سَيَصِيبُهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا مِثْلَ الْمَاضِينَ، وَلَنْ يَفْتَوُوا اللَّهَ وَلَنْ يَغْلِبُوهُ.

﴿٥١﴾ أَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا قَالُوا، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً لَهُ: أَيَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ؟ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ اخْتِبَارًا لَهُ: أَيَصْبِرُ أَمْ يَتَسَخَّطُ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ؟ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ تَوْسِيعِ الرِّزْقِ وَتَضْيِيقِهِ لِدَلَالَاتٍ عَلَى تَدْبِيرِ اللَّهِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِالِدَلَالَاتِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُمْ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.

﴿٥٢﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِعِبَادِي الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي: لَا تَتَّبِعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمَنْ مَغْفِرَتُهُ لَذُنُوبِكُمْ، إِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَارَقْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

سورة الزمر ٤٦٤

لَمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ، الرَّحِيمُ بِهِمْ. ﴿٥٢﴾ وَارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِالنُّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَانْقَادُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْ أَصْنَامِكُمْ أَوْ أَهْلِيكُمْ مَنْ يَنْصَرِّكُمْ بِإِنْقَادِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ. ﴿٥٣﴾ وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ بِهِمْ عَلَى رَسُولِهِ، فَاعْمَلُوا بِأَوَامِرِهِ، وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ فَجَاءَةً وَأَنْتُمْ لَا تَحْسُنُونَ بِهِ فَتُسْتَعْدُوا لَهُ بِالنُّوْبَةِ.

﴿٥٤﴾ افْعَلُوا ذَلِكَ حَذَرًا أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ مِنْ شِدَّةِ النَّدَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا نَدِمَهَا عَلَى تَفْرِيطِهَا فِي جَنْبِ اللَّهِ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَعَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَسْخَرُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

﴿٥٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

• النعمة على الكافر استدراج.

• سعة رحمة الله بخلقه.

• الندم النافع هو ما كان في الدنيا، وتبته توبة نصوح.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولُ
 حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
 ٥٨ بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
 مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
 اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
 ٦٠ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٦٣ قُلْ
 أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ
 أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنَ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكَتَ
 لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ بَلِ
 اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧

٤٦٥

٥٧ أو تحتج بالقدر، فتقول: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين له: أمتثل أو امره، واجتنب نواهيه.

٥٨ أو تقول حين تشاهد العذاب مُتَمَنِّية: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين في أعمالهم.

٥٩ ليس الأمر كما زعمت من تمنى الهداية، فقد جاءتك آياتي فكذبت بها وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله وبآياته ورسله.

٦٠ ويوم القيامة تشاهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوههم مسودة؛ علامة على شقاوتهم، أليس في جهنم مقرًا للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟ بلى، إن فيها لمقرًا لهم.

٦١ ويسلم الله الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتنب نواهيه من العذاب بإدخالهم مكان فوزهم وهو الجنة، لا يمسهم العذاب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

٦٢ الله خالق كل شيء، فلا خالق غيره، وهو على كل شيء حفيظ، يدبر أمره، ويصرفه كيف يشاء.

٦٣ له وحده مفاتيح خزائن الخيرات في السماوات والأرض، يمنحها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون؛ لحرامتهم من الإيمان في حياتهم الدنيا، ولدخلهم النار خالدين فيها في الآخرة.

٦٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يراودونك أن تعبد أوثانهم: أتأمرونني - أيها الجاهلون

بربكم - أن أعبد غير الله؟ لا يستحق العبادة إلا الله وحده، فلن أعبد غيره.

٦٥ ولقد أوحى الله إليك - أيها الرسول - وأوحى إلى الرسل من قبلك: لئن عبدت مع الله غيره ليطلن ثواب عملك الصالح، ولتكونن من الخاسرين في الدنيا بخسران دينك، وفي الآخرة بالعذاب.

٦٦ بل أعبد الله وحده، ولا تشرك به أحدًا، وكن من الشاكرين له على نعمه التي أنعم بها عليك.

٦٧ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين أشركوا به غيره من مخلوقاته الضعيفة العاجزة، وغفلوا عن قدرة الله التي من مظاهرها أن الأرض بما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار يوم القيامة في قبضته، وأن السماوات السبع كلها مطويات بيمينه، تنزه وتقدس وتعالى عما يقوله ويعتقده المشركون.

٦٨ من قوايد الآيات:

- الكبر خلق ذمهم مشؤوم يمنع من الوصول إلى الحق.
- سواد الوجوه يوم القيامة علامة شقاء أصحابها.
- الشرك محبط لكل الأعمال الصالحة.
- ثبوت القبضة واليمين لله سبحانه دون تشبيه ولا تمثيل.

﴿٦٨﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ الْمَلَكُ الْمَوَكِلَ بِالنَّفْخِ فِي الْقُرْنِ، يَمُوتُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ لِلْبَعْثِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْأَحْيَاءِ قَائِمُونَ يَنْظُرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ.

﴿٦٩﴾ وَأَضَاءَتِ الْأَرْضُ لَمَّا تَجَلَّى رَبُّ الْعِزَّةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَنُشِرَتْ صُحُفُ أَعْمَالِ النَّاسِ، وَجِيءَ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَجِيءَ بِأَمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِتَشْهَدَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، وَحُكِمَ اللَّهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ بِالْعَدْلِ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يَزَادُ إِنْسَانٌ سَيِّئَةً، وَلَا يَنْقُصُ حَسَنَةً.

﴿٧٠﴾ وَأَكْمَلَ اللَّهُ جِزَاءَ كُلِّ نَفْسٍ، خَيْرًا كَانَ عَمَلُهَا أَوْ شَرًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿٧١﴾ وَسَاقَ الْمَلَائِكَةُ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ ذَلِيلَةً، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا جَهَنَّمَ فَتَحَتْ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَوَكِلِينَ بِهَا أَبْوَابَهَا، وَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالتَّوْبِيخِ قَائِلِينَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَنْذِرُكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٧٦﴾ وَسَاقَ الْمَلَائِكَةُ بَرَقَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ إِلَى الْجَنَّةِ جَمَاعَاتٍ مَكْرَمَةً، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا الْجَنَّةَ فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابَهَا، وَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمَوَكِلُونَ بِهَا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَمِنْ كُلِّ مَآ تَكْرَهُونَهُ، طَابَتْ قُلُوبُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ، فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ مَآكِنَ فِيهَا أَبَدًا.

﴿٧٧﴾ وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ لَمَّا دَخَلُوا الْجَنَّةَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ الَّذِي وَعَدْنَاهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، فَقَدْ وَعَدْنَا بِأَنْ يَدْخُلَنَا الْجَنَّةَ، وَأَوْرَثَنَا أَرْضَ الْجَنَّةِ، نَنْزِلُ مِنْهَا الْمَكَانَ الَّذِي نَشَاءُ أَنْ نَنْزِلَهُ، فَتَنَعَّمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ.

﴿٧٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ثبوت نفختي الصور.
- بيان الإهانة التي يتلقاها الكفار، والإكرام الذي يُستقبل به المؤمنون.
- ثبوت خلود الكفار في الجحيم، وخلود المؤمنين في النعيم.
- طيب العمل يورث طيب الجزاء.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

آياتها ٨٥

ترتيبها ١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ ٣ الْمَصِيرُ ٤ مَا يُجَدَّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ٥ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ ٦ كَانَ عِقَابِ ٧ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٨ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٩

٤٦٧

﴿٧٥﴾ ويكون الملائكة في هذا اليوم المشهود محيطين بالعرش، ينزهون الله عما لا يليق به مما يقوله الكفار، وقضى الله بين جميع الخلائق بالعدل، فأكرم من أكرم، وعذب من عذب، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه بما حكم به من رحمة لعباده المؤمنين، ومن عذاب لعباده الكافرين.

سُورَةُ غَافِرٍ

مكية

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

بيان حال المجادلين في آيات الله، والرد عليهم.

• التفسير:

﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بمصالح عباده على رسوله محمد ﷺ.

٣ غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة، فيجازيهم بما يستحقون. ٤ ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله إلا الذين كفروا بالله لفساد عقولهم، فلا تحزن عليهم، ولا يغرك ما هم فيه من بسط الرزق والنعم، فإمهالهم استدراج لهم ومكر بهم.

٥ كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذبت قبلهم الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فتقتله، وجادلوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فتأمل كيف كان عقابي لهم، فقد كان عقاباً شديداً.

٦ وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم المكذبة، وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

٧ الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله، ينزهون ربهم عما لا يليق به، ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا بالله، قائلين في دعائهم: ربنا، وسع علمك ورحمتك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من ذنوبهم، واتبعوا دينك، واحفظهم من النار أن تمسهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

• الجمع بين الترغيب في رحمة الله، والترهيب من شدة عقابه: مسلك حسن.

• الثناء على الله بتوحيده والتسبيح بحمده أدب من آداب الدعاء.

• كرامة المؤمن عند الله؛ حيث سخر له الملائكة يستغفرون له.

﴿٨﴾ وتقول الملائكة: ربنا، وأدخل المؤمنين جنات الخلد التي وعدتهم أن تدخلهم فيها، وأدخل معهم من صلح عمله من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتبديرك.

﴿٩﴾ واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب على سيئات أعماله فقد رحمته، وتلك الوقاية من العذاب، والرحمة بدخول الجنة؛ هي الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويمقتون أنفسهم ويلعنونها: لشدّة بُغْضِ اللَّهِ لَكُمْ أعظم من شدة بغضكم لأنفسكم حين كنتم تُدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله فتكفرون به، وتتخذون معه آلهة.

﴿١١﴾ وقال الكفار مُقِرِّين بذنوبهم حين لا ينفع إقرارهم ولا توبتهم: ربنا، أمئنا مرتين حيث كنا عدماً فأوجدتنا، ثم أمئنا بعد ذلك الإيجاد، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بذنوبنا التي اكتسبناها، فهل من طريق نسلكه إلى خروج من النار فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فترضى عنا؟

﴿١٢﴾ ذلکم العذاب الذي تُعَذِّبُهُمْ به هو بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله وحده ولم يشرك به أحد كفرتم به وجعلتم له شركاء، وإذا عُبد مع الله شريك آمنتم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقدره وقهره، الكبير الذي كل شيء دونه.

﴿١٣﴾ الله هو الذي يريكم آياته في

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوُفُّوْا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

الآفاق والأنفس؛ لتدلكم على قدرته ووحدانيته، وينزل لكم من السماء ماء المطر ليكون سبباً لما ترزقون به من النبات والزرع وغيرهما، وما يتعظ بأيات الله إلا من يرجع إليه تائباً مخلصاً.

﴿١٢﴾ فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك وأغضبهم. ﴿١٣﴾ فهو أهل لأن يُخْلِصَ له الدعاء والطاعة، فهو رفيع الدرجات مباين لجميع خلقه، وهو رب العرش العظيم، ينزل الوحي على من يشاء من عباده ليُحْيُواهم ويُخَيُّواغيرهم، وليخوفوا الناس من يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون.

﴿١٤﴾ يوم هم ظاهرون قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا يخفى على الله منهم شيء، لا من ذواتهم ولا أعمالهم ولا جزائهم، يسأل: لمن الملك اليوم؟ ليس الآن إلا جواب واحد: الملك لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

﴿١٥﴾ من قوايد الآيات:

- محل قبول التوبة الحياة الدنيا.
- نفع الموعظة خاص بالمُنيبين إلى ربهم.
- استقامة المؤمن لا تؤثر فيها مواقف الكفار الرافضة لدينه.
- خضوع الجبابرة والظلمة من الملوك لله يوم القيامة.

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذْ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
 يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

الله بالآلة الواضحة، والحجج الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

ولما واجه ﷺ تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال:

﴿٢٢﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وببرهان قاطع.

﴿٢٣﴾ إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدّعيه من أنه رسول.

﴿٢٤﴾ فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿٢٥﴾ من قوايد الآيات:

● التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.

● إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.

● الأمر بالسير في الأرض للتعاظ بحال المشركين الذين أهلكوا.

﴿١٧﴾ اليوم تُجْزَى كل نفس بما عملت، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لا ظلم في هذا اليوم؛ لأن الحاكم هو الله العدل، إن الله سريع الحساب لعباده؛ لإحاطة علمه بهم.

﴿١٨﴾ وخوفهم - أيها الرسول - يوم القيامة، هذه القيامة التي اقتربت، فهي آتية، وكل ما هو آت قريب، في ذلك اليوم تكون القلوب من شدة هولها مرتقعة حتى تصل إلى حناجر أصحابها، الذين يكونون صامتين لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن، وليس للظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع إذا قُدِّرَ له أن يشفع.

﴿١٩﴾ الله يعلم ما تختلسه أميين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ﴿٢٠﴾ والله يحكم بالعدل، فلا يظلم أحداً بنقص من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يحكمون بشيء؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢١﴾ أولم يسر هؤلاء المشركون في الأرض؛ فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كانت تلك الأمم أشد من هؤلاء قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها هؤلاء، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وما كان لهم مانع يمنعهم من عقاب الله.

﴿٢٢﴾ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم لأنهم كانت تأتيتهم رسلهم من

الله بالآلة الواضحة، والحجج الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

ولما واجه ﷺ تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال:

﴿٢٢﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وببرهان قاطع.

﴿٢٣﴾ إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدّعيه من أنه رسول.

﴿٢٤﴾ فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿٢٥﴾ من قوايد الآيات:

● التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.

● إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.

● الأمر بالسير في الأرض للتعاظ بحال المشركين الذين أهلكوا.

﴿٢٦﴾ وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى عقاباً له، وليدع ربه أن يمنعه مني، فأننا لا أبالي أن يدعو ربه، إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.

﴿٢٧﴾ وقال موسى ﷺ: لمّا علم بتهديد فرعون له: إني التجأت واعتصمت بربي وربكم من كل متكبر عن الحق والإيمان به، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.

﴿٢٨﴾ وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتُم إيمانه عن قومه منكراً عليهم عزمهم على قتل موسى: أتقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالحجج والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه؟ وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلاً، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفتري عليه وعلى رسله.

﴿٢٩﴾ يا قوم، لكم الملك اليوم غالبيين في أرض مصر، فمن ينصرنا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل موسى؟ قال فرعون: الرأي رأيي والحكم حكمي، وقد رأيت أن أقتل موسى؛ دفناً للشُر والفساد، وما أرشدكم إلا إلى الصواب والسداد، وقال الذي آمن ناصحاً قومه: إني أخاف عليكم - إن قتلتم موسى ظلمًا وعدوانًا - عذاباً مثل عذاب الأحزاب الذين تحزّبوا على رسلهم من السابقين فأهلكهم الله.

﴿٣٠﴾ عادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم، فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلمًا للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاءً وفاً.

﴿٣١﴾ وبيا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ينادي فيه الناس بعضهم بعضاً بسبب قرابة أو جاه ظناً منهم أن هذا المسلك ينفعهم في هذا الموقف الرهيب.

﴿٣٢﴾ يوم تولّون هاريين خوفاً من النار، ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ومن يخذله الله ولا يوفقه للإيمان فما له من هادٍ يهديه؛ لأن هداية التوفيق بيد الله وحده.

﴿٣٣﴾ من قوايا الآيات،

- لجوء المؤمن إلى ربه ليحميه من كيد أعدائه.
- جواز كتم الإيمان للمصلحة الراجحة أو لدرء المفسدة.
- تقديم النصح للناس من صفات أهل الإيمان.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ
مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يُطَبِّعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَهْ كَمَنْ أُنِى لِى صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾ أَسْبَابَ
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُ
يَقُومُوا أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَقُومُوا
إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾

٤٧١

﴿٢٤﴾ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفي ازددتم شكًا وارتبابًا، وقتلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا. مثل ضلالكم هذا عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شاك في وحدانيته.

﴿٢٥﴾ الذين يخاصمون في آيات الله ليطلوها بغير حجة ولا برهان أتاهم، كبر جدالهم مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله. كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق متجبر، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

﴿٢٦﴾ وقال فرعون لوزير هامان: يا هامان، ابن لي بناءً عاليًا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.

﴿٢٧﴾ رجاء أن أبلغ طرق السماوات الموصلة إليها، فأنظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه المعبود بحق، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه. وهكذا حَسَنَ لفرعون قبح عمله حين طلب ما طلب من هامان، وصُرف عن طريق الحق إلى طرق الضلال، وما مكر فرعون - لإظهار باطله الذي هو عليه، وإبطال الحق الذي جاء به موسى - إلا في خسارة؛ لأن مآله الخيبة والإخفاق في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدًا.

﴿٢٨﴾ وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون ناصحًا قومه ومرشدًا إياهم إلى طريق الحق: يا قوم، اتبعوني أدلكم وأرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.

﴿٢٩﴾ يا قوم، إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغرركم بما فيها من متاع زائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم دائم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة، فاعملوا لها بطاعة الله، واحذروا من الانشغال بحياتكم الدنيا عن العمل للآخرة.

﴿٣٠﴾ من عمل عملًا سيئًا فلن يُعاقب إلا بمثل ما عمل، لا يزداد عليه عقاب. ومن عمل عملًا صالحًا بيتني به وجه الله، ذكرًا كان العامل أو أنثى، وهو مؤمن بالله ورسله - فأولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة يدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم المقيم الذي لا ينقطع أبدًا بغير حساب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجدل لإبطال الحق وإحقاق الباطل خصلة ذميمة، وهي من صفات أهل الضلال.
- التكبر مانع من الهداية إلى الحق.
- إخفاق حيل الكفار ومكرهم لإبطال الحق.
- وجوب الاستعداد للآخرة، وعدم الانشغال عنها بالدنيا.

وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ

تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ

عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا

تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ

وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ٤٤ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا

وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ

فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ

تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٧ قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا فِيهَا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ

بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ

ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٤٩

٤٧٢

٤١) وَيَا قَوْمِ، مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَدْعُونَنِي إِلَى دُخُولِ النَّارِ بِمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَعَصْيَانِهِ؟

٤٢) تَدْعُونَنِي إِلَى بَاطِلِكُمْ رَجَاءً أَنْ أَكْفُرَ بِاللَّهِ، وَأَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّا لَا عِلْمَ لِي بِصِحَّةِ عِبَادَتِهِ مَعَ اللَّهِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْغَفَّارِ عَظِيمِ الْمَغْفِرَةِ لِعِبَادِهِ.

٤٣) حَقًّا إِنْ مَا تَدْعُونَنِي إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ؛ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ يُدْعَى بِهَا بِحَقٍّ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ، وَأَنْ مَرْجِعُنَا جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ فِي الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يُلَازِمُونَ دُخُولَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٤٤) فَرَفَضُوا نَصَحَةَ، فَقَالَ: سَتَذْكُرُونَ مَا قَدِمْتُ لَكُمْ مِنْ نَصَحٍ، وَتَتَحَسَّرُونَ عَلَى عَدَمِ قَبُولِهِ، وَأَفْوُضُ أُمُورِي كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ شَيْءٌ. ٤٥) فَحَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ سُوءِ مَكْرِهِمْ حِينَ ارْتَادُوا قَتْلَهُ، وَأَحَاطَ بِآلِ فِرْعَوْنَ عَذَابَ الْفِرْقِ، فَقَدْ أَغْرَقَهُ اللَّهُ هُوَ وَجُنُودَهُ كُلَّهُمْ فِي الدُّنْيَا.

٤٦) وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ فِي قُبُورِهِمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: ادْخُلُوا آتِبَاعَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَأَعْظَمُهُ؛ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

٤٧) وَادَّكَّرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حِينَ يَتَخَاصَمُ الْآتِبَاعُ وَالْمُتَبَوِّعُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، فَيَقُولُ الْآتِبَاعُ

المستضعفون للمتبوعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعًا في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزئًا من عذاب الله بتحملنا عنا؟ ٤٨) قال المتبوعون المستكبرون: إنا - سواء كنا أتباعًا أو متبوعين - في النار، ولا يتحمل أحد منا جزءًا من عذاب الآخر، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كلًا ما يستحقه من العذاب.

٤٩) وقال المعذبون في النار من الأتباع والمتبوعين للملائكة الموكلين بالنار لما يشؤون من الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا واحدًا من هذا العذاب الدائم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• أهمية التوكل على الله.

• نجاة الداعي إلى الحق من مكر أعدائه.

• ثبوت عذاب البرزخ.

• تعلق الكافرين بأي سبب يريحهم من النار ولو لمدة محدودة، وهذا لن يحصل أبدًا.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى
 قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٠
 إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
 الْهُدَى وَأَوْثَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ٥٣ هُدًى
 وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ٥٤ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ
 وَالْإِبْكَرِ ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ
 يَخَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
 مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ٥٦ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥٨

٤٧٣

٥٠ قال خزنة جهنم ردًا على الكفار: أولم تكن تأتكم رسلكم بالبراهين والأدلة الواضحة؟ قال الكفار: بلى، كانوا يأتوننا بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الخزنة تهكمًا بهم: فادعوا أنتم، فتحن لا تنفع للكفار، وما دعاء الكافرين إلا في بطلان وضياح؛ لعدم قبوله منهم بسبب كفرهم.

ولما ذكر الله قصة فرعون وما آل إليه أمره وأمر أتباعه في الدنيا والآخرة، ذكر أمر الرسل والمؤمنين، وما يصيرون إليه من نصر في الدنيا والآخرة فقال:

٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالله وبرسله في الدنيا بإظهار حجتهم وتأيدهم على أعدائهم، وتنصرهم يوم القيامة بإدخالهم الجنة، وبغتاب خصومهم في الدنيا بإدخالهم النار بعد أن يشهد الأنبياء والملائكة والمؤمنون على حصول التبليغ وتكذيب الأمم.

٥٢ يوم لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي اعتذارهم عن ظلمهم، ولهم في ذلك اليوم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء الدار في الآخرة بما يلاقونه من العذاب الأليم.

٥٣ ولقد أعطينا موسى العلم الذي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الحق، وجعلنا التوراة كتابًا متوارثًا في بني إسرائيل يرثونه جيلاً بعد جيل.

٥٤ هداية إلى طريق الحق، وتذكيراً لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ فاصبر - أيها الرسول - على ما تلاقيه من تكذيب قومك وأعدائهم، إن وعد الله لك بالنصر والتأييد حق لا مزية فيه، واطلب المغفرة لذنبك، وسبح بحمد ربك أول النهار وآخره.

٥٦ إن الذين يخاصمون في آيات الله سعيًا لإبطالها بغير حجة ولا برهان أتاهم من عند الله، لا يحملهم على ذلك إلا إرادة الاستعلاء والتكبر على الحق، ولن يصلوا إلى ما يريدونه من الاستعلاء عليه، فاعتصم - أيها الرسول - بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

٥٧ لخلق السموات والأرض لضخامتهما واتساعهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما مع عظمهما قادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ليحاسبهم ويجازيهم، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يعتبرون به، ولا يجعلونه دليلاً على البعث مع وضوحه.

٥٨ ولا يستوي الذي لا يبصر والذي يبصر، ولا يستوي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وأحسنوا أعمالهم، لا يستوون مع من يسيء عمله بالاعتقاد الفاسد والمعاصي، لا تتذكرون إلا قليلاً؛ إذ لو تذكركم لعلمتم الفرق بين الفريقين لتسعدوا إلى أن تكونوا من الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات رغبة في مرضاة الله.

● من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- نصر الله لرسله وللمؤمنين سُنَّةَ إلهية ثابتة.
- اعتذار الظالم يوم القيامة لا ينفعه.
- أهمية الصبر في مواجهة الباطل.
- دلالة خلق السموات والأرض على البعث؛ لأن من خلق ما هو عظيم قادر على إعادة الحياة إلى ما دونه.

٥٩ إن الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء آتية لا محالة، لا شك فيها، ولكن معظم الناس لا يؤمنون بمجيئها، ولذلك لا يستعدون لها.

٦٠ وقال ربكم - أيها الناس -: وخذوني في العبادات والمسالمة، أجب دعاءكم وأعط عنكم وأرحمكم، إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.

٦١ الله هو الذي صير لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه وتستريحوا، وصير النهار مضيئًا منيرًا لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس حين أسبغ عليهم من ظاهره نعمه وباطنها، ولكن معظم الناس لا يشكرونه سبحانه على ما أنعم به عليهم منها.

٦٢ ذلکم الله الذي تفضل عليكم بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، ولا معبود بحق إلا هو، فكيف تتصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يملك نفعا ولا ضرا.

٦٣ كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بآيات الله الدالة على توحيده في كل زمان ومكان، فلا يهتدي إلى حق، ولا يوفق لرشد.

٦٤ الله الذي صير لكم - أيها الناس - الأرض قارة مهيأة لاستقراركم عليها، وصير السماء محكمة البناء فوقكم ممنوعة من السقوط، وصوركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلکم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الله ربكم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها، فلا

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٦١ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاذْنُ تُوفَّكُونَ ٦٢ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ يَمْجِدُونَ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٦٣ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٤ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٥

الجزء الرابع والعشرون

٤٧٤

رب لها غيره سبحانه.

٦٥ هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره، فادعوه دعاء عبادة ومسألة؛ قاصدين وجهه وحده، ولا تشركوا معه غيره من مخلوقاته، الحمد لله رب المخلوقات.

٦٦ قل - أيها الرسول -: إنني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جاءني البراهين والأدلة الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له وحده بالعبادة، فهو رب الخلاق كلها، لا رب لها غيره.

٦٧ من قوايد الآيات:

- دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة.
- نعم الله تقتضي من العباد الشكر.
- ثبوت صفة الحياة لله.
- أهمية الإخلاص في العمل.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَاكُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا أَكْبَرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمَّا نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْعًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كَانْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٠﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾

٤٧٥

﴿٦٧﴾ هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم متجمد، ثم بعد ذلك يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا سن اشتداد البدين، ثم لتكبروا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا أمداً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون عليه، ولعلكم تتفكرون بهذه الحجج والبراهين على قدرته ووحدانيته.

﴿٦٨﴾ هو وحده سبحانه الذي بيده الإحياء، وهو وحده الذي بيده الإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون.

﴿٦٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

﴿٧٠﴾ الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويرون سوء الخاتمة.

﴿٧١﴾ يعلمون عاقبته حين تكون الأصفاد في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، تجرهم زبانية العذاب.

﴿٧٢﴾ يسحبونهم في الماء العار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.

﴿٧٣﴾ ثم قيل لهم تَكْبِئًا لهم وتوبيخاً: أين الألهة المزعومة التي أشركتم بعبادتها؟

﴿٧٤﴾ من دون الله من أصنامكم التي لا تنفع ولا تضر؟ قال الكفار: غابوا عنا فليسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة، مثل

إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه بسبب فرحكم بما كنتم عليه من الشرك، وبتوسّعكم في الفرح.

﴿٧٦﴾ ادخلوا أبواب جهنم ما كنتم فيها أبداً، فقيح مستقر المتكبرين عن الحق.

﴿٧٧﴾ ولما عانى رسول الله ﷺ من قومه ما عانى، أمره الله بالصبر، وسلاهما وعده به من النصر، فقال:

﴿٧٨﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا مزية فيه، فإما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو نتوفيك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فتجازيهم على أعمالهم، فتدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٧٩﴾ من قوايد الآيات:

- التدرج في الخلق سنة إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.
- قبح الفرح بالباطل.
- أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاء منهم.

﴿٧٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا مزية فيه، فإما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو نتوفيك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فتجازيهم على أعمالهم، فتدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٨٠﴾ من قوايد الآيات:

- التدرج في الخلق سنة إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.
- قبح الفرح بالباطل.
- أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاء منهم.

﴿٧٨﴾ ولقد بعثنا رسلاً كثيرين من قبلك - أيها الرسول - إلى أممهم، فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وما يصح لرسول أن يأتي قومه بأية من ربه إلا بمشيئته سبحانه، فاقترح الكفار على رسلهم الإتيان بالآيات ظلم، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر - في ذلك الموقف الذي يفصل فيه بين العباد - أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

﴿٧٩﴾ الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم؛ لتركبوا بعضها، وتأكلوا لحوم بعضها.

﴿٨٠﴾ ولكم في هذه المخلوقات منافع متعددة تتجدد في كل عصر، ويحصل لكم من خلالها ما ترغبون به مما في أنفسكم من حاجات، وأبرزها التنقل في البر والبحر.

﴿٨١﴾ ويريكُم سبحانه من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأى آيات الله لا تعترفون بها بعد أن تقرر لديكم أنها آياته؟

﴿٨٢﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فيعتبروا بها؟ فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالاً، وأعظم قوة، وأشد آثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله المهلك.

﴿٨٣﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعَالَمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه. ﴿٨١﴾ فلما رأوا عذابنا قالوا مقررين حين لا ينفعهم إقرار: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نعبد من دونه من شركاء وأصنام. ﴿٨٢﴾ فلم يكن إيمانهم حين عابنوا عذابنا ينزل بهم نافعاً لهم، سُنَّةُ اللَّهِ التي مضت في عبادته أنه لا ينفعهم إيمانهم عندما يعابنون العذاب، وخسر الكافرون حين نزول العذاب أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم بالله، وعدم التوبة منها قبل معاناة العذاب.

﴿٨٣﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لله رسل غير الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم يؤمن بهم إجمالاً.
- من نعم الله تبيينه الآيات الدالة على توحيده.
- خطر الفرح بالباطل وسوء عاقبته على صاحبه.
- بطلان الإيمان عند معاناة العذاب المهلك.

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُفِ:

بيان حال المعرضين عن الله، وذكر عاقبتهم.

● التَّصْيِيرُ:

● ﴿حَم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

● هذا القرآن تنزيل من الله الرحمن الرحيم.

● كتاب بُيِّنَتْ آياته أتمَّ تبيين واكملهُ، وَجُعِلَ قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون؛ لأنهم الذين ينتفعون بمعانيه، وبما فيه من الهداية إلى الحق.

● مِيشَرًا الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ الْجَزِيلِ، وَمُخَوِّفًا الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْأَلِيمِ، فَأَعْرَضَ معظمهم عنه، فهم لا يسمعون ما فيه من الهدى سماع قَبُولٍ.

● وقالوا: قلوبنا مغطاة بأغلفة فلا تعقل ما نَدْعُونَا إِلَيْهِ، وفي أذاننا صَمَمٌ فلا تسمعه، ومن بيننا وبينك ستر فلا يصل إلينا شيء مما تقول، فاعمل أنت على طريقتك، إنا عاملون على طريقتنا، ولن نتبعك.

● قُل - أيها الرسول - لهؤلاء المَعَانِدِينَ: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الله أنما معبودكم بحق معبود واحد هو الله، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم. وهلاك وعذاب للمشركين الذين يعبدون غير الله أو يشركون معه أحدًا.

● الذين لا يعطون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة - وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم - كافرون.

● إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب خالد غير مقطوع وهو الجنة.

● قُل - أيها الرسول - موثِّجًا المشركين: لماذا أنتم تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين: يوم الأحد والاثنين، وتجعلون له نظراء تعبدونهم من دونه؟! ذلك رب المخلوقات كلهم.

● وجعل فيها جبالًا ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقَدَّرَ فيها أوقات الناس والبهائم في أربعة أيام منمَّة لليومين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها.

● ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء، وهي يومئذ دخان فقال لها وللأرض: اتقادا لأمري مختاريتين، أو مكرهتين، لا تحجيد لكما عن ذلك، قالتا: أتينا طائعتين، فلا إرادة لنا دون إرادتك يا ربنا.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تعطيل الكافرين لوسائل الهداية عندهم يعني بقاءهم على الكفر.

● بيان منزلة الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام.

● استسلام الكون لله وانقياده لأمره سبحانه بكل ما فيه.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

آياتها ٥٤

نزلت بها ٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ عَائِلَتَهُ وَ
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ
 وَفِي أَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ
 ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ٦ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٧ الَّذِينَ
 لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٨ إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٩ قُلْ أَيَتَكُمُ
 لَكَفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وُتْدًا
 ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا
 وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
 لِلنَّاسِ لِيَلْبِسَ ١١ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
 لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٢

٤٧٧

﴿١٢﴾ فَأَتَمَّ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ: يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبِهِمَا تَمَّ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَأَوْحَى اللَّهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَا يَقْدِرُهُ فِيهَا، وَمَا بِأَمْرٍ بِهِ مِنْ طَاعَةِ وَعِبَادَةِ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ، وَحَفَظْنَا بِهَا السَّمَاءَ مِنْ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ، ذَلِكَ الْمَذْكُورُ كُلُّهُ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ.

﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جِئَتْ بِهِ فَقُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: خَوْفُنَاكُمْ عَذَابًا يَقَعُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ الْعَذَابِ الَّذِي وَقَعَ عَلَى عَادٍ قَوْمِ هُودَ، وَثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ لَمَّا كَذَبُوا.

﴿١٤﴾ حِينَ جَاءَ تَهْمُ رُسُلِهِمْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِدَعْوَةِ وَاحِدَةٍ يَأْمُرُونَهُمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، قَالَ الْكَفَّارُ مِنْهُمْ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً إِلَيْنَا رَسُولًا لَأَنْزِلَ لَنَا، فَإِنَّا كَافِرُونَ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ: لِأَنَّا نَكْفُرُ بِبَشَرِ مِثْلِنَا.

﴿١٥﴾ فَأَمَّا عَادٌ قَوْمُ هُودَ فَمَعَّ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ تَكَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَظَلَمُوا مِنْ حَوْلِهِمْ، وَقَالُوا وَهُمْ مَخْدُوعُونَ بِقُوَّتِهِمْ: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ لَا أَحَدٌ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً بِزَعْمِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: أَوَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ وَيَشَاهِدُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَوْدَعَ فِيهِمُ الْقُوَّةَ الَّتِي أَطْفَعَتْهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً؟ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا هُودٌ.

﴿١٦﴾ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ذَاتَ صَوْتٍ مَزَعَجٍ فِي أَيَّامٍ مَشْهُومَاتٍ عَلَيْهِمْ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ: لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الذِّلِّ وَالْمَهَانَةِ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ أَشَدُّ

فَقَضَيْنَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْ تَهْمُ الرُّسُلِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مِثْلَ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

إِذْ لَا لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَنْصَرُهُمْ بِإِنْقَادِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ فَقَدْ هَدَيْنَاهُمْ بِتَبْيِينِ طَرِيقِ الْحَقِّ لَهُمْ، فَفَضَّلُوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهَدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، فَأَهْلَكْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْمُهِينِ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

﴿١٨﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، أَنْجَيْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي حُلَّ بِقَوْمِهِمْ، وَيَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ إِلَى النَّارِ، تَرَدُّ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلَهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ مِنَ النَّارِ.

﴿٢٠﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوا النَّارَ الَّتِي سَيَقُوا إِلَيْهَا، وَتَنَكَّرُوا لَهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ أَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- الإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ سَبَبُ الْمَهَالِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- التَّكَبُّرُ وَالْإِغْتِرَارُ بِالْقُوَّةِ مَانِعَانِ مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.
- الْكُفَّارُ يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.
- شَهَادَةُ الْجَوَارِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَصْحَابِهَا.

وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْنٌ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٤٤﴾ * وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرَبِّتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَاتُحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٤٩﴾

﴿٤١﴾ وقال الكفار لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟! قالت الجلود جوابًا لأصحابها: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة عندما كنتم في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء. ﴿٤٢﴾ وما كنتم تستنجفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت، ولكن ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم كثيرًا مما تعملونه، بل يخفى عليه، فافتررت.

﴿٤٣﴾ وذلكم الظن السيئ الذي ظننتم بربكم أهلكم، فأصبحت بسبب ذلك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٤٤﴾ فإن يصبر هؤلاء الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فالنار مستقر لهم، وماوى يأوون إليه، وإن يطلبوا رفع العذاب ورضا الله عنهم، فما هم بنائلين رضاه ولا داخلين الجنة أبدًا.

﴿٤٥﴾ وهيانا هؤلاء الكفار قرناء من الشياطين بلازمونهم، فحسبوا لهم سوء أعمالهم في الدنيا، وحسبوا لهم ما خلفهم من أمر الآخرة فأنسوههم تذكرها والعمل لها، ووجب عليهم العذاب في جملة أُمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بدخولهم النار. ﴿٤٦﴾ وقال الكفار متواصين فيما بينهم لما عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد، ولا تتقادوا لما فيه، وصيحوا وارفخوا أصواتكم عند قراءته له؛ لعلكم بذلك تنتصرون عليه، فاستريح منه.

﴿٤٧﴾ فلنذيقن الذين كفروا بالله وكذبوا رسله عذابًا شديدًا يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقابًا لهم عليها.

﴿٤٨﴾ ذلك الجزاء المذكور جزاء أعداء الله الذين كفروا به وكذبوا رسله: النار، لهم فيها خلود لا ينقطع أبدًا؛ جزاء على جحدهم لايات الله، وعدم إيمانهم بها مع وضوحها وقوة حجتها.

﴿٤٩﴾ وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا، أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس: إبليس الذي سن الكفر والدعوة إليه، وابن آدم الذي سن سفك الدماء، نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين الذين هم أشد أهل النار عذابًا.

من قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- سوء الظن بالله صفة من صفات الكفار.
- الكفر والمعاصي سبب تسليط الشياطين على الإنسان.
- تمنى الأتباع أن ينال متبوعوهم أشد العذاب يوم القيامة.

ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ جِزَاءَ أَعْدَائِهِ ذَكَرَ
جِزَاءَ أَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ:

﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ، لَا
رَبَّ لَنَا غَيْرَهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى امْتِثَالِ
أَمْرِهِ، وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ، تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ:
لَا تَخَافُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا مِمَّا بَعْدَهُ،
وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا،
وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ بِهَا
فِي الدُّنْيَا عَلَى إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَعَمَلِكُمْ
الصَّالِحِ.

﴿٢٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
فَقَدْ كُنَّا نُسَدِّدُكُمْ وَنَحْفَظُكُمْ، وَنَحْنُ
أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَوَلَايَتُنَا لَكُمْ
مُسْتَمِرَّةٌ، وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهُيهِ
أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمِلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلَكُمْ
فِيهَا كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ مِمَّا تَشْتَهُونَهُ.

﴿٢٣﴾ رِزْقًا مُهِينًا لَضِيَافَتِكُمْ مِنْ رَبِّ
غَفُورٍ لَذَنُوبٍ مِنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ،
رَحِيمٍ بِهِمْ.

﴿٢٤﴾ وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِشِرْعِهِ، وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَى رَبَّهُ، وَقَالَ: إِنِّي
مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ الْمُنْقَادِينَ لِلَّهِ، فَمِنْ
فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ قَوْلًا.
﴿٢٥﴾ وَلَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ
وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَرْضَى اللَّهُ، وَلَا فِعْلُ
السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تَسْخِطُهُ،
ادْفَعْ بِالْخِصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِسَاءَةٍ
مِنْ أَسَاءَةٍ إِلَيْكَ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا دَفَعْتَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً سَابِقَةً - إِذَا دَفَعْتَ
إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ - كَأَنَّهُ قَرِيبٌ
شَفِيقٌ.

﴿٢٦﴾ وَلَا يُوفَّقُ لِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْإِذَاءِ، وَمَا يَلَاقُونَهُ
مِنَ النَّاسِ مِنَ السُّوءِ، وَلَا يُوفَّقُ لَهَا إِلَّا

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٢﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ عَايَنَتْهُ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾

سَجْدَةٌ

٤٨٠

ذُو نَصِيبٍ عَظِيمٍ: لَمَّا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَالنَّفْعِ الْوَفِيرِ.

﴿٢١﴾ وَإِنْ وَسَّوسَ لَكَ الشَّيْطَانُ فِي أَيِّ وَقْتٍ بَشَرٌ فَاغْتَصِمْ بِاللَّهِ وَالْجَأَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا تَقُولُهُ، الْعَلِيمُ بِحَالِكَ.

﴿٢٧﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي تَعَاقُبِهِمَا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، لَا تَسْجُدُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلشَّمْسِ، وَلَا
تَسْجُدُوا لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ حَقًّا.

﴿٢٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا، وَلَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الْخَالِقِ، فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَسْبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ سَبْحَانَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مَعًا، وَهُمْ لَا يَمَلُّونَ مِنْ عِبَادَتِهِ.

﴿٢٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• مَنَزَلَةُ الْاسْتِقَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ.

• كَرَامَةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوَلِّيهِ شُؤْنَهُمْ وَشُؤْنَ مَنْ خَلْفَهُمْ.

• مَكَانَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ.

• الصَّبْرُ عَلَى الْإِذَاءِ وَالدَّفْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ خُلُقَانٌ لَا غِنَى لِلدَّاعِي إِلَى اللَّهِ عَنْهُمَا.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿٣٩﴾ ومن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعاین الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحيا هذه الأرض الميتة بالنبات، لمحیی الموتى وباعثهم للحساب والجزاء، إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه إحياء أرض بعد موتها، ولا إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم. ﴿٤٠﴾ إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يلقى في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمناً من العذاب؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، فقد بينا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ﴿٤١﴾ إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم من عند الله لمعذبون يوم القيامة، وإنه لكتاب عزيز منيع، لا يستطيع مخرف أن يحرفه، ولا مبدل أن يبدله.

﴿٤٢﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره وتشريع، محمود على كل حال.

ولما ذكر الله حال المكذبين بالكتاب صبر رسوله وسأله بما كان يلقيه من قبله إخوانه من الرسل من التكذيب والسخرية والافتراء، فقال:

﴿٤٣﴾ ما يقال لك - أيها الرسول - من التكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك فاصبر، فإن ربك لذو مغفرة لمن

تاب إليه من عباده، وذو عقاب موجه لمن أصر على ذنوبه ولم يتب.

﴿٤٤﴾ ولو أنزلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقال الكفار منهم: لولا بينت آياته حتى نفهمها، أيكون القرآن أعجمياً، والذي جاء به عربي قل - أيها الرسول - لهؤلاء: القرآن - للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله - هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل وما يتبعه، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك الموصوفون بتلك الصفات كمن ينادون من مكان بعيد، فكيف لهم أن يسمعوا صوت المنادي!

﴿٤٥﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيها: فمنهم من آمن بها، ومنهم من كفر بها، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فبين المحق والمبطل، فأكرم المحق وأهان المبطل، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مرِيب.

﴿٤٦﴾ من عمل عملاً صالحاً فتنع عمله الصالح عائد إليه، فالله لا ينفعه العمل الصالح من أحد، ومن عمل عملاً سيئاً فضرر ذلك راجع إليه، فالله لا تضره معصية أحد من خلقه، وسيجازي كل بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعبده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • حَفِظَ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، وَتَكْفُلُ سَبْحَانَهُ بِهَذَا الْحِفْظِ، بِخِلَافِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ لَهُ. • قَطَعَ الْحُجَّةَ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ بِلُغَتِهِمْ. • نَفَى الظُّلْمَ عَنِ اللَّهِ، وَاثْبَاتِ الْعَدْلَ لَهُ.

﴿٤٧﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٨﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ مَحْصِيٍّ ﴿٤٩﴾
لَا يَسْمُرُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسُ
فَقَنُوطٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّيْنَاهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ وَلَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥١﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ سَرَّيْهِمْ أَهْلِيْنَا
فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٥﴾

٤٨٢

عليه، ولا يصبر على بلائه إذا ابتلاه.

﴿٥١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم به وكذبتموه، فكيف سيكون حالكم؟ ومن أضل ممن هو في عناد للحق مع ظهوره ووضوح حجته وقوتها؟

﴿٥٢﴾ سنري كفار قريش آياتنا في آفاق الأرض مما يفتح الله للمسلمين، ونريهم آياتنا في أنفسهم بفتح مكة: حتى يتضح لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا مزية فيه، أولم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق بشهادة الله أنه من عنده؟ ومن أعظم شهادة من الله؟ فلو كانوا يريدون الحق لاكتفوا بشهادة ربهم.

﴿٥٣﴾ ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة لإنكارهم البعث، فهم لا يؤمنون بالآخرة؛ لذلك لا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط علماً وقدرة.

﴿٥٤﴾ من قوايد الآيات:

- علم الساعة عند الله وحده.
- تعامل الكافر مع نعم الله ونقمه فيه تخبط واضطراب.
- إحاطة الله بكل شيء علماً وقدرة.

﴿٤٧﴾ إلى الله وحده يُرَدُّ علم الساعة؛ فهو وحده يعلم متى تقع، فلا يعلم ذلك غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها التي تحفظها، وما تحمل من أنثى ولا تلد إلا بعلمه، لا يفوته من ذلك شيء، ويوم ينادي الله المشركين الذين كانوا يعبدون معه الأصنام: مَوَيْحًا إياهم على عبادتهم لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: اعترفنا أمامك، لا أحد منا يشهد الآن أن لك شريكاً.

﴿٤٨﴾ وغاب عنهم ما كانوا يدعونهم من الأصنام، وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله ولا مَحِيد.

﴿٤٩﴾ لا يمل الإنسان من طلب الصحة والمال والولد وغير ذلك من النعم، وإن أصابه فقر أو مرض ونحو ذلك فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

﴿٥٠﴾ ولئن أذقناه منا صحة وغنى وعافية بعد بلاء ومرض أصابه ليقولن: هذا لي؛ لأنني أهل له ومستحق، وما أظن الساعة قائمة، ولئن فُرض أن الساعة قائمة فإن لي عند الله الغنى والمال، فكما أنعم علي في الدنيا لاستحقاقي ذلك ينعم علي في الآخرة، فلنخبرن الذين كفروا بالله بما عملوا من الكفر والمعاصي، ولنذيقنهم من عذاب بالغ في الشدة.

﴿٥١﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة الصحة والعافية ونحوها غفل عن ذكر الله وطاعته، وأعرض بجانبه تكبراً، وإذا مسه مرض وفقر ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير، يشكو إليه ما مسه منه ليكشفه عنه، فهو لا يشكر ربه إذا أنعم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

٤٨٣

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان كمال تشريع الله، ووجوب متابعتها، والتحذير من مخالفته.

• التفسير:

١ • ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ • مثل هذا الوحي يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبياء الله، الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدييره وخلق.

٣ • لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدييراً، وهو العلي بذاته وقدره وقهره، العظيم في ذاته.

٤ • ومن عظمت سبحانه تكاد السماوات مع عظمتها وارتفاعها يتشققن من فوق الأرضين، والملائكة ينزهون ربهم ويعظمونه حامدين له خضوعاً وإجلالاً، ويطلبون المغفرة من الله لمن في الأرض، ألا إن الله هو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

٥ • والذين اتخذوا من دون الله أصناماً يوالونهم ويعبدونهم من دون الله، الله لهم بالمرصاد يسجل عليهم أعمالهم ويجازيهم بها، وما أنت - أيها الرسول - موكل بحفظ أعمالهم، فلن تُسأل عن أعمالهم، إنما أنت مبلغ.

٦ • ومثلما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا عربياً لتنذر مكة ومن حولها من قري العرب، ثم الناس جميعاً، وتخوف

الناس من يوم القيامة يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد للحساب والجزاء، لا شك في وقوع ذلك اليوم، والناس منقسمون فيه إلى فريقين: فريق في الجنة وهم المؤمنون، وفريق في النار وهم الكفار.

٧ • ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة على دين الإسلام لجعلهم أمة واحدة عليه، وأدخلهم جميعاً الجنة، ولكن اقتضت حكمته أن يدخل من يشاء في الإسلام، ويدخله الجنة، والظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي ما لهم من ولي يتولاهم، ولا نصير ينقذهم من عذاب الله.

٨ • بل اتخذ هؤلاء المشركون من دون الله أولياء يتولونهم، والله هو الولي الحق، فغيره لا ينفع ولا يضر، وهو يحيي الموتى ببعثهم للحساب والجزاء، ولا يعجزه شيء سبحانه.

٩ • وما اختلفتم - أيها الناس - فيه من شيء من أصول دينكم أو فروعه فحكمه إلى الله، فيرجع فيه إلى كتابه أو سنة رسوله ﷺ، هذا الذي يتصف بهذه الصفات هو ربي، عليه اعتمدت في أموري كلها، وإليه أرجع بالتوبة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• عظمة الله ظاهرة في كل شيء. • دعا الملائكة لأهل الإيمان بالخير. • القرآن والسنة مرجعان للمؤمنين في شؤونهم كلها، وبخاصة عند الاختلاف. • الاقتصاد على إنذار أهل مكة ومن حولها؛ لأنهم مقصودون بالرد عليهم لإنكارهم رسالته ﷺ وهو رسول للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾، (سبا: ٢٨).

﴿١١﴾ اللَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ أَزْوَاجًا، حَتَّى تَكْثُرَ مِنْ أَجْلِكُمْ، يَخْلُقُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بِالزَّوَاجِ، وَيَعِيشُكُمْ فِيمَا جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْعَامِكُمْ مِنْ لَحُومِهَا وَأَبْنَانِهَا، لَا يَمِثْلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْأَقْوَالِ عِبَادَهُ، الْبَصِيرُ بِأَفْعَالِهِمْ، لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿١٢﴾ لَهُ وَحْدَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَوْسَعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ اخْتِبَارًا لَهُ أَيشكر أم يكفر؟ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ؛ ابْتِلَاءً لَهُ أَيْصَبِرُ أم يَسْتَخْطِ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ؟ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا فِيهِ مَصَالِحُ عِبَادِهِ.

﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مِثْلَ مَا أَمَرْنَا نُوحًا بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - وَشَرَعَ لَكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْنَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَخِلَاصَتُهُ: أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ، وَاتْرَكُوا التَّفَرُّقَ فِيهِ، عَظُمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، اللَّهُ يَصْطَلِفِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَيُوفِّقُهُ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِ. ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِبَيْعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَمَا كَانَ تَفَرُّقُهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَلَوْلَا مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنْ أَنَّهُ يُؤَخِّرُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أَمَدٍ مُحَدَّدٍ فِي عِلْمِهِ هُوَ يَوْمُ

فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ذَرْوُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

الْقِيَامَةِ لِحُكْمِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ، فَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ، وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا التَّوْرَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ النَّصَارَى مِنْ بَعْدِ أَسْلَافِهِمْ، وَمِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، لَفِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمُكَذِّبُونَ بِهِ. ﴿١٥﴾ ادْعُ لِهَذَا الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاتَّبِعْ عَلَيْهِ وَفَّقِ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ الْبَاطِلَةَ، وَقُلْ عِنْدَ مُجَادِلَتِهِمْ: أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، اللَّهُ الَّذِي أَعْبَدُهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ جَمِيعًا، لَنَا أَعْمَالُنَا خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، لَا جِدَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَتِ الْحُجَّةُ، وَاتَّضَحَتِ الْمَحْجَةُ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا جَمِيعًا، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْزِي كُلًّا مِنْهُمَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَئِذٍ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمُحَقَّقُ مِنَ الْمُبْطَلِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- دِينَ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُصُولِهِ دِينٌ وَاحِدٌ.
- أَهْمِيَّةُ وَحْدَةِ الْكَلِمَةِ، وَخَطَرُ الْاِخْتِلَافِ فِيهَا.
- مِنْ مَقْصُومَاتِ نَجَاحِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: صِحَّةُ الْمَبْدَأِ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَالْبَعْدُ عَنْ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، وَالتَّرَكُّيزُ عَلَى الْمَشْتَرَكِ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ الْعَقِيمِ، وَالتَّذَكُّيرُ بِالْمَصِيرِ الْمَشْتَرَكِ.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ وَحُجَّتْهُمْ
 دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 ١٦ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ١٨
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
 ١٩ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
 كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
 مِنْ نَصِيبٍ ٢٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
 وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢١ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
 مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٢٢

١٦) والذين يجادلون بالحجج الباطلة في هذا الدين المنزل على محمد ﷺ بعدما استجاب الناس له، هؤلاء المجادلون حججتهم ذاهية وساقطة عند ربهم وعند المؤمنين، لا أثر لها، وعليهم غضب من الله لكفرهم ورفضهم الحق، ولهم عذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة.

ولما بين بطلان حجج الكافرين بين أصل الحجج الصحيحة التي يحتج بها المسلم وهي القرآن، فقال:

١٧) الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، وأنزل العدل ليحكم بين الناس بالإنصاف، وقد تكون الساعة التي يكذب بها هؤلاء قريبة، ومعلوم أن كل أت قريب.

١٨) يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها؛ لأنهم لا يؤمنون بحساب ولا ثواب ولا عقاب، والذين آمنوا بالله خائفون منها لخوفهم من مصيرهم فيها، ويعلمون علم اليقين أنها الحق الذي لا مزية فيه، ألا إن الذين يجادلون في الساعة ويخاصمون فيها، ويشككون في وقوعها، لفي ضلال بعيد عن الحق.

١٩) الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيّق على من يشاء بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، وهو القوي الذي لا يغلبه أحد، العزيز الذي ينتقم من أعدائه.

٢٠) من كان يريد ثواب الآخرة عاملاً لها عملها، نضاعف له ثوابه، فالحسنه بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناها نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لإيثاره الدنيا عليها.

٢١) أم لهؤلاء المشركين آلهة من دون الله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه من الشرك به وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم؟ ولولا ما ضربه الله من أجل معدد للفصل بين المختلفين، وأنه يؤخرهم إليه لفصل بينهم، وإن الظالمين لأنفسهم بالشرك بالله والمعاصي لهم عذاب موع ينتظرهم يوم القيامة.

٢٢) ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم الخوف المجرد عن توبة، والذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الأعمال الصالحات على النقيض منهم: فهم في بساتين الجنات يتعمون، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

● من قَوَائِدِ الْآكَائِ:

- خوف المؤمن من أهوال يوم القيامة يعين على الاستعداد لها.
- لطف الله بعباده حيث يوسع الرزق على من يكون خيراً له، ويضيّق على من يكون التضيق خيراً له.
- خطر إيثار الدنيا على الآخرة.

﴿٢٣﴾ ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به على يد رسوله الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، قل - أيها الرسول - لا أطلب منكم على تبليغ الحق ثواباً إلا ثواباً واحداً عائداً نفعه إليكم، وهو أن تحبوني لقرايتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره؛ الحسنة بعشر أمثالها، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يعملونها ابتغاء وجهه. ﴿٢٤﴾ من زعم المشركين أن محمداً ﷺ قد اختلق هذا القرآن ونسبه لربه، ويقول الله ردّاً عليهم: لو حدثت نفسك أن تقتري كذباً لمطبعت على قلبك، ومحوت الباطل المفترى، وأبقيت الحق، ولما لم يكن الأمر كذلك دلّ على صدق النبي ﷺ أنه موحى له من ربه، إنه عليم بما في قلوب عباده لا يخفى عليه شيء منه.

﴿٢٥﴾ وهو سبحانه الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا إليه، ويتجاوز عن سيئاتهم التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٦﴾ ويجب دعاء الذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه، والكافرون بالله وبرسله لهم عذاب قوي ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٢٧﴾ ولو وسّع الله الرزق لجميع عباده لطفوا في الأرض بالظلم، ولكنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء من توسيع وتضييق، إنه خبير بأحوال عباده بصير بها، فيعطي الحكمة،

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ يُعَلِّمُ بَيِّنَاتٍ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَكَسَتْ جِبِ الْأَذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَزَيَّدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذْ يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

الجزء

ويمنع لحكمة أيضاً.

﴿٢٨﴾ وهو الذي ينزل المطر على عباده من بعد ما يسوا من نزوله، وينشر هذا المطر فتبت الأرض، وهو المتولّي شؤون عباده المحمود على كل حال.

﴿٢٩﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووجدانيته خلق السماوات وخلق الأرض، وما نشر فيهما من مخلوقات عجيبة، وهو على جمعهم للحشر والجزاء متى شاء قدير، لا يعجزه ذلك كما لم يعجزه خلقهم أول مرة.

﴿٣٠﴾ وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في أنفسكم أو أموالكم فبما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به.

﴿٣١﴾ ولستم بقادرين على النجاة من ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أرادكم بكم.

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الداعي إلى الله لا يبتغي الأجر عند الناس.
- التوسيع في الرزق والتضييق فيه خاضع لحكمة إلهية قد تخفى على كثير من الناس.
- الذنوب والمعاصي من أسباب المصائب.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ مَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

﴿٣٢﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته السفن التي تجري في البحر مثل الجبال في ارتفاعها وعلوها.

﴿٣٣﴾ إن يشأ الله إسكان الريح التي تسيرهن أسكنها، فيظللن ثوابت في البحر لا يتحركن، إن في ذلك المذكور من خلق السفن وتسخير الرياح لدلالات واضحة على قدرة الله لكل صَبَّارٍ على البلاء والمحن، شكور لنعم الله عليه.

﴿٣٤﴾ أو إن يشأ سبحانه إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة عليها أهلها بسبب ما كسب الناس من الإثم، ويتجاوز عن كثير من ذنوب عباده فلا يعاقبهم عليها.

﴿٣٥﴾ ويعلم عند إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة الذين يجادلون في آيات الله لإبطالها ما لهم من مهرب عن الهلاك، فلا يدعون إلا الله، ويتركون من عدا.

﴿٣٦﴾ فما أعطيتكم - أيها الناس - من مال أو جاه أو ولد، فمتاع الحياة الدنيا وهو زائل منقطع، والنعيم الدائم هو نعيم الجنة الذي أعده الله للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

﴿٣٧﴾ والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها، وإذا غضبوا ممن أساء إليهم بالقول أو الفعل يغفرون له زلته، ولا يعاقبونه عليها، وهذا العفو تفضل منهم إذا كان فيه خير ومصلحة.

﴿٣٨﴾ والذين استجابوا لربهم: بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، والذين يتشاورون في الأمور التي تهمهم، ومما رزقناهم ينفقون ابتغاء وجه الله.

﴿٣٩﴾ والذين إذا أصابهم الظلم ينتصرون إكراماً لأنفسهم وإعزازاً لها، إذا كان الظالم غير أهل للعفو، وهذا الانتصار حق، بخاصة إذا لم يكن في العفو مصلحة.

﴿٤٠﴾ ومن أراد أن يأخذ حقه فله ذلك، لكن بالمثل دون زيادة أو تجاوز، ومن عفا عمن أساء إليه ولم يؤاخذ به على إساءته، وأصلح ما بينه وبين أخيه فتوابه عند الله، إنه لا يحب الظالمين الذين يظلمون الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، بل يبغضهم.

﴿٤١﴾ ومن انتصر لنفسه فأولئك ما عليهم من مؤاخذه لأخذهم بحقهم.

﴿٤٢﴾ إنما المؤاخذه والعقاب للذين يظلمون الناس، ويعملون في الأرض بالمعاصي، أولئك لهم عذاب موعج في الآخرة.

﴿٤٣﴾ وأما من صبر على إيذاء غيره له، وتجاوز عنه، فإن ذلك الصبر مما يعود بالخير عليه وعلى المجتمع، وذلك أمر محمود، ولا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.

﴿٤٤﴾ ومن خذله الله عن الهداية فأضله عن الحق فليس له ولي من بعده يتولى أمره، وترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي لما عاينوا العذاب يوم القيامة يقولون متمنين: هل للعودة إلى الدنيا طريق فتتوب إلى الله؟

• من قَوْلِهِ الْآيَاتِ:

• الصبر والشكر سببان للتوفيق للاعتبار بآيات الله. • مكانة الشورى في الإسلام عظيمة. • جواز مؤاخذه الظالم بمثل ظلمه، والعفو خير من ذلك.

﴿٤٥﴾ وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضُونَ على النار وهم أذلاء وخزايًا ينظرون إلى النار خُلْسَةً من شدة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسله: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ لَأَنفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يَنْقُطُ أَبَدًا.

﴿٤٦﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم يأنقذهم من عذاب الله يوم القيامة، ومن يخذله الله عن الحق فيضله فليس له أبدًا من طريق تؤول إليه الهداية إلى الحق.

﴿٤٧﴾ استجيبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى امتثال أوامره واجتنب نواهيه، وترك التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا دافع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تكفرون به ذنوبكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

﴿٤٨﴾ فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك - أيها الرسول - عليهم حفيظًا تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وأنا إذا أذقنا الإنسان من رحمة من غنى وصحة ونحوهما فرح بها، وإن يصب البشر بلاءً بمكروه بسبب ذنوبهم: فإن طبيعتهم كفر نعم الله، وعدم شكرها، والتسخط مما قدره الله بحكمته.

﴿٤٩﴾ لله ملك السموات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثًا ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ سَبِيلَ ﴿٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۖ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم
مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن تَكْوِيلٍ ﴿٤٧﴾ فَإِن أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيزًا ۖ إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۖ وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ۚ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

٤٨٨

الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معًا، ويجعل من يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء.

﴿٥١﴾ وما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً بالإلهام أو غيره، أو يكلمه، بحيث يسمع كلامه ولا يراه، أو يرسل إليه ملكاً رسولاً مثل جبريل، فيوحي إلى الرسول البشري بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه، إنه سبحانه عليٌّ في ذاته وصفاته، حكيم في خلقه وقدره وشرعه،

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب المسارعة إلى امتثال أوامر الله واجتنب نواهيه.

• مهمة الرسول البلاغ، والنتائج بيد الله.

• هبة الذكور أو الإناث أو جمعهما معاً هو على مقتضى علم الله بما يصلح لعباده، ليس فيها مزية للذكور دون الإناث.

• يوحى الله تعالى إلى أنبيائه بطرق شتى: يحكم يعلمها سبحانه.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَافِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

آيَاتُهَا

٨٩

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

مَكِّيَّهَا

١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلٍ حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
۝ فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝

٤٨٩

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

التحذير من الافتتان بزخرف الحياة الدنيا؛ لئلا يكون وسيلة للشرك.

• التفسير:

١ ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق.

٣ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ؛ رَجَاءُ أَنْ تَعْقِلُوا - يَا مُعْشَرٍ مِنْ نَزَلْ بِلِسَانِكُمْ - مَعَانِيهِ، وَتَقْهَمُوهَا لِتَتَقَلَّوْهَا إِلَى الْأُمَمِ الْأُخْرَى.

٤ وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ لذو علو ورفعة، وذو حكمة، قد أحكمت آياته في أوامره ونواهيه.

٥ أفنترك إنزال القرآن عليكم إعراضاً لأجل إكثاركم من الشرك والمعاصي؟ لا تفعل ذلك، بل الرحمة بكم تقتضي عكس هذا.

٦ وكم بعثنا من نبي في الأمم السابقة.

٧ وما يأتي تلك الأمم السابقة من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون.

٨ فاهلكنا من هم أشدَّ بطشاً من تلك الأمم، فلا نعجز عن إهلاك من هم أضعف منهم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدّين.

٩ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذبين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولنَّ جواباً لسؤالك: خلقهنَّ العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.

١٠ الله الذي مهد لكم الأرض فجعلها لكم وطاءً تطؤونها بأقدامكم، وصيّر لكم فيها طرقاً في جبالها وأوديتها؛ رجاء أن تسترشدوا بها في سيركم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• سمي الوحي روحاً لأهمية الوحي في هداية الناس، فهو بمنزلة الروح للجسد.

• الهداية المسندة إلى الرسول ﷺ هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق.

• ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كُمْ
يَا بَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَنْشُو فِي
الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمُ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾

٤٩٠

﴿١١﴾ والذي نزل من السماء ماءً بقدر ما يكفيكم، ويكفي بهائكمم وزروعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة لا نبات بها، وكما أحيأ الله تلك الأرض القاحلة بالنبات يعيبيكم للبعث.

﴿١٢﴾ والذي خلق الأصناف جميعها، كالليل والنهار، والذكر والأنثى وغيرها، وصيّر لكم من السفن والأنعام ما تركبونه في أسفاركم، فتركبون السفن في البحر، وتركبون أنعامكم في البر.

﴿١٣﴾ صيّر لكم ذلك كله؛ رجاء أن تستقروا على ظهور ما تركبون منه في أسفاركم، ثم تذكروا نعمة ربكم بتسخيرها لكم إذا استقرتم على ظهورها، وتقولوا بالأسنتكم: ثنؤه وتقديس الذي هيأ وذلّل لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيقين لولا تسخير الله له.

﴿١٤﴾ وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا للحساب والجزاء.

﴿١٥﴾ وزعم المشركون أن بعض المخلوقات متولدة عن الخالق سبحانه حين قالوا: الملائكة بنات الله، إن الإنسان الذي يقول مثل هذا القول لكفور بين الكفر والضلال.

﴿١٦﴾ نقولون - أيها المشركون -: اتخذ الله مما يخلق بنات لنفسه، وأخلصكم بالذكر من الأولاد؟ فأي قسمة هذه القسمة التي زعمتم؟

﴿١٧﴾ وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى التي ينسبها إلى ربه ظل وجهه مسوداً من شدة الهم والحزن، وظل هو مبتلياً غيظاً، فكيف ينسب إلى ربه ما يفتّم هو به إذا بُشِّرَ به؟

﴿١٨﴾ أينسبون إلى ربهم من يرزى في

الزينة وهو في الجدل غير مبين الكلام لأنوثته؟

﴿١٩﴾ وسئوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن سبحانه؛ إنثا، هل حضروا حين خلقهم الله، فتبينوا أنهم إنثا؟ ستكتب الملائكة شهادتهم هذه، ويسألون عنها يوم القيامة، ويعذبون بها لكذبهم.

﴿٢٠﴾ وقالوا محتجين بالقدر: لو شاء الله ألا نعبد الملائكة ما عبدناهم، فكونه شاء ذلك منا يدل على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، إن هم إلا يكذبون.

﴿٢١﴾ أم أعطينا هؤلاء المشركين كتاباً من قبل القرآن يبيح لهم عبادة غير الله؟ فهم متمسكون بذلك الكتاب، محتجون به.

﴿٢٢﴾ لا، لم يقع ذلك، بل قالوا محتجين بالتقليد: إنا وجدنا آبائنا من قبلنا على دين وملة، وقد كانوا يعبدون الأصنام، وإنا ماضون على آثارهم في عبادتها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• كل نعمة تقتضي شكرًا.

• جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حين نسبوا الإناث إليه، وكبرهوهن لأنفسهم.

• بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر.

• المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
 إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
 * قُلْ أُولَٰئِكَ تُكْسَرُ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ۖ قُلْ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ
 كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ وَسِيهِدِينَ
 ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ۚ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
 مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَمْ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا
 أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٣﴾ وكما كذب هؤلاء، واحتجوا بتقليدهم لأبائهم، لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول ينذر قومه إلا قال رؤساؤهم وكبراؤهم من أهل الثراء فيهم: إنا وجدنا آباءنا على دين وملة، وإنا متبعون لأثارتهم. فليس قومك بدعًا في ذلك.

﴿٢٤﴾ قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جئكم بما هو خير من ملتهم التي كانوا عليها؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.

﴿٢٥﴾ فانتقمنا من الأمم التي كذبت بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهاية المكذبين برسولهم، فقد كانت نهاية أليمة.

﴿٢٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني بريء مما تعبدون من الأصنام من دون الله. ﴿٢٧﴾ إلا الله الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما فيه نفعي من اتباع دينه القويم. ﴿٢٨﴾ وصير إبراهيم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في ذريته من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئاً؛ رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي.

﴿٢٩﴾ لم أعاجل بالهلاك هؤلاء المشركين المكذبين، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آباءهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين هو محمد ﷺ.

﴿٣٠﴾ ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق الذي لا مزية فيه قالوا: هذا سحر يسحرنا به محمد، وإنا به كافرون فلن نؤمن به.

﴿٣١﴾ وقال المشركون المكذبون: هلاً أنزل الله هذا القرآن على أحد رجلين عظيمين من مكة أو الطائف، بدلاً من إنزاله على محمد الفقير البتيم.

﴿٣٢﴾ أهم يقسمون رحمة ربك - أيها الرسول - فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون أم الله؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ ليصير بعضهم مُسَخَّرًا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا الفاني.

﴿٣٣﴾ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لبيوت من يكفر بالله سقوفًا من الفضة، وجعلنا لهم درجًا عليه يصعدون.

● من قواعد الآيات،

● التقليد من أسباب ضلال الأمم السابقة.

● البراءة من الكفر والكافرين لازمة.

● تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله.

● حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء.

﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا لِبِئُوتِهِمْ أَبْوَابًا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَسْرَةً عَلَيْهِمْ يُتَكَبَّرُونَ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ وَفِتْنَةً.

﴿٢٥﴾ ولجعلنا لهم ذهبًا، وليس كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فتنفعه قليل لعدم بقاءه، وما في الآخرة من النعيم خير عند ربك - أيها الرسول - للمؤمنين لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٦﴾ ومن ينظر نظر غير متمكن في القرآن يوصله إلى الإعراض يعاقب بتسليط شيطان ملازم له يزيده في الغواية.

﴿٢٧﴾ وإن هؤلاء الفراء الذين يُسَلِّطُونَ على المعرضين عن القرآن ليصدونهم عن دين الله؛ فلا يمتثلون أوامره، ولا يجتنبون نواهيه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق، ومن ثم فهم لا يتوبون من ضلالهم.

﴿٢٨﴾ حتى إذا جاءنا الْمُعْرَضُونَ عن ذكر الله يوم القيامة قال متمنيًا: يا ليت بيني وبينك - أيها القرين - مسافة ما بين المشرق والمغرب، فَفُتِّحَتْ من قرين.

﴿٢٩﴾ قال الله للكافرين يوم القيامة: ولئن ينفعكم اليوم - وقد ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي - اشتراككم في العذاب فلن يحمل شركاؤكم عنكم شيئًا من عذابكم. ﴿٣٠﴾ إن هؤلاء صُمُّ عن سماع الحق، عُمِّي عن إبصاره، أَفَانَتْ - أيها الرسول - تستطيع إسماع الصم، أو هداية العمي، أو هداية من كان في ضلال واضح عن الطريق المستقيم؟ ﴿٣١﴾ فإن ذهبنا بك - بأن أمثالك قبل أن نذهبهم - فإننا منتقمون منهم بتعذيبهم في الدنيا والآخرة.

وَلِبِئُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَّخِذَ الْقَرِينُ ﴿٢٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٣١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٣٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٣٧﴾

٤٩٢

﴿٣٦﴾ أو نرينك بعض ما نعدهم من العذاب، فإننا عليهم مقتدرون، لا يستطيعون مغالبتنا في شيء.

﴿٣٧﴾ فتمسك - أيها الرسول - بما أوحى إليك ربك، واعمل به، إنك على طريق حق لا تيس فيه.

﴿٣٨﴾ وإن هذا القرآن لشرف لك، وشرف لقومك، وسوف تسألون يوم القيامة عن الإيمان به، واتباع هديه، والدعوة إليه.

﴿٣٩﴾ واسأل - أيها الرسول - من بعثنا من قبلك من الرسل: أجعلنا من دون الرحمن معبودات تُعْبَدُ؟

﴿٤٠﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا إلى فرعون والأشرف من قومه فقال لهم: إني رسول رب المخلوقات كلها.

﴿٤١﴾ فلما جاءهم بآياتنا صاروا منها يضحكون: سخرية واستهزاء.

من قواید آیات:

- خطر الإعراض عن القرآن.
- القرآن شرف لرسول الله ﷺ ولأُمَّته.
- اتفاق الرسالات كلها على نبيذ الشرك.
- السخرية من الحق صفة من صفات الكفر.

وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا تَأْيِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُنَا
رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
قَالَ يَبْقَوْمُ الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَأَتِ كَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ
فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا
أَتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آلَ هَارُونَ أَكْبَرُ
هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٩٣

﴿٤٨﴾ وما نري فرعون والأشرف من قومه من حجة على صحة ما جاء به موسى ﴿٤٩﴾ إلا كانت أعظم من الحجة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الكفر، ولكن دونما فائدة.

﴿٥٠﴾ فقالوا لما نالهم بعض العذاب لموسى ﴿٥١﴾: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك بما ذكر لك من كشف العذاب إن آمنا، إنا لمهتدون إليه إن كشفه عنا. ﴿٥٢﴾ فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يفون به. ﴿٥٣﴾ ونادى فرعون في قومه قائلاً في تبجح بملكه: يا قوم، اليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النيل تجري تحت قصوري؟ أفلا تبصرون ملكي وتعرفون عظمتي؟

﴿٥٤﴾ فأنا خير من موسى الطريد الضعيف الذي لا يحسن الكلام. ﴿٥٥﴾ فهلاً ألقى الله الذي أرسله أسيرة من ذهب عليه؛ لتبين أنه رسوله، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضاً.

﴿٥٦﴾ فأغرى فرعون قومه، فأطاعوه في ضلاله، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

﴿٥٧﴾ فلما أغضبونا باستمرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقناهم كلهم.

﴿٥٨﴾ فصيرنا فرعون وملاه مقدمة يتقدمون للناس وكفار قومك لهم بالآخر، وصيرناهم عبرة لمن يعتبر؛ لئلا يعمل بعملهم فيصيبه ما أصابهم.

﴿٥٩﴾ ولما حسب المشركون أن عيسى الذي عبده النصارى داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنكُم مِّنْ صَّابِقِينَ﴾

﴿الأنبياء: ٩٨﴾ وقد نهى الله عن عبادته كما نهى عن عبادة الأصنام إذا قومك - أيها الرسول - يضجون ويصغيون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى،

فأنزل الله ردًا عليهم: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ مَّبْعُوثٌ لَّهُمْ مِّنَّا الْحَقُّ أُولَٰئِكَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿الأنبياء: ١٠١﴾.

﴿٦٠﴾ وقالوا: أمعبوداتنا خير أم عيسى؟ ما ضرب لك ابن الرِّبِّزَى وأمثاله هذا المثل حباً للتوصل إلى الحق، ولكن حباً للجدل، فهم قوم مجبولون على الخصومة.

﴿٦١﴾ ما عيسى بن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وصيرناه مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.

﴿٦٢﴾ ولو نشاء إهلاككم - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً.

﴿٦٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نكث العهود من صفات الكفار.
- الفاسق خفيف العقل يستخفّه من أراد استخفافه.
- غضب الله يوجب الخسران.
- أهل الضلال يسعون إلى تحريف دلالات النص القرآني حسب أهوائهم.

الساعة الكبرى حين ينزل آخر الزمان، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، وأتبعوني فيما جئكم به من عند الله، هذا الذي جئكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

٢٦٢ ولا يصرفنكم الشيطان عن الصراط المستقيم يا غواثه واغرائه، إنه لكم عدو بين العداوة.

٢٦٣ ولما جاء عيسى عليه السلام قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأناحكم عنه.

٢٦٤ إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة، وهذا التوحيد هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

٢٦٥ فاختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى؛ فمنهم من يقول: هو إله، ومن يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو وأمه إلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم - بما وصفوا به عيسى من الألوهية، أو البُنُوَّة، أو أنه ثالث ثلاثة - من عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

٢٦٦ هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في شأن عيسى إلا الساعة أن تأتيهم فجأة وهم لا يحسبون باتيانها؟! فإن جاءتهم وهم على كفرهم فإن مصيرهم العذاب الموجه.

٢٦٧ المتخائون والمتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء

وإنه ولعلم الساعة فلا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٢٦١ وَلَا يَصُدَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٢٦٢ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِبِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٢٦٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٢٦٤ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ إِلِيمٍ ٢٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦٦ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٢٦٧ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ٢٦٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٢٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٢٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَكْذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٢٧٣

يوم القيامة إلا المتقين لله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، فخلّتهم دائمة لا تنقطع.

٢٦٦ ويقول لهم الله: يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

٢٦٧ الذين آمنوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا منقادين للقرآن؛ يأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

٢٦٨ ادخلوا الجنة أنتم وأمثالكم في الإيمان، تسرون بما تلقونه من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

٢٦٩ يطوف عليهم خدامهم بأبنية من ذهب وبأكواب لا عرى لها، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتكذُّ الأعين برويته، وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبداً.

٢٧٠ تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلاً منه.

٢٧١ لكم فيها فاكهة كثيرة لا تنقطع، منها تأكلون.

٢٧٢ من قوالب الآيات،

• نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى.

• انقطاع خلة الفساق يوم القيامة، ودوام خلة المتقين.

• بشارة الله للمؤمنين وتطمينه لهم عما خلفوا وراءهم من الدنيا وعما يستقبلونه في الآخرة.

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَنَّمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَى أَيْمَلُكَ لِيَقْضَ عَلَيْهِ تَارِيكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَكْرِبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٩٥

ولما ذكر الله جزاء المتقين ذكر جزاء من هم ضدّهم وهم المجرمون فقال:

﴿٧٤﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في عذاب جهنم يوم القيامة ماكثون فيه أبداً.

﴿٧٥﴾ لا يخفف عنهم العذاب، وهم فيه آيسون من رحمة الله.

﴿٧٦﴾ وما ظلمناهم حين أدخلناهم النار، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

﴿٧٧﴾ ونادوا خازن النار مائلاً قائلاً: يا مائلك، ليثبتا ربك فتستريح من العذاب، فيجيبهم مالك بقوله: إنكم ماكثون في العذاب دائماً لا تموتون، ولا ينقطع عنكم العذاب.

﴿٧٨﴾ لقد جئناكم في الدنيا بالحق الذي لا مزية فيه، ولكن معظمكم للحق كارهون.

﴿٧٩﴾ فإن مكروا بالنبي ﷺ وأعدوا له كيدها فإننا مُحْكِمُونَ لهم تدبيراً يفوق كيدهم.

﴿٨٠﴾ أم يظنون أننا لا نسمع سرهم الذي أضمره في قلوبهم، أو سرهم الذي يتاجون به خفية، بلى إننا نسمع ذلك كله، والملائكة لديهم يكتبون كل ما عملوه.

﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - للذين ينسبون البنات لله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً: ما كان لله ولد؛ تنزه عن ذلك وتقدس، فإننا أول العابدين لله تعالى المنزهين له.

﴿٨٢﴾ تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش عما يقوله هؤلاء المشركون من نسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

﴿٨٣﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا

فيما هم عليه من الباطل، ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة.

﴿٨٤﴾ وهو سبحانه المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره، العليم بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٥﴾ وتزايد خير الله وبركته سبحانه، الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما، وعنده وحده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٨٦﴾ ولا يملك الذين يعبدونهم المشركون من دون الله الشفاعة عند الله، إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وهو يعلم ما شهد به؛ مثل عيسى وعزير والملائكة.

﴿٨٧﴾ ولئن سألتهم: من خلقهم؟ ليقولنَّ: خلقنا الله، فكيف يُصَرِّفون عن عبادته بعد هذا الاعتراف؟

﴿٨٨﴾ وعنده سبحانه علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، وقوله فيها: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم.

﴿٨٩﴾ فأعرض عنهم، وقل لهم ما تدفع به شرهم - وكان هذا في مكة - فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• كراهة الحق خطر عظيم. • مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. • كلما ازداد علم العبد بربه، ازداد ثقة بربه وتسليماً لشرعه. • اختصاص الله بعلم وقت الساعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا
مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ٩
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشى النَّاسَ
هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ
تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُ ١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنْ كُنْمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ
١٦ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
١٧ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨

الجزء
الخامس
والعشرون

٤٩٦

- من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تهديد المشركين ببيان ما ينتظرهم من العقوبة العاجلة والآجلة.
- التفسير:
- ١ ﴿حَمَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- ٢ ﴿الْكِتَابِ﴾ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق.
- ٣ ﴿مُبِينٍ﴾ إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، وهي ليلة كثيرة الخيرات، إنا كنا مخوفين بهذا القرآن.
- ٤ ﴿حَكِيمٍ﴾ في هذه الليلة يفصل كل أمر محكم يتعلق بالأرزاق والأجال وغيرهما مما يحدثه الله تلك السنة.
- ٥ ﴿مُرْسِلِينَ﴾ تفصل كل أمر محكم من عندنا، إنا كنا باعثين الرسل.
- ٦ ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ نبعث الرسل رحمة من ربك - أيها الرسول - لمن أرسلوا إليهم، إنه سبحانه هو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم ونياتهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.
- ٧ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما إن كنتم موقنين بذلك فأمّنوا برسولي.
- ٨ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ لا معبود بحق غيره، يحيي ويميت، لا محيي ولا مميت غيره، ربكم ورب آياتكم المتقدمين.
- ٩ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بما هم فيه من الباطل.
- ١٠ ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ فانتظر - أيها الرسول - عذاب قومك القريب يوم تأتي السماء بدخان.
- ١١ ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ واضح يروونه بأعينهم من شدة الجوع.

- ١٢ ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يعمّ قومك، ويقال لهم: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موع.
- ١٣ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيتضرعون إلى ربهم سائلين: ربنا اصرف عنا العذاب الذي أرسلته علينا، إنا مؤمنون بك وبرسولك إن صرفته عنا.
- ١٤ ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ كيف لهم أن يتذكروا وينبؤوا إلى ربهم وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقة وأمانته؟
- ١٥ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُ﴾ ثم أعرضوا عن التصديق به، وقالوا عنه: هو معلم يُعَلِّمه غيره وليس برسول، وقالوا عنه: هو مجنون.
- ١٦ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنْ كُنْمْ عَائِدُونَ﴾ إنا حين نصرف عنكم العذاب قليلاً، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم.
- ١٧ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وانتظرهم - أيها الرسول - يوم نبطش بكفار قومك البطشة الكبرى يوم بدر، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله.
- ١٨ ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ولقد اختبرنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول من الله كريم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وهو موسى عليه السلام.
- ١٩ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُ﴾ قال موسى لفرعون وقومه: اتركوا لي بني إسرائيل، فهم عباد الله، ليس لكم حق أن تستعبدوهم، إني لكم رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم، لا أنقص منه شيئاً ولا أزيده.
- من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: نزول القرآن في ليلة القدر التي هي كثيرة الخيرات دلالة على عظم قدره. ● بعثة الرسل ونزول القرآن من مظاهر رحمة الله بعباده. ● رسالات الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين.

وَأَنْ لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ وَإِنِّي عَدْتُ
 بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزَلُونِ ﴿٢١﴾
 فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
 تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً
 كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَيَّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ
 بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا عَابَاءِئَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ
 خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلُكُنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ
 ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

٤٩٧

﴿١٦﴾ وَلَا تَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ بترك عبادته، والاستعلاء على عبادته، إني آتيكم بحجة واضحة.

﴿٢٠﴾ وإني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلوني بالرجم بالحجارة.

﴿٢١﴾ وإن لم تصدقوا بما جئت به فاعتزلوني، ولا تقربوني بسوء.

﴿٢٢﴾ فدعا موسى ﷺ ربه: أن هؤلاء القوم - فرعون وملاه - قوم مجرمون يستحقون تعجيل العقاب.

﴿٢٣﴾ فأمر الله موسى أن يسري بقومه ليلاً، وأخبره أن فرعون وقومه سيبتعونهم.

﴿٢٤﴾ وأمره إذا اجتاز البحر هو وبنو إسرائيل أن يتركه ساكناً كما كان، إن فرعون وجنده مهلكون بالفرق في البحر.

﴿٢٥﴾ كم خلف فرعون وقومه وراءهم من بساتين وعيون جارية!

﴿٢٦﴾ وكم خلفوا وراءهم من زروع ومجلس حسن!

﴿٢٧﴾ وكم خلفوا وراءهم من عيشة كانوا فيها متنعمين!

﴿٢٨﴾ هكذا حدث لهم ما وصفت لكم، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم قوماً آخرين هم بنو إسرائيل.

﴿٢٩﴾ فما بك على فرعون وقومه السماء والأرض حين غرقوا، وما كانوا مهلهلين حتى يتوبوا.

﴿٣٠﴾ ولقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب المؤل، حيث كان فرعون وقومه يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿٣١﴾ أنقذناهم من عذاب فرعون، إنه كان مستكبراً من المتجاوزين لأمر الله ودينه.

﴿٣٢﴾ ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا على عالمي زمانهم لكثرة أنبيائهم.

﴿٣٣﴾ وأعطيناهم من الدلائل والبراهين التي أيّدنا بها موسى ما فيه نعمة ظاهرة لهم كالمن والسلوى وغيرهما.

﴿٣٤﴾ إن هؤلاء المشركين المكذبين ليقولون منكبين للبعث:

﴿٣٥﴾ ما هي إلا موتتنا الأولى فلا حياة بعدها، وما نحن بمبعوثين بعد هذه الموتة.

﴿٣٦﴾ فأت - يا محمد - أنت ومن معك من أتباعك بأبائنا الذين ماتوا أحياء إن كنتم صادقين فيما تدّعون من أن الله يبعث الموتى أحياء للحساب والجزاء.

﴿٣٧﴾ أهؤلاء المشركون المكذوبون بك - أيها الرسول - خير في القوة والمنعة، أم قوم تُبَّع والذين من قبلهم مثل عاد وثمود، أهلكناهم جميعاً، إنهم كانوا مجرمين.

﴿٣٨﴾ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لأعين بخلقها.

﴿٣٩﴾ ما خلقنا السماوات والأرض إلا لحكمة بالغة، ولكن معظم المشركين لا يعلمون ذلك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب لجوء المؤمن إلى ربه أن يحفظه من كيد عدوّه. • مشروعية الدعاء على الكفار عندما لا يستجيبون للدعوة، وعندما يحاربون أهلها. • الكون لا يحزن لموت الكافر لهوانه على الله. • خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة يجهلها الملحدون.

﴿٤٠﴾ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَفْصِلُ
اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ مِيعَادٌ لِلْخَلَائِقِ
جَمِيعًا يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ فِيهِ.

﴿٤١﴾ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ، وَلَا
صَدِيقٌ صَدِيقَهُ، وَلَا هُمْ يَنْمُنُونَ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمَلَكَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ، لَا
أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ ادِّعَاءَهُ.

﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ النَّاسِ،
فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ،
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ،
الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ.

ولما ذكر الله القيامة ذكر افتراق
الناس فيها حسب الجزاء، فقال:

﴿٤٣﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ الَّتِي أَنْبَتَهَا
اللَّهُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ.

﴿٤٤﴾ طَعَامٌ ذِي الْإِثْمِ الْعَظِيمِ وَهُوَ
الْكَافِرُ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا الْخَبِيثِ.

﴿٤٥﴾ هَذَا الثَّمَرُ مِثْلُ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ، يَغْلِي
فِي بَطُونِهِمْ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ.

﴿٤٦﴾ كَغَلِي الْمَاءِ الْمُتَنَاهِي فِي الْحَرَارَةِ.
﴿٤٧﴾ وَيُقَالُ لَزَبَانِيَةِ النَّارِ: خُذُوهُ فَجَزُوهُ
بِعَنْفٍ وَغُلْظَةٍ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ.

﴿٤٨﴾ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِ هَذَا الْمُعَذَّبِ
الْمَاءَ الْحَارِفَ لَا يَفَارِقُهُ الْعَذَابُ.

﴿٤٩﴾ وَيُقَالُ لَهُ تَهَكُّمًا: ذُقْ هَذَا
العَذَابَ الْأَلِيمَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي

لَا تُضَامُ جَنَابُكَ الْكَرِيمِ فِي قَوْمِكَ.
﴿٥٠﴾ إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ
تَشْكُونَ فِي وَقْعِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَدْ

زَالَ عَنْكُمْ الشُّكُّ بِمَعَانِيَتِهِ.
﴿٥١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَرَبِّهِمْ بِامْتِثَالِ
أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فِي مَوْضِعِ

إِقَامَةِ أَمْنٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ يُصِيبُهُمْ.
﴿٥٢﴾ فِي بَسَاتِينٍ وَعُيُونٍ جَارِيَةٍ.

﴿٥٣﴾ يَلْبَسُونَ فِي الْجَنَّةِ رَقِيْقَ الدِّيبَاجِ
وِغْلِيظَةَ، يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلًى
عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَكَهَةٍ أَمْنٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا
الْمَوْتَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنَ
رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

آيَاتُهَا

٣٧

سُورَةُ النَّحْلِ

رَتَبْتُهَا

٤٥

٤٩٨

يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ قَفَا الْآخَرَ.

﴿٥٤﴾ كَمَا أَكْرَمْنَاهُمْ بِذَلِكَ الْمَذْكُورِ زَوْجَانَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِالْحَسَنِ مِنَ النِّسَاءِ وَاسْعَاتِ الْأَعْيُنِ مَعَ شِدَّةِ بَيَاضِ بَيَاضِهَا وَشِدَّةِ سَوَادِ سَوَادِهَا.

﴿٥٥﴾ يَدْعُونَ خِدْمَتَهُمْ فِيهَا لِأَيُّتِهِمْ بِكُلِّ فَكَاهَةٍ أَرَادُوهَا أَمْنِينَ مِنْ انْقِطَاعِهَا، وَمِنْ مَضَارِهَا.

﴿٥٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا، لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ النَّارِ.

﴿٥٧﴾ تَقْضَلًا وَاحْسَانًا مِنْ رَبِّكَ بِهِمْ، ذَلِكَ الْمَذْكُورُ - مِنْ إِدْخَالِهِمْ الْجَنَّةَ، وَوَقَايَتِهِمْ مِنَ النَّارِ - هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ.

﴿٥٨﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَسَهَّلْنَاهُ بِأَنزَالِهِ بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَعَلَّهُمْ يَتَعَذَّلُونَ.

﴿٥٩﴾ فَانْتَظِرْ نَصْرَكَ وَهَلَكَاهُمْ، إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ هَلَكَاهُكَ.

﴿٦٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الْجَمْعُ بَيْنَ الْعَذَابِ الْجَسْمِيِّ وَالنَّفْسِيِّ لِلْكَافِرِ.

• الْفَوْزُ الْعَظِيمُ هُوَ النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ.

• تَيْسِيرُ اللَّهِ لَفْظَ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيَهُ لِعِبَادِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحوال الخلق من الآيات الشرعية والكونية، ونقض حجج منكري البعث المتكبرين وتهييئهم.

• التفسير:

﴿حَم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتديبهم.

﴿٣﴾ إن في السماوات والأرض دلائل على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٤﴾ وفي خلقكم - أيها الناس - من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علقة، وفي خلق ما بيئه الله من دابة تدب على وجه الأرض دلائل على وحدانيته لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.

﴿٥﴾ وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بانياتها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها، وفي تصريف الرياح بالإتيان بها مرة من جهة، ومرة من أخرى لمنافعكم؛ دلائل لقوم يعقلون، فيستدلون بها على وحدانية الله وقدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.

﴿٦﴾ هذه الآيات والبراهين نلتوها عليكم - أيها الرسول - بالحق، فإن لم يؤمنوا بحديث الله المنزل على عبده وحججه، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي حجج بعده يصدقون؟

﴿٧﴾ عذاب من الله وهلاك لكل كذاب كثير الأثام.

﴿٨﴾ يسمع هذا الكافر آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يستمر على ما كان عليه من الكفر والمعاصي؛ متعاليًا في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقررة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوؤه في آخرته، وهو عذاب موجه ينتظره فيها.

﴿٩﴾ وإذا بلغه شيء من القرآن اتخذهُ سخريةً يسخر منه، أولئك المتصفون بصفة السخريّة من القرآن لهم عذاب مدلّ يوم القيامة.

﴿١٠﴾ من أمامهم نار جهنم تنتظرهم في الآخرة، ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال من الله شيئًا، ولا يدفع عنهم شيئًا ما اتخذوه من دونه من الأصنام التي يعبدونها من دونه، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم.

﴿١١﴾ هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا محمد هادٍ إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم المنزلة على رسوله لهم عذاب سيئ موجه.

﴿١٢﴾ الله وحده هو الذي سخر لكم - أيها الناس - البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بأنواع المكاسب المباحة، ولعلكم تشكرون نعمة الله عليكم.

﴿١٣﴾ وسخر لكم سبحانه ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من أنهار وأشجار وجبال وغيرها، جميع هذه النعم من فضله وإحسانه، إن في تسخير ذلك لكم لدلائل على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يتفكرون في آياته، فيعتبرون بها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله؛ صفات أهل الضلال، وقد توعد الله المتصف بها. • نعم الله على عباده كثيرة، ومنها تسخير ما في الكون لهم. • النعم تقتضي من العباد شكر المعبود الذي منحهم إياها.

حَم ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَاهُ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهٖ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذْ عَلِمْنَا مِّنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَاهَا هُزُوًا ءَوَّلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩ مِّن رَّأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَوَّلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

١٤ قل - أيها الرسول - للذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله؛ تجاوزوا عمن أساء إليكم من الكفار الذين لا يبالون بنعم الله أو نقمه، فإن الله سيجزي كلًا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين، بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

١٥ من عمل عملاً صالحاً فنتيجة عمله الصالح له، والله غني عن عمله، ومن أساء عمله فنتيجة عمله السيئ عقابه عليه، والله لا يضره إساءته، ثم إلينا وجدنا ترجعون في الآخرة لنجازي كلًا بما يستحقه.

١٦ ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، ورزقناهم من أنواع الطيبات، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

١٧ وأعطيناهم دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج ببعثة نبينا محمد عليه السلام، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغى بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فبين من كان محققاً، ومن كان مبطلاً. ١٨ ثم جعلناك على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح، فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق؛ فأهواؤهم مضلة عن الحق.

١٩ إن الذين لا يعلمون الحق لن يكفوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت

أهواءهم، وإن الظالمين من جميع الملأ والنحل بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين له بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

٢٠ هذا القرآن المنزل على رسولنا يبيصر بها الناس الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين يهتدون به إلى الصراط المستقيم ليرضى عنهم ربهم، فيدخلهم الجنة، ويزحزحهم عن النار.

٢١ هل يظن الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نجعلهم في الجزاء مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستوتون في الدنيا والآخرة؟ لا قبح حكمهم هذا.

٢٢ وخلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثاً، ولتجزي كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بنقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

٢٣ من قوايا الآيات:

● العفو والتجاوز عن الظالم إذا لم يظهر الفساد في الأرض، ويعتد على حدود الله؛ خلق فاضل أمر الله به المؤمنين إن غلب على ظنهم العاقبة الحسنة.

● وجوب اتباع الشرع والبعد عن اتباع أهواء البشر.

● كما لا يستوي المؤمنون والكافرون في الصفات، فلا يستوتون في الجزاء.

● خلق الله السماوات والأرض وفق حكمة بالغة يجهلها الماديون الملحدون.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١٥ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ١٦
وَءَاْتَيْنَاهُمْ بَيْنَهُم مِّنَ الْأَمْرِ ١٧ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ١٩
هَٰذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٢٠
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَاهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢١
وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٢

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ اتَّخَذَ
عَلَيْهِمْ أَيْدُنَا بَيْتَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَبَاءَنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٦﴾
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُمْ مَآ نَذَرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٤١﴾

٥٠١

﴿٣٢﴾ انظر - أيها الرسول - إلى من اتبع هواه وجعله بمنزلة المعبود له الذي لا يخالفه، فقد أضله الله على علم منه؛ لأنه يستحق الإضلال، وختم على قلبه فلا يسمع سماعاً ينتفع به، وجعل الله على بصره غطاءً يمنعه من إِبصار الحق، فمن الذي يوقفه للحق بعد أن أضله الله؟ أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، ونفع اتباع شرع الله؟

﴿٣٣﴾ وقال الكافرون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيا أجيال، وما يميّتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

﴿٣٤﴾ وإذا تقرأ على المشركين المنكرين للبعث آياتنا واضحات ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا قولهم للرسول ﷺ وأصحابه: أحيوا لنا آبائنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث بعد موتنا.

﴿٣٥﴾ قل لهم - أيها الرسول - : الله يحييكم بخلقكم ثم يميتكم، ثم يجمعكم بعد موتكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آت، ولكن معظم الناس لا يعلمون؛ لذلك لا يستعدّون له بالعمل الصالح.

﴿٣٦﴾ ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، فلا يُعبد بحق غيره فيها، ويوم تقوم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء يخسر أصحاب الباطل الذين كانوا يعبدون غير الله، ويسعون لإبطال الحق، وإحراق الباطل.

﴿٣٧﴾ وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم كل أمة باركة على ركبها تنتظر ما يفعل بها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها الذي كتبه الحفظة من الملائكة، اليوم تجزون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

﴿٣٨﴾ هذا كتابنا - الذي كانت ملائكتنا تكتب فيه أعمالكم - يشهد عليكم بالحق فاقروه، إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٣٩﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم سبحانه في جنته برحمته؛ ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

﴿٤٠﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَكَّيْتُا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قوماً مجرمين، تكسبون الكفر والآثام؟

﴿٤١﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مزية فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلتم: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظناً ضعيفاً أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• اتباع الهوى يهلك صاحبه، ويحجب عنه أسباب التوفيق. • هول يوم القيامة. • الظن لا يغني من الحق شيئاً، خاصة في مجال الاعتقاد.

﴿٣٣﴾ وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يحذرون منه.

﴿٣٤﴾ وقال لهم الله: اليوم نترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا وما أولكم النار هذا، فلم تستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح، ومستقرّكم الذي تأوّنوا إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله.

﴿٣٥﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً تسخرون منها، وخدعتم الحياة بلداتها وشهواتها، فاليوم لا يخرج هؤلاء الكفار المستهزئون بآيات الله من النار، بل يبقون فيها خالدين أبداً، ولا يردّون إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يرضى عنهم ربهم.

﴿٣٦﴾ فله وحده الحمد، رب السموات ورب الأرض، ورب جميع المخلوقات.

﴿٣٧﴾ وله الجلال والعظمة في السموات وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتديبره وشرعه.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

— مكية —

﴿٣٣﴾ من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان حاجة البشرية للرسالة وإنذار المعرضين عنها.

التفسير:

﴿٣٣﴾ تقديم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٣٤﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغال به أحد، الحكيم في خلقه

وَيَذَاهُم مَّيِّمَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

آياتها ٣٧

تفسيرها ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

وتقديره وشرعه.

﴿١﴾ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما عبثاً، بل خلقنا ذلك كله بالحق لحكم بالغة، منها أن يعرف العباد ربهم من خلالها فيعبده وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وليقوموا ب مقتضيات استخلافهم في الأرض إلى أمد محدد يعلمه الله وحده، والذين كفروا بالله معرضون عما أُنذروا به في كتاب الله، لا يبالون به.

﴿٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المعرضين عن الحق: أخبروني عن أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ماذا خلقوا من أجزاء الأرض؟ هل خلقوا جبلاً؟ هل خلقوا نهراً؟ أم لهم شرك ونصيب مع الله في خلق السموات؟ جيئوني بكتاب منزل من عند الله من قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعوكم أن أصنامكم تستحق العبادة.

﴿٣﴾ ولا أحد أضلُّ ممن يعبد من دون الله صنماً لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ فضلاً أن تنفعهم أو تضرهم.

﴿٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الاستهزاء بآيات الله كفر.

• خطر الاختيار ببلدات الدنيا وشهواتها.

• ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى.

• إجابة الدعاء من أظهر أدلة وجود الله ﷻ واستحقاقه العبادة.

يحسن إلى والديه، بأن يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما بما لا مخالفة فيه للشرع، وعلى وجه الخصوص أمه التي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ومدة حملها التي مكثها وبدء فطامه:

ثلاثون شهرًا، حتى إذا بلغ اكتمال قوته العقلية والبدنية وبلغ أربعين سنة قال: رب، ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه، وتقبله مني، وأصلح لي أولادي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المتقدين لطاعتك، المستسلمين لأوامرك.

﴿١٦﴾ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحات، ونتجاوز عن سيئاتهم، فلا نؤاخذهم بها، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق، سيحقق لا محالة.

ولما ذكر مثلاً للبار بأبويه ترغيباً في البر، ذكر مثلاً للعاق تنفيراً من العقوق، فقال:

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه: ثبًا لكم، أتعادني أن أخرج من قبري حيًّا بعد موتي، وقد مضت القرون الكثيرة، ومات الناس فيها فلم يبعث أحد منهم حيًّا؟ ووالداه يطلبان الغوث من الله أن يهدي ابنهما للإيمان، ويقولان لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث فأمن به، إن وعد الله بالبعث حق لا مزية فيه، فيقول هو مجدداً إنكاره للبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين وما سطره، لا يثبت عن الله.

﴿١٨﴾ أولئك الذين وجب لهم العذاب

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يَعْدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمْنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا أُولُوفِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

في جملة أمم من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين؛ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار. ﴿١٩﴾ ولكلا الفريقين - فريق الجنة، وفريق السعير - مراتب حسب أعمالهم، فمراتب أهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم. ﴿٢٠﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وكذبوا رسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بها فيها من الملذات، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي يهينكم ويدلكم بسبب تكبركم في الأرض بغير الحق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٢١﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان مكانة برِّ الوالدين في الإسلام، بخاصة في حق الأم، والتحذير من العقوق.
- بيان خطر التوسع في ملاذ الدنيا؛ لأنها تشغل عن الآخرة.
- بيان الوعيد الشديد لأصحاب الكبر والفسوق.

﴿٢١﴾ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَافٍ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ تَدْمُرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَكَتَّ لَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَتَّكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٩﴾

٥٠٥

﴿٢١﴾ واذكر - أيها الرسول - هودًا
 أخا عاد في التسب حين أنذر قومه من
 وقوع عذاب الله عليهم، وهم بمنزلهم
 بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية،
 وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل
 هود وبعده، قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا
 إلا الله وحده، فلا تعبدوا معه غيره،
 إنني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب
 يوم عظيم هو يوم القيامة.
 ﴿٢٢﴾ قال له قومه: اجئنا لتصرفنا
 عن عبادة آلِهتنا؟ لن يكون لك ذلك،
 فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت
 صادقًا فيما تدعيه.

﴿٢٣﴾ قال: إنما علم وقت العذاب عند
 الله، وأنا لا علم لي به، وإنما أنا رسول
 أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني
 أراكم قَوْمًا تجهلون ما فيه نفعكم
 فتتركونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.
 ﴿٢٤﴾ فلما جاءهم ما استعجلوا به
 من العذاب، فرأوه سحابًا معتبرًا في
 جهة من السماء متجهًا لأوديتهم قالوا:
 هذا عارض مصيبنا بالمطر، قال
 لهم هود: ليس الأمر كما ظننتم من
 أنه سحاب ممطر، بل هو العذاب
 الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب
 مؤلم.

﴿٢٥﴾ تدمر كل شيء مرت عليه مما
 أمرها الله بإهلاكه، فأصبحوا هلكى،
 لا يُرى إلا بيوتهم التي كانوا يسكنونها
 شاهدة على وجودهم فيها من قبل،
 مثل هذا الجزاء المؤلم نجزي
 المجرمين المصيرين على كفرهم
 ومعاصيهم.

﴿٢٦﴾ ولقد أعطينا قوم هود من
 أسباب التمكين ما لم نعطكم إياه،
 وجعلنا لهم أسماغا يسمعون بها،
 وأبصارًا يبصرون بها، وقلوبًا يعقلون بها،
 فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم عذاب الله
 لما جاءهم، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي خوَّفهم منه نبيهم هود.
 ﴿٢٧﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم - يا أهل مكة - من القرى، فقد أهلكنا عادًا وثمود وقوم لوط، وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحجج
 والبراهين؛ رجاء أن يرجعوا عن كفرهم.

﴿٢٨﴾ فها لا نصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله يتقربون إليها بالعبادة والذبح؟ لم تنصركم قطعا، بل غابت عنهم
 أحوج ما كانوا إليها، وذلك كذبيهم وافترأهم الذي متوا به أنفسهم أن هذه الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله.

﴿٢٩﴾ من قوائد الآيات،

- لا علم للرسل بالغيب إلا ما أطلعهم ربهم عليه منه.
- اغترار قوم هود حين ظنوا العذاب النازل بهم مطرًا، فلم يتوبوا قبل مباغتته لهم.
- قوة قوم عاد فوق قوة قريش، ومع ذلك أهلكهم الله.
- العاقل من يتعظ بغيره، والجاهل من يتعظ بنفسه.

﴿٢٩﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أرسلنا إليك فريقًا من الجن يستمعون القرآن المنزل عليك، فلما حضروا لسماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى نتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم ينذرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

﴿٣٠﴾ قالوا لهم: يا قومنا، إنا سمعنا كتابًا أنزله الله من بعد موسى مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله؛ هذا الكتاب الذي سمعناه يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، وهو طريق الإسلام.

﴿٣١﴾ يا قومنا، أجيئوا محمدًا إلى ما دعاكم إليه من الحق، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موجه ينتظركم إذا لم تجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الحق، ولم تؤمنوا أنه رسول من ربه. ﴿٣٢﴾ ومن لا يجب محمدًا ﷺ إلى ما يدعو إليه من الحق فلن يفوت الله بالهرب في الأرض، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

﴿٣٣﴾ أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض ولم يعجز عن خلقهن مع ضخامتهن واتساعهن قادر على أن يحيي الموتى للحساب والجزاء؟ بلى، إنه لقادر على إحيائهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء الموتى.

﴿٣٤﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وبرسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال توبيخًا لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه

من العذاب حقًا؟ أم أنه كذب كما كنتم تقولون في الدنيا؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله، ﴿٣٥﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك مثل ما صبر أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، ولا تستعجل لهم العذاب، كأن المكذبين من قومك يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار لم يكفروا بما كانوا يكرهون. هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ وكفاية للإنس والجن، فإنه لا يهلك إلا القوم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٣٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من حسن الأدب الاستماع إلى المتكلم والإنصات له.
- سرعة استجابة المهتدين من الجن إلى الحق رسالة ترغيب إلى الإنس.
- الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.
- الصبر خلق الأنبياء ﷺ.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

آيَاتُهَا
٣٨

رُتِبَ فِيهَا
٥٧

٥٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ❶ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ❷ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ❸ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَابِعُهُمْ فَمَا فَوْدًا ❹ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ ❺ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ❻ سِيَّئَةُ يَهُودِيٍّ
وَيُضْلِحُ بَالَهُمْ ❼ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا اللَّهُ ❺ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَصْرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ❻ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَعَسَى لَهُمْ وَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ❼ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ❽ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ❾ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ❿

٥٠٧

وانتصار بعضهم على بعض، هو حكم الله، ولو يشاء الله الانتصار من الكفار دون قتال لانتصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليختبر بعضهم ببعض، فيختبر من يقاتل من المؤمنين ومن لا يقاتل، ويختبر الكافر بالمؤمن، فإن قتل المؤمن دخل الجنة، وإن قتله المؤمن دخل هو النار، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم.

❶ سيوفقهم لاتباع الحق في حياتهم الدنيا، ويصلح شأنهم.
❷ ويدخلهم الجنة يوم القيامة، يبيها لهم بأوصافها في الدنيا ففرغوها، وعرفهم منازلهم فيها في الآخرة. ❸ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع لهم، إن تتصروا الله ينصر نبيه ودينه، وبقتال الكفار، ينصركم بمنحكم الغلبة عليهم، ويثبت أقدامكم في الحرب عند لقاءهم. ❹ والذين كفروا بالله وبرسوله فلهم الخسران والهلاك، وأبطال الله ثواب أعمالهم. ❺ ذلك العقاب الواقع بهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن لما فيه من توحيد الله، فأحبط الله أعمالهم، فخسروا في الدنيا والآخرة. ❻ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، فقد كانت نهاية مؤلمة، دمر الله عليهم مساكنهم، فأهلكهم وأهلك أولادهم وأموالهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال تلك العقوبات. ❼ ذلك الجزء المذكور للفريقين؛ لأن الله ناصر الذين آمنوا به، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

❸ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

❶ النكاية في العدو بالقتل وسيلة مُتَلَى لإخضاعه. ❷ المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر، يؤخذ منها ما يحقق المصلحة. ❸ عظم فضل الشهادة في سبيل الله، نصر الله للمؤمنين مشروط بنصرهم لدينه.

❶ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

❶ تحريض المؤمنين على القتال، تقوية لهم وتوحيها للكافرين.

❷ التفسير

❶ الذين كفروا بالله وصرفوا الناس عن دين الله، أبطل الله أعمالهم.

❷ والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، وآمنوا بما نزله الله على رسوله محمد ﷺ - وهو الحق من ربهم - كُفِّرَ عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية.

❸ ذلك الجزء المذكور للفريقين هو بسبب أن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فاختلف جزاؤهما لاختلاف سعيهما، كما بين الله حكمه في الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق النظر بالنظر.

❹ فإذا لقيتم - أيها المؤمنون - المحاربين من الذين كفروا فاضربوا رقابهم بسيوفكم، واستمروا في قتالهم حتى تكتثروا فيهم القتل، فتستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثرتم فيهم القتل فشددوا قيود الأسرى، فإذا أسرتهم فلكم الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة؛ بين المَنِّ عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفاداتهم بمال أو غيره، وأصلوا قتالهم وأسروهم حتى تنتهي الحرب بإسلام الكفار أو معاهدتهم. ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام

﴿١٢﴾ إن الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات، وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحات، جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا بالله وبرسوله يمتعون في الدنيا باتباع شهواتهم، ويأكلون كما تأكل الأنعام، لا هم لهم إلا بطونهم وفروجهم، والنار يوم القيامة هي مستقرهم الذي يأوون إليه.

﴿١٣﴾ وكم من قرية من قرى الأمم المتقدمة هي أشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً من مكة التي أخرجك أهلها منها، أهلكتهم لما كذبوا رسلهم، فلا ناصر لهم ينقذهم من عذاب الله لما جاءهم، فلا يعجزنا إهلاك أهل مكة إذا أردناه.

﴿١٤﴾ هل من كان له برهان بين وحجة واضحة من ربه، فهو يعبد على بصيرة، كمن زين له الشيطان سوء عمله، واتبعوا ما تمليه عليهم أهواؤهم من عبادة الأصنام وارتكاب الإثم، والتكذيب بالرسول؟

﴿١٥﴾ صفة الجنة التي وعد الله المتقين له - بامثال أوامره واجتناب نواهيها - أن يدخلهم فيها: فيها أنهار من ماء غير متغير ريحاً ولا طعماً لطول مكث، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر لذيدة للشاربين، وأنهار من عسل قد صفي من الشوائب، ولهم فيها من كل أنواع الثمرات ما يشاؤون، ولهم فوق ذلك كله محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزءه مع من هو مأك في النار لا يخرج منها أبداً، وسقوا ماءً شديد الحرارة، فقطع أمعاء بطونهم من

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفِنَا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

﴿١٢﴾ ومن المنافقين من يستمع إليك - أيها الرسول - سماعاً لا قبول معه، بل مع إعراض، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أعطاهم الله علماً: ماذا قال في حديثه قريباً؟ تجاهلاً منهم وإعراضاً، أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، واتبعوا أهواءهم فأعمتهم عن الحق.

﴿١٣﴾ والذين اهتدوا إلى طريق الحق، واتباع ما جاء به الرسول ﷺ، زادهم ربه هداية وتوفيقاً للخير، وألهمهم العمل بما يقيهم من النار.

﴿١٤﴾ فهل ينتظر الكفار إلا أن تأتيهم الساعة فجأة من غير سابق علم لهم بها؟ فقد جاءت علاماتها، ومنها بعثته ﷺ، وانشقاق القمر، فكيف لهم أن يتذكروا إذا جاءتهم الساعة؟

﴿١٥﴾ فأيقن - أيها الرسول - أنه لا معبود بحق غير الله، واطلب من الله المغفرة لذنوبك، واطلب المغفرة منه لذنوب المؤمنين وذنوب المؤمنات، والله يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم بليلكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

• من قوايد الآيات:

- اقتصار هم الكافر على التمتع في الدنيا بالمتع الزائلة. • المقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين تبين الفرق الشاسع بينهما: ليختار العاقل أن يكون مؤمناً، ويختار الأحمق أن يكون كافراً. • بيان سوء أدب المنافقين مع رسول الله ﷺ.
- العلم قبل القول والعمل.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
 طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِنشَاءُ أَنْ يَقُولَ لِقَوْمِهِمْ
 أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ
 فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ
 وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۚ فَاحْبَبْتَ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ۚ

٥٠٩

٢٠ ويقول الذين آمنوا بالله - متمنين أن ينزل الله على رسوله سورة تشتمل على حكم القتال - : هَلَا أُنْزِلَ اللَّهُ سورة فيها ذُكِرَ القتال، فإذا أنزل الله سورة محكمة في بيانها وأحكامها مشتملة على ذكر القتال، رأيت - أيها الرسول - الذين في قلوبهم شك من المنافقين ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فتوعدهم الله بأن عذابهم قد وُلِّهُم وقُرِبَ منهم بسبب النكوص عن القتال والخوف منه.

٢١ أن يطيعوا أمر الله، وأن يقولوا قولاً معروفاً لا نكر فيه خير لهم، فإذا فرض القتال وجدَّ الجدَّ، فلو صدقوا الله في إيمانهم به، وطاعتهم له لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أوامر الله.

٢٢ ويغلب على حالكم إن أعرضتم عن الإيمان بالله وطاعته أنكم تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أواصر الرحم؛ كما كانت حالكم في الجاهلية.

٢٣ أولئك المتصفون بالإفساد في الأرض وتقطع الأرحام هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصمَّ أذانهم عن سماع الحق سماع قبول واذعان، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار.

٢٤ فهَلَّا تدبر هؤلاء المُعْرِضُونَ القرآن وتأمّلوا ما فيه؟ فلو تدبروه لدلّهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شرٍّ، أم على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى؟

٢٥ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعد ما قامت عليهم الحجة، وتبيّن لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق وسهّل لهم ومناهم بطول الأمل.

٢٦ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل الله على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالتثبيط عن القتال. والله يعلم ما يسرونه ويخفون، لا يخفى عليه شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله ﷺ.

٢٧ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد.

٢٨ ذلك العذاب بسبب أنهم اتبعوا كل ما أغضب الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقرّبهم من ربهم، ويحلّ عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم.

٢٩ هل يظنّ الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها؟ ليخرجها بالابتلاء بالمحن؛ ليميز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويفتضح المنافق.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• التكليف بالجهد في سبيل الله يميّز المنافقين من صفّ المؤمنين.

• أهمية تدبر كتاب الله، وخطر الإعراض عنه.

• الإفساد في الأرض وقطع الأرحام من أسباب قلة التوفيق والبعد عن رحمة الله.

﴿٣٠﴾ ولو نشاء لأريناكمهم فاعرفتمهم ويسمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿٣١﴾ ولنبؤنكم حتى نعلم المجتهدين منكم والصبرين ونبؤا أخباركم ﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم ﴿٣٣﴾ *يأتينا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴿٣٥﴾ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴿٣٦﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم ﴿٣٧﴾ إن يسئلكموها فيحلفكم بخلوا ويخرج أضغانكم ﴿٣٨﴾ هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿٣٩﴾

الجزء الثاوي والعشرون

﴿٣٠﴾ ولو نشاء لأريناكمهم فاعرفتمهم ويسمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿٣١﴾ ولنبؤنكم حتى نعلم المجتهدين منكم والصبرين ونبؤا أخباركم ﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم ﴿٣٣﴾ *يأتينا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴿٣٥﴾ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴿٣٦﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم ﴿٣٧﴾ إن يسئلكموها فيحلفكم بخلوا ويخرج أضغانكم ﴿٣٨﴾ هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿٣٩﴾

﴿٣٠﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وصدوا عن دين الله بأنفسهم، وصدوا عنه غيرهم، وخالفوا رسوله وعادوه من بعد ما تبين أنه نبي - لن يضروا الله شيئا، وإنما يضررون أنفسهم، وسيبطل الله أعمالهم.

﴿٣١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول بأن تمتثلوا أمرهما، وتجتنبوا نهيهما، ولا تبطلوا أعمالكم بالكفر والرياء وغير ذلك.

﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا بالله، وصدفوا أنفسهم وصدفوا الناس عن دين الله، ثم ماتوا على كفرهم قبل التوبة - فلن يتجاوز الله عن ذنوبهم بسترها، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار خالدين فيها أبدا.

﴿٣٣﴾ فلا تضعفوا - أيها المؤمنون - عن مواجهة عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح قبل أن يدعوكم إليه، وأنتم القاهرون الغالبون لهم، والله معكم بنصره وتأييده، ولن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا، بل يزيدهم منّا منه وتقضلا.

﴿٣٤﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، فلا يشغل بها عاقل عن العمل لآخرته، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، يعطكم ثواب أعمالكم كاملا غير منقوص، ولا يطلب منكم أموالكم كلها، وإنما يطلب منكم الواجب من الزكاة، ﴿٣٥﴾ إن يطلب منكم جميع أموالكم ويلج في طلبها منكم، تبخلوا بها، ويخرج ما في قلوبكم من كراهية الإنفاق في سبيله، فترك طلبها منكم رفقا بكم.

﴿٣٦﴾ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا جزءا من أموالكم في سبيل الله، ولا يطلب منكم إنفاق أموالكم كلها، فمنكم من يمنع الإنفاق المطلوب بخلًا منه، ومن يبخل بإنفاق جزء من ماله في سبيل الله، فإنما يبخل في الواقع على نفسه: بحرمانها ثواب الإنفاق، والله الغني فلا يحتاج إلى إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه، وإن ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر يهلككم، ويأت بقوم غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، بل يكونون مطيعين له.

﴿٣٧﴾ من قوايد الآيات،

- سرائر المنافقين وخبيثهم يظهر على قسماات وجوههم وأسلوب كلامهم.
- الاختبار سنة إلهية لتمييز المؤمنين من المنافقين.
- تأييد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتشديد.
- من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۚ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۚ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
بِاللَّهِ ظَنَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۚ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِّرُوا وَتُسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ

٥١١

١٨ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تشير النبي والمؤمنين بالفتح والتمكين.

٢٩ التَّضْيِيرُ:

١ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ - أيها الرسول - فتْحًا مبينًا يصلح الحديبية.

٢ ليغفر لك الله ما تقدم قبل هذا الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده، ويكمل نعمته عليك بنصر دينك، ويهديك طريقًا مستقيمًا، لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام المستقيم.

٣ وينصرك الله على أعدائك نصرًا عزيزًا، لا يدفعه أحد.

٤ الله هو الذي أنزل الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا على إيمانهم، ولله وحده جنود السماوات والأرض، يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عليهم بمصالح عبادته، حكمًا فيما يجريه من نصر وتأييد.

٥ ليدخل المؤمنين بالله وبرسوله والمؤمنات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ويمحو عنهم سيئاتهم، فلا يؤاخذهم بها، وكان ذلك المذكور - من نيل المطلوب وهو الجنة، وإبعاد المرهوب وهو المؤاخذه بالسيئات - عند الله فوزًا عظيمًا لا يدانيه فوز.

٦ ويعذب المنافقين والمنافقات، ويعذب المشركين بالله والمشركات، الظالمين بالله أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، فعادت دائرة العذاب عليهم، وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وظنهم السيئ، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة جهنم مصيرًا يجمعون إليه.

٧ ولله جنود السماوات والأرض يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عزيزًا لا يغالبه أحد، حكمًا في خلقه وتقديره وتديره.

٨ إِنَّا بَعَثْنَاكَ - أيها الرسول - شاهدًا تشهد على أمتك يوم القيامة، ومبشرًا للمؤمنين بما أعد لهم في الدنيا من النصر والتمكين، وبما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ومخوفًا للكافرين بما أعد لهم في الدنيا من الذلة والهزيمة على أيدي المؤمنين، وبما أعد في الآخرة من العذاب الأليم الذي ينتظرهم.

٩ رجاء أن تؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظموا رسوله وتجلوه، وتسبحوا الله أول النهار وآخره.

١٠ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

١ صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين.

٢ السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات.

٣ خطر ظن السوء بالله، فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه.

٤ وجوب تعظيم وتوقير رسول الله ﷺ.

﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ - أيها الرسول - بيعة الرضوان على قتال المشركين من أهل مكة، إنما يبايعون الله؛ لأنه هو الذي أمرهم بقتال المشركين، وهو الذي يجازيهم، يد الله فوق أيديهم عند البيعة، وهو مطلع عليهم لا يخفى عليه منهم شيء، فمن نقض بيعته، ولم يَفْ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله من نصرة دينه، فإنما ضرر نقضه لبيعته ونقضه لعهد، عائد عليه، فالله لا يضره ذلك، ومن أوفى بما عاهد عليه الله من نصرة دينه، فسيعطيه جزاءً عظيمًا وهو الجنة.

﴿١١﴾ سَيَقُولُ لَكَ - أيها الرسول - الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْرَابِ عِنْدَ مَرَاقَتِكَ فِي سَفَرِكَ إِلَى مَكَّةَ إِذَا عَابَتِهِمْ: شَغَلْنَا رِعَايَةَ أَمْوَالِنَا وَرِعَايَةَ أَوْلَادِنَا عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ، فَاطْلُبْ لَنَا الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ لَدُنُونَا، يَقُولُونَ بَأْسَنَتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طَلَبِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ: لَأَنَّهُمْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا، بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَهْمَا أَخْفَيْتُمُوهَا.

﴿١٢﴾ لَيْسَ مَا اعْتَذَرْتُمْ بِهِ مِنَ الانشغال برعاية الأموال والأولاد سَبَبَ تخلفكم عن المسير معه، بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ الرُّسُولَ وَأَصْحَابَهُ سَيَهْلِكُونَ جَمِيعًا، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَيِّئًا بِرَبِّكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهٖ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا هَلَكُوا بِسَبَبِ مَا أَقْدَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمِ السُّوءِ بِاللَّهِ وَالتَّخَلُّفِ عَنْ رَسُولِهِ.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَسْوِئْتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْظُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا هَازِرُونَ أَتَنْتَبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

٥١٢

﴿١٣﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَعْدَدْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ نَارًا مُسْتَعْرَةً يَعَذِّبُونَ فِيهَا. ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِعَذَابِهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لَذُنُوبِ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِمْ.

﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ: إِذَا انْطَلَقْتُمْ - أيها المؤمنون - إِلَى غَنَائِمِ خَيْبَرَ الَّتِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ لِتَأْخُذُوهَا - أَتَرْكُونَا نَخْرُجُ مَعَكُمْ لِنَصِيبِ مِنْهَا؛ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا بِطَلَبِهِمْ هَذَا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ وَحْدَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ، قُلْ لَهُمْ - أيها الرسول -: لَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَى تِلْكَ الْغَنَائِمِ، فَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ أَنْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ خَاصَةٌ بِمَنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ، فَسَيَقُولُونَ: مَنْعَكُمْ لَنَا مِنْ اتِّبَاعِكُمْ إِلَى خَيْبَرَ لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ، بَلْ بِسَبَبِ حَسَدِكُمْ لَنَا، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ، بَلْ هُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ إِلَّا قَلِيلًا؛ لِذَلِكَ وَقَعُوا فِي مَعْصِيَتِهِ.

﴿١٦﴾ مِنْ قَوْلِهِ الْأَيَّاتِ:

- مكانة بيعة الرضوان عند الله عظمية، وأهلها من خير الناس على وجه الأرض.
- سوء الظن بالله من أسباب الوقوع في المعصية وقد يوصل إلى الكفر.
- ضعاف الإيمان قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - للذين تخلفوا من الأعراب عن المسير معك إلى مكة مختبئاً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس قوي في القتال، تقاوتونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن طيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تتولوا عن طاعته - كتوليكم عنها حين تخلفتم عن السير معه إلى مكة - يعذبكم عذاباً موجعاً.

﴿١٧﴾ ليس على المعذور بعقوبة أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله ويطع رسوله يدخله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ومن يعرض عن طاعتهما يعذبه الله عذاباً موجعاً.

﴿١٨﴾ لقد رضي الله عن المؤمنين وهم يبايعونك في الحديبية بيعة الرضوان تحت الشجرة، فلم ما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والصدق، فأنزل الطمأنينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك فتحاً قريباً هو فتح خيبر؛ تعويضاً لهم عما فاتهم من دخول مكة.

﴿١٩﴾ وأعطاهم مغنم كثيرة يأخذونها من أهل خيبر، وكان الله عزيزاً لا يغالبه أحد، حكيماً في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٢٠﴾ وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغنم كثيرة تأخذونها في الفتوحات الإسلامية في المستقبل، فعجل لكم مغنم خيبر، ومنع أيدي اليهود لئلا هموا أن يصيبوا عيالكم بعدكم، ولتكون هذه المغنم المعجلة علامة لكم على نصر الله وتأييده لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٢١﴾ وعدكم الله مغنم أخرى لم تقدروا عليها في هذا الوقت، والله وحده هو القادر عليها، وهي في علمه وتدبيره، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٢٢﴾ ولوقالتكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربيون منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٢٣﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله في الأمم التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٢٤﴾ من قوايد الآيات:

- إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد - مثل الفتوح الإسلامية - دليل قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله.
- تقوم أحكام الشريعة على الرفق واليسر.
- جزاء أهل بيعة الرضوان منه ما هو معجل، ومنه ما هو مدخر لهم في الآخرة.
- غلبة الحق وأهله على الباطل وأهله سنة إلهية.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ وهو الذي منع أيدي المشركين عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلاً منهم يريدون إصابتكم بسوء بالحديدية، وكف أيديكم عنهم فلم تقتلوهم ولم تؤذوهم، بل أطلقتم سراحهم بعد أن أقذركم على أشرهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿٢٥﴾ هم الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوكم عن المسجد الحرام، ومنعوا الهدي فبقي محبوساً عن الوصول إلى الحرم محل ذبحه، ولولا وجود رجال مؤمنين بالله ونساء مؤمنات به لا تعرفونهم أن تقتلوهم مع الكفار، فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم منكم؛ لأذن لكم في فتح مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء مثل المؤمنين في مكة، لو تميز الذين كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا الذين كفروا بالله وبرسوله عذاباً موجعاً.

﴿٢٦﴾ إذ جعل الذين كفروا بالله ورسوله في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية التي لا ترتبط بإحقاق الحق وإنما ترتبط بالهوى، فأنفوا من دخول رسول الله ﷺ عليهم عام الحديدية؛ خوفاً من تعبيرهم بأنه غلبهم عليها، فأنزل الله الطمانينة من عنده على رسوله وأنزلها على المؤمنين، فلم يؤذ بهم الغضب إلى مقابلة المشركين بمثل فعلهم، وألزم الله المؤمنين كلمة الحق وهي لا إله إلا الله، وأن يقوموا بحققها فقاموا به، وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من غيرهم، وكانوا أهلها المستأهلين لها لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٥١٤

عليماً، لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٧﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه، وهي أنه هو وأصحابه يدخلون بيت الله الحرام آمنين من عدوهم، منهم المحلّقون رؤوسهم، ومنهم المقصّرون إيذاً بنهاية النّسك، فعلم الله من مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السّنة فتحاً قريباً، وهو ما أجراه الله من صلح الحديبية، وما تبعه من فتح خيبر على أيدي المؤمنين الذين حضروا الحديبية.

﴿٢٨﴾ الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق الذي هو دين الإسلام؛ ليعليه على الأديان المخالفة له كلها، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهداً.

﴿٢٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْأَيَّاتِ:

- الصّد عن سبيل الله جريمة يستحق أصحابها العذاب الأليم.
- تدبير الله لمصالح عباده فوق مستوى علمهم المحدود.
- التحذير من استبدال رابطة الدين بحمية النسب أو الجاهلية.
- ظهور دين الإسلام سُنّة ووعد إلهي تحقّق.

﴿٢٩﴾ محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه، أشدّاء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادّون، تراهم - أيها الناظر - رُكعاً سُجّداً لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب الكريم، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود ما يظهر من الهدى والسمت ونور الصلاة في وجوههم، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة الكتاب المنزل على موسى ﷺ، وأما مثلهم في الإنجيل الكتاب المنزل على عيسى ﷺ فهو أنهم في تعاونهم وكما لهم كزرع أخرج صفارهم، فتقوى فنلظ فاستوى على سيقانه، يعجب الزّراع قوته وكماله؛ ليغبط بهم الله الكفار لما يرونه فيهم من القوة والتماسك والكمال، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات من الصحابة مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذون بها، وثواباً عظيماً من عنده وهو الجنة.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَدِينَةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

معالجة اللسان وبيان أثره على إيمان الفرد وأخلاق المجتمع.

• التَّشْيِيرُ:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدّبوا مع رسوله، ولا تجعلوا أصواتكم تعلو على صوت النبي ﷺ عند مخاطبته، ولا تعلنوا له باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً، بل نادوه بالنبوة والرسالة بخطاب لين؛ خوف أن يبطّل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسّون ببطلان ثوابها.

﴿٣﴾ إن الذين يخفّضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقوا، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.

﴿٤﴾ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء حجرات نسائك معظمهم لا يعقلون.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- تشرع الرحمة مع المؤمن، والشدة مع الكافر المعارب.
- التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.
- من يجد في قلبه كرهاً للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.
- وجوب التأدّب مع رسول الله ﷺ، ومع سنّته، ومع ورثته (العلماء).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

آيَاتُهَا ١٨

تَرْبِيَّتُهَا ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٥١٥

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدّبوا مع رسوله، ولا تجعلوا أصواتكم تعلو على صوت النبي ﷺ عند مخاطبته، ولا تعلنوا له باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً، بل نادوه بالنبوة والرسالة بخطاب لين؛ خوف أن يبطّل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسّون ببطلان ثوابها.

﴿٢﴾ إن الذين يخفّضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقوا، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.

﴿٤﴾ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء حجرات نسائك معظمهم لا يعقلون.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ:

- تشرع الرحمة مع المؤمن، والشدة مع الكافر المعارب.
- التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.
- من يجد في قلبه كرهاً للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.
- وجوب التأدّب مع رسول الله ﷺ، ومع سنّته، ومع ورثته (العلماء).

﴿٥﴾ ولو أن هؤلاء الذين ينادونك - أيها الرسول - من وراء حجرات نسائك، صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم، فيخاطبوك مخفوضة أصواتهم؛ لكان ذلك خيراً لهم من ندائك من وراءها؛ لما فيه من التوقير والتعظيم، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، وغفور لهم لجهلهم، رحيم بهم.

﴿٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بغيره، فاستبشروا، فتبينوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوف أن تصيبوا - إذا صدقتم خبره دون تثبت - قومًا بجناية وأنتم جاهلون حقيقة أمرهم، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.

﴿٧﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكذبكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعتم في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبيب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فأمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

﴿٨﴾ وما حصل لكم - من تحسين الخير في قلوبكم، وتكريه الشر - إنما هو فضل من الله، تفضل به عليكم، ونعمة أنعمها عليكم، والله عليم بمن يشكره من عباده فيوقفه، وحكيم إذ يضع كل شيء في محله المناسب له.

﴿٩﴾ وإن فرقان من المؤمنين قتالنا فأصلحوا - أيها المؤمنون - بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن آيت إحداهما الصلح واعتدت فقاتلوا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله فأصلحوا بينهما بالعدل والإتصاف، واعدلوا في حكمكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم.

﴿١٠﴾ إنما المؤمنون إخوة في الإسلام، والأخوة في الإسلام تقتضي أن تصلحوا - أيها المؤمنون - بين أخويكم المتنازعين، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ رجاء أن ترحموا.

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، والعبرة بما عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله، ولا تمعبوا إخوانكم فهم بمنزلة أنفسكم، ولا يغير بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، كما كان حال بعض الأنصار قبل مجيء رسول الله ﷺ، ومن فعل ذلك منكم فهو فاسق، بثست الصفة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب ما فعلوه من المعاصي.

﴿١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب التثبت من صحة الأخبار، خاصة التي ينقلها من يُتهم بالفسق.

• وجوب الإصلاح بين من يتقاتل من المسلمين، ومشروعية قتال الطائفة التي تصر على الاعتداء وترفض الصلح.

• من حقوق الأخوة الإيمانية: الصلح بين المتنازعين والبعد عما يجرح المشاعر من السخرية والعيب والتنازير بالأنقاب.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ، ابْتَعِدُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّهْمِ الَّتِي لَا تَسْتَدِلُّ بِهَا بُحُوثُهَا مِنْ أَسْبَابِ الظَّنِّ وَقَرَّائِنِ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، كَسُوءِ الظَّنِّ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يَذْكُرْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ مِثْلُ أَكْلِ لَحْمِهِ مِثْلًا، أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِثْلًا؟ فَافْكُرُوا اغْتِيَابَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَبِيكُمْ أَدَمَ، وَأَنْثَى وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُمُّكُمْ حَوَاءُ، فَتَسْبِكُكُمْ وَاحِدَةً، فَلَا يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي النِّسْبِ، وَصَيَّرْنَاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ شُعُوبًا كَثِيرَةً وَقِبَالًا مُمْتَدَّةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا لِيَفْخَرَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ التَّمَايِزَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، لِذَا قَالَ: إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِمَا تَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالٍ وَنَقْصٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿١٤﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. قُلْ لَهُمْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَمْ تَوْمِنُوا، وَلَكِنْ قُولُوا: اسْتَسْلَمْنَا وَانْقَدْنَا، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ بَعْدَ، وَيُتَوَقَّعُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا، وَإِنْ طَاعُوا - يَا أَيُّهَا الْأَعْرَابُ - اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحْرَمَاتِ، لَا يَنْقُصَكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخْلُطْ إِيْمَانُهُمْ شَيْءٌ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَخْلُطُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ: اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ، وَتَشْعُرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ بِإِيْمَانِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ بِإِسْلَامِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِدُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَفَنَعِ ذَلِكَ - إِنْ حَصَلَ - عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ فَتَحَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْتُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى حَسَنَتِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

● سَوَاءُ الظَّنِّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَيَجُوزُ الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ بِسَوَاءِ الظَّنِّ بِهِمْ.

● وَاحِدَةُ أَصْلُ بَنِي الْبَشَرِ تَقْتَضِي نَبْذَ التَّمَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ.

● الْإِيمَانُ لَيْسَ مَجْرَدُ تَطَلُّقٍ لَا يُوَافِقُهُ اعْتِقَادُ، بَلْ هُوَ اعْتِقَادُ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

● هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهِيَ فَضْلٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لَيْسَتْ حَقًّا لِأَحَدٍ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخْلُطْ إِيْمَانُهُمْ شَيْءٌ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَخْلُطُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ: اتَّعَلَّمُونَ اللَّهَ، وَتَشْعُرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ بِإِيْمَانِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ بِإِسْلَامِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِدُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَفَنَعِ ذَلِكَ - إِنْ حَصَلَ - عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ فَتَحَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْتُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى حَسَنَتِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَمْ دَامْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ
حَفِیْظٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ ٥
أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ ٧ تَبَصَّرْ وَذَكَرْ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُنِيبٍ ٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدَرًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠ رِزْقًا
لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ
لُوطٍ ١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرَّسْلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥

١٨ ٥١٨

والأرض بسطناها صالحة للسكنى عليها، وألقينا فيها جبالاً ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من النبات والشجر حسن المنظر.

١ خلقنا ذلك كله ليكون تبصرة وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة.

٢ ونزلنا من السماء ماءً كثير النفع والخير، فأنبطنا بذلك الماء بساتين، وأنبتنا ما تحصونه من حب الشعير وغيره.

٣ وأنبتنا به النخل طولاً عاليات، لها طلع مترآكب بعضه فوق بعض. ٤ أنبتنا ما أنبتنا من ذلك رزقاً للعباد يأكلون منه، وأحيينا به بلدة لا نبات فيها، كما أحيينا بهذا المطر بلدة لا نبات فيها نحوي الموتى. فيخرجون أحياء. ٥ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بك - أيها الرسول - أقوام بأنبيائهم، فكذبت قوم نوح وأصحاب البشر، وكذبت ثمود. ٦ وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط. ٧ وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة وقوم تبّع ملك اليمن، كل هؤلاء الأقوام كذبوا رسل الله الذين أرسلهم، فنبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب. ٨ أفعجزنا عن خلقكم أول مرة حتى نعجز عن بعثكم؟ بل هم في حيرة من خلق جديد بعد خلقهم الأول.

٩ من قواريء الآيات:

● المشركون يستعظمون النبوة على البشر، ويمنحون صفة الألوهية للحجر! ● خلق السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر، وإنبات الأرض القاحلة، والخلق الأول: كلها أدلة على البعث. ● التكذيب بالرسالة عادة الأمم السابقة، وعقاب المكذبين سنة إلهية.

﴿١٦﴾ ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما
تحدث به نفسه من خواطر وأفكار،
ونحن أقرب إليه من العرق الموجود
في العنق المتصل بالقلب.

﴿١٧﴾ إذ يلتقي الملكان المتلقيان
عمله، أحدهما قعيد عن يمينه، والثاني
قعيد عن شماله.

﴿١٨﴾ ما يقول من قول إلا لديه ملك
رقيب على ما يقوله حاضر.

﴿١٩﴾ وجاءت شدة الموت بالحق
الذي لا مهرب منه، ذلك ما كنت -أيها
الإنسان الغافل- تتأخر عنه، وتقر.

﴿٢٠﴾ ونفخ الملك الموكل بالنفخ
في القرن النفخة الثانية، ذلك يوم
القيامة، يوم الوعيد للكفار والعصاة
بالعذاب.

﴿٢١﴾ وجاءت كل نفس معها ملك
يسوقها، وملك يشهد عليها بأعمالها.

﴿٢٢﴾ ويقال لهذا الإنسان المسوق:
لقد كنت في الدنيا في غفلة عن

هذا اليوم بسبب اغترارك بشهواتك
ولذاتك، فكشفنا عنك غفلاتك بما
تعاينه من العذاب والكرب، فبصرك
اليوم حاد تدرك به ما كنت في غفلة
عنه.

﴿٢٣﴾ وقال قرينه الموكل به من
الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر
دون نقص ولا زيادة.

﴿٢٤﴾ ويقول الله للملكين السابق
والشاهد: ألقيا في جهنم كل كفور
للحق، معاند له.

﴿٢٥﴾ كثير المنع لما أوجب الله عليه
من حق، متجاوز لحدود الله، شاك
فيما يخبر به من وعد أو وعيد.

﴿٢٦﴾ الذي جعل مع الله معبوداً آخر
يشركه معه في العبادة، فأنقياه في
العذاب الشديد.

﴿٢٧﴾ قال قرينه من الشياطين متبرئاً منه: ربنا ما أضللت، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق.

﴿٢٨﴾ قال الله: لا تختصموا لدي، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا ما جاءت به رسلي من الوعيد الشديد لمن كفر بي
وعصاني.

﴿٢٩﴾ ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزيمهم بما عملوا.

﴿٣٠﴾ يوم نقول لجهنم: هل امتلأت وتقول هل من مزيد؟ طلباً للزيادة: غضباً لربها.
ولما ذكر الله الوعيد الشديد للكفار ذكر ما أعدّه لعباده المؤمنين فقال: ﴿٣١﴾ وقُرِيت الجنة للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب
نواهيه، فشاهدوا ما فيها من النعيم غير بعيد منهم. ﴿٣٢﴾ ويقال لهم: هذا ما وعدكم الله لكل رجاوع إلى ربه بالتوبة، حافظ لما ألزمه
ربه به. ﴿٣٣﴾ من خاف الله بالسر حيث لا يراه إلا الله، ولقي الله بقلب سليم مقبل على الله، كثير الرجوع إليه. ﴿٣٤﴾ ويقال لهم: ادخلوا
الجنة دخولاً مصحوباً بالسلامة مما تكرهون، ذلك يوم البقاء الذي لا فناء بعده. ﴿٣٥﴾ لهم ما يشاؤون فيها من النعيم الذي لا ينفد،
ولدينا مزيد من النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه.

﴿٣٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● علم الله بما يخطر في النفوس من خير وشر. ● خطورة الغفلة عن الدار الآخرة. ● ثبوت صفة العدل لله تعالى.

﴿٣٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها
قبل هؤلاء المشركين المكذِبين
من أهل مكة، كانوا أشد منهم قوة،
ففتشوا في البلاد لعلهم يجدون مهرباً
من العذاب فلم يجدوه.

﴿٣٧﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك
الأمم السابقة لتذكيراً وموعظة لمن
كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه
حاضر القلب، غير غافل.

﴿٣٨﴾ ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا
الأرض، وما بين السماوات والأرض؛
في ستة أيام مع قدرتنا على خلقها في
لحظة، وما أصابنا من تعب كما تقول
اليهود.

﴿٣٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على
ما يقوله اليهود وغيرهم، وصلِّ لربك
حامداً إياه صلاة الفجر قبل طلوع
الشمس، وصلِّ العصر قبل غروبها.
﴿٤٠﴾ ومن الليل فصلِّ له، وسبحه
بعد الصلوات.

﴿٤١﴾ واستمع - أيها الرسول - يوم
ينادي الملك الموكل بالنفخ في الصور
النفخة الثانية، من مكان قريب.

﴿٤٢﴾ يوم يسمع الخلائق صيحة
البعث بالحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه، ذلك
اليوم الذي يسمعونها فيه هو يوم
خروج الأموات من قبورهم للحساب
والجزاء. ﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيي ونميت،
ولا محيي غيرنا ولا نميت، وإلينا
وجدنا رجوع العباد يوم القيامة
لحساب والجزاء. ﴿٤٤﴾ يوم تشقق
عنهم الأرض فيخرجون مسرعين،
ذلك حشر علينا سهل. ﴿٤٥﴾ نحن
أعلم بما يقوله هؤلاء المكذِبون، وما
أنت - أيها الرسول - بمسلِّط عليهم
فتجبرهم على الإيمان، وإنما أنت مبلغ
ما أمرك الله بتبليغه، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي للكافرين والعصاة؛ لأن الخائف هو الذي يتعظ، ويتذكر إذا دُكر.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنَ الْغُوبِ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَاتِ ﴿٥١﴾ رُتِبَ فِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْدَارِيتِ ذُرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٥٢٠

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَاتِ
— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّورَةِ:

تعريف الجن والإنس بأن مصدر رزقهم من الله وحده؛ ليخلصوا له العبادة.

• التفسير:

﴿١﴾ يقسم الله بالرياح التي تذر التراب. ﴿٢﴾ وبالسُّحب التي تحمل الماء الغزير. ﴿٣﴾ وبالسفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر. ﴿٤﴾ وبالملائكة التي تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمور العباد. ﴿٥﴾ إن ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لَحَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فيه. ﴿٦﴾ وإن حساب العباد لواقع يوم القيامة لا محالة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الاعتبار بوقائع التاريخ من شأن ذوي القلوب الواعية. • خلق الله الكون في ستة أيام لإحکم يعلمها الله، لعل منها بيان سُنَّة التدرج. • سوء أدب اليهود في وصفهم الله تعالى بالتعب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا كفر بالله.

٧) ويقسم الله بالسماء الحسنة الخلق ذات الطرق.

٨) إنكم - يا أهل مكة - لفي قول متناقض متضارب، تارة تقولون: القرآن سحر، وتارة شعر، وتقولون: محمد ساحر تارة، وتارة شاعر.

٩) يُصْرِفُ عن الإيمان بالقرآن وبالنبى ﷺ من صُرف عنه في علم الله؛ لعلمه أنه لا يؤمن، فلا يوفق للهداية.

١٠) لعن هؤلاء الكذابين الذين قالوا في القرآن وفي نبیهم ما قالوا.

١١) الذين هم في جهل غافلون عن الدار الآخرة، لا يبالون بها.

١٢) يسألون: متى يوم الجزاء؟ وهم لا يعملون له.

١٣) فيجيبهم الله عن سؤالهم: يوم هم على النار يعذبون.

١٤) يقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الذي كنتم تسألون تعجيله عندما تنذرون به؛ استهزاء.

١٥) إن المتقين لربهم بامثال أوامرهم، واجتتاب نواهيهم يوم القيامة في بساتين وعبون جارية.

١٦) أخذين ما أعطاهم ربهم من الجزاء الكريم، إنهم كانوا قبل هذا الجزاء الكريم محسنين في الدنيا.

١٧) كانوا يصلون من الليل، لا ينامون إلا زمناً قليلاً.

١٨) وفي وقت الأسحار يطلبون المغفرة من الله لذنوبهم.

١٩) وفي أموالهم حق - يتطوعون به - للسائل من الناس، وللذي لا يسألهم، ممن حرم الرزق لأي سبب كان.

٢٠) وفي الأرض وما وضع الله فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان.

٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - دلالات على قدرة الله، أفلا تبصرون لتعبروا؟

٢٢) وفي السماء رزقكم الدينوي والديني، وفيها ما توعدون من خير أو شر.

٢٣) هورب السماء والأرض إن البعث لحق لا شك فيه، كما أنه لا شك في نطقكم حين تطلقون.

٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيوف إبراهيم عليه السلام، حين دخلوا عليه فقالوا له: سلاماً، قال إبراهيم رداً عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم.

٢٥) فقال إلى أهله خيفة، فجاء من عندهم بعجل كامل سمين؛ فلما لم يأكلوا أضمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وأخبروه بما يسره من أنه يولد له غلام له علم كثير، والمبشر به هو إسحاق.

٢٦) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت متعجبة: أتلد عجوز، وهي في الأصل عقيم!

٢٧) قال لها الملائكة: ما أخبرناك به قاله ربك، وما قاله لا راد له؛ إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّتخِلِفٍ ٨ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفَّاكَ ٩ قُتِلَ الْخَرَّصُونَ ١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥ آخِذِينَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْأَيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَإِلَّا لَأَسْحَارَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ٢٣ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ٢٥ فَرَأَوْهُمُ آهْلِيهِ فُجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ٢٦ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَليمٍ ٢٨ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَليمُ ٣٠

من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان، دلالات على قدرة الله للموقنين أن الله هو الخالق المصور.

٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - دلالات على قدرة الله، أفلا تبصرون لتعبروا؟

٢٢) وفي السماء رزقكم الدينوي والديني، وفيها ما توعدون من خير أو شر.

٢٣) هورب السماء والأرض إن البعث لحق لا شك فيه، كما أنه لا شك في نطقكم حين تطلقون. ٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيوف إبراهيم عليه السلام، حين دخلوا عليه فقالوا له: سلاماً، قال إبراهيم رداً عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم.

٢٥) فقال إلى أهله خيفة، فجاء من عندهم بعجل كامل سمين؛ فلما لم يأكلوا أضمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وأخبروه بما يسره من أنه يولد له غلام له علم كثير، والمبشر به هو إسحاق. ٢٦) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت متعجبة: أتلد عجوز، وهي في الأصل عقيم!

٢٧) قال لها الملائكة: ما أخبرناك به قاله ربك، وما قاله لا راد له؛ إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

● إحسان العمل وإخلاصه لله سبب لدخول الجنة. ● فضل قيام الليل وأنه من أفضل القربات. ● من آداب الضيافة: رد التحية بأحسن منها، وتحضير المائدة خفية، والاستعداد للضيوف قبل نزولهم، وعدم استثناء شيء من المائدة، والإشراف على تحضيرها، والإسراع بها، وتقريبها للضيوف، وخطابهم برفق.

﴿٢١﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٢٤﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٨﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَقَتَلَ بِرُكْنِهِ وَكَانَ سَحِرًا مَّجْنُونًا ﴿٣٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٢﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ﴿٣٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٣٩﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾

٥٢٢

﴿٢١﴾ قال إبراهيم ﷺ للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تصدونه؟
﴿٢٢﴾ قال الملائكة جواباً له: إنا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يركبون قبائح الذنوب.
﴿٢٣﴾ لنبعث عليهم حجارة من طين متصّلب.
﴿٢٤﴾ معلّمة عند ربك - يا إبراهيم - تُبَيِّنُ على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.
﴿٢٥﴾ فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصيب المجرمين من العذاب.
﴿٢٦﴾ فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط ﷺ.
﴿٢٧﴾ وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدل على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجع الذي أصابهم، فلا يعمل بملهم لينجو منه.
﴿٢٨﴾ وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالحجج الواضحة، آية لمن يخاف العذاب الموجع.
﴿٢٩﴾ فأعرض فرعون معتدّاً بقوته وجنده عن الحق، وقال عن موسى ﷺ: هو ساحر يسحر الناس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.
﴿٣٠﴾ فأخذناه هو وجنوده كلهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا، وفرعون أت بما يلام عليه من التكذيب وادعاء أنه إله.
﴿٣١﴾ وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجع حين بعثنا عليهم الريح التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً، ولا بركة فيها.

﴿٤٣﴾ ما تترك من نفس أو مال أو غيرهما أتت عليه إلا دمرته، وتركته كالباقي المتفتت.

﴿٤٤﴾ وفي ثمود قوم صالح ﷺ آية لمن يخاف العذاب الموجع حين قيل لهم: استمعوا بحياتكم قبل انقضاء آجالكم.

﴿٤٥﴾ فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكباراً على الإيمان والطاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام.

﴿٤٦﴾ فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يستمعون بها.

﴿٤٧﴾ وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.

﴿٤٨﴾ والسماء بنيانها، وأتقناً بناءها بقوة، وإنا لموسعون لأطرافها.

﴿٤٩﴾ والأرض جعلناها ممهدة للساكنين عليها كالفرش لهم، فنعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم.

﴿٥٠﴾ ومن كل شيء خلقنا صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والبحر واليابس؛ لعلكم تتذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين، وتتذكرون قدرته. ﴿٥١﴾ ففروا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة. ﴿٥٢﴾ ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بين النذارة.

﴿٥٣﴾ من قوياً الآيات، • الإيمان أعلى درجة من الإسلام. • إهلاك الله للأمم المكذبة درس للناس جميعاً، • الخوف من الله يقتضي الفرار إليه سبحانه بالعمل الصالح، وليس الفرار منه.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٤﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٥﴾ فَوَلَّى عَنْهُمْ فَلَمَّا أَنْتَبَهُمْ بِمَلُومٍ ﴿٥٦﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنَفَّعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٨﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٦١﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ الطُّورِ

آياتها ١٩

نزلتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ لِيَوْمٍ يَكْفِي لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

﴿٥٤﴾ مثل ذلك التّكذيب الذي كذب به أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلا قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون. ﴿٥٥﴾ أتواصوا به - أيها الرسول - عن هؤلاء المكذبين، فما أنت بملوم، فقد بلغتهم ما أرسلت به إليهم. ﴿٥٦﴾ ولا يمنعك إعراضك عنهم من وعظهم، وتذكيرهم، فعظهم وذكّرهم، فإن التذكير ينفع أهل الإيمان بالله. ﴿٥٧﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكاً. ﴿٥٨﴾ ما أريد منهم رزقاً، ولا أريد منهم أن يطعموني. ﴿٥٩﴾ إن الله هو الرزاق لعباده، فالجميع محتاجون إلى رزقه، ذو القوة المتين الذي لا يغلبه شيء، وجميع الجن والإنس خاضعون لقوته سبحانه. ﴿٦٠﴾ فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيها الرسول - نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله. ﴿٦١﴾ فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذبوا رسولهم من يوم القيامة الذي يوعدون فيه بإنزال العذاب عليهم.

سُورَةُ الطُّورِ

مكية

• مِنْ قَاصِدِ السُّورَةِ:

الحجج والبراهين لرد شبهات المكذبين للنبي ﷺ.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالجبل الذي كلم عليه موسى ﷺ.

﴿٢﴾ وأقسم بالكتاب الذي هو مسطّر.

﴿٣﴾ في ورق ميسوط مفتوح كالكتب المنزلة. ﴿٤﴾ وأقسم بالبيت الذي تعمده الملائكة في السماء لعبادة الله.

﴿٥﴾ وأقسم بالسماء المرفوعة التي هي سقف الأرض. ﴿٦﴾ وأقسم بالبحر المملوء ماء.

﴿٧﴾ إن عذاب ربك - أيها الرسول - لواقع لا محالة على الكافرين. ﴿٨﴾ ليس له من دافع يدفعه عنهم، ويمنعهم من وقوعه بهم.

﴿٩﴾ يوم تتحرك السماء تحركاً، وتضطرب إيماناً بالقيامة. ﴿١٠﴾ وتسير الجبال من مواقعها سيراً.

﴿١١﴾ فهلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين بما وعد الله الكافرين به من العذاب. ﴿١٢﴾ الذين هم في خوض في الباطل يلعبون، لا يبالون ببعث ولا نشور.

﴿١٣﴾ يوم يدفعون بشدة وعنف إلى نار جهنم دفْعاً. ﴿١٤﴾ ويقال توبيخاً لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون عندما تخوفكم رسلكم منها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكفر ملة واحدة وإن اختلفت وسائله وتنوع أهله ومكانه وزمانه. • شهادة الله لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة. • الحكمة من خلق الجن والإنس تحقيق عبادة الله بكل مظاهرها. • سوف تتغير أحوال الكون يوم القيامة.

١٥ أفسح هذا الذي عاينتموه من العذاب! أم أنتم لا تعاقبون؟

١٦ ذوقوا حر هذه النار وعانوها، فاصبروا على معاناة حرها، أو لا تصبروا عليه، سواء صبركم وعدم صبركم، لا تجزون اليوم إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي. ولما ذكر الله جزاء المكذبين، ذكر جزاء المصدقين المتقين، فقال:

١٧ إن المتقين لربهم - بامثال أوامرهم، واجتناب نواهيهم - في جنات ونعيم عظيم لا ينقطع.

١٨ يتكفون بما أعطاهم الله من لذات المأكول والمشرب والمنكح، ووقاهم ربهم سبحانه عذاب الجحيم؛ ففازوا بحصول مطلوبهم من الميزات، وبوقايتهم من المكدرات.

١٩ ويقال لهم: كلوا واشربوا مما اشتته أنفسكم، هنيئاً، لا تخافون؛ ضرراً ولا أذى مما تأكلون أو تشربون؛ جزاء لكم على أعمالكم الطيبة في الدنيا.

٢٠ متكون على الأرائك المزينة قد جعلت متقابلة بعضها إلى جانب بعض، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون.

٢١ والذين آمنوا واتبعهم أولادهم في الإيمان، ألحقنا بهم أولادهم لتقر أعينهم بهم، ولولم يلفوا أعمالهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم، كل إنسان محبوس بما كسبه من عمل سيئ لا يحمل عنه غيره من عمله شيئاً.

٢٢ وأمددنا أهل الجنة هؤلاء بصنوف من الفاكهة، وأمددناهم بكل ما اشتوه من لحم.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ١٥ أَصَلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَمُ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ ٢٣ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَامَانُ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤُ مَكْنُونٌ ٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨ فَذَكَرْنَا أَنْتَ نِعْمَتَ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَرِّبِينَ ٣١

الجزء السابع والعشرون

٥٢٤

٣٢ يتعاطون في الجنة كأساً لا يترتب على شربها ما يترتب عليها في الدنيا، من الكلام الباطل والإثم بسبب السكر.

٣٣ ويدور عليهم غلمان سخروا لخدمتهم كأنهم في صفاء بشرتهم وبياضها لؤلؤ محفوظ في أصدافه.

٣٤ وأقبل بعض أهل الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضاً عن حالهم في الدنيا.

٣٥ فيجيبونهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلينا خائفين من عذاب الله.

٣٦ فمَنَّ الله علينا بالهداية إلى الإسلام، ووقانا العذاب البالغ في الحرارة.

٣٧ إنا كنا في حياتنا الدنيا نعبد، وندعوه أن يقينا عذاب النار، إنه هو المحسن الصادق في وعده لعباده، الرحيم بهم، ومن بَرّه ورحمته بنا أن هداًنا للإيمان، وأدخلنا الجنة، وأبعدنا عن النار.

٣٨ فذكر - أيها الرسول - بالقرآن، فلست بما أنعم الله عليك به من الإيمان والعقل بكاهنٍ لك رَيْبٍ من الجن، ولست بمجنون.

٣٩ أم يقول هؤلاء المكذبون: إن محمداً ليس رسولا، بل هو شاعر ننتظر به أن يتخطفه الموت، فنستريح منه.

٤٠ قل لهم - أيها الرسول -: انتظروا موتي، وأنا أنتظر ما يحل بكم من عذاب بسبب تكذيبكم إياي.

٤١ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الجمع بين الآباء والأبناء في الجنة في منزلة واحدة وإن قصر عمل بعضهم إكراماً لهم جميعاً حتى تتم الفرحة. • خمر الآخرة لا يترتب على شربها مكروه. • من خاف من ربه في دنياه أمّنه في آخرته.

﴿٣٦﴾ بل أتأمرهم عقولهم بقولهم: إنه كاهن ومجنون! فيجمعون بين ما لا يجتمع في شخص، بل هم قوم متجاوزون للحدود، فلا يرجعون إلى شرع ولا عقل.

﴿٣٧﴾ أم يقولون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن، ولم يوح إليه به! لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيقولون: اختلقه.

﴿٣٨﴾ فليأتوا بحديث مثله ولو كان مُحْتَقًا إن كانوا صادقين في دعواهم أنه اختلقه.

﴿٣٩﴾ أم خلقوا من غير خالق يخلقهم! أم هم الخالقون لأنفسهم! لا يمكن وجود مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فلم لا يعبدون خالقهم!

﴿٤٠﴾ أم خلقوا السماوات والأرض! بل لا يوقنون أن الله هو خالقهم، إذ لو أثبتوا ذلك لوحدوه، ولأمنوا برسوله.

﴿٤١﴾ أم عندهم خزائن ربك من الرزق فيمنحونه من يشاؤون، ومن النبوة فيعطوها ويمنعوها من أرادوا! أم هم المُسَلِّطُونَ المتصرفون حسب مشيئتهم!

﴿٤٢﴾ أم لهم مِرْقَاة يرقون بها إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي الله يوحيه أنهم على حق! فليأت من استمع منهم إلى ذلك الوحي بحجة واضحة تصدقكم فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿٤٣﴾ أم له البسات التي تكهونها، ولكم البنون الذين تحبونهم!

﴿٤٤﴾ أم تطلب منهم - أيها الرسول - أجرًا على ما تبلغهم عن ربك! فهم بسبب ذلك مكلفون جملًا لا يقدرون على عمله.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُٗٓ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَاطِينَ مُبِينِينَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٨﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٩﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن آكَاثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٢﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٥٣﴾

سورة البقرة

آياتها ٢٢

نزلتها ٥٣

٥٢٥

- ﴿٥٤﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يطلعون عليه من الغيوب، فيخبرونهم بما شاؤوا منها!
- ﴿٥٥﴾ أم يريد هؤلاء المكذبون كيدًا بك وبدينك! فتق بالله، فالذين كفروا بالله وبرسوله هم الممكور بهم، لا أنت.
- ﴿٥٦﴾ أم لهم معبود بحق غير الله! تتره الله وتقدس عما ينسبونه إليه من الشريك. كل ما تقدم لم يكن ولا يتصور بحال.
- ﴿٥٧﴾ وإن يروا قطلًا من السماء ساقطة يقولوا عنه: هذا سحب متراكم بعضه على بعض كالعادة، فلا يعطون، ولا يؤمنون.
- ﴿٥٨﴾ فاتركهم - أيها الرسول - في عنادهم وجحودهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون، وهو يوم القيامة.
- ﴿٥٩﴾ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئًا قليلًا أو كثيرًا، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.
- ﴿٦٠﴾ وإن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذابًا قبل الآخرة: في الدنيا بالقتل والسبي، وفي البرزخ بعذاب القبر، ولكن معظمهم لا يعلمون ذلك، فلذلك يقيمون على كفرهم.
- ﴿٦١﴾ ولما بين الله بطلان ما عليه المشركون أمر رسوله بعدم المبالاة بهم، وبالصبر على تكذيبهم فقال:
- ﴿٦٢﴾ وأصبر - أيها الرسول - لقضاء ربك، ولحكمه الشرعي، فإنك بمرأى منا وحفظ، وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك.
- ﴿٦٣﴾ ومن الليل فسبح ربك، وصل له، وصل صلاة الفجر حين إدبار النجوم بأفولها بضوء النهار.
- من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:
- الطغيان سبب من أسباب الضلال. • أهمية الجدل العقلي في إثبات حقائق الدين. • ثبوت عذاب البرزخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنَ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ
الْثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذْ أَوْحَيْنَا
صُبْرِيَّ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۝٢٣ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٤ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٥ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٦ وَكُم مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٧

الجزء
السابع
٥٢٦

٥٢٦

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
إثبات صدق الوحي وأنه من عند الله.

٢ التفسير:

١ أقسم سبحانه بالنجم إذا سقط.
٢ ما انحرف محمد رسول الله عن طريق الهداية، وما صار غويًا، ولكنه رشيد.
٣ وما يتكلم بهذا القرآن تبعًا لهواه.

٤ ليس هذا القرآن إلا وحيًا يوحيه الله إليه عن طريق جبريل عليه السلام.
٥ علمه إياه ملك شديد القوة هو جبريل عليه السلام.

٦ وجبريل ذو هيئة حسنة، فاستوى ظاهرًا للنبي صلى الله عليه وسلم على هيئته التي خلقه الله عليها.

٧ وجبريل بالأفق الأعلى من السماء. ثم اقترب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم، فازداد قربًا منه.

٨ فكان قربه منه بمقدار قوسين أو هو أقرب.

٩ فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى.

١٠ ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره.

١١ افتجادلونه - أيها المشركون - فيما أراه الله ليلة أسري به؟

١٢ ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته مرة أخرى ليلة أسري به.

١٣ عند سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة جدًا في السماء السابعة.

١٤ عند هذه الشجرة جنة المأوى.

١٥ ما مال بصره صلى الله عليه وسلم يمينًا ولا شمالًا، ولا تجاوز ما حُدَّ له. ١٦ لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته، فرأى الجنة، ورأى النار، وغيرهما. ١٧ أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: اللات والعزى. ١٨ ومناة الثالثة الأخرى من أصنامكم. أخبروني هل تملك لكم نفقًا أو ضرًا؟ ١٩ أنكم - أيها المشركون - الذكر الذي تحبونه، وله سبحانه الأنثى التي تكرهونها؟ ٢٠ تلك القسمة التي قسمتموها بأهوائكم قسمة جائرة. ٢١ ليست هذه الأصنام إلا أسماء فارغة من المعنى، فلا حظ لها في صفات الألوهية، سميتموها أنتم وأبائكم من تلقاء أنفسكم. ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع المشركون في اعتقادهم إلا الظن وما تهواه أنفسهم مما زينه الشيطان في قلوبهم. ولقد جاءهم من ربهم الهدى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فما اهتموا به. ٢٢ أم للإنسان ما تمنى من شفاعة الأصنام إلى الله؟ لا، ليس له ما تمنى، فله وحده الآخرة والأولى، يعطي منهما ما يشاء ويمنع ما يشاء. ٢٣ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا لو أرادوا أن يشفعوا لأحد إلا بعد أن يأذن الله لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى. ٢٤ فلن يأذن الله لمن جعل شريكًا أن يشفع، ولن يرضى عن مشفوعه الذي يعبد به دون الله.

٢٥ من قولها: الْآيَاتِ،

• كمال أدب النبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يزعج بصره وهو في السماء السابعة. • سفاهة عقل المشركين حيث عبدوا شيئًا لا يضر ولا ينفع، ونسبوا لله ما يكرهون واصطفوا لهم ما يحبون. • الشفاعة لا تقع إلا بشرطين: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ٢٧
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا ٢٨ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ٢٩ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحَسَنَى ٣١ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ
إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى ٣٢ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ٣٣ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
٣٤ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يُرَى ٣٥ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى ٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧ أَلَا تَذَكَّرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى
٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى
٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ٤١ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٤٢
وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤

٥٢٧

٢٧) إن الذين لا يؤمنون بالبعث في
الدار الآخرة ليسمون الملائكة تسمية
الأنثى باعتقادهم أنهم بنات الله،
تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

٢٨) وليس لهم بتسميتها إنثاء من
علم يستندون إليه، لا يتبعون في ذلك
إلا التخرض والوهم، وإن الظن لا يغني
من الحق شيئا حتى يقوم مقامه.

٢٩) فأعرض - أيها الرسول - عمن
أدبر عن ذكر الله ولم يعبأ به، ولم يرد
إلا الحياة الدنيا، فهو لا يعمل لآخرته؛
لأنه لا يؤمن بها.

٣٠) ذلك الذي يقوله هؤلاء
المشركون - من تسمية الملائكة
تسمية الأنثى - هو جدتهم الذي
يصلون إليه من العلم لأنهم جاهلون،
لم يصلوا إلى يقين، إن ربك - أيها
الرسول - هو أعلم بمن حاد عن
سبيل الحق، وهو أعلم بمن اهتدى إلى
طريقه، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

٣١) ولله وحده ما في السماوات،
وله ما في الأرض ملكا وخلقًا وتديرا،
ليجزى الذين أسأوا أعمالهم في
الدنيا بما يستحقون من العذاب،
ويجزى المؤمنين الذين أحسنوا
أعمالهم بالجنة.

٣٢) الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب،
وقبائح المعاصي إلا صفائر الذنوب،
فهذه تغفر بترك الكبائر، والإكثار من
الطاعات، إن ربك - أيها الرسول -
واسع المغفرة، يغفر ذنوب عباده متى
تابوا منها، هو سبحانه أعلم بأحوالكم
وشؤونكم حين خلق أياكم آدم من
تراب، وحين كنتم حملا في بطون
أمهاتكم تخلقون خلقا من بعد خلق، لا
يخفى عليه شيء من ذلك، فلا تمدحوا

أنفسكم بالثناء عليها بالتقوى، فهو سبحانه أعلم بمن اتقاه؛ بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

٣٣) أفرأيت قبح حال الذي أعرض عن الإسلام بعد اقترايه منه.

٣٤) وأعطى قليلا من المال ثم منع؛ لأن البخل سجيته، ومع ذلك هو يزكي نفسه.

٣٥) أعنده علم الغيب فهو يرى ويحدث بالغيب؟

٣٦) أم هو مفتي على الله؟ أم لم يخبر هذا الممتقول على الله بما في الصحف الأولى التي أنزلها الله على موسى؟

٣٧) وصحف إبراهيم الذي أدى كل ما كلفه ربه به وأتمه.

٣٨) أنه لا يحمل إنسان إثم غيره.

٣٩) وأنه ليس للإنسان إلا ثواب عمله الذي عمله.

٤٠) وأن عمله سوف يرى يوم القيامة عيانا.

٤١) ثم يعطى جزاء عمله تاما غير منقوص.

٤٢) وأن إلى ربك - أيها الرسول - مرجع العباد ومصيرهم بعد موتهم.

٤٣) وأنه هو أفرح من يشاء فأضحكه، وأحزن من يشاء فأبكاه. وأنه أمات الأحياء في الدنيا، وأحيا الموتى بالبعث.

٤٤) من قوائد الآيات؛

● انقسام الذنوب إلى كبائر وصفائر. ● خطورة التثقل على الله بغير علم. ● النهي عن تزكية النفس.

﴿٤٥﴾ وأنه خلق الصنفين: الذكر والأنثى. ﴿٤٦﴾ من نطفة إذا وضعت في الرحم. ﴿٤٧﴾ وأن عليه إعادة خلقهما بعد موتهما للبعث. ﴿٤٨﴾ وأنه أغنى من شاء من عباده بتمليكهم المال، وأعطى من المال ما يتخذ به الناس قتيبة يقتونونه. ﴿٤٩﴾ وأنه هورب الشعري، وهو نجم كان يعبد بعض المشركين من دون الله. ﴿٥٠﴾ وأنه أهلك عادًا الأولى؛ وهم قوم هود لما أصرّوا على كفرهم. ﴿٥١﴾ وأهلك ثمود قوم صالح، فلم يَبْقَ منهم أحدًا.

﴿٥٢﴾ وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إن قوم نوح كانوا أشدّ ظلماً، وأعظم طغياناً من عاد وثمود؛ لأن نوحاً مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله، فلم يستجيبوا له. ﴿٥٣﴾ وقرى قوم لوط رفعها إلى السماء، ثم قلبها، ثم أسقطها إلى الأرض. ﴿٥٤﴾ فغطاها وأصابها من الحجارة ما غطاها بعد رفعها إلى السماء واسقاطها على الأرض.

﴿٥٥﴾ فبأي آيات ربك الدالة على قدرته تجادل أيها الإنسان فلا تتعظ بها؟ ﴿٥٦﴾ هذا الرسول المرسل إليكم من جنس الرسل الأولى. ﴿٥٧﴾ اقتربت القيامة القريبة. ﴿٥٨﴾ ليس لها دافع يدفعها، ولا مطلع يطلع عليها إلا الله. ﴿٥٩﴾ أفمن هذا القرآن الذي يُتلى عليكم تعجبون أن يكون من عند الله؟ ﴿٦٠﴾ وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تكون عند سماع مواعظه؟ ﴿٦١﴾ وأنتم لاهون عنه، لا تبالون به؟ ﴿٦٢﴾ فاسجدوا لله وحده، وأخلصوا له العبادة.

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَن عَلَيْهِ النَّشَأُ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُورٌ بِالشَّعْرِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ أَفْمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَلَمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

سجدة

آياتها ٥٥

سُورَةُ النَّجْمِ

رُفِعَتْ ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

٥٢٨

سُورَةُ النَّجْمِ

— مكية —

• مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بنعمة تيسير القرآن، وما فيه من الآيات والنذر.

• التفسير:

﴿١﴾ اقتراب مجيء الساعة، وانشق القمر في عهد النبي ﷺ، فكان انشقاقه من آياته ﷺ الحسية. ﴿٢﴾ وإن يزّ المشركون دليلاً وبرهاناً على صدقه ﷺ يُعرضوا عن قبوله، ويقولوا: ما شاهدناه من الحجج والبراهين سحر باطل. ﴿٣﴾ وكذبوا بما جاءهم من الحق، واتبعوا أهواءهم في التكذيب، وكل أمر - خيراً كان أو شراً - واقع بمستحقه يوم القيامة. ﴿٤﴾ ولقد جاءهم من أخبار الأمم التي أهلكها الله بكفرها وظلمها ما يكفي لردعهم عن كفرهم وظلمهم. ﴿٥﴾ والذي جاءهم حكمة تامة لتقوم عليهم الحجة، فما تنفع النذر قوماً لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ﴿٦﴾ فإذا لم يهتدوا فاتركهم - أيها الرسول - وأعرض عنهم منتظراً يوم يدعو الملك الموكل بالنفخ في الصور إلى أمر فظيع لم تعرف الخلائق مثله من قبل.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • عدم التأثير بالقرآن نذير شؤم. • خطر اتباع الهوى على النفس في الدنيا والآخرة. • عدم الاعتاض بهلاك الأمم صفة من صفات الكفار.

(٢٨) وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَاءَ بَيْتِهِمْ مَقْسُومٌ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ: يَوْمَ لَهَا، وَيَوْمَ لَهُمْ،
كُلٌّ نَصِيبٌ يَحْضُرُهُ صَاحِبُهُ وَحْدَهُ فِي
يَوْمِهِ الْمَخْتَصِ بِهِ.

(٢٩) فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ لِيَقْتُلِ النَّاقَةَ،
فَتَنَادَا السَّيْفَ وَقَتْلَاهَا؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ
قَوْمِهِ.

(٣٠) فَتَنَادَوْا - يَا أَهْلَ مَكَّةَ - كَيْفَ
كَانَ عَذَابِي لَهُمْ؟ وَكَيْفَ كَانَ إِنْذَارِي
لِغَيْرِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ؟

(٣١) إِنَّا بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَأَهْلَكْتَهُمْ، فَكَانُوا كَالشَّجَرِ الْيَابِسِ
يَتَخَذُ مِنْهُ الْمُحْطِظُ حَظِيرَةً لِنَفْسِهِ.

(٣٢) وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلتَّذَكُّرِ
وَالِاتِّعَاضِ، فَهَلْ مِنْ مَعْتَبِرٍ بِمَا فِيهِ
مِنَ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ؟

(٣٣) كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ
رَسُولُهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣٤) إِنَّا بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا تَرْمِيهِمْ
بِالْحِجَارَةِ إِلَّا آلَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَصْبِهِمْ
الْعَذَابُ، فَقَدْ أَنْقَذْنَاهُمْ مِنْهُ؛ إِذْ سَرَى

بِهِمْ قَبْلَ وَقْعِ الْعَذَابِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ.
(٣٥) أَنْقَذْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ إِنْعَامًا
مِنَّا عَلَيْهِمْ، مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي
جَزَيْنَا بِهِ لُوطًا نَجَزِي مَنْ شَكَرَ اللَّهَ
عَلَى نِعْمِهِ.

(٣٦) وَلَقَدْ خُوفَهُمْ لُوطٌ عَذَابَنَا فَتَجَادَلُوا
بِإِنْذَارِهِ، وَكَذَّبُوهُ.

(٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهَا لَوْطًا قَوْمُهُ أَنْ يَخْلِيَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ضِيَوْفِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَصْدُ
فِعْلِ الْفَاحِشَةِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَلَمْ
تَبْصُرْهُمْ، وَقَلْنَا لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابِي،
وَنَتِيجَةُ إِنْذَارِي لَكُمْ.

(٣٨) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ
عَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ مَعَهُمْ حَتَّى يَسْأَلُوا الْآخِرَةَ
فِي أَيَّتِهِمْ عَذَابُهَا.

وَبَيَّنَّاهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ (٢٨) فَتَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَنَادَا السَّيْفَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢) كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ
(٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنَذِيرِي (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرِي (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤٠)
وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (٤٤) سَيَهْمُهُمُ الْجَمْعُ
وَيُؤْلُونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٤٦)
إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)

٥٣٠

(٣٨) وقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم، ونتيجة إنذار لوط لكم.

(٣٩) ولقد سهَّلنا القرآن للتذكر والاعتاض، فهل من معتبِرٍ بما فيه من العبر والعظات؟

(٤٠) ولقد جاء آل فرعون إنذارنا على لسان موسى وهارون عليه السلام.

(٤١) كذبوا بالبراهين والحجج التي جاءتهم من عندنا، فعاقبناهم على تكذيبهم بها عقوبة عزيز لا يغلبه أحد، مقتدر لا يعجز عن شيء.

(٤٢) أكفاركم - يا أهل مكة - خير من أولئكم الكفار المذكورين: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه؟ أم لكم براءة من عذاب الله جاءت بها الكتب السماوية؟ (٤٣) بل يقول هؤلاء الكفار ويؤلون الأدبار أمام المؤمنين، وقد حدث هذا يوم بدر. (٤٤) بل الساعة التي يكذبون بها موعدهم الذي يعذبون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر. (٤٥) إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء. (٤٦) يوم يجرون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخًا: ذوقوا عذاب النار. (٤٧) إننا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق مَنَّا، ووفق علمنا ومشيتنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• شمول العذاب للمباشر للجريمة والمُتَمَالئ معه عليها. • شُكْرُ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ سبب السلامة من العذاب. • إخبار القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها من الإخبار بالغيب الدال على صدق القرآن. • وجوب الإيمان بالقدر.

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ٥٥

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

آياتها
٧٨ترتيبها
٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الميزان
٥٤

الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
١٣ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ١٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨

٥٣١

٥٠ وما أمرنا إذا أردنا شيئاً إلا أن نقول كلمة واحدة هي: كن، فيكون ما نريد سريعاً مثل لمح البصر.
٥١ ولقد أهلكنا أمثالكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من معتبر يعتبر بذلك فينزع عن كفره؟
٥٢ وكل شيء فعله العباد فهو مكتوب في كتب الخفظة لا يفوتهم منه شيء.
٥٣ وكل صغير من الأعمال والأقوال، وكل كبير منها؛ مكتوب في صحائف الأعمال وفي اللوح المحفوظ، وسيجازون عليه.
٥٤ إن المتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، في جنات يتمتعون فيها، وفي أنهار جارية.
٥٥ في مجلس حق لا لغوفيه ولا إثم، عند ملك يملك كل شيء، مقتدر لا يعجز عن شيء، فلا تسأل عما ينالونه منه من النعيم الدائم.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

— مَدِينَةٌ —

● من مقاصد السورة:
تذكير الجن والإنس بنعم الله الباطنة والظاهرة، وأثار رحمته في الدنيا والآخرة.
● التفسير:
١ الرحمن ذو الرحمة الواسعة.
٢ علم الناس القرآن بتسهيل حفظه، وتيسير فهم معانيه.
٣ خلق الإنسان سوياً، وأحسن تصويره.
٤ علمه كيف يُبين عما في ضميره نطقاً وكتابة.
٥ الشمس والقمر قدّرها؛ يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.

● وما لا ساق له من النبات والشجر يسجدان لله سبحانه متقاعدين مستسلمين له.
٧ والسماء رفعها فوق الأرض سقفاً لها، وأثبت العدل في الأرض، وأمر به عباده.
٨ أثبت العدل لئلا تجوروا - أيها الناس - وتخونوا في الوزن والكيل.
٩ وأقيموا الوزن بينكم بالعدل، ولا تَقْصُوا الوزن أو الكيل إذا كلمتم أو وزنتم لغيركم.
١٠ والأرض وضعها مهيأة لاستقرار الخلق عليها. فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي يكون منها التمر. وفيها الحب ذو الثبن كالبر والشعير، وفيها النباتات التي تستطيبون رائحتها. فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
١١ خلق آدم من طين يابس تسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوخ. وخلق أبا الجن من لهب خالص من الدخان. فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
١٢ ربّ مشرق الشمس ومغربها شتاءً وصيفاً. فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
● من قواعد الآيات:

● كتابة الأعمال صغيرها وكبيرها في صحائف الأعمال. ● ابتداء الرحمن بذكر نعمه بالقرآن دلالة على شرف القرآن وعظم منته على الخلق به. ● مكانة العدل في الإسلام. ● نعم الله تقتضي منا العرفان بها وشكرها، لا التكذيب بها وكفرها.

١٩ خلط الله البحرين المالح والعذب

يلتقيان فيما تراه العين.

٢٠ بينهما حاجز يمنع كلاً منهما

أن يطنى على الآخر حتى يبقى العذب عذباً والمالح مالحة.

٢١ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٢ يخرج من مجموع البحرين كبار الدُّر وصغاره.

٢٣ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٤ وله ﴿٢٤﴾ وحده التصرف في

السفن الجارية في البحار مثل الجبال.

٢٥ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٦ كل من على وجه الأرض من

الخلائق هالك لا محالة.

٢٧ ويبقى وجه ربك - أيها الرسول -

ذو العظمة والإحسان والتفضل على

عباده، فلا يلحقه فناء أبداً.

٢٨ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٩ يسأله كل من في السماوات من

الملائكة، ومن في الأرض من الجن

والإنس؛ حاجاتهم، كل يوم هو في شأن

من شؤون عباده؛ من إحياء وإماتة

ورزق وغير ذلك.

٣٠ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٣١ سنفرغ لحسابكم - أيها الإنس

والجن - فنجازي كل بما يستحقه من

ثواب أو عقاب.

٣٢ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم

- يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٣٣ ويقول الله يوم القيامة إذا

جمع الجن والإنس: يا معشر الجن

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۚ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ يَمْعَشِرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ إِنْ أُسْتَطِعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَلَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِأَسْطَانٍ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْصِرَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ۚ

٥٣٢

والإنس، إن استطعتم أن تجدوا لكم مخرجاً من ناحية من نواحي السماوات والأرض فافعلوا، ولن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك إلا بقوة وبينة، وأنى لكم ذلك؟

٢٩ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٠ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ - أيها الإنس والجن - لهب من النار خالٍ من الدخان، ودخان لا لهب فيه، فلا تستطيعان الامتناع من ذلك.

٢١ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٢ فإذا تشققت السماء لنزول الملائكة منها فكانت حمراء مثل الدهن في إشراق لونه.

٢٣ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٤ ففي ذلك اليوم العظيم لا يُسأل إنس ولا جن عن ذنوبهم؛ لعلم الله بأعمالهم.

٢٥ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٦ يُعْرِفُ المجرمون يوم القيامة بعلامتهم وهي سواد الوجوه ورزقة العيون، فَتُصَمَّ نواصيهم إلى أقدامهم فيرمون في جهنم.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الجمع بين البحر المالح والعذب دون أن يختلطا من مظاهر قدرة الله تعالى. • ثبوت الفناء لجميع الخلائق، وبيان أن البقاء لله وحده حصص للعباد على التعلق بالباقي - سبحانه - دون من سواه. • إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سبحانه دون تشبيه أو تمثيل. • تنويع عذاب الكافر.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ۚ إِنَّ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۖ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
 ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَرَفِ
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۖ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ۖ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۖ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ۖ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

٥٣٣

﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٤٣﴾
 وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيحًا: هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرِمُونَ فِي الدُّنْيَا
 أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ انْكَارَهَا.
 ﴿٤٤﴾ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءٍ حَارٍّ
 شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا
 مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٤٦﴾
 وَلِلَّذِي خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ
 فِي الْآخِرَةِ قَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا -
 جَنَّاتٍ.

﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٤٨﴾
 وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ
 عَظِيمَةٍ نَضْرَةً مَثْرَةً.

﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٥٠﴾
 فِي الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
 خِلَالَهُمَا بِالْمَاءِ.

﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٥٢﴾
 فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۖ
 صِنْفَانِ.

﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٥٤﴾
 مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطُهَا مِنْ
 الدِّيَبَاجِ الْغَلِيظِ، وَمَا يُجْنَى مِنَ الثَّمَارِ
 وَالْفَوَاكِهِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ يَتَنَاوَلُهُ
 الْقَائِمُ وَالْجَالِسُ وَالْمُتَكَبِّرُ.

﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٥٦﴾
 فِيهِنَّ نِسَاءٌ قَصِيرَاتُ الْطَرَفِ
 عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ بَكَارَتُهُنَّ
 قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ
 - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٥٨﴾
 كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ جَمَالًا وَصَفَاءً.

﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٦٠﴾
 مَا جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بَطَاعَةً رَبَّهُ إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ ۚ ﴿٦١﴾
 فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٦٢﴾
 وَمِنْ دُونِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ جَنَّتَانِ أُخْرَيَانِ.

﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٦٤﴾
 قَدْ اسْتَدَّتْ خَضْرَتُهُمَا. ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٦٦﴾

فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ شَدِيدَتَا خَضْرَتُهُمَا. لَا يَنْقُطِعُ قُورَانُ مَاثُهُمَا. ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٦٨﴾
 هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ. ﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ ۚ ﴿٧٠﴾

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أَهْمِيَةُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَاسْتِحْضَارِ رَهْبَةِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ. • مَدْحُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ بِالْعُصَافِ دَلَالَةً عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي
 الْمَرْأَةِ. • الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿٧٠﴾ فِي هَذِهِ الْجَنَانِ نِسَاءٌ طَلِبَاتٌ

الْأَخْلَاقِ حَسَانِ الْوُجُوهِ.

﴿٧١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿٧٢﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ

لَهْنٍ.

﴿٧٤﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ

لَهْنٍ.

﴿٧٧﴾ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٨﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

﴿٧٩﴾

﴿٨٠﴾

﴿٨١﴾

﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾

﴿٨٤﴾

﴿٨٥﴾

﴿٨٦﴾

﴿٨٧﴾

﴿٨٨﴾

﴿٨٩﴾

﴿٩٠﴾

﴿٩١﴾

﴿٩٢﴾

﴿٩٣﴾

﴿٩٤﴾

﴿٩٥﴾

﴿٩٦﴾

﴿٩٧﴾

﴿٩٨﴾

﴿٩٩﴾

﴿١٠٠﴾

﴿١٠١﴾

﴿١٠٢﴾

﴿١٠٣﴾

﴿١٠٤﴾

﴿١٠٥﴾

﴿١٠٦﴾

﴿١٠٧﴾

﴿١٠٨﴾

﴿١٠٩﴾

﴿١١٠﴾

﴿١١١﴾

﴿١١٢﴾

﴿١١٣﴾

﴿١١٤﴾

﴿١١٥﴾

﴿١١٦﴾

﴿١١٧﴾

﴿١١٨﴾

﴿١١٩﴾

﴿١٢٠﴾

فِي هَذِهِ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا
تُكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ
وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ﴿٧٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنُتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾

﴿١٨﴾

﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾

﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾

﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾

﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾

﴿٣٠﴾

﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾

وَكُنْتُمْ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، مَا أَعْلَى وَأَعْظَمَ مَنْزِلَتُهُمْ!

وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ كِتَابَهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ، مَا أَسْفَى وَأَسْوَءَ مَنْزِلَتُهُمْ!

وَالسَّابِقُونَ يَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا هُمْ السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللَّهِ.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، يَتَنَعَّمُونَ بِأَصْنَافِ النَّعِيمِ.

جَمَاعَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

وَقَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُمْ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ.

عَلَى أَسْرَةٍ مَنْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ.

مُتَّكِئِينَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَةِ مُتَقَابِلِينَ بِوُجُوهِهِمْ، لَا يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ قَمَا غَيْرِهِ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• دَوَامُ تَذَكُّرِ نِعَمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ سَبْحَانَهُ مُوجِبٌ لَتَعْظِيمِ اللَّهِ وَحَسَنِ طَاعَتِهِ. • انْقِطَاعُ تَكْذِيبِ الْكُفَرِ بِمَعَايِنَةِ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ.

• تَفَاوُتُ دَرَجَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِتَفَاوُتِ أَعْمَالِهِمْ.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَابَارِيقُ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
 لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٨﴾ وَفَلَكَهَاتِمَا تَخَيَّرُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
 الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
 وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
 ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكَهَاتِمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا
 ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَثَرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾
 وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ
 ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ
 وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا
 يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
 تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

﴿١٧﴾ يدور عليهم لخدمتهم ولَدَانِ لا ينالهم هُزْم ولا فناء.
 ﴿١٨﴾ يدورون عليهم بأقداح لا عُزَى لها، وأباريق لها عُزَى، وكأس من خمر جارية في الجنة لا تنقطع.
 ﴿١٩﴾ ليست كخمر الدنيا، فلا يلحق شاربها صداع، ولا ذهاب عقل.
 ﴿٢٠﴾ ويدور عليهم هؤلاء الولدان بفلكة مما يختارون.
 ﴿٢١﴾ ويدورون بلحم طير مما تشتهيهم أنفسهم.
 ﴿٢٢﴾ ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.
 ﴿٢٣﴾ كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفة.
 ﴿٢٤﴾ ثواباً لهم على ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحات في الدنيا.
 ﴿٢٥﴾ لا يسمعون في الجنة فاحش كلام، ولا ما يلحق صاحبه إثم.
 ﴿٢٦﴾ لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.
 ﴿٢٧﴾ وأصحاب اليمين - الذين يعطون كتبهم بأيمانهم - ما أعظم مكانتهم وشأنهم عند الله!
 ﴿٢٨﴾ في سدر مقطوع الشوك، لا أذى فيه.
 ﴿٢٩﴾ وفي موز متراكم مصفوف بعضه إلى بعض.
 ﴿٣٠﴾ وظل ممدود مستمر لا يزول.
 ﴿٣١﴾ وماء جار لا يتوقف.
 ﴿٣٢﴾ وفلكة كثيرة لا تنحصر.
 ﴿٣٣﴾ لا تنقطع عنهم أبداً، فليس لها موسم، ولا يحول دونها مانع في أي وقت أرادوها.
 ﴿٣٤﴾ وفرش مرفوعة عالية توضع على الأسرة.
 ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنشَأْنَا الحور المذكورات إنشاءً غير مألوف، فصبرناهنَّ أبكاراً لم يلمس من قبل.
 ﴿٣٦﴾ مُتَحَبِّبَاتٍ إلى أزواجهنَّ، مستويات في السن.
 ﴿٣٧﴾ أَنشَأْنَاهُنَّ لأصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين علامة على سعادتهم.
 ﴿٣٨﴾ هم جماعة من أُمم الأنبياء السابقين.
 ﴿٣٩﴾ وجماعة من أمة محمد ﷺ وهي آخر الأمم. وأصحاب الشمال - الذين يعطون كتبهم بشمالهم - ما أسوأ حالهم ومصيرهم! في رياح شديدة الحرارة، وفي ماء شديد الحرارة. وفي ظل دخان مُسَوَّد. ﴿٤١﴾ لا طيب الهبوب، ولا حسن المنظر. ﴿٤٢﴾ إنهم كانوا قبل ما صاروا إليه من العذاب مُتَعَمِّين في الدنيا، لا همَّ لهم إلا شهواتهم. ﴿٤٣﴾ وكانوا يصممون على الكفر بالله وعبادة الأصنام من دونه. ﴿٤٤﴾ وكانوا ينكرون البعث فيقولون استهزاء واستبعاداً له: إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نَحْرة أنبعث بعد ذلك؟ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَبْعَثَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ الذين ماتوا قبلنا؟ ﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: إن الأولين والمتأخرين منهم. ﴿٤٧﴾ سَيَجْمَعُونَ يوم القيامة لا محالة للحساب والجزاء.
 ﴿٤٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،
 ﴿٤٩﴾ العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. • الترف والتنعيم من أسباب الوقوع في المعاصي. • خطر الإصرار على الذنب.

﴿٥١﴾ ثم إنكم - أيها المكذبون - بالبعث، الضالون عن الصراط المستقيم - لآكلون يوم القيامة من ثمر شجر الزقوم، وهو شرّ ثمر وأخبثه.

﴿٥٢﴾ فمالتون من ذلك الشجر المُرّ بطونكم الخاوية.

﴿٥٣﴾ فشاربون عليه من الماء الحار الشديد الحرارة.

﴿٥٤﴾ فمكثرون من شربه كما تكثر الإبل من الشرب بسبب داء الهيام.

﴿٥٥﴾ هذا المذكور من الطعام المُرّ والماء الحارّ هوضيافتهم التي يُستقبلون بها يوم الجزاء.

﴿٥٦﴾ نحن خلقناكم - أيها المكذبون - بعد أن كنتم عدماً، فهلأ صدقتم بأننا سنبعثكم أحياء بعد موتكم؟

﴿٥٧﴾ أفرأيتم - أيها الناس - ما تقدفونه من المني في أرحام نساءكم؟

﴿٥٨﴾ أنتم تخلقون ذلك المني، أم نحن الذين نخلقه؟

﴿٥٩﴾ نحن قدرنا بينكم الموت، فكل واحد منكم أجل لا يتقدم عليه ولا يتأخر، وما نحن بما جازين.

﴿٦٠﴾ على أن نبدل ما أنتم عليه من الخلق والتصوير مما علمتموه، ونتشكّم فيما لا تعلمونه من الخلق والتصوير.

﴿٦١﴾ ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق الأول، أفلا تعجبون وتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على بعثكم بعد موتكم؟

﴿٦٢﴾ أفرأيتم ما تلقونه من البذر في الأرض؟

﴿٦٣﴾ أنتم الذين تثبتون ذلك البذر، أم نحن الذين ننبئه؟

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا أَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿٥١﴾ لو نشاء جعل ذلك الزرع حطامًا لجعلناه حطامًا بعد أن أوْشك على النضج والإدراك، فظللتم بعد ذلك تتعجبون مما أصابه.

﴿٥٢﴾ تقولون: إنا لمعديون بخسارة ما أنفقناه.

﴿٥٣﴾ بل نحن محرومون من الرزق.

﴿٥٤﴾ أفرأيتم الماء الذي تشربون منه إذا عطشتم؟

﴿٥٥﴾ أنتم أنزلتموه من السحاب في السماء، أم نحن الذين أنزلناه؟

﴿٥٦﴾ لو نشاء جعل ذلك الماء شديد الملوحة لا يُنتفع به شيئًا لجعلناه شديد الملوحة، فلولا تشكرون الله على إنزاله عذبًا رحمة بكم.

﴿٥٧﴾ أفرأيتم النار التي توقدها لمنافعكم؟ ﴿٥٨﴾ أنتم الذين أنشأتم الشجرة التي توقد منها، أم نحن الذين أنشأناها رفقًا بكم؟ ﴿٥٩﴾ نحن صيّرنا هذه النار تذكرة لكم تذكركم بنار الآخرة، وصيّرناها منفعة للمسافرين منكم.

﴿٦٠﴾ فنزّه - أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به. ﴿٦١﴾ أقسم الله بأماكن النجوم ومواقعها. ﴿٦٢﴾ وإن القسم بهذه المواقع - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات والعبر التي لا تنحصر.

﴿٦٣﴾ من قولها: لَأَكْبَاتُ،

• دلالة الخلق الأول على سهولة البعث ظاهرة. • إنزال الماء وإنبات الأرض والنار التي ينتفع بها الناس نعم تقتضي من الناس شكرها لله، فالله قادر على سلبها متى شاء. • الاعتقاد بأن للكواكب أثرًا في نزول المطر كفر، وهو من عادات الجاهلية.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ أَفِي هَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُدْهُونٌ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوْلَا
إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٨٧ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَنَزُلُ مِنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةٌ جَاحِمٍ
۝٩٤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٩٦

٧٧ إن القرآن المقروء عليكم - أيها الناس - قرآن كريم: لما فيه من المنافع العظيمة. ٧٨ في كتاب مكنون عن أعين الناس، وهو اللوح المحفوظ. ٧٩ لا يمسسه إلا الملائكة المطهرون من الذنوب والعيوب. ٨٠ منزل من رب الخلاق على نبيه محمد ﷺ. ٨١ أفبهذا الحديث أنتم - أيها المشركون - مكذبون غير مصدقين! ٨٢ وتجعلون شكركم لله على ما رزقكم به من النعم أنكم تكذبون به، فتتسبون المطر إلى النوء، فتقولون: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا! لما ذكر بعض أدلة البعث أراد أن ينبه على قدرته على الإعادة بالإشارة إلى عجزهم عن دفع الموت، فالذي أمات قادر على أن يحيي. ٨٣ فهلاً إذا وصلت الروح الخلقوم. ٨٤ وأنتم في ذلك الوقت تنظرون المُنْتَظَر بين أيديكم. ٨٥ ونحن نعلمنا وقدرتنا وملائكتنا أقرب إلى ميتكم منكم، ولكن لا تشاهدون هؤلاء الملائكة. ٨٦ فهلاً - إن كنتم، كما تزعمون، غير مبعوثين لمجازاتكم على أعمالكم - ترجعون هذه الروح التي تخرج من ميتكم إن كنتم صادقين! ولا تستطيعون ذلك. ٨٧ فأما إن كان الميت من السابقين إلى الخيرات، ٨٨ فله راحة لا تعب بعدها، ورزق طيب، ورحمة، وله جنة يتنعم فيها بما تشتهي نفسه. ٨٩ وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين فلا تهتم لشأنهم، فلهم السلامة والأمن. ٩٠ وأما إن كان الميت من المكذبين بما جاء به الرسول ﷺ الضالين عن الصراط المستقيم. ٩١ فضيافته التي يستقبل بها ماء حار شديد الحرارة. ٩٢ وله احتراق بنار الجحيم. ٩٣ إن هذا الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - لهو حق اليقين الذي لا مزية فيه. ٩٤ فنزه اسم ربك العظيم، وقُدِّسه عن النقائص.

سُورَةُ الْحَدِيدِ

آياتها ٢٩

ترتيبها ٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣

٥٣٧

١ نزهة الله وقُدِّسه ما في السموات والأرض من مخلوقاته، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره. ٢ له وحده ملك السموات والأرض، يحيي من يشاء أن يحييه، ويميت من يشاء أن يميته، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء. ٣ هو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يفته شيء.

سُورَةُ الْحَدِيدِ

مَدِينَةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الترقي بالنفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله.

• التَّشْبِيرُ:

١ نزهة الله وقُدِّسه ما في السموات والأرض من مخلوقاته، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره. ٢ له وحده ملك السموات والأرض، يحيي من يشاء أن يحييه، ويميت من يشاء أن يميته، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء. ٣ هو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يفته شيء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • شدة سكرات الموت وعجز الإنسان عن دفعها. • الأصل أن البشر لا يرون الملائكة إلا إن أراد الله لحكمة. • أسماء الله (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) تقتضي تعظيم الله ومراقبته في الأعمال الظاهرة والباطنة.

﴿٤﴾ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بدأت بيوم الأحد، وانتهت بيوم الجمعة، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارفع سبجانه على العرش علواً يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وبذر وغيرهما، وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرهما، وما ينزل من السماء من المطر والوحي وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم أينما كنتم - أيها الناس - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ﴿٥﴾ له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

﴿٦﴾ يدخل الليل على النهار فتأتي الظلمة، وينام الناس، ويدخل النهار على الليل فيأتي الضياء، فينطلق الناس إلى أعمالهم، وهو عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

﴿٧﴾ آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وانفقوا من المال الذي جعلكم الله مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا منكم بالله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، لهم ثواب عظيم عنده، وهو الجنة.

﴿٨﴾ وأي شيء يمنعكم من الإيمان بالله؟ والرسول يدعوكم إلى الله رجاء أن تؤمنوا بربكم سبحانه، وقد أخذ الله منكم العهد أن تؤمنوا به حين أخرجكم من ظهور آبائكم، إن

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ وَلَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

كنتم مؤمنين.

﴿٤﴾ هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف رحيم حين أرسل إليكم نبيه هادياً وبشيراً.

﴿٥﴾ وأي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ ولله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار لنصرة الإسلام، مع من أنفق بعد الفتح وقاتل الكفار؛ أولئك المنفقون من قبل الفتح والمقاتلون في سبيل الله، أعظم منزلة عند الله وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله بعد فتحها وقاتلوا الكفار؛ وقد وعد الله كلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٦﴾ من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيعطيه الله ثواب ما بذله من ماله مضاعفاً، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة؟

﴿٧﴾ من قوادير الآيات:

- المال مال الله، والإنسان مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ.
- تفاوت درجات المؤمنين بحسب السبق إلى الإيمان وأعمال البر.
- الإنفاق في سبيل الله سبب في بركة المال ونمائه.

﴿١٢﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم بين أيديهم وبإيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بُشِّرْكُمْ اليوم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كُثِنَ فيها أبدًا، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في ذلك اليوم ذكر حال المنافقين، فقال: ﴿١٣﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: انظرونا رجاء أن نقتبس من نوركم ما يعيننا على عبور الصراط، ويقال للمنافقين استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نورًا تستبشرون به، فَضُرِبَ بينهم بسور، لذلك السور باب، باطلنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

﴿١٤﴾ ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم على الإسلام والطاعة؟ قال لهم المؤمنون: بلى، كنتم معنا، لكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق فأهلكتموها، وتربصتم بالمؤمنين أن يُغْلَبُوا فغلبنا فخركم، وشككتم في نصر الله للمؤمنين، وفي البعث بعد الموت، وخذعتمكم الأطماع الكاذبة حتى جاءكم الموت وأنتم على ذلك، وغرَّكم بالله الشيطان.

﴿١٥﴾ فالיום لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية من عذاب الله، ولا تؤخذ فدية من الذين كفروا بالله علانًا، ومصيركم ومصير الكافرين النار، هي أولى بكم، وأنتم أولى بها، وبئس المصير.

﴿١٦﴾ ألم يَجِزْ للذين آمنوا بالله ورسوله أن تليين قلوبهم وتطمئن لذكر

الله سبحانه، وما نزل من القرآن من وعد أو وعيد، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود، والذين أعطوا الإنجيل من النصارى، في قسوة القلوب، فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم فقسست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته؟

﴿١٧﴾ اعلموا أن الله يحيي الأرض بآياتها بعد جفافها، قد يبتلى لكم - أيها الناس - الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانيته رجاء أن تعقلوها؛ فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعثكم بعد موتكم، وقادر على جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

﴿١٨﴾ إن المتصدقين ببيعض أموالهم، والمتصدقات ببيعض أموالهن، الذين ينفقونها طيبة بها نفوسهم دون من ولا أذى، يُضَاعَفْ لَهُمْ ثواب أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولهم مع ذلك ثواب كريم عند الله وهو الجنة.

﴿١٩﴾ من قَوَّيْدِ الْآيَاتِ:

- امتنان الله على المؤمنين بإعطائهم نورًا يسعى أمامهم وعن إيمانهم.
- المعاصي والنفاق سبب للظلمة والهلاك يوم القيامة.
- التربص بالمؤمنين والشك في البعث، والانخداع بالأمانى، والافتراء بالشيطان: من صفات المنافقين.
- خطر الغفلة المؤدية لقسوة القلوب.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا وَانفِقْتُمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَزَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونَهُمُ الْكَافِرُونَ كُنْكُمْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى
وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِ الْيَوْمَ لَا يُوْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَى كُفْرِكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُمْ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الكريم المعد لهم، ولهم نورهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب الجحيم، يدخلونها يوم القيامة خالدين فيها أبدًا، لا يخرجون منها.

﴿٢٠﴾ اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب تلعب به الأبدان، ولهو تلهو به القلوب، وزينة تتجملون بها، وتفاخر بينكم بما فيها من ملك ومتاع، وتباه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد، كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم لا يلبث هذا النبات المخصر أن يبیس، فتراه - أيها الرائي - بعد اخضراره مصفرًا، ثم يجعله الله قُثَاثًا يتكسر، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله لذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل لا ثبات له، فمن أثر متاعها الزائل على نعيم الآخرة فهو خاسر مغبون.

﴿٢١﴾ سابقوا - أيها الناس - إلى الأعمال الصالحات التي تنالون بها مغفرة ذنوبكم؛ من توبة وغيرها من القربات، ولتنالوا بها جنة عرضها مثل عرض السماء والأرض، هذه الجنة أعدّها الله للذين آمنوا به وآمنوا برسوله، ذلك الجزاء فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده المؤمنين.

﴿٢٢﴾ ما أصاب الناس من مصيبة في الأرض من الجذب وغيره، ولا أصابهم من مصيبة في أنفسهم إلا

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اْعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ إِنَّكُمْ وَآلَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

وهي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

﴿٢٣﴾ وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح بَطَر، إن الله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما أعطاه الله.

﴿٢٤﴾ الذين يبخلون بما يجب عليهم بذله، ويأمرون غيرهم بالبخل خاسرون، ومن يتولّى عن طاعة الله قتل يضّرّ الله وإنما يضّرّ نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتقر إلى طاعة عبده، المحمود على كل حال.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الزهد في الدنيا وما فيها من شهوات، والترغيب في الآخرة وما فيها من نعيم دائم يُعِينَانِ على سلوك الصراط المستقيم.
- وجوب الإيمان بالقدر.
- من فوائد الإيمان بالقدر عدم الحزن على ما فات من حظوظ الدنيا.
- البخل والأمر به خصلتان ذميتان لا يتصف بهما المؤمن.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَارِعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَعَامِنُوا أَوْسُولَهُ يُؤْتِكُمْ كَفَلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٥٤١

﴿٢٥﴾ لقد أرسلنا رسلنا بالهجة الواضحة والبراهين الجلية، وأنزلنا معهم الكتاب، وأنزلنا معهم الميزان؛ ليقوم الناس بالعدل، وأنزلنا الحديد فيه بأس قوي، فمنه يُصنع السلاح، وفيه منافع للناس في صناعاتهم وحرهم، وليعلم الله علماً يظهر للعباد من ينصره من عباده بالغيب، إن الله قوي عزيز لا يغلبيه شيء، ولا يعجز عن شيء.

﴿٢٦﴾ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة، والكتب المنزل، فمن ذريتهما مهتدٍ إلى الصراط المستقيم، موفق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

﴿٢٧﴾ ثم أتبعنا رسلنا، فبعثناهم تترى إلى أممهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم وأعطيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا به واتبعوه رافة ورحمة، فكانوا متوآدين متراحين فيما بينهم، وابتدعوا الغلو في دينهم، فتركوا بعض ما أحل الله لهم من النكاح والملاذ، ولم تطلب منهم ذلك، وإنما ألزموا به أنفسهم؛ ابتداءً منهم في الدين، وإنما طلبنا اتباع مرضاة الله فلم يفعلوا، فأعطينا الذين آمنوا منهم ثوابهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله بالكذب بما جاءهم به رسوله محمد ﷺ.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وآمنوا برسوله، يعطكم نصيبين من الثواب والأجر على إيمانكم بمحمد ﷺ، وإيمانكم بالرسل السابقين، ويجعل لكم نوراً تهتدون به في حياتكم الدنيا، وتستنبطون به على الصراط يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم فيسترها ولا يؤاخذكم بها، والله سبحانه غفور رحيم بهم.

﴿٢٩﴾ وقد بَيَّنَّا لكم فضلنا العظيم بما أعدناه لكم - أيها المؤمنون - من الثواب المضاعف؛ ليعلم أهل الكتاب السابقون من يهود ونصارى أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله بحيث يمنحونه مَنْ يشاؤون، ويمنعونه مَنْ يشاؤون، وليعلموا أن الفضل بيد الله سبحانه يعطيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي يختص به من يشاء من عباده.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الحق لا بد له من قوة تحميه وتشرمه.
- بيان مكانة العدل في الشرائع السماوية.
- صلة النسب بأهل الإيمان والصلاح لا تُغني شيئاً عن الإنسان ما لم يكن هو مؤمناً.
- بيان تحريم الابتداع في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُظُونَ
بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَيْتُوكُمْ كَيْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيْئَتُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

الجزء ٢٨
الجزء ٥٨

٥٤٢

١ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إظهار علم الله الشامل وإحاطته
البالغة، تربيةً لمراقبته، وتحذيرًا من
مخالفته.

٢ التفسير:

١ قد سمع الله كلام المرأة (وهي
خولة بنت ثعلبة) التي تراجعت - أيها
الرسول - في شأن زوجها (وهو أوس
ابن الصامت) لَمَّا ظاهر منها،
وتشتكى إلى الله ما صنع بها زوجها،
والله يسمع تراجعكما في الكلام، لا
يخفى عليه منه شيء، إن الله سميع
لأقوال عباده، بصير بأفعالهم، لا
يخفى عليه منها شيء.

٢ الذين يُظَاهرون من نسائهم؛
بأن يقول أحدهم لزوجته: أنت علي
كظهر أمي، كذبوا في قولهم هذا،
فليست زوجاتهم بأمهاتهم، إنما
أمهاتهم اللائي وَلَدْنَهُمْ، وإنهم إذ
يقولون ذلك القول ليقولون قولاً
فضلياً، وكذباً، وإن الله لعفو غفور،
فقد شرع لهم الكفارة؛ تخليصاً لهم
من الإثم.

٣ والذين يقولون هذا القول
الفضيع، ثم يريدون جماع من ظاهروا
منهن فعليهم أن يُكْفِرُوا بعتق رقبة
من قبل أن يجامعوها، ذلكم الحكم
المذكور تؤمرون به زجراً لكم عن
الظهار، والله بما تعملون خبير، لا
يخفى عليه من أعمالكم شيء.

٤ فمن لم يجد منكم رقبة
يعتقها فعليها صيام شهرين متتابعين
من قبل أن يجامع زوجته التي ظاهر
منها، فمن لم يستطع صيام شهرين

متتابعين فعليه إطعام ستين مسكيناً، ذلك الحكم الذي حكمنا به لتؤمنوا بأن الله أمر به، فتمثلوا أمره، وتتبعوا رسوله، وتلك الأحكام
التي شرعناها لكم حدود الله التي حدتها لعباده فلا تتجاوزوها، وللكافرين بأحكام الله وحدوده التي حدتها عذاب موعج.
٥ إن الذين يعادون الله ورسوله أَذَلُّوا وَأَحْزَرُوا كما أَذَلَّ الَّذِينَ عَادُوهُ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَأَحْزَرُوا، وقد أَنْزَلْنَا آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ،
وللكافرين بالله وبرسوله وآياته عذاب مُذَلِّلٌ.

٦ يوم يبعثهم الله جميعاً لا يغادر منهم أحداً، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، أحصاه الله عليهم، فلم يفته
من أعمالهم شيء، ونسوه هم فوجدوه مكتوباً في صحائفهم التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، والله على كل شيء مُطَّلِعٌ لا
يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٧ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لُطْفَ اللَّهِ بِالْمُسْتَضْعِفِينَ من عبادة من حيث إجابة دعائهم ونصرتهم.
- من رحمة الله بعباده تنوع كفارة الظهار حسب الاستطاعة ليخرج العبد من الحرج.
- في ختم آيات الظهار بذكر الكافرين؛ إشارة إلى أنه من أعمالهم، ثم ناسب أن يورد بعض أحوال الكافرين.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلاَّ هَوْرًا بَعْهَمَ وَلَا خَمْسَةَ إِلاَّ هَوْرًا سَادِسَهُمْ وَلَا أَذَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا
عَمَلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهِوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهِوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ
جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فِي سَسِّ الْمَصِيرِ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ
وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ
شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٥٤٣

﴿٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، ما يكون من حديث ثلاثة سراً إلا هو سبحانه رابعهم بعلمه، ولا يكون من حديث خمسة سراً إلا هو سبحانه سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك العدد، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه من حديثهم شيء، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٨﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن النجوى، ثم هم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم مثل اغتيال المؤمنين، وبما فيه عدوان عليهم، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاؤوك - أيها الرسول - حيَّوك بتحية لم يحيك الله بها؛ وهي قولهم: الشَّام عليك يقصدون الموت، ويقولون تكذيباً للنبي ﷺ: هلاً يعذبنا الله بما نقول، إذ لو كان صادقاً في دعواه أنه نبي لعذبنا الله بما نقول فيه! كافهم جهنم عقاباً على ما قالوه، يعانون حرَّها، فقبح المصير مصيرهم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتناجوا بما فيه إثم أو عدوان أو معصية للرسول حتى لا تكونوا مثل اليهود، وتناجوا بما فيه طاعة لله وكف عن معصيته، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي إليه وحده تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٠﴾ إنما النجوى - المشتملة على الإثم والعدوان ومعصية الرسول - من تزيين الشيطان ووسوسته لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين أنهم يُكَادُّ لهم، وليس الشيطان ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون في جميع شؤونهم.

ولما ذكر الله الأدب في الأقوال ذكر الأدب في المجالس فقال:

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس فأوسعوا فيها، يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارتفعوا من بعض المجالس ليجلس فيها أهل الفضل فارتفعوا عنها، يرفع الله سبحانه الذين آمنوا منكم والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مع أن الله عالٍ بذاته على خلقه؛ إلا أنه مطلعٌ عليهم بعلمه لا يخفى عليه أي شيء.
- لما كان كثير من الخلق يأتون بالتناجي أمر الله المؤمنين أن تكون نجواهم بالبر والتقوى.
- من آداب المجالس التوسيع فيها للأخرين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُوَابِّينَ يَدَىٰ جُنُودِكُمْ
صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ ۖ إِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَ أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىٰ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ ۖ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فِي حِلْفُونَ لَهُ ۚ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۖ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

٥٤٤

﴿١٢﴾ لما أكثر الصحابة من مناجاة النبي ﷺ، قال الله: يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم مُسَارَّةَ الرسول فقدموا بين يدي مُسَارَتكم صدقة، ذلك التقديم للصدقة خير لكم وأظهر: لما فيه من طاعة الله التي تزيكي القلوب، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم في مُسَارَتِهِ، فإن الله غفور لذنوب عباده، رحيماً بهم حيث لم يكلفهم إلا ما في وسعهم.

﴿١٣﴾ أَخَفَّتُمُ الْفَقْرَ بسبب تقديم الصدقة إذا ناجيتم الرسول! فإذا لم تفعلوا ما أمر الله به منها، وتاب عليكم حيث رخص لكم في تركها فَأَتُوا بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الله ورسوله، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها. ﴿١٤﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين غضب الله عليهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، هؤلاء المنافقون ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود، بل هم مُدْبِطُونَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ويحلفون بأنهم مسلمون وبأنهم ما نقلوا أخبار المسلمين لليهود، وهم كاذبون في حلفهم.

﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا في الآخرة، حيث يدخلهم الدرك الأسفل من النار، إنهم قبح ما كانوا عليه من أعمال الكفر في الدنيا.

﴿١٦﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمُ التي كانوا يحلفونها وقاية من القتل بسبب الكفر، حيث أظهروا بها الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم، فصرفوا الناس عن الحق لما كانوا فيه من التوهين

والثبيط للمسلمين، فلهم عذاب مذلّ يذلهم ويخزيهم.

﴿١٧﴾ لَن تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ، ولا أولادهم من الله شيئاً، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ما كثين فيها أبداً لا ينقطع عنهم العذاب. ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جميعاً لا يترك منهم أحداً إلا بعثه للجزاء، فيحلفون لله ما كانوا على الكفر والنفاق، وإنما كانوا مؤمنين عاملين بما يرضي الله، يحلفون له في الآخرة كما كانوا يحلفون لكم - أيها المؤمنون - في الدنيا أنهم مسلمون، ويظنون أنهم بهذه الأيمان التي يحلفونها لله على شيء مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً، ألا إنهم هم الكاذبون حقاً في أيمانهم في الدنيا، وفي أيمانهم في الآخرة. ﴿١٩﴾ استولى عليهم الشيطان فأنساهم بوسوسته ذكر الله، فلم يعملوا بما يرضيه، وإنما عملوا بما يفضيه، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم جنود إبليس وأتباعه، ألا إن جنود إبليس وأتباعه هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فقد باعوا الهدى بالضلالة، والجنة بالنار. ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَيُعَادُونَ رَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي جُمْلَةٍ مِّنْ أَذْلِهِمُ اللَّهُ في الدنيا والآخرة وأخزاهم من الأمم الكافرة. ﴿٢١﴾ قَضَى اللَّهُ في سابق علمه لَأَنْتَصِرَنَّ أَنَا وَرُسُلِي على أعدائنا بالحجة والقوة، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَلَىٰ نُصْرَةِ رُسُلِهِ، عزيز ينتقم من أعدائهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• لطف الله بنبيه ﷺ: حيث أدب صحابته بعدم المشقة عليه بكثرة المناجاة. • ولاية اليهود من شأن المنافقين. • خسران أهل الكفر وغلبة أهل الإيمان سُنَّةَ إلهية قد تتأخر، لكنها لا تتخلف.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
 أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ
 بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

آياتها ٢٤

سورة الحشر

آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَّانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
 فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

﴿٢٢﴾ لا تجد - أيها الرسول - قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ورسوله آباءهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالات أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مقدمة عليها عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقرباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم ببرهان منه ونور، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكتفين فيها أبداً، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمتثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

— مَدِينَة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إظهار قوة الله وعزته في توهين اليهود والمنافقين، وإظهار تفرقهم في مقابل إظهار تآلف المؤمنين.

• التفسير:

﴿١﴾ عَظَّمَ اللَّهُ وَنَزَّهَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ

كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ بَنِي النُّضِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، مِنْ دِيَارِهِم بِالْمَدِينَةِ لِأَوَّلِ إِخْرَاجِ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ، وَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ أَصْحَابُ التَّوْرَةِ، بَعْدَ نَقْضِهِمْ لِعَهْدِهِمْ وَصِيْرُورَتِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ؛ أَخْرَجَهُمْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، مَا ظَنَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْمُنْعَةِ، وَظَنُّوا هُمْ أَنْ حُصُونَهُمُ الَّتِي سَيَّدُوهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، فَجَاءَهُمْ بِأَسِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا مَجِيئَهُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُهُ بِقِتَالِهِمْ وَاجْلَائِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، يَدْمُرُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ دَاخِلِهَا لَتَلَا يَنْتَفِعَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، وَيَدْمُرُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجِهَا، فَاتَعَزَّوْا يَا أَصْحَابَ الْأَبْصَارِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَتَنَالُوا جَزَاءَهُمْ وَعِقَابَهُمُ الَّذِي عَوْقِبُوا بِهِ.

﴿٣﴾ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ يَنْتَظِرُهُمْ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• المحبة التي لا تجعل المسلم يتبرأ من دين الكافر ويكرهه، فإنها محرمة، أما المحبة الفطرية؛ كمحبة المسلم لقريبه الكافر، فإنها جائزة. • رابطة الإيمان أوثق الروابط بين أهل الإيمان. • قد يعلو أهل الباطل حتى يُظَنُّ أنهم لن يهنزوا، فتأتي هزيمتهم من حيث لا يتوقعون. • من قدر الله في الناس دفع المصائب بوقوع ما دونها من المصائب.

٤ ذلك الذي حصل لهم حصل لأنهم عَادُوا اللَّهَ وَعَادُوا رَسُولَهُ بِكُفْرِهِمْ وَنَقَضَهُمُ لِلْعَهْدِ، وَمَنْ يَعَادِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، فَسِينَالَهُ عِقَابُهُ الشَّدِيدُ.

٥ ما قُطِعْتُمْ - معشر المؤمنين - من نخلة لتغيظوا أعداء الله في غزوة بني النضير أو تركتموها قائمة على جذوعها لتنتفعوا بها - فبأمر الله، وليس من الفساد في الأرض كما زعموا، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذين نقضوا العهد، واختاروا سبيل الفدر على طريق الوفاء.

٦ والذي رَدَّه الله على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعتُم في طلبه مما تركبونه خيالاً ولا إقبالاً، ولا أصابتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء، وقد سلط رسوله على بني النضير ففتح بلادهم بغير قتال، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٧ ما أنعم الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال قلله، يجعله لمن يشاء، ولرسول مكرماً، ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب: تعويضاً لهم عما منَعُوهُ من الصدقة، ولأيتام، وللفقراء، وللغريب الذي نفدت نفقته؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء، وما أعطاكم الرسول من أموال الفبيء فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله شديد العقاب فاحذروا عِقَابَهُ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٩ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠

٥٤٦

٨ وَيُصَرِّفُ جُزْءًا مِنْ هَذَا الْمَالِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ أَجْبَرُوا عَلَى تَرْكِ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، يَرْجُونَ أَنْ يَفْضَلَ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالرِّضْوَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَيَنْصُرُونَ رَسُولَهُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَٰئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الرَّاكِبُونَ فِي الْإِيمَانِ حَقًّا.

ولما ذكر الله المهاجرين وأثنى عليهم، ذكر الأنصار وأثنى عليهم كذلك، فقال سبحانه:

٩ وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَارُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ غِيظًا وَلَا حَسَدًا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا مَا أَعْطُوا شَيْئًا مِنَ الْفَيْءِ وَلَمْ يُعْطَوْا هُمْ، وَيَقْدُمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَوْ كَانُوا مُتَصَفِّينَ بِالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، وَمِنْ يَقَّةِ اللَّهِ حَرَصَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَالِ فَيَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِنَيْلِ مَا يَرْتَجُونَهُ، وَالنَّجَاةَ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ.

١٠ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فعل ما يُظُنُّ أنه مفسدة لتحقيق مصلحة عظمية لا يدخل في باب الفساد في الأرض.
- من محاسن الإسلام مراعاة ذي الحاجة للمال، فصرَّف الفبيء لهم دون الأغنياء المكتفين بما عندهم.
- الإيثار منقبة عظيمة من مناقب الإسلام ظهرت في الأنصار أحسن ظهور.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأُذُنُ ثِمًا لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَن تَرَوْا
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبُوا زُنُوجَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

٥٤٧

﴿١٠﴾ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وباللّٰه وبرسوله، ولا تجعل في قلوبنا صغينةً وحقّاً لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوفٌ بعبادك، رحيم بهم.

﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ - أيها الرسول - إلى الذين أضَمروا الكفر وأظهروا الإيمان، يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود أتباع التوراة المعرفة: اثبتوا في دياركم فلن نخذلكم، ولن نسلحكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجنّ تضامناً معكم، ولا نطيع أحداً يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن قاتلوكم لنميتنكم عليهم، واللّٰه يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج مع اليهود إذا أُخْرِجُوا، والقتال معهم إذا قُوتِلُوا.

﴿١٢﴾ لئن أخرج المسلمون اليهود لا يخرجون معهم، وإن قاتلوهم لا ينصروهم ولا يعينوهم، ولئن نصروهم وأعانوهم على المسلمين ليهرينّ فراراً منهم ثم لا يُنصّر المنافقون بعد ذلك، بل يذلّهم الله ويخزيهم.

﴿١٣﴾ لأنتم - أيها المؤمنون - أشدّ تخويفاً في قلوب المنافقين واليهود من الله، ذلك المذكور - من شدة خوفهم منكم، وضعف خوفهم من الله - بسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يفهمون؛ إذ لو كانوا يفقهون لعلموا أن الله أحقّ أن يُخَافَ وأن يُرهب، فهو الذي سلطكم عليهم.

﴿١٤﴾ لا يقاتلكم - أيها المؤمنون - اليهود مجتمعين إلا في قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم لا يستطيعون مواجهةكم لجبنهم، بأسهم فيما بينهم قوي لما بينهم من العداوة، تظنّ أنهم على كلمة واحدة، وأن صفهم واحد، والواقع أن قلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك الاختلاف والتعادي بسبب أنهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق واتبعوه، ولم يختلفوا فيه.

﴿١٥﴾ مثل هؤلاء اليهود في كفرهم وما حلّ بهم من عقاب، كمثل الذين من قبلهم من مشركي مكة في زمن قريب، فذاقوا سوء عاقبة كفرهم، فُقُتِلَ من قُتِلَ وأُسِرَ من أُسِرَ منهم يوم بدر، ولهم في الآخرة عذاب مّوجع.

﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ في سماعهم من المنافقين كمثل الشيطان حين زَيّن للإنسان أن يكفر، فلما كفر بسبب تزيينه الكفر له قال: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ لما كفرت، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ربّ الخلائق.

﴿١٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- رابطة الإيمان لا تتأثر بتأطول الزمان وتغير المكان.
- صداقة المنافقين لليهود وغيرهم صداقة وهمية تتلاشى عند الشدائد.
- اليهود جبّاء لا يواجهون في القتال، ولو قاتلوا فإنهم يتحصنون بِقُرَاهِمِ وأسلحتهم.

(١٧) فكان نهاية أمر الشيطان ومن أطاعه أنهما (أي: الشيطان المُطَاع، والإنسان المُطِيع) يوم القيامة في النار ما كُنَّ فِيهَا أَبَدًا، وذلك الجزاء الذي ينتظرهما هو جزاء الظالمين لأنفسهم بتعدّي حدود الله.

(١٨) يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتأمل نفس ما قدمت من عمل صالح ليوم القيامة، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

(١٩) ولا تكونوا مثل الذين نسوا الله بترك امتثال أمره واجتناب نهيهِ، فأنساهم الله أنفسهم، فلم يعملوا بما ينجيها من غضب الله وعقابه، أولئك الذين نسوا الله - فلم يمتثلوا أمره ولم يكفوا عن نهيهِ - هم الخارجون عن طاعة الله.

(٢٠) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، بل هم مختلفون في جزائهم مثل اختلاف أعمالهم في الدنيا، أصحاب الجنة هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، الناجون مما يرهّبونه.

(٢١) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته - أيها الرسول - ذلك الجبل مع صلابته متذبذبًا متشققًا من شدة خشية الله؛ لما في القرآن من المواعظ الزاجرة والوعيد الشديد، وهذه الأمثال نضربها للناس لعلهم يُعْمَلُونَ عقولهم فيتعظوا بما تشتمل عليه آياته من العظات والعبر.

(٢٢) هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن

الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المُنَزَّه والمُقَدَّس عن كل نقص، السالم من كل عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي قهر بجبروته كل شيء، المتكبر، تَعَزَّاهُ الله وتَقَدَّسَ عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها.

(٢٣) هو الله الخالق الذي خلق كل شيء، الموجد للأشياء، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له سبحانه الأسماء الحسنى المشتملة على صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من علامات توفيق الله للمؤمن أنه يحاسب نفسه في الدنيا قبل حسابها يوم القيامة.
- في تذكير العباد بشدة أثر القرآن على الجبل العظيم؛ تنبيه على أنهم أحق بهذا التأثير لما فيهم من الضعف.
- أشارت الأسماء (الخالق، الباري، المصور) إلى مراحل تكوين المخلوق من التقدير له، ثم إيجاده، ثم جعل له صورة خاصة به، ويذكر أحدها مفردًا فإنه يدل على البقية.

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ ٥٤٨ رُبِّيَّتْهَا ٦٠ آيَاتُهَا ١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ ﴾

تحذير المؤمنين من تولي الكافرين.

﴿ التَّخْيِيرُ ﴾

﴿ ١ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وعملوا بما شرعه لهم، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء توالونهم وتوادونهم، وقد كفروا بما جاءكم على يد رسولكم من الدين، يُخْرِجُونَ الرسول من داره، ويخرجونكم أنتم كذلك من دياركم بمكة، لا يراعون فيكم قرابة ولا رحمًا، لا شيء إلا أنكم آمنتم بالله ربكم، لا تفعلوا ذلك إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي، ومن أجل طلب مرضاتي، تُسْرُونَ إليهم بأخبار المسلمين مودة لهم، وأنا أعلم بما أخفيتم من ذلك وما أعلنتم، لا يخفى علي شيء من ذلك ولا من غيره، ومن يفعل تلك الموالاة والمودة للكفار فقد انحرف عن وسط الطريق، وضلَّ عن الحق، وجانب الصواب.

﴿ ٢ ﴾ إِنْ يَنْظُرُوا بِكُمْ يُظْهِرُوا مَا فِي صُدُورِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَيَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكُمْ بِالْإِذَاءِ وَالضَّرْبِ، وَيَطْلُقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالسَّبِّ، وَتَمْنُوا لَو تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ لَتَكُونُوا مِثْلَهُمْ.

﴿ ٣ ﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ قُرَابَتُكُمْ، وَلَا أَوْلَادُكُمْ إِذَا وَارِثَ الْكُفْرَ مِنْ أَجْلِهِمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْرُقُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ، فَيَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، فَلَا يَنْفَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿ ٤ ﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - قَدْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، حِينَ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الْكُفْرَ: إِنَّا بَرِيءُونَ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْكِرَاهِيَةُ حَتَّى تَوَدَّعْتُمْ بَيْنَنَا وَحَدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا، فَكَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا مِنْ قَوْمِكُمُ الْكُفْرَ مِثْلَهُمْ، إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لِأَبِيهِ: لَا طَلِبَ الْمَغْفِرَةَ لَكَ مِنَ اللَّهِ، فَلَا تَتَّسِبْ بِهِ فِيهِ: لِأَنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ يَأْسِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَبِيهِ، فَلَيْسَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَطْلُبَ الْمَغْفِرَةَ لِمُشْرِكٍ، وَلَسْتَ بِدَافِعٍ عَنْكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، رَبَّنَا عَلَيكَ اعْتِمَادُنَا فِي أُمُورِنَا كُلِّهَا، وَإِلَيْكَ رَجَعْنَا تَائِبِينَ، وَإِلَيْكَ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ ٥ ﴾ رَبَّنَا لَا تُخْزِبْنَا فَتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْ تَسْلُطَهُمْ عَلَيْنَا فَيَقُولُوا: لَوْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ لَمَا سَلَطْنَا عَلَيْهِمْ، وَاعْفُرْ لَنَا رَبَّنَا ذُنُوبَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِكَ وَشَرْعِكَ وَقَدْرِكَ.

﴿ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ ﴾

• تسريب أخبار أهل الإسلام إلى الكفار كبيرة من الكبائر.

• عداوة الكفار عداوة مُتَأَصِّلَةٌ لَا تَوَثِّرُ فِيهَا مَوَالِيَتُهُمْ.

• استغفار إبراهيم لأبيه لوعده له بذلك، فلما نهاه الله عن ذلك لموته على الكفر ترك الاستغفار له.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيَّ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَنُ لَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

٦ هذه القدوة الحسنة إنما يتأسى بها من كان يرجو من الله الخير في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عن هذه القدوة الحسنة فإن الله غني عن عبادِهِ، لا يحتاج إلى طاعتهم، وهو الم محمود على كل حال.

٧ عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بحيث يهديهم الله للإسلام، فيكونون إخوة لكم في الدين، والله قدير يقدر أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور لمن تاب من عبادِهِ، رحيم بهم.

٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعدلوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، إن الله يحب العاديين الذين يعدلون في أنفسهم وأهليهم وما أولوا.

٩ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب إيمانكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم؛ ينهاكم أن توالوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب مخالفة أمر الله.

١٠ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاختروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه قلوبهن، فإن علمتموهن مؤمنات بعد الاختبار بما يظهر لكم من صدقهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل

للمؤمنات أن يتزوجن بالكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا بالمؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهرهن، ولا إثم عليكم - أيها المؤمنون - أن تتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطيتهم مهرهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسهن؛ لانقطاع نكاحهما بكفرها، وأسألو الكفار ما بذلتم من مهر زوجاتكم المُرَدَّات، وليسألوهم ما بذلوا من مهر زوجاتهم اللاتي أسلمن، ذلك المذكور - من رد المهر من جهتك ومن جهتهم - هو حكم الله، يحكم بينكم سبحانه بما يشاء، والله عليم بأحوال عبادِهِ، وأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم فيما يشرعه لعباده.

١١ وإن قُرِضَ خروج بعض نسائكم إلى الكفار مُرَدَّات وطلبتن مهرهن من الكفار ولم يعطوها، فننتم من الكفار فأعطوا الأزواج الذين خرجت زوجاتهم مُرَدَّات مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه.

من قواعد الآيات:

- في تصريف الله القلب من العداوة إلى المودة، ومن الكفر إلى الإيمان إشارة إلى أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه سبحانه، فليطلب العبد منه الثبات على الإيمان.
- التفريق في الحكم بين الكفار المحاربين والمسالمةين.
- حرمة الزواج بالكافرة غير الكتابية ابتداءً ودواماً، وحرمة زواج المسلمة من كافر ابتداءً ودواماً.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَدْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

آيَاتُهَا ١٤

مُتَشَبِّهَاتُهَا ٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾

تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

٥٥١

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ - مثل ما حدث في فتح مكة - على ألا يشركن بالله شيئاً، بل يعبدنه وحده، ولا يسرقن، ولا يزْنين، ولا يقتلن أولادهنَّ جرئاً وراء عادة أهل الجاهلية، ولا يَلْحِقن بأزواجهنَّ أولادهنَّ من الزنى، ولا يعصينك في معروف من معروف من مثل نهيه عن النجاسة والحلق وشق الجيب: فبايعهنَّ، واطلب لهنَّ المغفرة من الله لذنوبهنَّ بعد مبايعتهنَّ لك، إن الله غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم.

ولما بدأت السورة بالتحذير من موالة أعداء الله اختتمت بالتحذير منها تأكيداً لما سبق، فقال تعالى: ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاعْمَلُوا بِمَا شَرَعَهُمْ، لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَا يُوَفَّوْنَ بِالْآخِرَةِ، بل هم ياتسون منها مثل يأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.

سُورَةُ الصَّفِّ

مَدَنِيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

• حَثُّ الْمُؤْمِنِينَ لِنَصْرَةِ الدِّينِ.

• التَّنْشِيْهُ:

﴿١﴾ نَزَّهَ اللَّهُ ﷻ وَقَدَّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقَدْرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ، لِمَ تَقُولُونَ: فَعَلْنَا شَيْئًا، وَلَمْ تَفْعَلُوهُ فِي الْوَاقِعِ؟ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: قَاتَلْتُ بَسِيفِي وَضَرَبْتُ، وَهُوَ لَمْ يَقَاتِلْ بِسِيفِهِ وَلَمْ يَضْرِبْ.

﴿٣﴾ عَظُمَ ذَلِكَ الْمِغْوُضُ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَهُ، فَلَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ، يُصَدِّقُ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ صَفًّا بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ بِنْيَانٌ مِتْلَاصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

ولما ذكر الله القتال وامتدح المؤمنين المُتَرَاصِينَ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ مَخَالَفَةِ رِسُولِيهِمَا، تَحْذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَخَالَفَةِ نَبِيِّهِمْ، فَقَالَ:

﴿٥﴾ وَادَّكُرْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يٰقَوْمِ، لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا

مَالُوا وَانْحَرَفُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَمَالَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• مَشْرُوعِيَّةُ مَبَايَعَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى.

• وَجُوبُ الصَّدَقِ فِي الْأَفْعَالِ وَمَطَابَقَتُهَا لِلْأَقْوَالِ.

• بَيِّنُ اللَّهِ لِلْعَبِيدِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِذَا اخْتَارَ الْعَبْدُ الزَّيْغَ وَالضَّلَالَ لَمْ يَتَبَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَعَاقِبُهُ بِزِيَادَةِ زَيْغِهِ وَضَلَالِهِ.

١ واذكر - أيها الرسول - حين قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا بني إسرائيل، إني رسول الله بعثني إليكم مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، فليست بيدع من الرسل، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم عيسى بالحجج الدالة على صدقه قالوا: هذا سحر واضح، فلن نتبعه.

٢ ولا أحد أشدّ ظلماً ممن اختلق على الله الكذب حيث جعل له أناداً يعبدهم من دونه وهو يُدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم.

٣ يريد هؤلاء المكذبون أن يطفئوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته.

٤ الله هو الذي بعث رسوله محمداً ﷺ بدين الإسلام، ودين العلم النافع والعمل الصالح؛ يُعَلِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عَلَى رِغْمِ أَنْوْفِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ أَنْ يُمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ. ٥ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، هل أرشدكم وأهدىكم إلى تجارة رابحة، تتقدم من عذاب موجه؟

٦ هذه التجارة الربحية هي أن تؤمنوا بالله وبرسوله، وتجاهدوا في سبيله سبحانه بإنفاق أموالكم وبذل أنفسكم ابتغاء مرضاته؛ ذلك العمل

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ١٠ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ١٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٤

المذكور خير لكم إن كنتم تعلمون فسارعوا إليه.

١٢ ورتب هذه التجارة هو أن يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة لا انتقال عنها، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه أي فوز.

١٣ ومن رتب هذه التجارة خصلة أخرى تحبونها وهي عاجلة في الدنيا، أن ينصركم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم وهو فتح مكة وغيرها، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين بما يسرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

١٤ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، كونوا أنصار الله بنصركم لدينه الذي جاء به رسولكم مثل نصرة الخواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: من أنصاري إلى الله؟ فأجابوه مبادرين: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على الذين كفروا به، فأصبحوا غالبين عليهم.

١٥ من قَوَائِدِ الْأَقَاتِ؛

• تبشير الرسالات السابقة بنبينا ﷺ دلالة على صدق نبوته.

• التمكين للدين سنة إلهية.

• الإيمان والجهاد في سبيل الله من أسباب دخول الجنة.

• قد يجعل الله جزاء المؤمن في الدنيا، وقد يدخره له في الآخرة لكنه لا يُضَيِّعُهُ - سبحانه -.

● من مقاصد السورة:

● الامتنان على الأمة وتفضيلها برسولها، وبيان فضل يوم الجمعة.

● التفسير:

١ يُنْزِرُهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ وَيُقَدِّسُهُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَجَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ، هُوَ الْمَلِكُ الْمُنْفَرِدُ وَحْدَهُ بِالْمَلِكِ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نِقْصٍ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشِرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ وَاضِحٍ، حَيْثُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ، وَيَقْطَعُونَ الرَّحِمَ.

٣ وَبَعَثَ هَذَا الرَّسُولَ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ، وَسَيَاتُونَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشِرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

٤ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ - مِنْ بَعَثَ الرَّسُولَ إِلَى الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ - فَضَّلَ اللَّهُ يَعْطِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ إِحْسَانِهِ الْعَظِيمِ إِرْسَالَهُ رَسُولَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

ولما ذكر الله ما امتن به من بعثة الرسول، ومن إنزال القرآن، ذكر ما كان عليه بعض أتباع موسى عليه السلام من

الإعراض عن العمل بما في التوراة؛ تحذيرًا لهذه الأمة من اتباعهم، فقال:

٥ مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَلَّفُوا الْقِيَامَ بِمَا فِي التَّوْرَةِ فَتَرَكُوا مَا كَلَّفُوا بِهِ، كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ الْكُتُبَ الْكَبِيرَةَ، لَا يَدْرِي مَا حُمِّلَ عَلَيْهِ؛ أَهُوَ كَتَبٌ أَمْ غَيْرُهُ؟ قَبِّحَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ.

٦ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ بَعْدَ تَحْرِيفِهَا، إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ اخْتَصَمْكُمْ بِالْوِلَايَةِ دُونَ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ؛ لِيَعْبَلَ لَكُمْ مَا اخْتَصَمَكُمْ بِهِ - حَسَبَ زَعْمِكُمْ - مِنَ الْكِرَامَةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونَ النَّاسِ. وَلَا يَتَمَتُّونَ الْمَوْتَ أَبَدًا، بَلْ يَتَمَتُّونَ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ مَا عَمِلُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَتَحْرِيفِ التَّوْرَةِ وَتَبْدِيلِهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَا يَخْضِي عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

٧ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ: إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَهْرَبُونَ مِنْهُ مَلَاقِيكُمْ لَا مُحَالَةَ إِنْ عَاجِلًا أَوْ أَجَلًا، ثُمَّ تَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ عَالِمٍ مَا غَابَ وَمَا حَضَرَ، لَا يَخْضِي عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● عَظُمَ مَنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ عَامَةً وَعَلَى الْعَرَبِ خُصُوصًا، حَيْثُ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَضْيَاعٍ.

● الْهَدَايَةُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، تَطْلُبُ مِنْهُ وَتُسْتَجْلِبُ بِطَاعَتِهِ.

● تَكْذِيبُ دَعْوَى الْيَهُودِ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ: بِتَحْذِيرِهِمْ أَنْ يَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ لِأَنَّ الْوَلِيَّ يَشْتَقُّ لِحَبِيبِهِ.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِذَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صُعُودِ الْخُطْبِ عَلَى الْمَنبَرِ، فَاسْعَوْا إِلَى الْمَسَاجِدِ لِحَضُورِ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ؛ لِثَلَا يَشْغَلَكُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ مِنَ السَّعْيِ وَتَرَكَ الْبَيْعَ بَعْدَ الْأَذَانِ لصلَاةِ الْجُمُعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَامْتثلُوا مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ.

﴿٢﴾ فَإِذَا أُنْهِيتُمْ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ بَحْثًا عَنِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ، وَعَنْ قِضَاءِ حَاجَاتِكُمْ، وَاطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ وَالرِّبْحِ الْحَلَالِ، وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَثْنَاءِ بَحْثِكُمْ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا يُؤَسِّسْكُمْ بِحُثْمِ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرُ اللَّهِ؛ رَجَاءُ الْفَوْزِ بِمَا تَحْبُونَهُ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا تَرْهَبُونَهُ.

﴿٣﴾ وَإِذَا عَايَنَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا تَصْرَفُوا خَارِجِينَ إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا - أَيُّهَا الرُّسُلُ - قَائِمًا عَلَى الْمَنبَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهْوِ الَّذِي خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

— مَدِينَةٌ —

﴿١﴾ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان حقيقة المنافقين والتحذير منهم. التفسير:

﴿٢﴾ إِذَا حَضَرَ مَجْلِسُكَ - أَيُّهَا

الرسول - المنافقون الذين يُظهِرون الإسلام، ويُضْمرون الكفر، قالوا: نشهد أنك لرسول الله حقًا، والله يعلم أنك لرسوله حقًا، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما يدَّعون أنهم يشهدون من صميم قلوبهم أنك لرسوله.

﴿٣﴾ جَمَلُوا أَيْمَانَهُمَ الَّتِي يَحْلِفُونَهَا عَلَى دَعْوَاهِمُ الْإِيمَانَ، سِتْرَةً وَوَقَايَةً لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَصَرَفُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا يَبْثُونَهُ مِنَ التَّشْكِكِ وَالْإِرْجَافِ، إِنَّهُمْ قَبِحٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ النِّفَاقِ وَالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ.

﴿٤﴾ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْهُمْ آمَنُوا نَفَاقًا، وَلَمْ يَصِلِ الْإِيمَانُ إِلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ كَفَرُوا بِاللَّهِ سِرًّا، فَخْتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ فَلَا يَدْخُلُهَا إِيمَانٌ، فَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْخَتْمِ لَا يَفْقَهُونَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَرُشْدُهُمْ.

﴿٥﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ - أَيُّهَا النَّازِرُ - تَعَجِبُ هَيْئَتَهُمْ وَأَشْكَالَهُمْ؛ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النُّضَارَةِ وَالنَّعِيمِ، وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا تَسْمَعُ لِكَلَامِهِمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْبِلَاغَةِ، كَانَهُمْ فِي مَجْلِسِكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ، لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَعُونَهُ، يَظُنُّونَ كُلَّ صَوْتٍ يَسْتَهْدِفُهُمْ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْجِبَنِ، هُمْ الْعَدُوُّ حَقًّا، فَاحْذَرَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - أَنْ يَفْشُوا لَكَ سِرًّا أَوْ يَكِيدُوا لَكَ مَكِيدَةً، لَعَنَهُمُ اللَّهُ، كَيْفَ يُصَرِّفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ مَعَ وَضُوحِ دَلِيلِهِ، وَجَلَاءِ بَرَاهِينِهِ؟

﴿٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب السعي إلى الجمعة بعد النداء وحرمة ما سواه من الدنيا إلا لعذر. • تخصيص سورة للمنافقين فيه تنبيه على خطورتهم وخفاء أمرهم. • العبرة بصلاح الباطن لا بجمال الظاهر ولا حسن المنطق.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

آيَاتُهَا ١١

رُتِبَتْهَا ٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا

٥٥٤

٥ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله معتذرين عما بدر منكم، يطلب لكم من الله المغفرة لذنوبكم، عطفوا رؤوسهم استهزاء وسخرية، ورأيهم يُغرضون عما أمروا به، وهم مستكبرون عن قبول الحق والإذعان له.

٦ يستوي طلبك - أيها الرسول - المغفرة لذنوبهم وعدم طلبك المغفرة لهم، لن يغفر الله لهم ذنوبهم، إن الله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، المُصِرِّين على معصيته.

٧ هم الذين يقولون: لا تنفقوا أموالكم على من عند رسول الله من الفقراء والأعراب حول المدينة حتى يتفرقوا عنه، ولله وحده خزائن السموات، وخزائن الأرض، يرزقها من يشاء من عباده، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الرزق بيده سبحانه.

٨ يقول رأسهم عبد الله بن أبي: لننعدنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز - وهم أنا وقومي - منها الأذل؛ وهم محمد وأصحابه، ولله وحده العزة ولرسوله وللمؤمنين، وليست لعبد الله ابن أبي وأصحابه، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولما بين الله حرص المنافقين على الخيل بالإنفاق للصد عن سبيل الله حذر المؤمنين من ذلك، وأمرهم بالإنفاق في سبيله، فقال:

٩ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلاة أو غيرها من فرائض الإسلام، ومن شغلته أمواله وأولاده عما أوجبه الله عليه من الصلاة وغيرها، فأولئك هم الخاسرون حشاً الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

١٠ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلا أخرتني إلى مدة يسيرة، فأنصديق مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

١١ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الإعراض عن النصح والتكبر من صفات المنافقين.
- من وسائل أعداء الدين الحصار الاقتصادي للمسلمين.
- خطر الأموال والأولاد إذا شغلت عن ذكر الله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٦ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٩ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْتُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ١٠ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١

سُورَةُ النَّجْمِ

آيَاتُهَا ١٨

رُتِبَتْهَا ٦٤

٥٥٥

١٢ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلا أخرتني إلى مدة يسيرة، فأنصديق مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

١٣ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَيِّنَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنَّبَأَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝
فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

٥٥٦

إليه أمرهم؛ فتوبوا إلى الله قبل أن يحل بكم ما حل بهم.

① ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم بسبب أنه كانت تأتيتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة والبراهين الجلية، فقالوا مستنكرين أن تكون الرسل من جنس البشر؛ أبشروا بشركنا إلى الحق؟ فكفروا وأعرضوا عن الإيمان بهم، فلم يضرؤا الله شيئاً، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم؛ لأن طاعتهم لا تزيده شيئاً، والله غني لا يفتقر إلى عبادته، محمود في أقواله وأفعاله. ② زعم الذين كفروا بالله أن الله لن يبعثهم أحياء بعد موتهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: بلى وربى لَتُبْعَثَنَّ يوم القيامة، ثم لَتُنَّبَأَنَّ بما عملتم في الدنيا، وذلك البعث على الله سهل؛ فقد خلقكم أول مرة، فهو قادر على بعثكم بعد موتكم أحياء للحساب والجزاء.

③ فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا برسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها. ④ اذكر - أيها الرسول - يوم يجمعكم الله ليوم القيامة ليجازيكم على أعمالكم، ذلك اليوم الذي يظهر فيه خسارة الكفار ونقصهم، حيث يرث المؤمنون منازل أهل النار في الجنة، ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، ومن يؤمن بالله ويعمل عملاً صالحاً يُكْفِّرُ الله عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبداً، لا يخرجون منها، ولا ينقطع عنهم نعيمها، ذلك الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا يديانه فوز.

⑤ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

● من قضاء الله انقسام الناس إلى أشقياء وسعداء. ● من الوسائل المعينة على العمل الصالح تذكر خسارة الناس يوم القيامة.

① مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التحذير مما تحصل به الندامة والغين يوم القيامة.

② التفسير:

① يُنْزِرُهُ اللهُ وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ كُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ، لَهُ وَحْدَهُ الْمُلْكُ، فَلَا مِلْكَ غَيْرُهُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

② هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا

الناس - فَمِنْكُمْ كَافِرٌ بِهِ وَمَصِيرُهُ النَّارُ، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ بِهِ وَمَصِيرُهُ الْجَنَّةُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

③ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَخَلَقَ الْأَرْضَ

بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا عَبَثًا، وَصَوَّرَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ مِثْلَهُ مِنْهُ وَتَقْضَلًا، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا قُبْحَةً، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ الرَّجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

④ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَيَعْلَمُ

مَا فِي الْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيَعْلَمُ مَا تَعْلَنُونَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

⑤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ -

خَبَرُ الْأُمَمِ الْمَكْدُوبَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ؛ مِثْلُ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ، فَذَاقُوا عِقَابَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُوجِعٌ؟ بَلَى، قَدْ أَتَاكُمْ ذَلِكَ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا آلَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
 تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
 لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
 فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
 وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
 شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرُّضُوا
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ النَّعَائِمِ

آيَاتُهَا ١٨

تَرْبِيَّتُهَا ٦٥

٥٥٧

﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا
 بآيَاتِنَا الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ رَسُولِنَا،
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ مَا كَثُرَتْ فِيهَا
 أَبَدًا، وَفِيهَا الْمَصِيرُ مُصِيرُهُمْ.

﴿١١﴾ مَا أَصَابَتْ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فِي
 نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ
 وَقَدَرِهِ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ
 يُوَفِّقُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَالرِّضَا
 بِقَضَائِهِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ،
 فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولُهُ
 فَاتِّمُّ ذَلِكَ الْإِعْرَاضُ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ عَلَى
 رَسُولِنَا إِلَّا تَبْلِيغُ مَا أَمَرْنَا بِتَبْلِيغِهِ، وَقَدْ
 بَلَّغْنَاكُمْ مَا أَمَرْنَا بِتَبْلِيغِهِ.

﴿١٣﴾ اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، لَا مَعْبُودَ
 بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَتَمَدَّدِ
 الْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
 وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِنْ مِنْ
 أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ؛ لَكُونْهُمْ
 يَسْخَرُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي
 سَبِيلِهِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْكُمْ، فَاحْذَرُوهُمْ أَنْ
 يُؤْثِرُوا فِيكُمْ، وَإِنْ تَجَاوَزُوا عَنْ زَلَّتْهُمْ
 وَتَعَرَّضُوا عَنْهَا وَتَسْتَرَوْهَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ
 اللَّهُ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَرْحَمْكُمْ،
 وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ ابْتِلَاءٌ
 وَاجْتِبَارٌ لَكُمْ، فَقَدْ يَحْمِلُونَكُمْ عَلَىٰ كَسْبِ
 الْحَرَامِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ
 ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ أَثَرُ طَاعَتِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ
 الْأَوْلَادِ، وَعَلَى الْإِشْغَالِ بِالْمَالِ، وَهَذَا
 الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ هُوَ الْجَنَّةُ.

﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ
 وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِلَى
 طَاعَتِهِ سَبِيلًا، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ، وَابْذُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، وَمَنْ يَقِرَّ اللَّهُ حَرَمَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِمَا يَطْلُبُونَهُ، وَالنَّاجُونَ
 مِمَّا يَرْهَبُونَهُ.

﴿١٧﴾ إِنْ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا؛ بَأَنْ تَبْذُلُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِهِ، يُضَاعَفْ لَكُمْ الْأَجْرُ بِجَعْلِ الْحَسَنَةِ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ
 ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَتَجَاوَزَ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَاللَّهُ شَكُورٌ يَعْطِي عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ الْأَجْرَ الْكَثِيرَ، حَلِيمٌ لَا يَعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿١٨﴾ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَالِمٌ مَا غَابَ، وَعَالَمٌ مَا حَضَرَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ
 وَقَدَرِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مهمة الرسل التبليغ عن الله، وأما الهداية فهي بيد الله.
- الإيمان بالقدر سبب للطمأنينة والهداية.
- التكليف في حدود المقدور للمكلف.
- مضاعفة الثواب للمنفق في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝
فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ۝ وَالَّتِي يَبْسُ نَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا ۚ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝

٥٥٨

الله بامتنال أو أمره واجتناب نواهي، يجعل الله له مخرجًا من كل ما يقع فيه من الضيق والحر.

٢ ويرزقه من حيث لا يخطر له على بال، ولا يكون في حسيانه، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافيه، إن الله منفذ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدرًا ينتهي إليه، فللشدة قدر، وللرخاء قدر، فلا يدوم أحدهما على الإنسان. ٣ والمطلقات الثلاثي يئسن من أن يحضن لكبر سنهن، إن شككنكم في كيفية عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر، والثلاثي لم يبلغن سن الحيض لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء نهاية عدتهن من طلاق أو وفاة: إذا وضعن حملهن، ومن يتق الله بامتنال أو أمره واجتناب نواهي، ييسر الله له أموره، ويسهل له كل عسير.

٥ ذلك المذكور من أحكام الطلاق والرجعة والعدة حكم الله أنزله إليكم - أيها المؤمنون - لتعملوا به، ومن يتق الله بامتنال أو أمره واجتناب نواهي يمح عنه سيئاته التي ارتكبها، ويعطيه أجرًا عظيمًا في الآخرة، وهو دخول الجنة، والحصول على النعيم الذي لا ينفد.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- خطاب النبي ﷺ خطاب لأُمته ما لم تثبت له الخصوصية.
- وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية.
- التَّذَبُّبُ إِلَى الْإِشْهَادِ حَسْمًا لِمَادَةِ الْخِلَافِ.
- كثرة فوائد التقوى وعظمتها.

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحكام الطلاق وتعليل حدوده وثمرات التقوى.

• التفسير:

١ يا أيها النبي، إذا أردت أنت أو أراد أحد من أمتك طلاق زوجته فليطلقها لأول عدتها؛ بأن يكون الطلاق في ظهر لم يجامعها فيه، واحفظوا العدة، لتتمكنوا من مراجعة زوجاتكم فيها إن أردتم مراجعتهم، واتقوا الله ربكم بامتنال أو أمره واجتناب نواهي، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن، حتى تنقضي عدتهن؛ إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة مثل الزنى، وتلك الأحكام هي حدود الله التي حد لعباده، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه حيث أوردتها موارد الهلاك بسبب عصيانه لربه، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمرًا لا تتوقعه فتراجعها.

٢ فإذا قارب انقضاء عدتهن فراجعوهن عن رغبة وحسن معاشره، أو اتركوا مراجعتهم حتى تنقضي عدتهن، فيملكن أمر أنفسهن، مع إعطائهن ما لهن من حقوق، وإذا أردتم مراجعتهم أو مفارقتهم فاشهدوا عدلين منكم حسمًا للنزاع، وأتوا - أيها الشهود - بالشهادة مبتغين وجه الله؛ ذلك المذكور من الأحكام يُذكِّر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتذكير والموعظة، ومن يتق

أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَنْضَارُوهُنَّ لَتَنْضَيَّقُوهُنَّ
عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ
تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُنَّ أُخْرَى ٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
تُكْرًا ٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ٩ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّیُخْرِجَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّلَامَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٢

٥٥٩

ولما بيّن الله حكم الطلاق والرجعة بيّن حكم النفقة والسكنى، فقال:

٦ أسْكُوهُنَّ - أيها الأزواج - من حيث سكنتم من وسعكم، فلا يكلفكم الله غيره، ولا تدخلوا عليهن الضرر في النفقة والسكنى ولا في غيرهما رجاء التضييق عليهن، وإن كانت المطلقات حوامل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادكم فأعطوهن أجر إرضاعهن، وتراجعوا في شأن الأجرة بالمعروف، فإن بخل الزوج بما تريده الزوجة من أجر، وشئت هي فلم ترض إلا بما تريده؛ فليستأجر الأب مرضعة أخرى ترضع له ولده.

٧ لينفق من كان له سعة في المال على مطلقاته وعلى ولده من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفسًا إلا ما أعطاه، فلا يكلفها فوقه، ولا فوق ما تطبيقه، سيجعل الله بعد ضيق حاله وشدتها سعة وغنى.

ولما ذكر الله جملة من الأوامر حذر من الإعراض عن تلك الأوامر، وبيّن أن عاقبته سيئة، فقال:

٨ وما أكثر القرى التي لما عصت أمر ربها سبحانه وأمر رسوله ﷺ، حاسبناها حسابًا عسيرًا على أعمالها السيئة، وعذبناها عذابًا فظيفًا في الدنيا والآخرة.

٩ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة.

١٠ هيأ الله لهم عذابًا قويًا، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله - بامتثال أوامره

واجتناب نواهيه، حتى لا يحل بكم ما حل بهم، قد أنزل الله إليكم ذكرًا يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

١١ هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبينات لا لبس فيها؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكنين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

١٢ الله هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سموات، ينزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

١٣ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عدم وجوب الإرضاع على الحامل إذا طلقت.
- التكليف لا يكون إلا بالمستطاع.
- الإيمان بقدرة الله وإحاطة علمه بكل شيء سبب للرضا وسكينة القلب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذَا سَأَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٣
إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتْ تَلْبَسَتْ عِلْدَاتٍ سَخَّيَحْتِ ثِيَابَتْ وَأَبْكَارًا ٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

٥٦٠

١ من مقاصد السورة: الدعوة إلى إقامة البيوت على تعظيم حدود الله وتقديس مرضاته وحده.

٢ التفسير:

٣ يا أيها الرسول، لم تحرم ما أباح الله لك؛ من الاستمتاع بجارياتك مارية، تبغى بذلك إرضاء زوجاتك لما غرن منها؟ والله غفور لك، رحيم بك.

٤ قد شرع الله لكم تحليل أيماكم بالكفارة إن وجدتم خيراً منها أو حنثتم فيها، والله ناصركم، وهو العليم بأحوالكم وما يصلح لكم، الحكيم في شرعه وقدره.

٥ واذكر حين خصّ النبي ﷺ حفصة بخبر، وكان منه أنه لن يقرب جاريته مارية، فلما أخبرته حفصة عائشة بالخبر وأعلم الله نبيه عن إفشاء سره عاتب حفصة فذكر لها بعضاً مما ذكرت وسكت عن بعض، فسألته: من أخبرك هذا؟ قال: أخبرني العليم بكل شيء الخبير بكل خفي.

٦ حقّ عليكما أن تتوبا؛ لأن قلوبكما قد مالت إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته وتحريمها على نفسه، وإن تصرأ على العود على تأييبكما عليه، فإن الله هو وليه وناصره، وكذا جبريل وخيار المؤمنين أولياؤه ونصراؤه. والملائكة بعد نصرة الله له أعوان له ونصراء على من يؤذيه.

٧ عسى ربه سبحانه إن طلقكُن نبيه أن يبدله أزواجا خيرا منكُن، منقادات لأمره، مؤمنات به وبرسوله، مطيعات لله، ثابتات من ذنوبهن، عابدات لربهن، صائمات، ثيبات، وأبكاراً لم يدخل بهن غيره، لكنه لم يطلقهن.

٨ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اجعلوا لأنفسكم ولأهليكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس وبالحجارة، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها شداد، لا يعصون أمر الله إذا أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم به دون تراخ ولا توان.

٩ ويقال للكافرين يوم القيامة: يا أيها الذين كفروا بالله، لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، فلن تقبل أعذاركم، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر بالله وتكذيب رسله.

١٠ من قواعد الآيات:

- مشروعية الكفارة عن اليمين.
- بيان منزلة النبي ﷺ عند ربه ودفاعه عنه.
- من كرم المصطفى ﷺ مع زوجاته أنه كان لا يستقصي في العتاب فكان يعرض عن بعض الأخطاء إبقاءً للمودة.
- مسؤولية المؤمن عن نفسه وعن أهله.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨
 يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ١٠
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَدَتْ فَرجَهَا فَفَخَنَّا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا
 وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ١٢

٥٦١

٨ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة صادقة، توبوا إلى الله وعملوا بما شرعه لهم، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة صادقة، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئاتكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يُذِلُّ الله النبي ولا الذين آمنوا معه يادخلهم النار، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمنهم على الصراط، يقولون: يا ربنا أكمل لنا نورنا، حتى ندخل الجنة، فلا نكون مثل المنافقين الذين ينطفئ نورهم على الصراط، واغفر لنا ذنوبنا، إنك على كل شيء قدير، فلا تعجز عن إكمال نورنا والتجاوز عن ذنوبنا.

٩ يا أيها الرسول، جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان وإقامة الحدود، واشتد عليهم حتى يهابوك، وماوهم الذي يأوون إليه يوم القيامة هو جهنم، وساء المصير مصيرهم الذي يرجعون إليه.

١٠ ضرب الله مثلاً للذين كفروا بالله وبرسله - أن علاقتهم بالمؤمنين لا تنفع بحال - امرأتى نبيين من أنبياء الله: نوح ولوط، فقد كانتا زوجتين لعبدین صالحین، فخانتا زوجيهما؛ بما كانتا عليه من الصد عن سبيل الله، ومناصرة أهل الكفر من قومهما، فلم ينفعهما كونهما زوجتين لهذين العبدین الصالحین، وقيل لهما: ادخلا النار من جملة الداخلين فيها من الكفار والفساق.

١١ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله أن صلتهم بالكافرين لا تضرهم، ولا تؤثر فيهم ما داموا مستقيمين على الحق بحال امرأة فرعون حين قالت: يا رب، ابني لي بيتاً عندك في الجنة، وسأمنى من جبروت فرعون وسلطانه، ومن أعماله السيئة، وسأمنى من القوم الظالمين لأنفسهم بمتابعتهم له في طغيانه وظلمه.

١٢ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله، بحال مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الزنى، فأمر الله جبريل أن ينفخ فيه، فحملت بقدرة الله بعبسى بن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وكتبه المنزل على رسله، وكانت من المطيعين لله بامتثال أوامره والكف عن نواهيه.

١٣ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- التوبة النصوح سبب لكل خير.
- في اقتران جهاد العلم والجهاد السيف دلالة على أهميتهما وأنه لا غنى عن أحدهما.
- القرابة بسبب أو نسب لا تنفع صاحبها يوم القيامة إذا فَرَّقَ بينهما الدين.
- العفاف والبعد عن الريبة من صفات المؤمنات الصالحات.

١٤ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله، بحال مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الزنى، فأمر الله جبريل أن ينفخ فيه، فحملت بقدرة الله بعبسى بن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وكتبه المنزل على رسله، وكانت من المطيعين لله بامتثال أوامره والكف عن نواهيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^١ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝^٢
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝^٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ۝^٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ۝^٦
إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝^٨
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ۝^{١٠} فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَقًّا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^{١١} إِنَّ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^{١٢}

الجزء
٥٧

٥٦٢

● من مقاصد السورة:
إظهار كمال ملك الله وقدرته: بعنا
على خشيته، وتحذيرًا من عقابه.

● التفسير:

١) تعاظم وكثر خير الله الذي بيده
وحده الملك، وهو على كل شيء قدير،
لا يعجزه شيء.

٢) الذي خلق الموت وخلق الحياة
ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن
عملًا، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد،
الغفور لذنوب من تاب من عبادته.

٣) الذي خلق سبع سماوات، كل
سماة طبقة فوق ما قبلها دون تماس
بين سماة وسماة. لا تشاهد - أيها
الرائي - فيما خلق الله أي تفاوت أو
عدم تناسب. فارجع البصر هل ترى
من تشق أو تصدع؟ لن ترى ذلك،
وانما ترى خلقًا محكمًا متقنًا.

٤) ثم ارجع البصر مرة بعد مرة
يرجع إليك بصرك ذليلاً دون أن يرى
عيباً أو خللاً في خلق السماء، وهو كليل
منقطع عن النظر.

٥) ولقد زيننا أقرب سماة إلى
الأرض بنجوم مضيئة، وجعلنا تلك
النجوم شُهُبًا تُرْجَمُ بها الشياطين
التي تسترق السمع فتحرقهم، وهيأنا
لهم في الآخرة النار المُسْتَعْرَةِ.

٦) وللذين كفروا ربهم يوم
القيامة عذاب النار المتقدة، وساء
المرجع الذي يرجعون إليه.

٧) إذا طرَحُوا في النار سمعوا لها
صوتًا قبيحًا شديدًا، وهي تغلي مثل
غليان المرجل.

● يكاد ينفصل بعضها عن بعض ويتميز؛ من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما زُميت فيها دفعة من أصحابها الكفار سألتهم
الملائكة الموكلون بها سؤال تفرع: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوِّفكم من عذاب الله؟

٩) قال الكفار: بلى، قد جاءنا رسول يخوِّفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له: ما نزل الله من شيء، لستم - أيها الرسل - إلا في
ضلال عظيم عن الحق.

١٠) وقال الكفار: لو كنا نسمع سماعًا يُنتفع به، أو نعقل عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة أصحاب النار، بل كنا نؤمن
بالرسل، ونصدق بما جاؤوا به، ونكون من أصحاب الجنة.

١١) فأعرضوا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فبيَّنا لأصحاب النار.

ولما ذكر الله صفات أهل الكفر وجزاءهم، عقبها بذكر صفات أهل الإيمان وجزاءهم، فقال:

١٢) إن الذين يخافون الله في خلواتهم، لهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنة.

● من فوائد الآيات،

● في معرفة الحكمة من خلق الموت والحياة وجوب المبادرة للعمل الصالح قبل الموت.

● حنق جهنم على الكفار وغيظها غيرة لله سبحانه.

● سبق الجن الإنس في ارتياد الفضاء وكل من تعدى حده منهم، فإنه سيناله الرصد بعقاب.

● طاعة الله وخشيته في الخلوات من أسباب المغفرة ودخول الجنة.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ١٥
أَمْ أَمْنُكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦
أَمْ أَمْنُكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٍ ١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٩ أَمْ نَظُنُّ أَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ
يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمْ نَظُنُّ
الَّذِي يَزْرِعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۖ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَنْ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ٢٢ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢٦

٥٦٣

١٣ وأخفوا - أيها الناس - كلامكم أو أعلنوه، فالله يعلمه، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

١٤ ألا يعلم الذي خلق الخلائق كلها السر وما هو أخفى من السر؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بأمورهم، لا يخفى عليه منها شيء.

١٥ هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة للسكن عليها، فسيروا في جوانبها وأطرافها، وكلوا من رزقه الذي أعد لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء.

١٦ أم أنتم الله الذي في السماء أن يشق الأرض من تحتكم كما شققها من تحت قارون بعد أن كانت سهلة مذللة للسكن عليها، فإذا هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟

١٧ أم أنتم الله الذي في السماء أن يبعث عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثها على قوم لوط؟ فستعلمون حين تأتيون عقابي إنذارى لكم، لكنكم لن تنتفعوا به بعد معاناة العذاب.

١٨ ولقد كذبت الأمم التي سبقت هؤلاء المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصرّوا على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكاري عليهم؟ لقد كان إنكارًا شديدًا.

١٩ أولم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم صافات يمسكهن الله تعالى، ولا يسكنهن إلا الله، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

٢٠ لا جند لكم - أيها الكفار - يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترّوا به.

٢١ ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تماردوا في العناد والاستكبار، والامتناع عن الحق.

٢٢ أفمن يمشي واقفاً على وجهه، مُنكبًا عليه - وهو المشرك - أهدى، أم المؤمن الذي يمشي مستقيماً على طريق مستقيم؟

٢٣ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم، وجعل لكم أسماعاً تسمعون بها، وأبصاراً تبصرون بها، وقلوباً تعقلون بها، قليلاً ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

٢٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي بكم في الأرض ونشركم فيها، لا أصنامكم التي لا تخلق شيئاً، وإليه وحده يوم القيامة تُجمعون للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه وعبدوه وحده.

٢٥ ويقول المكذبون بالبعث استبعاداً للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنه آت؟

٢٦ قل - أيها الرسول -: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر واضح في نذرتي لكم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● اطلاع الله على ما تخفيه صدور عباده.

● الكفر والمعاصي من أسباب حصول عذاب الله في الدنيا والآخرة.

● الكفر بالله ظلمة وحيرة، والإيمان به نور وهداية.

﴿٢٧﴾ فلما حل بهم الوعد وعانوا العذاب قريباً منهم وذلك يوم القيامة تغيرت وجوه الذين كفروا بالله فاسودت، ويقال لهم: هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿٢٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين مستنكراً عليهم: أخبروني إن توقاني الله، وتوفى من معي من المؤمنين، أو رحمتنا فأخبر في آجالنا، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟! لن ينجيهم منه أحد.

﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده، أمناً به، وعليه وحده اعتمدنا في أمورنا، فستعلمون - لا محالة - من هو في ضلال واضح ممن هو على صراط مستقيم.

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه غائراً في الأرض لا تستطيعون الوصول إليه، من يأتيكم بماء كثير جارٍ؟ لا أحد غير الله.

سُورَةُ الْقَلَمِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

شهادة الله للنبي بحسن الخلق، والدفاع عنه وتبنيته.

• التفسير:

﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقلم، وأقسم بما يكتبه الناس بأقلامهم.

﴿٢﴾ ما أنت - أيها الرسول - بما أنعم الله عليك به من النبوة مجنوناً، بل

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّعَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّتْ أَمَتَايَهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

آياتها ٥٢

ترتيبها ٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنْ لَكَ لَأَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وُدُّوا أَلْوَدَّهِنَّ فَيَدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْحَرْثِ طُومٍ ﴿١٦﴾

٥٦٤

أنت بريء من الجنون الذي رماك به المشركون.

﴿١﴾ وإن لك لشواً على ما تعانیه من حمل الرسالة إلى الناس غير مقطوع، ولا مئة به لأحد عليك.

﴿٢﴾ وإنك لعلى الخلق العظيم الذي جاء به القرآن، فأنت متخلق بما فيه على أكمل وجه.

﴿٣﴾ فستبصر أنت، ويبصر هؤلاء المكذبون.

﴿٤﴾ عندما ينكشف الحق يتضح بأيكم الجنون؟!

﴿٥﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم من انحرف عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين إليها، فيعلم أنهم من ضلوا عنها، وأنت من اهتديت إليها.

﴿٦﴾ فلا تطع - أيها الرسول - المكذبين بما جئت به. ﴿٧﴾ تمثوا لولايتهم ولا طاعتهم على حساب الدين، فيلينون لك ويلاطفونك. ﴿٨﴾ ولا تطع كل كثير الحلف بالباطل، حقير. ﴿٩﴾ كثير الاغتياب للناس، كثير المشي بالنميمة بينهم؛ ليفرق بينهم.

﴿١٠﴾ كثير المنع للخير، معتد على الناس في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، كثير الأثام والمعاصي. ﴿١١﴾ غليظ جاف، دعي في قومه لصيق. ﴿١٢﴾ لأجل أنه كان صاحب مال وأولاد تكبر عن الإيمان بالله ورسوله. ﴿١٣﴾ إذا تقرأ عليه آياتنا قال: هذه ما يسطر من خرافات الأولين. ﴿١٤﴾ سنضع علامة على أنفه تشبهه وتلازمه.

• من قوايد الآيات: • اتصاف الرسول ﷺ بأخلاق القرآن. • صفات الكفار صفات ذميمة يجب على المؤمن الابتعاد عنها، وعن طاعة أهلها. • من أكثر الحلف هان على الرحمن، ونزلت مرتبته عند الناس.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَنظَلُّوْهُمُ يُتَخَفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْنَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ ۝ فَتَمَارَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۝ بَل لَّحَنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كَمَا ظَلَمْنَا ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَآ تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ إِن لَّكُمْ لَمَآ تَحْكُمُونَ ۝ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝

١٧) إِنَّا اخْتَبَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِالْقَهْقِرِ وَالْجَوْعِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَفَلُوا لِيَقْطَعُوا ثَمَارَهَا وَقْتَ الصَّبَاحِ مَسَارِعِينَ حَتَّى لَا يَطْعَمَ مِنْهَا مَسْكِينٌ.

١٨) وَلَمْ يَسْتَنْوُوا فِي يَمِينِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

١٩) فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا نَارًا، فَأَكَلَتْهَا وَأَصْحَابُهَا نِيَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ النَّارِ عَنْهَا.

٢٠) فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

٢١) فَتَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ، قَائِلِينَ: اخْرُجُوا مُبْكَرِينَ عَلَى حَرْثِكُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْفُقَرَاءِ إِنْ كُنْتُمْ قَاطِعِينَ ثَمَارَهُ.

٢٢) فَسَارُوا إِلَى حَرْثِهِمْ، مُسْرِعِينَ يَحْدِثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ. يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا يَدْخُلُ الْحَدِيقَةَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينٌ.

٢٣) وَسَارُوا أَوَّلَ الصَّبَاحِ وَهُمْ عَلَى مَنَعِ ثَمَارِهِمْ عَازِمِينَ.

٢٤) فَلَمَّا شَاهَدُوهَا مُحْتَرَقَةً قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَقَدْ ضَلَلْنَا طَرِيقَهَا.

٢٥) بَلْ نَحْنُ مَمْنُوعُونَ مِنْ جَنِي ثَمَارَهَا بِمَا حَصَلَ مِنَّا مِنْ عِزْمٍ عَلَى مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنْهَا.

٢٦) قَالَ أَفْضَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ حِينَ عَزَمْتُمْ عَلَى مَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَرَمَانِ الْفُقَرَاءِ مِنْهَا: هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ، وَتَتُوبُونَ إِلَيْهِ؟

٢٧) قَالُوا: سَبِّحْنَا رَبَّنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا حِينَ عَزَمْنَا عَلَى مَنَعِ الْفُقَرَاءِ مِنْ ثَمَارِ حَدِيقَتِنَا.

٢٨) فَأَقْبَلُوا يَتَرَاكِبُونَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْعُتْبِ.

٢٩) قَالُوا مِنَ النَّدَمِ: يَا خَسَارَنَا، إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِمَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ حَقَّهُمْ.

٣٠) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يَعُوضَنَا خَيْرًا مِنَ الْحَدِيقَةِ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ الْخَيْرَ.

٣١) مِثْلُ هَذَا الْعَذَابِ بِالْحَرَمَانِ مِنَ الرِّزْقِ نَعْدَبُ مِنْ عَصَاْنَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شِدَّتَهُ وَدَوَامَهُ.

٣٢) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، لَا يَنْقُطِعُ نَعِيمُهُمْ.

٣٣) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْكَافِرِ فِي الْجَزَاءِ كَمَا يَزْعُمُ الْمَشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؟

٣٤) مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ - كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ الْأَعْوَجَ؟

٣٥) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَقْرَأُونَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي؟

٣٦) إِنْ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا تَخَيَّرْتُمْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، أَمْ لَكُمْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مُّؤَكَّدَةٌ بِالْإِيمَانِ مُقْتَضَاهَا أَنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ بِهِ لَأَنْفُسِكُمْ؟

٣٧) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - الْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلُ: أَيُّهُمْ كَفِيلٌ بِهِ؟ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَسَاوُونَهُمْ فِي الْجَزَاءِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ؟

٣٨) فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدَّعُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ سَاوَوْنَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَزَاءِ. (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْدُو الْهَوَلُ وَيُكْشَفُ رَبَّنَا عَنْ سَاقِهِ، وَيُدْعَى النَّاسُ إِلَى السُّجُودِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْجُدُوا.

٣٩) مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

• مَنَعَ حَقَّ الْفَقِيرِ سَبَبٌ فِي هَلَاكِ الْمَالِ. • تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ بِالْعَبْدِ لِيَتُوبَ وَيَرْجِعَ. • لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي الْجَزَاءِ، كَمَا لَا يَسْتَوِي صِفَاتُهُمَا.

١٧) إِنَّا اخْتَبَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِالْقَهْقِرِ وَالْجَوْعِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَفَلُوا لِيَقْطَعُوا ثَمَارَهَا وَقْتَ الصَّبَاحِ مَسَارِعِينَ حَتَّى لَا يَطْعَمَ مِنْهَا مَسْكِينٌ.

١٨) وَلَمْ يَسْتَنْوُوا فِي يَمِينِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

١٩) فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا نَارًا، فَأَكَلَتْهَا وَأَصْحَابُهَا نِيَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ النَّارِ عَنْهَا.

٢٠) فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

٢١) فَتَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ، قَائِلِينَ: اخْرُجُوا مُبْكَرِينَ عَلَى حَرْثِكُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْفُقَرَاءِ إِنْ كُنْتُمْ قَاطِعِينَ ثَمَارَهُ.

٢٢) فَسَارُوا إِلَى حَرْثِهِمْ، مُسْرِعِينَ يَحْدِثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ. يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا يَدْخُلُ الْحَدِيقَةَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينٌ.

٢٣) وَسَارُوا أَوَّلَ الصَّبَاحِ وَهُمْ عَلَى مَنَعِ ثَمَارِهِمْ عَازِمِينَ.

٢٤) فَلَمَّا شَاهَدُوهَا مُحْتَرَقَةً قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَقَدْ ضَلَلْنَا طَرِيقَهَا.

٢٥) بَلْ نَحْنُ مَمْنُوعُونَ مِنْ جَنِي ثَمَارَهَا بِمَا حَصَلَ مِنَّا مِنْ عِزْمٍ عَلَى مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنْهَا.

٢٦) قَالَ أَفْضَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ حِينَ عَزَمْتُمْ عَلَى مَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَرَمَانِ الْفُقَرَاءِ مِنْهَا: هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ، وَتَتُوبُونَ إِلَيْهِ؟

٢٧) قَالُوا: سَبِّحْنَا رَبَّنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا حِينَ عَزَمْنَا عَلَى مَنَعِ الْفُقَرَاءِ مِنْ ثَمَارِ حَدِيقَتِنَا.

٢٨) فَأَقْبَلُوا يَتَرَاكِبُونَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْعُتْبِ.

٢٩) قَالُوا مِنَ النَّدَمِ: يَا خَسَارَنَا، إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِمَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ حَقَّهُمْ.

٣٠) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يَعُوضَنَا خَيْرًا مِنَ الْحَدِيقَةِ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ الْخَيْرَ.

٣١) مِثْلُ هَذَا الْعَذَابِ بِالْحَرَمَانِ مِنَ الرِّزْقِ نَعْدَبُ مِنْ عَصَاْنَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شِدَّتَهُ وَدَوَامَهُ.

٣٢) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، لَا يَنْقُطِعُ نَعِيمُهُمْ.

٣٣) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْكَافِرِ فِي الْجَزَاءِ كَمَا يَزْعُمُ الْمَشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؟

٣٤) مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ - كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ الْأَعْوَجَ؟

٣٥) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَقْرَأُونَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي؟

٣٦) إِنْ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا تَخَيَّرْتُمْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، أَمْ لَكُمْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مُّؤَكَّدَةٌ بِالْإِيمَانِ مُقْتَضَاهَا أَنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ بِهِ لَأَنْفُسِكُمْ؟

٣٧) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - الْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلُ: أَيُّهُمْ كَفِيلٌ بِهِ؟ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَسَاوُونَهُمْ فِي الْجَزَاءِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ؟

٣٨) فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدَّعُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ سَاوَوْنَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَزَاءِ. (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْدُو الْهَوَلُ وَيُكْشَفُ رَبَّنَا عَنْ سَاقِهِ، وَيُدْعَى النَّاسُ إِلَى السُّجُودِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْجُدُوا.

٣٩) مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

• مَنَعَ حَقَّ الْفَقِيرِ سَبَبٌ فِي هَلَاكِ الْمَالِ. • تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ بِالْعَبْدِ لِيَتُوبَ وَيَرْجِعَ. • لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي الْجَزَاءِ، كَمَا لَا يَسْتَوِي صِفَاتُهُمَا.

٤٣ ذليلة أبصارهم، تفشاهم ذلة وندامة، وقد كانوا في الدنيا يُطْلَبُ منهم أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.

٤٤ فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم. ٤٥ وأمهلهم زمناً ليتمادوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتوني، ولا يسلمون من عقابي. ٤٦ هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحملون أمراً عظيماً، فهذا سبب إعراسهم عنك؟ والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجراً، فما المانع لهم من اتباعك؟ ٤٧ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يجاجونك بها؟

٤٨ فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس ٤٩ في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. ٥٠ لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خلاء وهو ملوم.

٥١ فاختاره ربه، فجعله من عباده الصالحين. ٥٢ وإن يكاد الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله، ليصبرونك بأبصارهم من شدة إحداد النظر إليك، لما سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون - اتباعاً لأهوائهم، وإعراضاً عن الحق - إن الرسول الذي جاء به لمجنون.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَآمُونَ ٤٣ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٤٥ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُثْقَلُونَ ٤٦ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤٧ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ٤٨ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ٤٩ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٥٠ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٢

سُورَةُ الْقَمَرِ رَتَبَتِهَا ٦٩ آيَاتُهَا ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا وَعَادُ فَأُهْلِكُوا بِالْمُجَرِّمِ ٦ صَرَصَرَتِ ٧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقُومَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٨ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٩

٥٢ وما القرآن المنزل عليك إلا موعظة وتذكير للإنس والجن.

سُورَةُ الْقَمَرِ
مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إثبات أن وقوع القيامة والجزاء فيها حق لا ريب فيه.

• التَّحْذِيرُ: ١ يذكر الله ساعة البعث التي تحقق على الجميع. ٢ ثم يعظم أمرها بهذا السؤال: أي شيء هي الحاققة؟ ٣ وما أعلمك ما هذه الحاققة؟ ٤ كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، بالقيامة التي تزعج الناس من شدة أهوالها. ٥ فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول. ٦ وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم. ٧ أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تنفيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكى مصروعين في الأرض، كأنهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية. ٨ فهل ترى لهم نفساً باقية بعد ما أصابهم من العذاب؟ ٩ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم. • التوبة تُجِبُّ ما قبلها وهي من أسباب اصطفاء الله للعبد وجعله من عباده الصالحين. • تنوُّع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من عذاب دلالة على كمال قدرته وكمال عدله.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاطَةِ ۖ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ إِنَّا لَمَّا طَعْنَا الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعَيْنٌ ۖ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَالشَّقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِمَّا أَسْلَفْتُ ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِشْمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ۖ وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۖ خَذُوهُ فَعُزُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۖ

٥٦٧

٩ وجاء فرعون ومن قبله والأمم، والقرى التي عذبت بقلب عاليها سافلها، وهم قوم لوط، بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

١٠ فعصى كل منهم رسوله الذي بعث إليهم وكذبوه، فأخذهم الله أخذة زائدة على ما يتم به هلاكهم.

١١ إنا لما تجاوز الماء حذو في الارتضاع حملنا من كنتم في أصلابهم في السفينة الجارية التي صنعها نوح بأمرنا، فكان حقلًا لكم.

١٢ لنجعل السفينة وقصتها موعظة يُستدل بها على إهلاك أهل الكفر، وإنجاء أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

١٣ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

١٤ ورُفِعت الأرض والجبال، فدُكَّتَا دكة واحدة شديدة فُرُقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

١٥ فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.

١٦ وتشققت السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضعيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

١٧ والملائكة على أطرافها وحافاتِها، ويحمل عرش ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

١٨ في ذلك اليوم تُعْرَضُونَ - أيها الناس - على الله، لا تخفى على الله منكم خافية أيا كانت، بل الله عليم بها مطلع عليها.

١٩ فأما من أُعْطِيَ كتاب أعماله بيمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خذوا أقرؤوا كتاب أعمالِي.

٢٠ إني علمت في الدنيا وأيقنت أنني مبعوث، وملاقٍ جزائي.

٢١ فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

٢٢ في جنة رفيعة المكان والمكانة.

٢٣ ثمارها قريبة ممن يتناولها. ٢٤ يقال تَكْرِيماً لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشراباً لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا. ٢٥ وأما من أُعْطِيَ كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالِي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي. ٢٦ ويا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي. ٢٧ يا ليت الموتة التي متُّها كانت الموتة التي لا أُبْعَث بعدها أبداً. ٢٨ لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً. ٢٩ غابت عني حجتِي وما كنت أعتمد عليه من قوة وجاء.

٣٠ ويقال: خذوه - أيها الملائكة - واجمعوا يده إلى عنقه. ٣١ ثم أدخلوه النار ليعاني حرّها. ٣٢ ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعاً. ٣٣ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ٣٤ ولا يحث غيره على إطعام المسكين. ٣٥ فليس له اليوم هاهنا حميمٌ عنه العذاب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• المنة التي على الوالد منة على الولد تستوجب الشكر. • إطعام الفقير والحض عليه من أسباب الوقاية من عذاب النار.

• شدة عذاب يوم القيامة تستوجب التوقي منه بالإيمان والعمل الصالح.

عصاة أيدان أهل النار.

٢٧ لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب والمعاصي.

٢٨ أقسم الله بما تشاهدون.

٢٩ وأقسم بما لا تشاهدون.

٣٠ إن القرآن لكلام الله، يتلوه على الناس رسوله الكريم.

٣١ وليس بقول شاعر؛ لأنه ليس على نظم الشعر، قليلاً ما يؤمنون.

٣٢ وليس بقول كاهن، فكلام الكهان أمر مُعَايِر لهذا القرآن، قليلاً ما تتذكرون.

٣٣ ولكنه منزل من رب الخلائق كلهم.

٣٤ ولو تَقَوَّلَ علينا محمد بعض الأقاويل التي لم نقلها.

٣٥ لانقمنا منه وأخذنا منه بالقوة منا والقدرة.

٣٦ ثم لقطعنا منه العِرْق المتصل بالقلب.

٣٧ فليس منكم من يمتنعنا منه، فبعد أن يَقُولَ علينا من أجلكم.

٣٨ وإن القرآن لموعظة للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

٣٩ وإنا لنعلم أن من بينكم من يُكذِّب بهذا القرآن.

٤٠ وإن التكذيب بالقرآن لندامة عظيمة يوم القيامة.

٤١ وإن القرآن لهو حق اليقين الذي لا مزية ولا ريب أنه من عند الله.

٤٢ فنَرَهُ - أيها الرسول - ربك عما لا يليق به، واذكر اسم ربك العظيم.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخِطُؤُنَ ٣٧ فَلَا أَقْسَمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠
بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤١ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
٤٢ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ٤٤
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
٥٠ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢

آياتها ٤٤

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

نزل بها ٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَفْعٌ ٢
مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَبُعِيدًا ٦ وَزَبَدٌ قَرْيَبًا ٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ١٠

٥٦٨

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

— مكية —

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان حال وجزاء الخلق يوم القيامة.

● التفسير:

١ دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بعذاب إن كان هذا العذاب حاصلاً، وهو سخرية منه، وهو واقع يوم القيامة.

٢ للكافرين بالله، ليس لهذا العذاب من يردم. ٣ من الله ذي العلو والدرجات والفواضل والنعيم. ٤ تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات، في يوم القيامة؛ وهو يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة. ٥ فاصبر - أيها الرسول - صبراً لا جَزَعَ فيه ولا شكوى. ٦ إنهم يرون هذا العذاب بعيداً مستحيل الوقوع. ٧ ونراه نحن قريباً واقعاً لا محالة. ٨ يوم تكون السماء مثل المذاب من النحاس والذهب وغيرهما. ٩ وتكون الجبال مثل الصوف في الخفة. ١٠ ولا يسأل قريب قريباً عن حاله؛ لأن كل واحد مشغول بنفسه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تنزيه القرآن عن الشعر والكهانة. ● خطر التَقَوُّلِ على الله والافتراء عليه سبحانه. ● الصبر الجميل الذي يحسب فيه الأجر من الله ولا يُشكى لغيره.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِبَنِيهِ ۝
 وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
 ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ۝ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ۝ تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ
 وَتَوَلَّى ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
 جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ
 عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلنَّسَائِلِ
 وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
 رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
 فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ ۝ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ
 ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝
 فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
 عِزِينَ ۝ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
 مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝

٥٦٩

والذين هم من عذاب ربهم خائفون، مع ما قدموا من أعمالهم الصالحة. ١٢١ إن عذاب ربهم مخوف لا يأمنه عاقل. ١٢٢ والذين هم لفروجهم حافظون بسترها وإبعادها عن الفواحش. ١٢٣ إلا من زوجاتهم أو ما ملكوها من الإماء، فإنهم غير ملومين في التمتع بهن بالوطء فما دونه. ١٢٤ فمن طلب الاستمتاع بغير ما ذكر من الزوجات والإماء، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله. ١٢٥ والذين هم لما ائتمنوا عليه من الأموال والأسرار وغيرهما، ولعهودهم التي عاهدوا عليها الناس - حافظون، لا يخونون أماناتهم، ولا ينقضون عهودهم. ١٢٦ والذين هم قائمون بشهادتهم على الوجه المطلوب، لا تؤثر قرابة ولا عداوة فيها. ١٢٧ والذين هم على صلاتهم يحافظون: بأدائها في وقتها، وبطهارة وطمأنينة، لا يشغلهم عنها شغل. ١٢٨ أولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مُكْرَمُونَ: بما يلقونه من النعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم. ١٢٩ فما الذي جر هؤلاء المشركين من قومك - أيها الرسول - حَوْلِكَ مسرعين إلى التكذيب بك؟ ١٣٠ محيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات. ١٣١ أيامل كل واحد منهم أن يدخله الله الجنة النعيم، يتنعم بما فيها من النعيم المقيم، وهو باق على كفره؟ ١٣٢ ليس الأمر كما تصوّروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقير، فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يتكبرون؟ ١٣٣ أقسم الله تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغارب للشمس والقمر وسائر الكواكب، إنا لقادرون.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• شدة عذاب النار حيث يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا. • الصلاة من أعظم ما تكفر به السيئات في الدنيا، ويتوقى بها من نار الآخرة. • الخوف من عذاب الله دافع للعمل الصالح.

١٢١ يشاهد كل إنسان قربه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدا لهول الموقف، يود من استحق النار أن يقدم أولاده للعذاب بدلا منه.

١٢٢ ويفتدي بزوجته وأخيه.

١٢٣ ويفتدي بعشيرته الأفريين منه، الذين يقفون معه في الشدائد.

١٢٤ ويفتدي بمن في الأرض جميعا من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلمه ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار. ١٢٥ ليس الأمر كما تمثى هذا المجرم، إنها نار الآخرة تلتهب وتشتعل.

١٢٦ تفصل جلدة الرأس فصلا شديدا من شدة حرها واشتعالها.

١٢٧ تنادي من أعرض عن الحق، وأبعد عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

١٢٨ وجّعت المال، وضئت بالإنفاق منه في سبيل الله.

١٢٩ إن الإنسان خلق شديد الحرص. ١٣٠ إذا أصابه ضرر من مرض أو فقر كان قليل الصبر.

١٣١ وإذا أصابه ما يسر به من خصب وغنى كان كثير المنع لبدله في سبيل الله.

١٣٢ إلا المصلين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

١٣٣ الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها المحدد لها.

١٣٤ والذين في أموالهم نصيب محدد مفروض.

١٣٥ يدفعونه للذي يسألهم وللذي لا يسألهم ممن حرم الرزق لأي سبب كان.

١٣٦ والذين يصدّقون بيوم القيامة،

﴿٤١﴾ على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله، ونهلكهم، لا نجز عن ذلك، ولسنا بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.

﴿٤٢﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا ويلعبوا فيما هم فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في القرآن.

﴿٤٣﴾ يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى علم يتسابقون.

﴿٤٤﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

آياتها ٢٨

رُتِبَ فِيهَا ٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُومُ لِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَازَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

٥٧٠

سُورَةُ نُوحٍ
مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان منهج الدعوة للدعاة، من خلال قصة نوح.

• التفسير:

﴿١﴾ إنا بعثنا نوحًا إلى قومه يدعوهم ليخوف قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجع بسبب ما هم عليه من الشرك بالله.

﴿٢﴾ قال نوح لقومه: يا قوم، إنني لكم مُنذِرٌ بَيِّنُ الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا إلى الله.

﴿٣﴾ ومقتضى إنذارني لكم أن أقول لكم: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه بامتنال أوامره، واجتنب نواهي، وأطيعوني فيما أمركم به.

﴿٤﴾ إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطِلُّ أمد أمتكم في الحياة

إلى وقت محدد في علم الله، تعمرون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون ليأدرتم إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿٥﴾ قال نوح: يا رب، إنني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيديك، ليلاً ونهاراً باستمرار.

﴿٦﴾ فلم تزدني دعوتي لهم إلا نفوراً وُبعداً مما أدعوهما إليه.

﴿٧﴾ وإنني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم: من عبادتك وحدك ومن طاعتك وطاعة رسولي - سداً آذانهم بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروني، واستمروا على ما هم عليه من الشرك، وتكبروا عن قبول ما أدعوهما إليه، والإذعان له.

﴿٨﴾ ثم إنني - يا رب - دعوتهم علانية.

﴿٩﴾ ثم إنني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرت أسراراً خفياً، ودعوتهم بصوت منخفض؛ منوِّعاً لهم أسلوب دعوتي.

﴿١٠﴾ فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفراً لذنوب من تاب إليه من عباده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خطر الغفلة عن الآخرة.

• عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب.

• الاستمرار في الدعوة وتنويع أساليبها حق واجب على الدعاة.

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُونَا فَإِلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨

٥٧١

١١ فإنكم إن فعلتم ذلك ينزل الله عليكم المطر متتابعًا كلما احتجتم إليه، فلا يصيبكم قحط.

١٢ ويعطيكم بكثرة أموالاً وأولادًا، ويجعل لكم بساتين تأكلون من ثمارها، ويجعل لكم أنهارًا تشربون منها وتستقون زروعكم ومواشيكم.

١٣ ما شأنكم - يا قوم - لا تخافون عظمة الله حيث تعصونه دون مبالاة؟ وقد خلقكم طَوْرًا بعد طَوْرٍ من نطفة فَعَلَقَةً فَمُضْغَةً.

١٤ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء؟

١٥ وجعل القمر في السماء الدنيا منهن نورًا لأهل الأرض، وجعل الشمس مضيئة.

١٦ والله خلقكم من الأرض بخلق أبيضكم آدم من تراب، ثم أنتم تغذون بما تُنبِئته لكم.

١٧ ثم يعيدكم فيها بعد موتكم، ثم يخرجكم للبعث منها إخراجًا.

١٨ والله جعل لكم الأرض ميسومة مهَيَّاةً لِلسُّكْنَى.

١٩ رجاء أن تسلكوا منها طرقًا واسعة سعيًا للكسب الحلال.

٢٠ قال نوح: يا رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من توحيدك وعبادتك وحدي، واتبع السفلة منهم رؤساءهم الذين أنعمت عليهم بالمال والولد، فلم يزداهم ما أنعمت به عليهم إلا ضلالًا.

٢١ ومكر الأكابر منهم مكرًا عظيمًا بتحريضهم أسافلهم على نوح.

٢٢ وقالوا لاتباعهم: لا تتركوا عبادة آلِهَتِكُمْ؛ ولا تتركوا عبادة أصنامكم وُدًّا ولا سُوَاعَ ولا يَغُوثَ ولا يَعُوقَ ولا نَسْرَ.

٢٣ وقد أضلُّوا بأصنامهم هذه كثيرًا من الناس، ولا تزد - يا رب -

٢٤ الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر والمعاصي إلا ضلالًا عن الحق. سبب خطيئاتهم التي ارتكبوها أغرقوا بالطوفان في الدنيا، فأَذْخَلُونَا

٢٥ أنصَارًا يتقدونهم من الفرق والنار. وقال نوح لما أخبره الله أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن: يا رب، لا تترك على الأرض من الكافرين أحدًا يدور أو يتحرك.

٢٦ إنك - ربنا - إن تتركهم وتمهلهم يضلُّوا عبادك المؤمنين، ولا يلدوا إلا صاحب فجور لا يطيعك، وشديد كفر لا يشركك على نعمك.

٢٧ رب اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالدي، واغفر لمن دخل بيتي مؤمنًا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي إلا هلاكًا وخسرانًا.

٢٨ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد.
- دور الأكابر في إضلال الأصغر ظاهر مُشَاهَد.
- الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ۝٨ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهْبًا بِأَرْصَادًا ۝٩ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَا لَمَّا الصَّلَاةُ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا ۝١١ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ۝١٣

٥٧٢

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ: إبطال دين المشركين، ببيان حال الجن وإيمانهم بعد سماع القرآن.

• التفسير:

١ قل - أيها الرسول - لأمتك: أوحى الله إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إِنَّا سَمِعْنَا كَلَامًا مَّقْرُوءًا مُّعْجَبًا فِي بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

٢ هذا الكلام الذي سمعناه يدلّ على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فأَمنّا به، ولن نشرك برَبِّنا الذي أنزله أَحَدًا.

٣ وَأَمَّا بَأَنَّهُ - تعالت عظمة ربنا وجلاله - ما اتخذ زوجة ولا ولدًا كما يقول المشركون.

٤ وَأَنَّهُ كَانَ إِبْلِيسُ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا مَّنْحَرِفًا من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

٥ وَأَنَا حَسَبْنَا أَنَ الْمَشْرِكِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لَا يَقُولُونَ الْكَذِبَ حِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَن لَهُ صَاحِبَةٌ وَوَلَدًا، فَصَدَّقْنَا قَوْلَهُمْ تَقْلِيدًا لَهُمْ.

٦ وَأَنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَسْتَجِيرُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ عِنْدَمَا يَنْزِلُونَ بِمَكَانٍ مَّخُوفٍ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ سَفَهَاءِ قَوْمِهِ، فَازْدَادَ رِجَالُ الْإِنْسِ خَوْفًا وَرَعْبًا مِنْ رِجَالِ الْجِنِّ. وَأَنَ الْإِنْسِ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ - أيها الجن - أَنَ اللَّهُ لَن يَبْعَثَ أَحَدًا بَعْدَ مَوْتِهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

• وَأَنَا طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ، فَوَجَدْنَا السَّمَاءَ مِثْلَتْ حَرَسًا قَوِيًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْرُسُونَهَا مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ الَّذِي كُنَّا نَقُومُ بِهِ، وَمِثْلَتْ نَارًا مُشْتَعَلَةً يُرْمَى بِهَا كُلٌّ مِنْ يَقْرُبُ السَّمَاءِ.

• وَأَنَا كُنَّا فِي السَّابِقِ نَتَخَذُ مِنَ السَّمَاءِ مَوَاقِعَ نَسْتَمِعُ مِنْهَا مَا يَتَدَاوَلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَتُخْبِرُ بِهِ الْكَهَنَةُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ تَغْيِيرُ الْأَمْرِ، فَمَنْ يَسْتَمِعُ مِنَّا الْآنَ يَجِدُ نَارًا مُشْتَعَلَةً مَعْدَةً لَهُ، فَإِذَا اقْتَرَبَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ فَأَحْرَقَتْهُ.

• وَأَنَا لَا نَعْلَمُ مَا سَبَبُ هَذِهِ الْحِرَاسَةِ الشَّدِيدَةِ: أَرِيدُ شَرًّا بِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَمْ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهِمْ خَيْرًا، فَقَدْ انْقَطَعَ عَنَّا خَبَرُ السَّمَاءِ.

• وَأَنَا - مَعْشَرَ الْجِنِّ -: مِنَّا الْمَتَّقُونَ الْأَبْرَارَ، وَمِنَّا مِنْ هُمْ كُفَّارٌ وَفَسَّاقٌ: كُنَّا أَصْنَافًا مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَ مُتَبَايِنَةً.

• وَأَنَا آيَقْنَا أَنَا لَن نَقُوتَ اللَّهَ سَبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بِنَا أَمْرًا، وَلَن نَقُوتَهُ هَرَبًا لِإِحَاطَتِهِ بِنَا.

• وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ أَمَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ نَقْصًا لِحَسَنَاتِهِ، وَلَا إِثْمًا يُضَافُ إِلَى آثَامِهِ السَّابِقَةِ.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• تأثير القرآن البالغ فيمن يستمع إليه بقلب سليم. • الاستغاثة بالجن من الشرك بالله، ومعاقبة فاعله بصد مقصوده في الدنيا. • بطلان الكهانة ببعثة النبي ﷺ. • من أدب المؤمن ألا يتسبب الشر إلى الله.

وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥
وَالْوُاسِقُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقِيَّةَ لَهُمْ مَاءٌ عَذَقًا ۝١٦ لَنَقْتَنَّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَفَانَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَائِدُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعِدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝٢٥ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨

١٤) وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَقَدِّمُونَ عَلَى طَرِيقِ
الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَمَنْ خَضَعَ لِلَّهِ
بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
قَصَدُوا الْهَدَايَةَ وَالصَّوَابَ.

١٥) وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ
الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
حَطَبًا تَوْقَدُ بِهِ مَعَ أَثْمَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ.
وَكَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٍ
مِّنَ الْجِنِّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ
الْحَجُّ وَالْإِنْسُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ،
وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ، لَسَقَاهُمُ اللَّهُ مَاءً
كَثِيرًا، وَأَمَدَّهُمْ بِنِعْمٍ مُّتَوَعَّةٍ.

١٦) لَنَقْتَنَّهُمْ فِيهِ أَيْشُكْرُونَ نِعْمَةَ
اللَّهِ أَمْ يَكْفُرُونَهَا؟ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ
الْقُرْآنِ، وَعَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، يَدْخُلُهُ
رَبُّهُ عَذَابًا شَاقًّا لَا يَسْتَطِيعُ تَحْمَلُهُ.

١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ سَبْحَانَهُ لَا
لِغَيْرِهِ، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا،
فَتَكُونُوا مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي
كُفْرَانِهِمْ وَبِعْتِهِمْ.

١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ
يُعْبَدُ رَبَّهُ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ، كَادَ الْجِنُّ يَكُونُونَ
مُتَرَاكِمِينَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ عِنْدَ
سَمَاعِهِمْ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ.

١٩) قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَحْدَهُ، وَلَا
أُشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ كَاثِنًا مِنْ
كَانَ.

٢٠) قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دَفْعَ
ضَرِّ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَمْلِكُ جَلْبَ
نَفْعٍ مِنْكُمْ مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُ.

٢١) قُلْ لَهُمْ: لَنْ يَنْجِيَنِي مِنَ اللَّهِ
أَحَدٌ إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ
مُلْتَحَاةً أُلْجَأُ إِلَيْهِ.

٢٢) لَكِنِّي الَّذِي أَمْلَكُهُ أَنْ أُبْلَغَكُمْ مَا
أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ، وَرِسَالَاتِهِ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَفَانَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

٢٣) وَلَا يَزَالُ الْكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّىٰ إِذَا عَايَنُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا، وَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَقَلُّ أَعْوَانًا.

٢٤) قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ أَنْ لَّهُ أَجَلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

٢٥) هُوَ سَبْحَانَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يُطْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ.

٢٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَاهُ سَبْحَانَهُ مِنْ رَسُولٍ، فَإِنَّهُ يَطَّلِعُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُرْسِلُ مِنْ أَمَامِ الرَّسُولِ وَمِنْ خَلْفِهِ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يَطَّلِعَ غَيْرُ الرَّسُولِ عَلَى ذَلِكَ.

٢٧) رَجَاءُ أَنْ يَعْلَمَ الرَّسُولُ أَنَّ الرِّسَالَاتِ مِنْ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لَمَّا أَحَاطَهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَنَاءِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ
بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرَّسُلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ شَيْءٌ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الْجَوْرُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ.

• أَهْمِيَّةُ الْإِسْتِقَامَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ.

• حِفْظُ الْوَحْيِ مِنْ عَيْثِ الشَّيَاطِينِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْقَلُ ١ قُرِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نَصَفَهُ وَأَوْانْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣
أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَقِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
١٨ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

٥٧٤

واتركني وإياهم، وانتظرهم قليلاً حتى يأتيهم أجلهم.

١١ إن لدينا في الآخرة قيوداً ثقيلة، وناراً مُسْتَعْرَةً.

١٢ وطعاماً تغص به الحلق لشدة مرارته، وعذاباً موجعاً؛ زيادة على ما سبق.

١٣ ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً من شدة هوله.

١٤ إنا بعثنا إليك رسولاً شاهداً على أعمالكم يوم القيامة مثلما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.

١٥ فعصى فرعون الرسول المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقاباً شديداً في الدنيا بالفرق، وفي الآخرة بعذاب النار، فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه.

١٦ فكيف تمنعون أنفسكم وتؤمنونها - إن كفرتم بالله، وكذبتم رسوله - يوماً شديداً طويلاً، يشيب رأس الأولاد الصغار من شدة هوله وطول هوله.

١٧ السماء منقطة من هوله، كان وعد الله مفعولاً لا محالة. ١٨ إن هذه الموعظة - المشتتة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدة - تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء اتخذ طريق موصول إلى ربه اتخذه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله. • فراغ القلب في الليل له أثر في الحفظ والفهم.

• تحمّل التكليف يقتضي تربية صارمة. • الترف والتوسع في التمتع يصدّ عن سبيل الله.

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان الأسباب المعينة على القيام بأعياء الدعوة.

• التفسير:

١ يا أيها المتكفّف بشيابه (يعني: النبي ﷺ).

٢ صلّ بالليل إلا قليلاً منه.

٣ صلّ نصفه إن شئت، أو صلّ أقل من النصف قليلاً حتى تصل للثلاث.

٤ أو زد عليه حتى تبلغ الثلثين، وبين القرآن إذا قرأته وتمهل في قراءته.

٥ إنا سنلقي عليك - أيها الرسول - القرآن، وهو قول ثقيل؛ لما فيه من الفرائض والحدود والأحكام والآداب وغيرها.

٦ إن ساعات الليل هي أشد موافقة للقلب مع القراءة وأصوب قولاً.

٧ إن لك في النهار تصرفاً في أعمالك، فتشغل بها عن قراءة القرآن، فصلّ بالليل.

٨ واذكر الله بأنواع الذكر، وانقطع إليه سبحانه انقطاعاً بإخلاص العبادة له.

٩ رب المشرق ورب المغرب، لا معبود بحق إلا هو، فاتخذهُ وكيلاً تعتمد عليه في أمورك كلها.

١٠ واصبر على ما يقوله المكذبون من الاستهزاء والسب، واهجرهم هجراً لا أذية فيه.

١١ ولا تهتم بشأن المكذبين أصحاب التمتع بملذات الدنيا،

﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافُفَهُ
مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ
وَعَاخِرُونَ يَضْطَرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخِرُونَ
يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَبَتُّوا عَنِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

آيَاتُهَا
٥٦

سُورَةُ الْمُرْثَلِ

تَرْتِيلُهَا
٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ فَمَنْذِرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَشَابَكَ فَطَهَّرُ ﴿٤﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَكُنَ مَكِيدٌ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَقَرَ
فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَ يَوْمٍ عَصِيرٍ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدَّوْدًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ
شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لَا يَتَنَبَّأ عَيْنِدَا ﴿١٦﴾ سَأَرْهُقُهُ وَصَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

٥٧٥

﴿٢٠﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، وتقوم طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصى ساعاتهما، علم سبحانه أنكم لا تقدرون على إحصاء وضبط ساعاته، فيشق عليكم قيام أكثره تحريراً للمطلوب، فلذلك تاب عليكم، فصلوا من الليل ما تيسر، علم الله أن سيكون منكم - أيها المؤمنون - مرضى أجدهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار ابتغاء مرضاة الله وتكون كلمة الله هي العليا، فهؤلاء يشق عليهم قيام الليل، فصلوا ما تيسر لكم من الليل، وآتوا بالصلاة المفروضة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدموا لأنفسكم من أي خير، تجدوه هو خير وأعظم ثواباً، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

سُورَةُ الْمُرْثَلِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

الأمر بالاجتهاد في دعوة المكذبين، وإنذارهم بالآخرة والقرآن.

• التَّخْيِيرُ:

١ يا أيها الْمُتَغَيَّبُ بنبابه (وهو النبي ﷺ).

٢ انهض فخوف من عذاب الله.

٣ وعظم ربك.

٤ وطهر نفسك من الذنوب.

٥ وثيابك من النجاسات.

٦ وابتعد عن عبادة الأوثان.

٧ ولا تمنن على ربك بأن تستكثر عملك الصالح.

٨ واصبر لله على ما تلاقيه من الأذى.

٩ فإذا نَفَخَ في القرن النفخة الثانية.

١٠ فذلك اليوم يوم شديد.

١١ على الكافرين بالله وبرسله غير سهل.

١٢ اتركني - أيها الرسول - ومن خلقتة وحيداً في بطن أمه دون مال أو ولد (وهو الوليد بن المغيرة).

١٣ وجعلت له ما لا كثيراً.

١٤ وجعلت له بنين حاضرين معه ويشهدون المحافظ معه لا يفارقونه لسفر لكثرة ماله.

١٥ وبسطت له في العيش والرزق والولد بسطاً. ١٦ ثم يطمع مع كفره بي أن أزيد بعد ما أعطيته من ذلك كله. ١٧ ليس الأمر كما

تصور، إنه كان معانداً لآياتنا المنزلة على رسولنا مكذباً بها. ١٨ سأل كلفه مشقة من العذاب لا يستطيع تحملها. ١٩ إن هذا الكافر الذي أنعمت عليه بتلك النعم فكر فيما يقوله في القرآن لإبطاله، وقدّر ذلك في نفسه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب الطهارة من الخبث الظاهر والباطن. • الإتيان على الفاجر استدراج له وليس إكراماً.

﴿١٩﴾ فَلَعْنٌ وَعَذَابٌ كَيْفَ قَدَّرَ.
﴿٢٠﴾ ثُمَّ لَعْنٌ وَعَذَابٌ كَيْفَ قَدَّرَ.
﴿٢١﴾ ثُمَّ أَعَادَ النَّظَرَ وَالتَّرَوَّى فِيمَا يَقُولُ.

﴿٢٢﴾ ثُمَّ قَطَّبَ وَجْهَهُ وَكَلَجَ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَا يَطْعُنُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ.

﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

﴿٢٤﴾ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ سِحْرٌ يَرْوِيهِ عَنْ غَيْرِهِ.

﴿٢٥﴾ لَيْسَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الْإِنْسِ.

﴿٢٦﴾ سَادَخَلَ هَذَا الْكَافِرُ طَبَقَةً مِنْ طَبَقَاتِ النَّارِ، وَهِيَ سَقَرٌ يَقَاسِي حَرَّهَا.

﴿٢٧﴾ وَمَا أَعْلَمُكَ - يَا مُحَمَّدٌ - مَا سَقَرٌ؟

﴿٢٨﴾ لَا تَبْقَى شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ فِيهَا إِلَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَا تَرُكُهُ، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَأْتِي عَلَيْهِ، وَهَكَذَا ذَوَالِئِكَ.

﴿٢٩﴾ شَدِيدَةُ الْإِحْرَاقِ وَالتَّغْيِيرِ لِلْجُلُودِ.

﴿٣٠﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ مَلَكًا، وَهُمْ خَزَنَتُهَا.

﴿٣١﴾ وَمَا جَعَلْنَا خَزَنَةَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، فَلَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ بِهِمْ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ هَذَا إِلَّا اخْتِبَارًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: لِيَقُولُوا مَا قَالُوا فَيُضَاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَلِيَتَّبِعُنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَعْطُوا التَّوْرَةَ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَعْطُوا الْإِنْجِيلَ حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ مُصَدِّقًا لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَلِيَزِدَّادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا عِنْدَمَا يَوَافِقُهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَلَا يَرْتَابَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُؤْمِنُونَ، وَلِيَقُولَ الْمُرْتَدُّونَ فِي الْإِيمَانِ، وَالْكَافِرُونَ: أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَهُ

اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ الْغَرِيبِ؟ مِثْلَ إِضْلَالِ مُنْكَرِ هَذَا الْعَدَدِ وَهْدَاةِ الْمُصَدِّقِ بِهِ، يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَضِلَّهُ وَيَهْدِيَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَهْدِيَهُ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، فَلْيَعْلَمْ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ الْقَاتِلُ: (أَمَّا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانٌ إِلَّا تِسْعَةُ عَشْرٍ؟) اسْتَخْفَافًا وَتَكْذِيبًا، وَمَا النَّارُ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِلْبَشَرِ يَعْلَمُونَ بِهَا عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. ﴿٣٢﴾ لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ يَكْفِي أَصْحَابَهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ حَتَّى يُجْهَظَهُمْ عَنْهَا، أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْقَمَرِ.

﴿٣٣﴾ وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ وَلَّى. ﴿٣٤﴾ وَأَقْسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ. ﴿٣٥﴾ إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ إِحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ. ﴿٣٦﴾ تَرْهِيبًا وَتَخْوِيفًا لِلنَّاسِ. ﴿٣٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَّقِدَّ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ الْأَعْمَالِ مَأْخُودَةٌ، فَإِمَّا أَنْ تَوْفَّقَهَا أَعْمَالُهَا، وَإِمَّا أَنْ تَخْلُصَهَا وَتَقْذُفَهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٣٨﴾ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. ﴿٣٩﴾ وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ يَسَالُ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا. ﴿٤٠﴾ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي. ﴿٤١﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ؟ ﴿٤٢﴾ فَيُجِيبُهُمُ الْكَافِرُ قَاتِلِينَ: لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعِمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ. ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ. ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ. ﴿٤٦﴾ وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

﴿٤٧﴾ مِنَ النَّوَائِبِ الْأَكْبَرِ،

• خطورة الكبر حيث صرف الوليد بن المغيرة عن الإيمان بعدما تبين له الحق. • مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة. • عدم إطفاء المحتاج سبب من أسباب دخول النار.

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَذَلِكَ حُمِرْهُمْ سُتُنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مِّنْشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

آياتها ٤٠

ترتيبها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدْ رَيْنَ عَلَىٰ أَنْ سُؤْيَ بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا مَّامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَقْرَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

٥٧٧

﴿٤٨﴾ فما تنفعهم يوم القيامة وساطة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأن من شرط قبول الشفاعة الرضا عن المشفوع له. ﴿٤٩﴾ أي شيء جعل هؤلاء المشركين معرضين عن القرآن؟

﴿٥٠﴾ كأنهم في إعراضهم ونفورهم منه حُمِرْ وَخَشَ شديدة النفور. ﴿٥١﴾ نفرت من أسد خوفًا منه.

﴿٥٢﴾ بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن يصبح عند رأسه كتاب منشور يخبره أن محمدًا رسول من الله، وليس سبب ذلك قلة البراهين أو ضعف الحجج، وإنما هو العناد والاستكبار.

﴿٥٣﴾ ليس الأمر كذلك، بل السبب في تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فيقتوا على كفرهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن هذا القرآن موعظة وتذكير. ﴿٥٥﴾ فمن شاء أن يقرأ القرآن ويتعظ به قرأه واعتظ به.

﴿٥٦﴾ وما يتعظون إلا أن يشاء الله أن يتعظوا، هو سبحانه أهل لأن ينقضي بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، وأهل لأن يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مكية —

• من مقاصد السورة:

إظهار قدرة الله على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بيوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

﴿٢﴾ وأقسم بالنفس الطيبة التي تلوم صاحبها على التقصير في الأعمال الصالحة، وعلى فعل السيئات، أقسم بهذين الأمرين ليبعث الناس للحساب والجزاء.

﴿٣﴾ أيقظ الإنسان أن لن تجمع عظامه بعد موته للبعث؟

﴿٤﴾ بلى، تقدر مع جمعها على إعادة أطراف أصابعه خلقًا سويًا كما كانت.

﴿٥﴾ بل يريد الإنسان بإنكاره البعث أن يستمر على فجوره مستقبلًا دون رادع.

﴿٦﴾ يسأل على وجه الاستبعاد عن يوم القيامة: متى يقع؟ ﴿٧﴾ فإذا تحير البصر واندھش حين يرى ما كان يكذب به. ﴿٨﴾ وذهب ضوء القمر. ﴿٩﴾ وجميع جرم الشمس والقمر. ﴿١٠﴾ يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين الفرار؟ ﴿١١﴾ لا فرار في ذلك اليوم، ولا ملجأ ليلجأ إليه الفاجر، ولا مَقْصَمٌ يعتصم به. ﴿١٢﴾ إلى ربك - أيها الرسول - في ذلك اليوم المرجع والمصير للحساب والجزاء.

﴿١٣﴾ يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قدّم من أعماله، وبما أخر منها. ﴿١٤﴾ بل الإنسان شاهد على نفسه حيث تشهد عليه جوارحه بما اكتسبه من إثم. ﴿١٥﴾ ولو جاء بأعداء يجادل بها عن نفسه أنه ما عمل سوءًا لم تنفعه. ﴿١٦﴾ لا تحرك - أيها الرسول - لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلًا أن ينفلت منك. ﴿١٧﴾ إن علينا أن نجعله لك في صدرك، وإثبات قراءته على لسانك. ﴿١٨﴾ فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فأنصت إلى قراءته واستمع. ﴿١٩﴾ ثم إن علينا تفسيره لك.

• من قوالب الآيات:

• مشيئة العبد مُقَدَّرة بمشيئة الله. • حرص رسول الله ﷺ على حفظ ما يوحى إليه من القرآن، وتكفل الله له بجمعه في صدره وحفظه كاملاً فلا ينسى منه شيئاً.

﴿٢٠﴾ كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ادْعَيْتُمْ
مِنْ اسْتِحَالَةِ الْبَعْثِ، فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
أَنْ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِكُمْ ابْتَدَاءً لَا يَعْجزُ
عَنْ إِحْيَاكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، لَكِنْ سَبَبُ
تَكْذِيبِكُمْ بِالْبَعْثِ هُوَ حِكْمُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا سَرِيعَةُ الْإِنْتِزَاعِ. ﴿٢١﴾ وَتَرْكُكُمْ
لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الَّتِي طَرِيقُهَا الْقِيَامُ بِمَا
أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ مَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ.

﴿٢٢﴾ وَجْهَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ بَهِيَّةً لَهَا نُورٌ. ﴿٢٣﴾ نَظَرًا إِلَى
رَبِّهَا مَتَمَتَّةً بِذَلِكَ. ﴿٢٤﴾ وَوَجْهَ أَهْلِ
الْكُفْرِ وَالشَّقَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَابِسَةً.
﴿٢٥﴾ تَوْقِنَ أَنْ يَنْزَلَ بِهَا عِقَابٌ عَظِيمٌ،
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ. ﴿٢٦﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا
يَتَصَوَّرُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا
لَا يُعَدُّونَ، فَإِذَا وَصَلَتْ نَفْسُ أَحَدِهِمْ
أَعَالِي صَدْرِهِ. ﴿٢٧﴾ وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ
لِبَعْضٍ: مَنْ يَرْقِي هَذَا لَعْلَهُ يُشْفَى؟

﴿٢٨﴾ وَأَيُّنَ مَنْ فِي الشَّرْعِ حِينَئِذٍ أَنَّهُ
فِرَاقُ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ. ﴿٢٩﴾ وَاجْتَمَعَتْ
الشَّدَائِدُ عِنْدَ نَهَايَةِ الدُّنْيَا وَبِدَايَةِ
الْآخِرَةِ. إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ يُسَاقُ
الْمَيِّتُ إِلَى رَبِّهِ. ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ الْكَافِرُ
بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَا صَلَّى اللَّهُ
سُبْحَانَهُ. ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ
رَسُولُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ. ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ
هَذَا الْكَافِرُ إِلَى أَهْلِهِ يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ
مِنَ الْكِبَرِ. ﴿٣٣﴾ فَتَوَعَّدَ اللَّهُ الْكَافِرَ
بِأَنْ عَذَابُهُ قَدِ وَلِيَهُ وَقَرُبَ مِنْهُ.

﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَعَادَ الْجُمْلَةَ عَلَى سَبِيلِ
التَّكْذِيرِ، فَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَوَّلَى لَكُمُ الْأَوَّلَى﴾. ﴿٣٥﴾
يُظَنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ
مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ بِشَرْعٍ؟ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ
يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ
يُضْتَبُّ فِي الرَّحِمِ. ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ
ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ

اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سَوِيًّا. ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادَرٍ عَلَى
إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

سورة الإنسان مَدِينَةُ

- مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تَذْكِيرُ الْإِنْسَانِ بِأَصْلِ خَلْقِهِ، وَمَصِيرِهِ، وَبَيَانِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْعَنَةِ لِأَوَّلِيَّائِهِ.
- التَّفْصِيلُ: ﴿١﴾ قَدْ مَرَّ عَلَى الْإِنْسَانِ دَهْرٌ طَوِيلٌ كَانَ فِيهِ مَعْدُومًا لَا ذِكْرَ لَهُ. ﴿٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ خَلِيطَةٍ بَيْنَ مَاءِ
الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، نَخْتَبِرُهُ بِمَا نُلْزِمُهُ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِيَقُومَ بِمَا كَلَّفْنَاهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ. ﴿٣﴾ إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ
رُسُلِنَا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ، فَاسْتَبَانَ لَهُ بِذَلِكَ طَرِيقَ الضَّلَالِ، فَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَهْتَدِيَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَيَكُونُ عَبْدًا مُؤْمِنًا شَاكِرًا
لِلَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَضِلَّ عَنْهَا فَيَكُونُ عَبْدًا كَافِرًا جَحُودًا لِآيَاتِ اللَّهِ. وَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ نَوْعِي الْمُهْتَدِي وَالضَّالِّ بَيَّنَّ جَزَاءَهُمَا فَقَالَ: ﴿٤﴾ إِنَّا أَعَدَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ سُلَاسِلَ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ، وَأَغْلَالًا يُكَلَّونَ بِهَا فِيهَا، وَنَارًا مُسْتَعْرَةً. ﴿٥﴾ إِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ يُشْرَبُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ مَمْلُوءَةٍ مَمَزُوجَةٍ بِالْكَافُورِ لَطِيبِ رَاحَتِهِ.
- مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • خَطَرُ حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْآخِرَةِ. • ثُبُوتُ الْإِخْتِيَارِ لِلْإِنْسَانِ، وَهَذَا مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ. • النَّظَرُ لَوَجْهِ
اللَّهِ الْكَرِيمِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامًا عَلَى حَيْثُ مَسَّ كِنَانًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُنْطِغُمُكُمْ لَوَاحِجَهُ اللَّهُ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠ فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّهَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ١١ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا أَجَنَّةً وَخَرِيرًا ١٢
مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ١٣
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوَافُهُمْ تَذِيلًا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ
مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ١٥ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ١٦
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ١٧ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
١٨ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ حَسْبَتَهُمْ لَوْلَا أَمْثَلُهُمْ
وَأِذَا رَأَيْتُمْ ثَمَرًا رَأَيْتُمْ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ١٩ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ٢٠ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ٢١ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ٢٢ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ أَثَمًا أَوْ كَفُورًا ٢٣ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٤

٦ هذا الشراب المُعَدُّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تَنْصَبُ، يَرَوْنَ بها عباد الله، يسيلونها ويجرونها أين شاؤوا.

٧ وصفات العباد الذين يشربونها أنهم يوفون بما أُلْزِمُوا به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يومًا كان شَرُّهُ منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

٨ ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتياؤهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

٩ ويسرون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناءً على إطعامهم إياهم.

١٠ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا تَكَلَّجَ فيه وجوه الأشقياء لشدته وخطأته. فوقاهم الله بفضله شَرَّ ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم: إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

١١ وَأَتَاهُمُ اللَّهُ - بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي - جنة يتعمون فيها، وحريًا بلبسونه.

١٢ متكئون فيها على الأسرة المُرْتَبَةِ، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظل دائم لا حر معه ولا برد. قريبة منهم ظلالها، وسُخِرَتْ ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها بيسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

١٣ ويدور عليهم الخدم بآنِيَةِ الفضة، ويكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

١٤ هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

١٥ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ الْمُكْرَمُونَ كَأْسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.

١٦ يشربون من عين في الجنة تسمى سَلْسَبِيلًا. ويدور عليهم في الجنة وَلَدَانٌ باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم وكثرة ثمرهم وتفرقهم لَوْلَا مَثَلُهُمْ. وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدَانِيهِ ملك. قد علت أبدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغلظت الديباج، وأنسوا فيها أسورة من فضة، وسقاهاهم الله شرابًا خاليًا من أي منقص. ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتكموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله. إِنَّا نَحْنُ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مَفْرُقًا، ولم ننزله عليك جملة واحدة. فاصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع أثمًا فيما يدعوله من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعوه إليه من الكفر.

٢٥ وأذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، وصلاة الظهر والعصر آخره.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الوفاء بالأنذر وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنة.

• إذا كان حال الغلمان الذين يخدمونهم في الجنة بهذا الجمال، فكيف بأهل الجنة أنفسهم؟!

﴿٢٦﴾ وَاذْكُرْهُ بِصَلَاتِي اللَّيْلِ: صلاة المغرب وصلاة العشاء، وَتَهَجَّدُ بِهِ بعدهما.

﴿٢٧﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَحْرُصُونَ عَلَيْهَا، وَيَتْرَكُونَ وراءهم يوم القيامة، وهو يوم ثَقِيلٍ؛ لما فيه من الشدائد والمحن.

﴿٢٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَقَوْنًا خَلَقْنَاهُمْ بِتَقْوِيَةٍ مَفَاصِلُهُمْ وَأَعْضَائُهُمْ وَغَيْرِهَا. وَإِذَا شِئْنَا إِهْلَاكَهُمْ وَابْدَالَهُمْ بِأَمْثَالِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَبْدَلْنَاهُمْ.

﴿٢٩﴾ إِنْ هَذِهِ السُّورَةُ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ طَرِيقَ تَوَصُّلِهِ إِلَى رِضَا رَبِّهِ اتَّخَذَهَا.

﴿٣٠﴾ وَمَا تَشَاوُونَ اتَّخَذَ طَرِيقَ إِلَى رِضَا اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا بِمَا يَصْلَحُ لِعِبَادِهِ، وَبِمَا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ، حَكِيمًا فِي خَلْقِهِ وَقَدَرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ، فَيُوفِّقُهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي عَذَابًا مُوجِعًا فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الوعيد للمكذِّبين بالوحي يوم القيامة.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عُرف الفرس.

﴿٢﴾ وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب.

﴿٣﴾ وأقسم بالرياح التي تشر المطر.

﴿٤﴾ وأقسم بالملائكة التي تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

آياتها

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقِطَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَنْبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

﴿١﴾ وأقسم بالملائكة التي تنزل بالوحي.

﴿٢﴾ تنزل بالوحي إعدارًا من الله إلى الناس، وإنذارًا للناس من عذاب الله.

﴿٣﴾ إن الذي توعدون به من البعث والحساب والجزاء لواقِع لا محالة.

﴿٤﴾ فإذا النجوم مُجِّي نورها وذُهِبَ ضَوْوُهَا.

﴿٥﴾ وإذا السماء سُفِفَتْ لتُنْزَلَ الملائكة منها.

﴿٦﴾ وإذا الجبال اُقْطِعَتْ من مكانها فَنُفِثَتْ حَتَّى تَصِيرَ هِبَاءً.

﴿٧﴾ وإذا الرسل جُمِعَتْ لَوْقَتٍ مُّحَدَّدَةٍ. ﴿٨﴾ ليوم عظيم أُجِّلَتْ للشهادة على أممها. ﴿٩﴾ ليوم الفصل بين العباد، فيتبين المحق من المبطل، والسعيد من الشقي. ﴿١٠﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الفصل؟ ﴿١١﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذِّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله. ﴿١٢﴾ ألم نهلك الأمم السابقة لما كفرت بالله وكذبت رسلاها؟ ﴿١٣﴾ ثم ننبعهم المكذِّبين من المتأخرين، فنهلكهم كما أهلكناهم. ﴿١٤﴾ مثل الإهلاك لتلك الأمم نهلك المجرمين المكذِّبين بما جاء به محمد ﷺ. ﴿١٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذِّبين بوعيد الله بالعقاب للمجرمين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة. • مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله. • إهلاك الأمم المكذبة سُنَّةَ إلهية.

﴿٢٠﴾ ألم نخلقكم - أيها الناس - من ماء حقير قليل وهو النطفة.

﴿٢١﴾ فجعلنا ذلك الماء المهيّن في مكان مَحْرُورٍ وهو رحم المرأة.

﴿٢٢﴾ إلى مُدَّة معلومة هي مُدَّة الحمل.

﴿٢٣﴾ فقدرنا صفة المولود وقدره ولونه وغير ذلك، فتعم القادرون لذلك كله نحن.

﴿٢٤﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بقدره الله.

﴿٢٥﴾ ألم نجعل الأرض تضمّ الناس جميعًا.

﴿٢٦﴾ تضمّ أحياءهم بالسكن عليها وعمارتها، وأمواتهم بالدفن فيها.

﴿٢٧﴾ وجعلنا فيها جبالًا ثوابت، تمنعها من الاضطراب، عاليات، وأسقيناكم - أيها الناس - ماءً عذبًا، فمن خلق ذلك ليس عاجزًا عن بعثكم.

﴿٢٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بنعم الله عليهم.

﴿٢٩﴾ ويقال للمكذّبين بما جاءت به رسلهم: سيروا - أيها المكذّبون - إلى

ما كنتم به تكذبون من العذاب.

﴿٣٠﴾ سيروا إلى ظل من دخان النار مفترق ثلاث فرق.

﴿٣١﴾ ليس فيه برد الظلال، ولا يمنع لهيب النار وحزّها أن ينفذ إليكم.

﴿٣٢﴾ إن النار تقذف بشرارات، كل شرارة مثل القصر في عظمتها.

﴿٣٣﴾ كأن الشرارات التي تقذف بها في سوادها وضخامتها جمال سود.

﴿٣٤﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بعذاب الله.

﴿٣٥﴾ هذا يوم لا يتكلمون فيه بشيء.

﴿٣٦﴾ ولا يُؤذّن لهم أن يعتذروا إلى ربهم من كفرهم وسيئاتهم، فيعتذرون إليه.

﴿٣٧﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بأخبار هذا اليوم.

﴿٣٨﴾ هذا يوم الفصل بين الخلائق، جمعناكم والأمم السابقة في صعيد واحد.

﴿٣٩﴾ فإن كانت لكم حيلة تحالون بها للنجاة من عذاب الله فاحتالوا علىّ.

﴿٤٠﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بيوم الفصل. ﴿٤١﴾ إن المتقين لربهم بامتنال أو امره واجتتاب نواهيهِ، في ظلال

أشجار الجنة الوارفة، وعيون الماء العذبة الجارية. ﴿٤٢﴾ وفواكه مما يشتهون أكله. ﴿٤٣﴾ ويقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرابًا

هنيئًا لا مُمَغِّص فيه؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات. ﴿٤٤﴾ إنّا مثل هذا الجزاء الذي جزييناكم به نجزي المحسنين لأعمالهم. ﴿٤٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بما أعد الله للمتقين. ﴿٤٦﴾ ويقال للمكذّبين: كلوا وتمتعوا بملذات

الحياة وقتًا قليلًا في الدنيا، إنكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسله مجرمون. ﴿٤٧﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين بجزائهم يوم الدين. ﴿٤٨﴾ وإذا قيل لهؤلاء المكذّبين: صلّوا لله لا يصّلون له. ﴿٤٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٥٠﴾ فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المنزل من ربهم فبأي حديث غيره يؤمنون؟ ﴿٥١﴾

• من قَوَائِدِ الآيَاتِ:

• رعاية الله للإنسان في بطن أمه. • اتساع الأرض لمن عليها من الأحياء، ولمن فيها من الأموات. • خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۖ
كَلَّا سَيَعْمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ۚ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۚ
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعَ شَدَادٍ ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۚ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۚ وَجَعَلْنَا
الْأَفَّااقَ ۚ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۚ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۚ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۚ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّاغِينَ
مَكَابًا ۚ لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ
إِلَّا أَحْمِيمًا وَعَسَاقًا ۚ جزَاءً وَفَاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ

• من مقاصد السورة: بيان أدلة القدرة على البعث والتخويف من العاقبة.

• التفسير: عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعدما بعث الله إليهم رسوله ﷺ؟

• يسأل بعضهم بعضًا عن الخبر العظيم، وهو هذا القرآن المنزل على رسولهم المتضمن لخبر البعث.

• هذا القرآن الذي اختلفوا فيما يصفونه به: من كونه سحرًا أو شعرًا أو كهانة أو أساطير الأولين.

• ليس الأمر كما زعموا، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة.

• ثم سيتأكد لهم ذلك.

• ألم نصير الأرض مهادًا لهم صالحة لاستقرارهم عليها؟

• وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب.

• وخلقناكم - أيها الناس - أصنافًا: منكم الذكور والإناث.

• وجعلنا نومكم انقطاعًا عن النشاط لتستريحوا.

• وجعلنا الليل ساترًا لكم بظلمته مثل اللباس الذي تسترون به عوراتكم.

• وجعلنا النهار ميدانًا للكسب واليحث عن الرزق.

• وبنيينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء محكمة الصنع.

• وصيرنا الشمس مصباحًا شديد الاتقاد والإنارة.

• وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماءً كثير الانصباب.

• لنخرج به أصناف الحب، وأصناف النبات.

• ونخرج به بسايتين ملئتة من كثرة تداخل أغصان أشجارها. ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة؛ لأن القادر على خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم، فقال: (١٧) إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعدًا محددًا بوقت لا يتخلف. (١٨) يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية، فتأتون - أيها الناس - جماعات جماعات. (١٩) وفتحت السماء فصار لها فتوح وشقوق مثل الأبواب المفتحة. (٢٠) وجعلت الجبال تسير حتى تتحول هباءً منثورًا، فتصير مثل السراب. (٢١) إن جهنم كانت راصدة مَرْتَبِية. (٢٢) للظالمين مرجعًا يرجعون إليه. (٢٣) ماكنين فيها أزمنة ودهورًا لا نهاية لها. (٢٤) لا يذوقون فيها هواء باردًا يبرد حر السعير عنهم، ولا يذوقون فيها شرابًا يُلْذَذُ به. (٢٥) لا يذوقون إلا ماءً شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار. (٢٦) جزاءً موافقًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال. (٢٧) إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا يخافون البعث لآمَنُوا بالله، وعملوا صالحًا. (٢٨) وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبًا. (٢٩) وكل شيء من أعمالهم ضلطاناه وعدنانه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم. (٣٠) فذوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم.

• من قوالب الآيات:

• إحكام الله للخلق دلالة على قدرته على إعادته. • الطغيان سبب دخول النار. • مضاعفة العذاب على الكفار.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۚ حَدَاقٌ وَعَتَبًا ۚ وَكَوَاعِبُ أَثَرَابٍ ۚ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۚ جَزَاءُ مَنْ رَزَقَهُ عَطَاءٌ
 حِسَابًا ۚ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ۚ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۚ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ
 شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَا بًا ۚ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ
 الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۚ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

آيَاتُهَا ٤٦

تَرْجُمَاتُهَا ٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۚ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ۚ وَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا ۚ
 فَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا ۚ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۚ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۚ
 تَتَّبِعُهَا الرَّاكِدَةُ ۚ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ۚ أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ ۚ
 يَقُولُونَ أَيْنَا نَالِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۚ أَيْنَا ذَاكُنَا عِظْمَانِخْرَةَ ۚ قَالُوا
 تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ فَذَاهُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۚ
 ۚ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ

٥٨٣

٣١) إن للمتقين ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، مكان فوز يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.

٣٢) ساتين وأعتابًا.

٣٣) وناهدات مستويات السن.

٣٤) وكأس خمر ملأى.

٣٥) لا يسمعون في الجنة كلامًا

باطلاً، ولا يسمعون كذبًا، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

٣٦) كل ذلك مما منحهم الله مؤنة وعطاء منه كافيًا.

٣٧) رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.

٣٨) يوم يقوم جبريل والملائكة مُطَطِّفِينَ، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال

سداً كلمة التوحيد.

٣٩) ذلك الموصوف لكم هو اليوم الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلاً

إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

٤٠) إنا حذرتكم - أيها الناس - عذاباً قريباً يحصل، يوم ينظر المرء

ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنياً الخلاص من العذاب:

يا ليتني صرت تراباً مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني

تراباً.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

— مَكِّيَّةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

التذكير بالله واليوم الآخر.

● التَّخْوِيفُ:

١) أقسم الله بالملائكة التي تجذب أرواح الكفار بشدة وعنف، ٢) وأقسم بالملائكة التي تستل أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

٣) وأقسم بالملائكة التي تسبح من السماء إلى الأرض بأمر الله، ٤) وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله.

٥) وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد: أقسم بذلك كله لبيعثهم

لحساب والجزاء، ٦) يوم تهتز الأرض عند النفخة الأولى، ٧) تتبع هذه النفخة نفخة ثانية، ٨) قلوب الكافرين والفاستقين في ذلك

اليوم خائفة، ٩) يظهر على أبصارها أثر الذلة، ١٠) وكانوا يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟ ١١) إذا كنا عظاماً بانية

فأرغبة نرجع بعد ذلك؟ ١٢) قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، مغبوناً صاحبها.

١٣) أمر البعث يسير، فإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ، ١٤) فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتاً

في بطنها، ١٥) هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عدوه فرعون؟ ١٦) حين ناداه ربه سبحانه بوادي طوى المطهر.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● التقوى سبب دخول الجنة. ● تذكر أهوال القيامة دافع للعمل الصالح. ● قبض روح الكافر بشدة وعنف، وقبض روح المؤمن

برفق ولين.

(١٧) قال له فيما قال: سر إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.

(١٨) فقل له: هل لك - يا فرعون - أن تتطهر من الكفر والمعاصي؟

(١٩) وأرشدك إلى ربك الذي خلقك وركاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟

(٢٠) فأظهر له موسى ﷺ العلامة العظمى الدالة على أنه رسول من ربه، وهي اليد والمصا.

(٢١) فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه العلامة، وعصى ما أمره به موسى ﷺ.

(٢٢) ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى ﷺ مجتهداً في معصية الله ومعارضة الحق.

(٢٣) فجمع قومه وأتباعه لمغالبة موسى ﷺ، فنادى قائلاً:

(٢٤) أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم.

(٢٥) فأخذ الله فعاقيه في الدنيا بالفرق في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشد العذاب.

(٢٦) إن فيما عاقبتنا به فرعون في الدنيا والآخرة لموعظة لمن يخشى الله: فهو الذي ينتفع بالمواعظ.

(٢٧) أيجادكم على الله - أيها المكذبون بالبعث - أصعب، أم إيجاد السماء التي بناها؟

(٢٨) جعل سقفاً في جهة العلو رفيعاً، فجعلها مستوية، لا طور فيها ولا شقوق ولا عيب.

(٢٩) وأظلم ليلاً إذا غربت شمسها، وأظهر نورها إذا أشرقت.

(٣٠) والأرض بعد أن خلق السماء

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۖ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿٨﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٩﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿١١﴾ فَخَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿١٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿١٥﴾ ؕ أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٦﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿١٧﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٨﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٢٠﴾ مَتَعَالَىٰ كُفُّهُ ﴿٢١﴾ وَلَا تَعْلَمُ كُفُّهُ ﴿٢٢﴾ فِإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٢٤﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٢٥﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٢٦﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٢٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٢٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢٩﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣١﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٣٤﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُورَثُهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٣٥﴾

النبات

سورة النازعات

الجزء الثلاثون

٥٨٤

بسطها، وأودع فيها منافعها.

(٣٦) أخرج منها ماءها عيوناً تجري، وأنبت فيها من النبات ما ترعاه الدواب.

(٣٧) والجبال جعلها ثابتة على الأرض. (٣٨) كل ذلك منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد. (٣٩) فإذا جاءت النفخة النازية التي تغمر كل شيء بهولها، وقامت القيامة. (٤٠) يوم تجيء يتذكر الإنسان ما قدم من عمل، خيراً كان أو شراً. (٤١) وجيء بهجهم وأظهرت عياناً لمن يبصرها. (٤٢) فأما من تجاوز الحد في الضلال. (٤٣) وفصل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية. (٤٤) فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه. (٤٥) وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تهواه مما حرمه الله، فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه. (٤٦) يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟ (٤٧) ليس لك علم بها حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها. (٤٨) إلى ربك وحده منتهى علم الساعة. (٤٩) إنما أنت منذر من يخشى الساعة: لأنه الذي ينتفع بإنذارك. (٥٠) كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشيّة يوم واحد أو بكرته.

• من قوالب الآيات.

• وجوب الرفق عند خطاب المدعو. • الخوف من الله وكف النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنة. • علم الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. • بيان الله لتفاصيل خلق السماء والأرض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● من مقاصد السورة:

تذكير الكافرين المستغنيين عن ربهم ببراهين البعث.

● التفسير:

١ قطب رسول الله ﷺ وجهه وأعرض.

٢ لأجل مجيء عبد الله بن أم مكتوم بسترشده، وكان أعمى، جاء والرسول ﷺ منشغل بأكابر المشركين أملاً في هدايتهم.

٣ وما يُعلمك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها.

٤ أما من استغنى بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به.

٥ فأنت تتعرض له، وتقبل إليه.

٦ وأي شيء يلحقك إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله.

٧ وأما من جاءك يسعى بحثاً عن الخير.

٨ وهو يخشى ربه.

٩ فأنت تشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.

١٠ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل.

١١ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن.

١٢ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة.

١٣ مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصيبها دُس ولا رجس.

١٤ وهي بأيدي رسل من الملائكة.

١٥ كرام عند ربهم، كثيرون من الطاعات.

١٦ لمن أشد كفره بالله! من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟

١٧ من ماء قليل خلقه، فقدر خلقه طويلاً بعد طور.

١٨ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه.

١٩ ثم بعد ما قدر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبراً يبقى فيه إلى أن يبعث.

٢٠ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء.

٢١ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض.

٢٢ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل!

٢٣ فأسله من المطر النازل من السماء بقوة وغزارة.

٢٤ ثم هتفنا الأرض فأنشقت عن النبات.

٢٥ فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرهما.

٢٦ وأنبتنا فيها عنباً وقثاً رطباً؛ ليكون علماً لدوابهم.

٢٧ وأنبتنا فيها زيتوناً ونخلاً.

٢٨ وأنبتنا فيها بساتين كثيرة الأشجار.

٢٩ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم.

٣٠ لانتفاعكم، وانتفاع بهائمكم.

٣١ فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الأذان وهي النفخة الثانية.

٣٢ يوم يهرب المرء من أخيه.

٣٣ ويفر من أمه وأبيه.

٣٤ ويفر من زوجته وأولاده.

٣٥ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم.

٣٦ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضئية.

٣٧ ضاحكة فرحة بما أعد الله لها من رحمته.

٣٨ وجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.

٣٩ عتاب الله نبيه في شأن عبد الله بن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله.

٤٠ الاهتمام بطالب العلم والمُسترشِد.

٤١ شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

الجزء

أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

سورة التكاثر

— مكية —

رتبها ٨١

آياتها ٢٩

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❶ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ❷ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ❸ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❹ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ❺
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ❻ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ❼ وَإِذَا
الْمُوءَدَّةُ سُيِّلَتْ ❽ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ❾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ❿
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⓫ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⓬ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ⓭ عَامَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⓮ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ ⓯
الْجَوَارِ الْكُنَسِ ⓰ وَالْيَلِيلُ إِذَا عَسْعَسَ ⓱ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ⓲
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⓳ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⓴ مُطَاعٍ
ثَمَّ آمِينَ ⓵ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ⓶ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ⓷
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ⓸ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ⓹
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ⓺ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ⓻ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ⓼ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ⓽

٥٨٦

- ❶ من مَقاصِدِ السُّورَةِ: كمال القرآن في تذكير الأنفس باختلال الكون عند البعث. **التفسير:** ❶ إذا الشمس جُمِعَ جَرَمُهَا، وَذَهَبَ ضَوْوُهَا، ❷ وإذا الكواكب تساقطت ومُحِي ضَوْوُهَا، ❸ وإذا الجبال حُرِّكَتْ مِنْ مَكَانِهَا، ❹ وإذا النُّوقُ الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أَهْمَلَتْ بتركهم لها، ❺ وإذا الوحوش جُمِعَتْ مع البشر في صعيد واحد، ❻ وإذا البحار أُوقِدَتْ حتى تصبح نَارًا، ❼ وإذا النفوس قُرِنَتْ بِمَن يَمَاطِلُهَا، ❽ فَيُفَرِّقُ الْفَاجِرَ بِالْفَاجِرِ، وَالتَّقِي بِالتَّقِي، ❾ وإذا الطفلة المدفونة وهي حَيَّةٌ سَأَلَهَا اللَّهُ، ❿ بَأَيِّ جَرِيْمَةٍ قَتَلْتَكَ مِنْ قَتْلِكَ؟ ⓫ وإذا صحف أعمال العباد نُشِرَتْ؛ لِيَقْرَأَ كُلُّ وَاحِدٍ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ، ⓬ وإذا السماء تُزْعَجُ كَمَا يُزْعَجُ الْجِلْدُ عَنِ الشَّاةِ، ⓭ وإذا النار أُوقِدَتْ، ⓮ وإذا الجنة قُرِبَتْ لِلْمُتَّقِينَ، ⓯ عندما يحصل ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من الأعمال لذلك اليوم.

❶ أقسم الله بالنجوم الخفية قبل بزوغها في الليل.

❷ الجاريات في أفلاكها التي تغيب عند بزوغ الصبح مثل الأطباء تدخل كناسها؛ أي: بيتها.

❸ وأقسم بأول الليل إذا أقبل، وبآخره إذا أدبر.

❹ وأقسم بالصباح إذا بزغ نوره. ❺ إن القرآن المنزل على محمد ﷺ لكلام الله بلغه مَلَكُ آمِينَ، وهو جبريل عليه السلام، وما عليه. ❻ صاحب قوة، ذي منزلة عظيمة عند رب العرش سبحانه. ❼ يطيعه أهل السماء، مُؤْتَمِنٌ عَلَى مَا يَبْلُغُهُ مِنَ الْوَحْيِ. ❽ وما محمد ﷺ الملازم لكم الذي تعرفون عقله وأمانته وصدقه بمجنون كما تدعون بهتانا. ❾ ولقد رأى صاحبكم جبريل على صورته التي خُلِقَ عليها بأفق السماء الواضح. ❿ وليس صاحبكم ببغيل عليكم ببخل أن يبلغكم ما أمر بتبليغه إليكم، ولا يأخذ أجرًا كما يأخذه الكهنة. ⓫ ليس هذا القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله. ⓬ فأَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَهَا لِإِنْكَارِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ؟ ⓭ ليس القرآن إلا تذكيرًا وموعظة للجن والإنس. ⓮ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. ⓯ وما تشاؤون استقامة ولا غيرها إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، رَبُّ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا.

❶ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ❶ حُشِرَ الْمَرءُ مَعَ مَنْ يَمَاطِلُهُ فِي الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ. • إذا كانت الموءودة تُسأل فما بالك بالوائد؟ وهذا دليل على عظم الموقف.
- ❷ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ۝ يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا
كَتِبِينَ ۝ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْزَنُوهُمْ خُسْرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝

٥٨٧

بل هم خالدون فيها. ١٧ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟ ١٨ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟ ١٩ يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

— مَكِّيَّةٌ —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحذير المكذبين الظالمين من يوم القيامة وبشارة المؤمنين به.

• التفسير:

• هلاك وخسار للمطففين. ١ • وهم الذين إذا أكلوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص. ٢ • وإذا كالوا للناس أوزنوا لهم بنقصون الكيل والميزان؛ وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليهم. ٤ • ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق. • الجشع من الأخلاق الذميمة في التجار ولا يسلم منه إلا من يخاف الله. • تذكر هول القيامة من أعظم الروادع عن المعصية.

لَيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ٩
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ١١ وَمَا يَكْذِبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ١٧ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ١٨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ٢٥ خِتَمُهُ
مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ٢٦ وَمَرَجُهُ مِنْ
تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ٣٣

شَرِّ النَّاسِ
مِنْ أَهْلِ الْقُرَى

الطاعة لفي عليين.

١٩ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عليون؟

٢٠ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص.

٢١ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.

٢٢ إن المكثرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.

٢٣ على الأسرة المزيّنة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم. ٢٤ إذا رأيتهم رأيت في وجوههم أثر التمتع حسناً

وبهاء. ٢٥ يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على أنائها. ٢٦ تقوح رائحة المسك منه إلى نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن

يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه. ٢٧ يُخلط هذا الشراب المختوم من عين تسنيم. ٢٨ وهي عين

في أعلى الجنة يشرب منها المقربون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها. ٢٩ إن الذين أجمعوا بما

كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاء بهم. ٣٠ وإذا مرّوا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخريّة وتندراً.

٣١ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين. ٣٢ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن

هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم. ٣٣ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.

• من قوالب الآيات •

• خطر الذنوب على القلوب. • حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة. • السخريّة من أهل الدين صفة من صفات الكفار.

١٠ للحساب والجزاء في يوم
عظيم لما فيه من المحن والأهوال.
١١ يوم يقوم الناس لرب الخلائق
كلها؛ للحساب.

١٢ ليس الأمر كما تصوّرت من
أنه لا يثبث بعد الموت، إن كتاب أهل
الفجور من الكفار والمنافقين لفي
خسار في الأرض السفلى.

١٣ وما أعلمك - أيها الرسول - ما
سجّين؟

١٤ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا
يُزاد فيه ولا يُنقص.

١٥ هلاك وخسار في ذلك اليوم
للمكذبين.

١٦ الذين يكذبون بيوم الجزاء
الذي يجازي فيه الله عباده على
أعمالهم في الدنيا.

١٧ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل
متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.

١٨ إذا تُقرأ عليه آياتنا المنزلة
على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم
الأولى، وليست من عند الله.

١٩ ليس الأمر كما تصور هؤلاء
المكذبون، بل غلب على عقولهم
وغطاها ما كانوا يكسبون من

المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.
٢٠ حقاً إنهم عن رؤية ربهم يوم
القيامة لمتنوعون.

٢١ ثم إنهم لداخلو النار، يعانون
حرّها.

٢٢ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّبوا
لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما
كنتم تكذبون به في الدنيا عندما
يخبركم به رسولكم.

٢٣ ليس الأمر كما تصوّرت من أنه
لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

آياتها ٢٥

سورة الانشقاق

ترتيبها ٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُفِ:

تذكير الإنسان برجوعه لربه، وبيان ضعفه، وتقلب الأحوال به.

• التفسير:

١ إذا السماء تصدعت لنزول الملائكة منها.

٢ واستمعت لربها منقادة، وحق لها ذلك.

٣ وإذا الأرض مدّها الله كما يمدّ القديم.

٤ وألقت ما فيها من الكنوز والأموات، وتخلّت عنهم.

٥ واستمعت لربها منقادة، وحق لها ذلك.

٦ يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيراً وإما شراً، فملاقيه يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه.

ولما ذكر عمل الإنسان مجملاً فصلّ حال العاملين يوم القيامة، فقال:

٧ فأما من أُعطي صحيفة أعماله بيده اليمنى.

٨ فسوف يحاسبه الله حساباً سهلاً يعرض عليه عمله دون مؤاخذه به.

٩ ويرجع إلى أهله مسروراً.

١٠ وأما من أُعطي كتابه بشماله من وراء ظهره.

١١ فسينادي بالهلاك على نفسه.

١٢ ويدخل نار جهنم يقاسي حرّها.

١٣ إنه كان في الدنيا في أهله فرحاً بما هو عليه من الكفر والمعاصي. ١٤ إنه ظنّ أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته. ١٥ بلى، ليرجعنّه الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيراً لا يخفى عليه منه شيء، وسيجزيه على عمله. ١٦ أقسم الله

بالحُمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس. ١٧ وأقسم بالليل وما جُمع فيه. ١٨ والقمر إذا اجتمع وتمّ وصار بدرًا.

١٩ لتركيّن - أيها الناس - حالاً بعد حال من نطفة فعلقة فمضغة، فحياة فموت فبعث. ٢٠ فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر؟ ٢١ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لرّبهم؟ ٢٢ بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم. ٢٣ والله أعلم بما تحويه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء. ٢٤ فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب موع.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خضوع السماء والأرض لربهما. • كل إنسان ساعٍ إما لخير وإما لشر. • علامة السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين، وعلامة الشقاء أخذه بالشمال.

﴿٥٥﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة.

سورة البروج مكية

سورة البروج
آياتها ٢٢
رقبتها ٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠ بَلْ هُوَ قَرِئٌ نَجِيمٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢

● من مقاصد السورة:
بيان قوة الله وإحاطته الشاملة، ونصرتة لأوليائه، والبطش بأعدائه.
● التفسير:
١ أقسم الله بالسماء المشتملة على منازل الشمس والقمر وغيرها.
٢ وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.
٣ وأقسم بكل شاهد كالنبي يشهد على أمته وكل مشهود كالأمة يشهد عليها بنبيها.
٤ لعن الذين سقوا في الأرض شقاً عظيماً.
٥ وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.
٦ إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء نارا.
٧ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتكيدل شهود؛ لحضورهم ذلك.
٨ وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.
٩ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.
١٠ إن الذين عذبوا المؤمنين

٥٩٠

والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.

١١ إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز. ١٢ إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي. ١٣ إنه هو يبدئ الخلق والعذاب، ويعيدهما. ١٤ وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أولياءه من المتقين. ١٥ صاحب العرش الكريم.

١٦ فقال لما يريد من العفو عن ذنوب من شاء، ومعاقبة من شاء، لا مكره له سبحانه. ١٧ هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجندوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟ ١٨ فرعون، وثمود أصحاب صالح. ١٩ ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم. ٢٠ والله محيط بأعمالهم محصيها، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها. ٢١ وليس القرآن شعراً ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.

٢٢ في لوح محفوظ من التبديل والتحريف، والتقص والزيادة.

● من قوائد الآيات:

● يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه. ● إيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة. ● التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ وَعَلَى
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَاهُوَ بِالْهَزْلِ ١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥
وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤ فجعله غثًا أخوًى ٥ سنقرئك ٦
فَلَا تَنْسَى ٧ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٨ وَنُفِّسَكَ
لِلْيَسْرَى ٩ فَذِكْرُنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ١٠ سَيَذَكِّرُنْ خَشْيَ ١١

لإظهار الدين ودحض الباطل. ١١ فأمهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تذكير النفس بالحياة الآخوية، وتخليصها من التعلقات الدنيوية.

• التَّشْيِيرُ: ١ نَزَمَ رَبِّكَ الذي علا على خلقه ناطقاً باسمه عند ذكرك إياه وتعظيمك له. ٢ الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته. ٣ والذي قَدَّرَ الخلائق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه ويوائمه. ٤ والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم. ٥ فضيَّره هشيماً يابساً مائلاً للسواد بعد أن كان أخضر غضاً. ٦ سنقرئك - أيها الرسول - القرآن، ونجمعه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصاً على ألا تنساه. ٧ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَنَسَاهُ مِنْهُ لِحِكْمَةٍ، إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يُكَلِّمُ وَمَا يُخْفَى، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. ٨ وَنُفِّسَكَ العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة. ٩ فَمَهْلُ النَّاسِ بِمَا نُوْحِيهِ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَكَّرَهُمْ مَا دَامَتْ الذِّكْرَى مسموعة. ١٠ سَيَذَكِّرُنْ بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الذي ينتفع بالموعظة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيرها وشرها ليحاسب عليها. • ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه، • خشية الله تبعث على الاتعاظ.

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان قدرة الله وإحاطته في خلق الإنسان وإعادته. • التَّشْيِيرُ:

١ أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الذي يَطْرُقُ ليلاً. ٢ وما أعلمك - أيها الرسول - شأن هذا النجم العظيم! ٣ هو النجم يتقرب السماء بضائه المتوهج. ٤ ما من نفس إلا وكل الله بها ملكاً يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة. ٥ فليأمل الإنسان مم خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله وعجز الإنسان. ٦ خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبُّ في الرحم. ٧ يخرج هذا الماء من بين العمود العظيم الفقري للرجل، وعظام الصدر.

٨ إنه سبحانه - إذ خلقه من ذلك الماء المهيمن - قادر على بعثه بعد موته حياً للحساب والجزاء. ٩ يوم تُخْبَرُ السرائر، فيُكشَّف عما كانت تضمرة القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفاسد.

١٠ فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا معين يعينه. ١١ أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة. ١٢ وأقسم بالأرض التي تتشقق عما فيها من النبات والثمر والشجر. ١٣ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ لقول يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب. ١٤ وليس باللعب والباطل، بل هو الجد والحق.

١٥ إن المكذبين بما جاءهم رسولهم يَكِيدُونَ كَيْدًا كَثِيرًا لِيَرُدُّوا دَعْوَتَهُ، وَيَبْطُلُوها. ١٦ وأكد أنا كَيْدًا لإظهار الدين ودحض الباطل. ١٧ فأمهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

١١١ ويبتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاء في الآخرة لدخوله في النار.

١١٢ الذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرها ويعانيه أبداً.

١١٣ ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة.

١١٤ قد فاز بالمطلوب من تطهر من الشرك والمعاصي.

١١٥ وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها. بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.

١١٦ وللآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبداً.

١١٧ إن هذا الذي ذكرنا لكم من الأوامر والأخبار لفي الصحف المنزل من قبل القرآن. هي الصحف المنزل على إبراهيم وموسى عليه السلام.

سورة الغاشية

مكية

١١٨ من مقاصد السورة:

التذكير بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب، والنظر في براهين قدرة الله.

التفسير:

١١٩ هل أتاك - أيها الرسول - حديث القيامة التي تقش الناس بأهوالها؟

١٢٠ فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة، متعبة مجعدة بالسلاسل التي تشحب بها، والأغلال التي تغل بها. ١٢١ تدخل تلك الوجوه

ناراً حارة تقاسي حرها. ١٢٢ تسقى من عين شديدة حرارة الماء. ١٢٣ لا يسمن أكله، ولا ييسد جوعته. ١٢٤ وجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لا قوه من النعيم. ١٢٥ لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثواب عملها مدخراً لها مضاعفاً. ١٢٦ في جنة مرتفعة المكان والمكانة. ١٢٧ لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو؛ فضلاً عن سماع كلمة مجرمة. ١٢٨ في هذه الجنة عيون جارية

بفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا. ١٢٩ فيها أسرة عالية. ١٣٠ وأكواب مطروحة مهيأة للشرب. ١٣١ وفيها وسائل مرسومة بعضها إلى بعض. ١٣٢ وفيها بسط كثيرة مفروشة هنا وهناك. ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وجه أنظار الكفار إلى ما يدلهم على قدرة الخالق وحسن خلقه ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء فقال: ١٣٣ أهلاً ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟ ١٣٤ وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سقفاً محفوظاً، لا يسقط عليهم؟ ١٣٥ وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟ ١٣٦ وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة لاستقرار الناس عليها؟ ولما وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وجهه رسوله، فقال: ١٣٧ فاعظ - أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده. ١٣٨ لست عليهم مسلطاً حتى تكرهم على الإيمان.

١٣٩ من فوائد الآيات: • أهمية تطهير النفس من الخبايا الظاهرة والباطنة، • الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته، • مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩

سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ ٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٣ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ٦ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ٨ لِسْعِهَا رَاضِيَةٌ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً ١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزَرَّائِي مَمْثُوتَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ

آيَاتُهَا
٣٠

سُورَةُ الْفَجْرِ

تَرْبِيَّتُهَا
٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝
وَلَيْلٍ عَشْرٍ ۝
وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝
وَتُمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝
الَّذِينَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ ۝
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۝
إِنَّ رَبَّكَ لِيَا لِمَرْصَادٍ ۝
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَانْكَرَمَهُ ۝
وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَرَعَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝
كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ
الْيَتِيمَ ۝
وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝
وَتَأْكُلُونَ
الْثَرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝
كَلَّا إِذَا
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

٥٩٣

١٣٣ لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله.
١٣٤ فيعذب الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها.
١٣٥ إن إلينا وحننا رجوعهم بعد موتهم.
١٣٦ ثم إن علينا وحننا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

سُورَةُ الْفَجْرِ

— مَكِّيَّة —

• من مقاصد السورة:
بيان عاقبة الطغاة، والحكمة من الابتلاء، والتذكير بالآخرة.
• التفسير:
١ أقسم الله سبحانه بالفجر.
٢ وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.
٣ وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.
٤ وأقسم بالليل إذا جاء، واستمر وأدبر وجواب هذه الأقسام: لتجازن على أعمالكم.
٥ هل في ذلك المذكور قسم يتنع ذا عقل؟
٦ ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟
٧ قبيلة عاد المنسوبة إلى جدها إرم ذات الطول.
٨ التي لم يخلق الله مثلها في البلاد.
٩ أولم تر كيف فعل ربك بثمود قوم صالح، الذين شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتًا بالججر.
١٠ أولم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟

١١ كل هؤلاء تجاوزوا الحد في الجبروت والظلم، كل تجاوزه في بلده، فأكثروا فيها الفساد بما نشره من الكفر والمعاصي.
١٢ فأذاقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض. إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنة، ومن أساء بالنار. ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعماً عليها بالقوة والمنعة، بين أن الإنعام بذلك ليس دليلاً على رضا الله عنهم، فقال: ١٣ فأما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي لإكرامه. ١٤ وأما إذا اختبره وضيق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانتني. ١٥ كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق. ١٦ ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به. ١٧ وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة حله. ١٨ وتحبون المال حباً كثيراً، فتبخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه. ١٩ لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، واذكروا إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً وزلزلت. ٢٠ وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة. • ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. • المؤمن إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
لَهُ الذِّكْرَى ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۚ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۚ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ ۚ يَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۚ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۚ
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۚ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۚ

سورة البلد

أياتها
١٠وقتها
٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ وَالْوَدِّ وَمَا وَلَدَ ۚ
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۚ أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ۚ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ۚ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۚ
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ۚ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ
فَكُّ رَقَبَةٍ ۚ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ
أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ

سورة البلد

— مكية —

• من مقاصد السورة:

بيان افتقار الإنسان وكبده وسبل

نجاته.

• التفسير:

• أقسم الله بالبلد الحرام الذي

٥٩٤

هو مكة المكرمة. ١) وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل مَنْ يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر. ٢) وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد. ٣) لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانيه من الشدائد في الدنيا. ٤) أيطن الإنسان أنه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الذي خلقه؟ ٥) يقول: أنفقت ما لا كثيرًا متراكمًا بعضه فوق بعض. ٦) أيطن هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟ وأنه لا يحاسبه في ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ ٧) ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ٨) ألم نجعل له عَيْنَيْنِ يبصر بهما؟ ٩) ولسانًا وشفتين يتحدث بهما؟ ١٠) وعرفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟ ١١) وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها ويتجاوزها. ١٢) وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة؟ ١٣) هي إعتاق رقبة ذكرًا كانت أو أنثى. ١٤) أو أن يطعم في يوم مجاعة يندرفيه وجود الطعام. ١٥) طفلًا فقد أمه، له به قرابة. ١٦) أو فقيرًا ليس له شيء يملكه. ١٧) ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأوصى بعضهم بعضًا بالرحمة بعباد الله. ١٨) أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

• من قوائد الآيات:

• عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة: من أسباب دخول الجنة. • من دلائل النبوة إخباره أن مكة ستكون حلالًا له ساعة من نهار. • لما ضيق الله طرق الرق وسع طرق العتق، فجعل الإعتاق من القربات والكفارات.

١٣) وجيء في ذلك اليوم بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما قرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل؟

١٤) يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الأخرى التي هي الحياة الحقيقية. ١٥) في ذلك اليوم لا يُعَذَّب أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشد وأبقى.

١٦) ولا يُوثق في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها.

ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:

١٧) وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.

١٨) أرجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.

١٩) فادخلي في جملة عبادي الصالحين.

٢٠) وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ

آيَاتُهَا ١٥

سُورَةُ الشَّمْسِ

تَرْبِيَّتُهَا ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۚ ١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۚ ٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۚ ٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۚ ٤ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَدَهَا ۚ ٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا ۚ ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيَهَا ۚ ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ ١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۚ ١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۚ ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۚ ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۚ ١٥

آيَاتُهَا ١١

سُورَةُ اللَّيْلِ

تَرْبِيَّتُهَا ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۚ ١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۚ ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۚ ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۚ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۚ ٦ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۚ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۚ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۚ ٩ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۚ ١٠ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ ١١ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ ١٢

٥٩٥

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِنَا هُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ ۚ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعَذِّبُونَ فِيهَا ۚ

سُورَةُ الشَّمْسِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

التأكيد بأطول قسم في القرآن، على تعظيم تزكية النفس بالطاعات، وخسارة دسها بالمعاصي،
• التَّشْيِيرُ:

١ أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها. ٢ وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد غروبها. ٣ وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه. ٤ وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير مظلمًا. ٥ وأقسم بالسماء، وأقسم بيناتها المتقن. ٦ وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛ ليسكن الناس عليها.

٧ وأقسم بكل نفس، وأقسم بخلق الله لها سوية. ٨ فأفهمها من غير تعليم ما هو شرّ لتجتنبه، وما هو خير لتأتيه.

٩ قد فاز بمطلوبه من طهر نفسه بتخليتها بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل. ١٠ وقد خسر من دس نفسه مخفياً إياها في المعاصي والآثام. ولما ذكر الله خسران من دس نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود مثلاً على ذلك فقال: ١١ كذبت ثمود نبيا صالحاً بسبب مجاوزتها الحد في ارتكاب المعاصي، واقرار الآثام. ١٢ حين قام أشقاها بعد انتداب قومه له. ١٣ فقال لهم رسول الله صالح

• ١٤: اتركوا ناقة الله، وشرّ بها في يومها، فلا تتعرضوا لها بسوء. ١٥ فكذبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها أشقاها مع رضاهم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم، وسواهم في العقوبة التي أهلكهم بها. ١٦ فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم غير خائف سبحانه من تبعاته.

سُورَةُ اللَّيْلِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ: بيان أحوال الخلق في الإيمان والإنفاق وحال كل فريق.

• التَّشْيِيرُ: ١ أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته. ٢ وأقسم بالنهار إذا تكشف وظهر. ٣ وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى. ٤ إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار. ٥ فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة وكفارة، واتقى ما نهى الله عنه. ٦ وصدق بما وعده الله به من الخلف. ٧ فسنيسر عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله. ٨ وأما من بخل بماله فلم يبذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئاً. ٩ وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله. ١٠ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • أهمية تزكية النفس وتطهيرها. • المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم. • الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية. • كل ميسر لما خلق له فمنهم مطيع ومنهم عاص.

﴿١٠﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۚ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا

لِلْهَدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا

الْآتَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ

تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

الذي كَذَّبَ بما جاء به الرسول ﷺ، وأعرض عن امتثال أمر الله،

وسيباعد عنها أتقى الناس أبو بكر ﷺ، الذي ينفق ماله في وجه

البر ليتطهر من الذنوب، ولا يبذل ما يبذل من ماله

ليكافئ نعمة أنعم بها أحد عليه، لا يريد بما يبذله من ماله إلا

وجه ربه العالي على خلقه، ولسوف يرضى بما يعطيه الله

من الجزاء الكريم.

سُورَةُ الضُّحَى

— مكية —

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان عناية الله بنبيه في أول أمره وأخيره.

● التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بأول النهار.

﴿٢﴾ وأقسم بالليل إذا أضلم وسمكن الناس فيه عن الحركة.

﴿٣﴾ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك؛ كما يقول المشركون لما

فُتِر الوحي.

● ولقد أورد الأخرى خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الذي لا يتقطع. ● ولسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك ولأمتك

حتى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك. ● لقد وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدك عبد

المطلب، ثم عكك أبو طالب. ● ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم. ● ووجدك فقيراً

فاغناك. ● فلا تسئ معاملته من فقد أباه في الصغر، ولا تذله. ● ولا تزجر السائل المحتاج. ● واشكر نعم الله عليك وتحدث بها.

سُورَةُ الشَّرْحِ

— مكية —

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ: المنة على النبي ﷺ بتمام النعم المعنوية عليه.

● التفسير:

● لقد شرح الله لك صدرك فحُبب إليك تلقى الوحي. ● وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة. ● شكر النعم حتى لله على عبده. ● وجوب الرحمة بالمستضعفين واللين لهم.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

آياتها ٨

سُورَةُ التَّيْنِ

ترتيبها ٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالتَّيْتُونَ ۝ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝

آياتها ١٩

سُورَةُ الْعَلَقِ

ترتيبها ٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ۖ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ۖ
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۖ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۖ

٥٩٧

الله - يجعل يوم القيامة يومًا للجزاء - بأحكم الحاكمين وأعدلهم! أيعقل أن يترك الله عباده سدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته!

سُورَةُ الْعَلَقِ

— مكية —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: الإنسان بين هدايته بالوحي وضلاله بالاستكبار والجهل.
• التفسير: ١) اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك: مفتتحًا باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق. ٢) خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة. ٣) اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان. ٤) الذي علَّم الخط والكتابة بالقلم. ٥) علم الإنسان ما لم يكن يعلمه. ٦) حقًا إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله. ٧) لأجل أن رآه استغنى بما لديه من الجاه والمال. ٨) إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كلًا بما يستحقه. ٩) أرايت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى عبداً محمداً ﷺ إذا صلى عند الكعبة. ١٠) أرايت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه! ١١) أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتنال أو أمره واجتتاب نواهيه، أُنهي من كان هذا شأنه! ١٢) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • إكرام الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن رفع له ذكره. • رضا الله هو المقصد الاسمي. • أهمية القراءة والكتابة في الإسلام. • خطر الغنى إذا جَرَّ إلى الكبر والبعد عن الحق. • النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر.

الذي أنعيك حتى كاد أن يكسر ظهرك. ٤) وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذكر في الأذان والإقامة وفي غيرهما. ٥) فإن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً وفرجاً. ٦) إن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً، إذا علمت ذلك فلا يهولك أذى قومك، ولا يصدك عن الدعوة إلى الله. ٧) فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك. ٨) واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.

سُورَةُ التَّيْنِ

— مكية —

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: امتنان الله على الإنسان باستقامة فطرته وخلقته، وكمال الرسالة الخاتمة.

• التفسير: ١) أقسم الله بالتين ومكان نباته، وبالنزيتون ومكان نباته في أرض فلسطين التي بعث فيها عيسى عليه السلام. ٢) وأقسم بجبل سيناء الذي ناجى عنده نبيه موسى عليه السلام. ٣) وأقسم بمكة البلد الحرام الذي يأمن من دخل فيه، الذي بعث فيه محمد ﷺ. ٤) لقد أوجدنا الإنسان في أعدل خلق وأفضل صورة. ٥) ثم أرجعناه إلى الهرم والخرف في الدنيا فلا ينتفع بجسده كما لا ينتفع به إذا أفسد فطرته وصار إلى النار. ٦) إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات فإنهم وإن هرموا فلهم ثواب دائم غير مقطوع، وهو الجنة: لأنهم زكوا فطرتهم.

٧) فأى شيء يملك - أيها الإنسان - على التكذيب يوم الجزاء بعدما عاينت من علامات قدرته الكثيرة! ٨) أليس

﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ هَذَا النَّاهِي بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، أَلَا يَخْشَى اللَّهَ؟ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ صاحب تلك الناصية كاذب في القول، خاطئ في الفعل. ﴿١٧﴾ فليدع - حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار - أصحابه وأهل مجلسه؛ يستعين بهم لينقذوه من العذاب.

﴿١٨﴾ سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فليُنظر أي الفريقين أقوى وأقدر. ﴿١٩﴾ ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعه في أمر ولا نهي، واسجد لله، واقترب منه بالطاعات، فإنها تقرب إليه.

سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان فضل ليلة القدر.

● التفسير: إنا أنزلنا القرآن جملة إلى السماء الدنيا كما ابتدأنا إنزاله على النبي ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان.

● وهل تدري - أيها النبي - ما في هذه الليلة من الخير والبركة؟ هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا. ﴿١﴾ تنزل الملائكة وينزل جبريل ﷺ فيها بإذن ربهم سبحانه بكل أمر قضاه الله في تلك السنة رزقًا

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِیمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَافًا وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

٥٩٨ هـ

كان أو موثًا أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله. ﴿٥﴾ هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتى نهايتها بطلوع الفجر.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

مَدَنِيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان كمال الرسالة المحمدية ووضوحها.

● التفسير:

﴿١﴾ لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفاقهم على الكفر حتى يأتيهم برهان واضح، وحجة جلية. ﴿٢﴾ هذا البرهان الواضح والحجة الجلية هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صُحُفًا مطهرة لا يمسه إلا المطهرون. ﴿٣﴾ في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم. ﴿٤﴾ وما اختلف اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيًا إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيه. ﴿٥﴾ ويظهر جرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابيهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

● من قَوَائِدِ آيَاتِ: ● فضل ليلة القدر على سائر ليالي العام. ● الإخلاص في العبادة من شروط قبولها. ● اتفاق الشرائع في الأصول مدعاة لقبول الرسالة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ١ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٢ جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشَى رَبَّهُ ٣

سورة الزلزلة

آياتها ٨

ترتيبها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ يَأْنِ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا ٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨

سورة العاديات

آياتها ١١

ترتيبها ١٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥

٥٩٩

١٠٠ إن الذين كفروا - من اليهود والنصارى ومن المشركين - يدخلون يوم القيامة في جهنم ماكثين فيها أبداً، أولئك هم شرُّ الخليقة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله.

١٠١ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير الخليقة.

١٠٢ ثوابهم عند ربهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لما آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

سورة الزلزلة

— مَدِينَة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بأحوال القيامة ودقة الحساب فيها.

• التَّشْيِيرُ:

١ إذا حُرِّكَتِ الْأَرْضُ التحريك الشديد الذي يحدث لها يوم القيامة.

٢ وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى وغيرهم.

٣ وقال الإنسان متحيراً: ما شأن الأرض تتحرك وتضطرب؟

٤ في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشر.

٥ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك.

٦ في ذلك اليوم العظيم الذي تنزل فيه الأرض يخرج الناس من موقف الحساب فَرَقًا ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٧ فمن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الخير والبر يره أمامه.

٨ ومن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الشر يره كذلك.

سورة العاديات

— مَكِينَة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تحذير الإنسان من الجحود والطمع بتذكيره بالآخرة.

• التَّشْيِيرُ:

١ أقسم الله بالخيال التي تجري حتى يُسْمَعَ لِنَفْسِهَا صَوْتُ مِنْ شِدَّةِ الْجَرِيِّ. ٢ وأقسم بالخيال التي تُوقِد بحواضرها النار إذا لامست بها الصخور لشدة وقعها عليها، ٣ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّر على الأعداء وقت الصباح. ٤ فحركن بجريهن غباراً. ٥ فتوسطن بفوارسهن جمعا من الأعداء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكفار شرُّ الخليقة، والمؤمنون خيرها. • خشية الله سبب في رضا عن عبده. • شهادة الأرض على أعمال بني آدم.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لَحَبِيبُ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١

الجزء الثلاثون

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

آياتها ١١

نزل بها ١٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١

سُورَةُ التَّكْوِينِ

آياتها ٨

نزل بها ١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَمَكُمُ التَّكْوِينَ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْمَلُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوْنها عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

٦٠٠

وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي؟ ١٩ هي نار شديدة الحرارة.

سُورَةُ التَّكْوِينِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تذكير المتكاثرين واللاهين بالدنيا بالقبور والحساب.

• التفسير:

- ١ شغلهم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله. ٢ حتى تمم ودخلتم قبوركم. ٣ ما كان لكم أن يشغلهم التفاخر بها عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال. ٤ ثم سوف تعلمون عاقبته. ٥ حقاً لو أنكم تعلمون يقيناً أنكم مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيكم على أعمالكم: لما انشغلتم بالتفاخر بالأموال والأولاد. ٦ والله لتشاهدن النار يوم القيامة. ٧ ثم لتشاهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه. ٨ ثم ليسألنكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به عليكم من الصحة والفنى وغيرهما. ٩ من قوالب الآيات، ١٠ خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد. ١١ القبر مكان زيارة سرعان ما ينتقل منه الناس إلى الدار الآخرة. ١٢ يوم القيامة يسأل الناس عن النعيم الذي أنعم به الله عليهم في الدنيا. ١٣ الإنسان مجبول على حب المال.

١ إن الإنسان لمُنوع للخير الذي يريده منه ربه. ٢ وأنه على منعه للخير لشاهد، لا يستطيع إنكار ذلك لوضوحه. ٣ وأنه لفرط حبه للمال يبخل به. ٤ أفلا يعلم هذا الإنسان المغتر بالحياة الدنيا إذا بعث الله ما في القبور من الأموات وأخرجهم من الأرض للحساب والجزاء أن الأمر لم يكن كما كان يتوهم؟ ٥ وأبرز ويبين ما في القلوب من النيات والاعتقادات وغيرها. ٦ إن ربهم بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى عليه من أمر عباده شيء، وسيجازيهم على ذلك.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

- ١ قزع القلوب لاستحضار هول القيامة وأحوال الناس في موازينها. ٢ التفسير:
- ٣ الساعة التي تزعزع قلوب الناس لعظم هولها. ٤ ما هذه الساعة التي تزعزع قلوب الناس لعظم هولها؟ ٥ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه الساعة التي تزعزع قلوب الناس لعظم هولها؟ إنها يوم القيامة. ٦ يوم تزعزع قلوب الناس يكونون كالفرش المنتشر المتناثر هنا وهناك. ٧ وتكون الجبال مثل الصوف المندوف في خفة سيرها وحركتها. ٨ فأما من رجحت أعماله الصالحة على أعماله السيئة. ٩ فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنة. ١٠ وأما من رجحت أعماله السيئة على أعماله الصالحة. ١١ فمسكرته ومستقره يوم القيامة هو جهنم.

١٠ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

أَسْبَابُ النِّجَاةِ مِنَ الْخُسَارَةِ.

التَّضْيِيرُ:

١ أقسم سبحانه بوقت العصر.

٢ إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.

٣ إلا الذين آمنوا بالله وبرسله،

وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى

بعضهم بعضًا بالحق، وبالصبر على

الحق: فالمتصفون بهذه الصفات

ناجون في حياتهم الدنيا والآخرة.

١٠ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

التَّحْذِيرُ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ

اغْتِرَارًا بِكَثْرَةِ الْمَالِ.

التَّضْيِيرُ:

١ وبال وشدة عذاب لكثير الاغتياب

للناس، والظعن فيهم.

٢ الذي همته جمع المال وإحصاؤه، لا

هم له غير ذلك.

٣ يظن أن ماله الذي جمعه سينجيه

من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة

الدنيا.

٤ ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل،

ليطرح في نار جهنم التي تدق وتكسر

كل ما طرح فيها لشدة بأسها.

٥ وما أعلمك - أيها الرسول -

ما هذه النار التي تحطم كل ما طرح

فيها؟!

٦ إنها نار الله المستعرة.

٧ التي تنفذ من أجسام الناس

إلى قلوبهم. ٨ إنها على المُعَذِّبِينَ فيها مغلقة. ٩ بَعْدَ مَمْدَةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى لَا يُخْرِجُوا مِنْهَا.

١٠ من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَبَطْشُهُ بِالْكَافِرِينَ لِبَيْتِهِ الْحَرَمِ.

التَّضْيِيرُ:

١ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأبرهته وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟! ٢ لقد جعل الله تدبيرهم

السيئ لهدمها في ضياع، فما نالوا ما تمنّوه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئاً. ٣ وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَتَتْهُمْ جَمَاعَاتُ

جَمَاعَاتٍ. ٤ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُنْحَجَرٍ. ٥ فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ كُورِقَ زَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدُّوَابُّ وَدَاسَتْهُ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● خسران من لم يتصفوا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. ● تحريم الهَمْزِ وَاللَّمْزِ فِي النَّاسِ.

● دفاع الله عن بيته الحرام، وهذا من الأمن الذي قضاه الله له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣ كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْحُطَمَةِ ٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِنْ سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ ١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٢ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣ قَوْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ٢
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ:
بيان نعمة الله على قريش وحق الله عليهم.

• التفسير:

- ١ لأجل عادة قريش والفهم.
- ٢ رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.
- ٣ فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يسر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحداً.
- ٤ الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف؛ بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مكية

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان صفات المكذِبين بالدين.

• التفسير:

- ١ هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟
- ٢ فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.
- ٣ ولا يحث نفسه، ولا يحث غيره على إطعام الفقير.
- ٤ فهلاك وعذاب للمصلين، الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يبالون بها حتى ينقضوا وقتها.
- ٥ الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.
- ٦ ويمنعون إعانة غيرهم بما لا ضرر في الإعانة به.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مكية

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

بيان منة الله على نبيه ﷺ بالخير الكثير؛ والدفاع عنه.

• التفسير:

- ١ إنا آتيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.
- ٢ فأدْ شَكَرَ الله على هذه النعمة، بأن تصلي له وحده وتذبح؛ خلافاً لما يفعله المشركون من التقرب لأوثانهم بالذبح.
- ٣ إن مَبْغُضَكَ هو المنقطع عن كل خير المُنْسِي الذي إن ذَكَرَ ذَكَرَ بسوء.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أهمية الأمن في الإسلام. • الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل. • مقابلة النعم بالشكر يزيد بها. • كرامة النبي ﷺ على ربه وحفظه له وتشريفه له في الدنيا والآخرة.

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّورَةِ:

البراءة من الكفر وأهله.

● التَّشْيِيرُ:

١ قل - أيها الرسول - : يا أيها الكافرون بالله.

٢ لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام.

٣ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا؛ وهو الله وحده.

٤ ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام.

٥ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا، وهو الله وحده.

٦ لكم دينكم الذي ابتدئتموه لأنفسكم، ولي ديني الذي أنزله الله علي.

سُورَةُ النَّصْرِ

مَدَنِيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّورَةِ:

بشارة النبي ﷺ بالنصر وختام الرسالة.

● التَّشْيِيرُ:

١ إذا جاء نصر الله ولدينك - أيها الرسول - وأعزاه له، وحدث فتح مكة.

٢ ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفداً بعد وفد.

٣ فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعِثَ بها، فسيُحج بحمد ربك؛ شكراً له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان تواباً يقبل توبة عباده، ويغفر لهم.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

ترتيبها ١٠٩

آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤
وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

سُورَةُ النَّصْرِ

ترتيبها ١١٠

آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣

سُورَةُ الْمَسَدِ

ترتيبها ١١١

آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

٦٠٣

سُورَةُ الْمَسَدِ

مَكِّيَّةٌ

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّورَةِ:

بيان خسران أبي لهب وزوجه.

● التَّشْيِيرُ:

١ خسرت يدا عم النبي ﷺ أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله؛ إذ كان يؤذي النبي ﷺ، وخاب سعيه.

٢ أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعه عنه عذاباً، ولم يجلبها له رحمة.

٣ سيدخل يوم القيامة ناراً ذات لهب، يقاسي حرّها.

٤ وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي ﷺ بإلقاء الشوك في طريقه.

٥ في عنقها حبل مُحْكَم القتل تساق به إلى النار.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● المفاضلة مع الكفار. ● مقابلة النعم بالشكر. ● سورة المسد من دلائل النبوة؛ لأنها حكمت على أبي لهب بالموت كافراً ومات بعد عشر سنين على ذلك. ● صِغَةُ أَنْكحة الكفار.

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تفرد الله بالألوهية والكمال وتزهه عن الولد والوالد والنظير.

• التفسير:

١ قل - أيها الرسول -: هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.

٢ هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال والجمال، الذي تصمد إليه الخلائق.

٣ الذي لم يلد أحدًا، ولم يلد له أحد، فلا ولد له - سبحانه - ولا والد. ولم يكن له مماثل في خلقه.

سُورَةُ الْفَلَقِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الحث على الاعتصام بالله من الشرور.

• التفسير:

١ قل - أيها الرسول -: أعتصم بربِّ الصبح، وأستجير به.

٢ من شرِّ ما يؤذي من المخلوقات، وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

٣ وأعتصم به من شرِّ السواحر اللائي يفتنن في العُقد.

٤ وأعتصم به من شرِّ حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سُورَةُ النَّاسِ

مَكِّيَّةٌ

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الحث على الاستعاذة بالله من شر الشيطان ووسوسته.

• التفسير:

١ قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الناس، وأستجير به.

٢ ملك الناس، يتصرّف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

٣ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.

٤ من شرِّ الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره. ٥ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس. ٦ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه. • ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه. • علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.

سُورَةُ الْإِنْشَاءِ

رَتَبَهَا ١١٢

آيَاتُهَا ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١
اللَّهُ الصَّمَدُ ٢
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سُورَةُ الْفَلَقِ

رَتَبَهَا ١١٣

آيَاتُهَا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١
مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢
وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ

رَتَبَهَا ١١٤

آيَاتُهَا ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١
مَلِكِ النَّاسِ ٢
إِلَهِ النَّاسِ ٣
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦